الجمهورية العراقية
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
احياء التراث الاسلامي
سلسلة الكتب الحديثة



الدكتور
غانم قدوري الحمد
أستاذ مساعد في كلية الشريعة ـ جامعة بغداد

إهـــــداء ٢٠٠٦
المرحوم الدكتور / علي حسين كرار
القاهرة

الجمهورية العراقية
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
احياء التراث الاسلامي
سلسلة الكتب الحديثة

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد

تأليف
الدكتور
غانم قدوري الحمد
أستاذ مساعد في كلية الشريعة ـ جامعة بغداد

مطبعة الخلود ـ بغداد
١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هجرية = ١٩٨٦ ميلادية

«الاهـــــــداء»

الى علمـاء الأنـدلس الخـالـدين الـذين أسهمـوا في إغناء علم الأصوات العربي :

مكي ، مؤلف كتاب (الرعاية لتجويد القراءة) (ت ٤٣٧هـ) .

وأبي عمرو الداني ، مؤلف كتاب (التحديد في الاتقان والتجويد) (ت ٤٤٤ هـ)

وعبد الوهاب القرطبي ، مؤلف كتاب (الموضح في التجويد) (ت ٤٦٢هـ) .

وشريح الرعيني الاشبيلي ، مؤلف كتاب (نهاية الاتقان في تجويد القرآن) (ت ٥٣٩هـ) .

وابن الطحان الاشبيلي ، مؤلف كتاب (الانباء في تجويد القرآن) (ت حوالي ٥٦٠هـ) .

وابن الناظر الغرناطي ، مؤلف كتاب (الترشيد في علم التجويد) (ت ٦٧٩هـ) .

إلى هؤلاء أهدي رسالتي .

اعترافاً بفضلهم .

واعتزازاً بأعمالهم .

وتجديداً لذكراهم .

هذا الكتاب

رسـالـة دكتـوراه نوقشت في كليـة الآداب بجـامعـة بغـداد صبـاح يوم الاثنين ٦/ ٥/ ١٩٨٥ من لجنة مكونة من الأساتذة:

١ ـ الدكتور فاضل صالح مهدي السامرائي (رئيس اللجنة).

٢ ـ الدكتور عدنان محمد سلمان (المشرف).

٣ ـ الدكتور حسام سعيد محمود النعيمي.

٤ ـ الدكتور رشيد عبد الرحمن صالح العبيدي.

٥ ـ الدكتور عبد الوهاب محمد علي إلياس العدواني.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

المقدمـــــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبَعد

:فان اللغة العربية قد حظيت بجهود كبيرة من أجل المحافظة على نطقها بريئاً من شوائب اللحن، نقياً من مظاهر اللكنة، وارتبطت تلك الجهود ببزوغ شمس الاسلام في بلاد العرب، وكان ظهور القرآن الكريم سبباً في نشأة علوم جديدة لم يكن للعرب عهـد بهـا من قبـل، منهـا علوم اللغـة التي اتسمت بالشمـول لكـل جوانب الدرس اللغوي المعروفة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم.

وكانت جهـود علمـاء العـربية مثل الخليل وسيبويه وابن جني في دراسة الأصوات اللغـويـة يشـار اليهـا دائمـا في عصـرنا على أنها من الانجازات المتميزة في الدرس اللغـوي، وقـامت حولهـا دراسـات ليست قليلة، ولكن أحـداً من المشتغلين بدراسة الأصوات العربية من المحدثين لم يلتفت الى كتب علم التجويد التي تتضمن دراسة للاصـوات اللغـويـة لا تقـل في أهميتها عن جهود علماء العربية، فلم يستخدم أحد منهم تلك الكتب، فظلت مهملة وظلت مادتهـا مجهـولـة، مما حرم الدرس الصوتي العربي من مصدر غني وأصيل.

وكانت هذه القضية، وأعني بها إهمال دارسي الأصوات العربية المحدثين لكتب علم التجويد وعـدم الاستفـادة منها في أبحاثهم، قد لفتت نظري منذ عدة سنوات، وصـرت أتتبـع كتب علم التجـويـد المطبـوعـة، وأجمـع منها ما تقع عليه يدي. وقد انتهيت من ذلـك التتبـع الى نتيجـة تتلخص في أن كتب علم التجـويد المتداولة في أيـدي النـاس في زماننا معظمها من الكتب المتأخرة أو الحديثة التأليف، التي يغلب عليهـا إيجـاز العبارة غالبا وغموضها أحيانا، مما لا يشجع المشتغلين بعلم الأصوات على دراستها والاستفادة منها.

وبعد ان انتهيت الى تلك النتيجة طمحت نفسي الى معرفة كتب علم التجويد القديمة، وقد أخذ ذلك مني سنوات أخرى من البحث والتتبع في فهارس المخطوطات، حتى وقفت على أسماء عشرات من تلك الكتب، وحصلت على بعض مخطوطاتها، وقد فتحت لي هذه الخطوة عدة جوانب للبحث تتراوح بين البحث في تاريخ علم التجويد والتعريف بكتبه القديمة المجهولة لدى المعاصرين، والعمل على تحقيق بعض تلك الكتب.

وحاولت أن أقدّم خلاصة ذلك التتبع والبحث الى المهتمين بعلم التجويد والمشتغلين بدراسة الاصوات العربية، فكتبت بحثا عن (علم التجويد: نشأته ومعالمه الاولى). [1] ولم يتوقف اهتمامي بكتب علم التجويد عند هذا الحد، فكان يشغلني التفكير بالقيام بعمل كبير هو تقديم بحث عن (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)، ولكن كانت تحول دون القيام بهذا العمل عقبات تتمثل في حاجته الى الوقت الطويل والتفرغ التام، وتتمثل في صعوبة الحصول على مصادره التي لا يزال معظمها مخطوطا ومفرقا في بلدان العالم.

وكان التحاقي للدراسة بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة بغداد قد وفر لي الوقت الكافي للشروع في ذلك العمل، وقد حصلت الموافقة من القسم على أن يكون موضوع رسالتي لنيل درجة الدكتوراه عن (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد). ومن ثَمَّ اخذت بجمع المصادر المتصلة بالموضوع، ووقفت على كثير منها في مكتبات العراق، وطلبت عددا منها من مكتبات البلدان الأخرى، حتى تجمع لديّ ما يمكن معه القيام بالبحث على نحو مقبول.

وبعد أن انتهيت من جمع المادة ومراجعتها شرعت في الكتابة على أساس خطة تقسم البحث الى ثلاثة فصول، وضممت اليها ثلاثة ملحقات تعالج موضوعات لا تندرج بشكل مباشر في الفصول الثلاثة.

---

١ - نشر في مجلة كلية الشريعة في جامعة بغداد سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، في العدد السادس (ص ٣٣١ - ٣٩٦).

وقد درست في الفصل الأول (مصادر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد) فجاء هذا الفصل في خمسة مباحث، تحدثت في المبحث الاول عن نشأة علم التجويد وبدء التأليف فيه. وقدمت في المبحث الثاني قائمة تتضمن أشهر كتب هذا العلم من لدن ظهور التأليف فيه الى أواخر القرن الثالث عشر الهجري. وبينت في المبحث الثالث الفكرة التي تستند اليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، وهي تدور حول اجتناب اللحن الخفي. ووقفت في المبحث الرابع عند منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات اللغوية، وبينت أهم خصائص ذلك المنهج، وختمت الفصل بمبحث عن صلة علم التجويد بعلوم القرآن وعلم اللغة.

إن الأصوات اللغوية تظهر في الاستخدام الحي للغة على شكل مجموعات يضمها الكلام (أو التركيب) ولكن متطلبات الدراسة تقتضي النظر الى الأصوات من خلال مستويين، المستوى الأول: أن تجرد عن التركيب وتدرس مفردة لمعرفة طريقة نطقها بتحديد مخارجها وصفاتها، والمستوى الثاني: أن تدرس وهي في التركيب لمعرفة ما يلحق خصائصها الصوتية من تغيير بسبب المجاورة، إذ ان المجاورة لها تأثير، ومن ثَمَّ خصصت فصلا للمستوى الأول وفصلا للمستوى الثاني.

تناولت في الفصل الثاني (دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد مفردة) وهو يتألف من ستة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن وصف علماء التجويد لأعضاء آلة النطق، وتحدثت في المبحث الثاني عن إنتاج الأصوات اللغوية، وفي الثالث عن تصنيف الأصوات الى جامدة (صامتة) وذائبة (مصوِّتة)، وبيَّنت في المبحث الرابع كيفية تصنيف الأصوات الجامدة بحسب المخارج، وفي الخامس كيفية تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات التي تقسم الى مُمَيِّزة ومُحَسِّنة، وتحدثت في المبحث السادس عن الأصوات الذائبة (حروف المد والحركات)، فبينت طريقة علماء التجويد في دراسة هذه الأصوات وكيفية تصنيفها وتحديد مخارجها وتوضيح العلاقة بين أنواعها.

وتناولت في الفصل الثالث (دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد متصلة) وذلك في ثلاث مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن فكرة التأثر بين الأصوات في الكلام المتصل، وبينت موقف علماء التجويد من هذه القضية، وخصصت

المبحث الثاني لدراسة الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الجامدة، وتحدثت في المبحث الثالث عن الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الذائبة.

أما الملحقات فقد تحدثت في الملحق الأول منها عن تاريخ علم التجويد في القرن الرابع الهجري، في محاولة لاستكشاف بعض جوانب هذا العلم. وتحدثت في الملحق الثاني عن أساليب القراءة، وبينت فيه موقف علماء التجويد من القراءة بالألحان، وتحدثت فيه أيضا عن ظاهرة التنغيم. وخصصت الملحق الثالث للكلام عن عيوب النطق أو أمراض الكلام عند علماء التجويد.

وقد لخصت أهم نتائج هذا البحث في الخاتمة.

واتبعت في كتابة هذا البحث خطة تستند على ركيزتين:

الأولى: العناية بالنصوص المقتبسة من كتب علم التجويد، وذلك لأن هذه النصوص هي المادة التي ينبني عليها البحث، وقد حرصت على إيراد كل نص تضمن فكرة جديدة أو إضافة قيمة في دراسة الأصوات، وذلك لأن الكتب التي أُخِذَتْ منها هذه النصوص لا يزال معظمها مخطوطا لا يصل اليه الباحثون بسهولة، فكنت أرجو بعملي هذا أن أضع بين أيدي المشتغلين بعلم الأصوات تلك النصوص النادرة عسى أن تكون دليلا لهم الى كتب علم التجويد، فينشطوا لدراستها وتحقيقها.

الثانية: الموازنة بين المادة الصوتية المقتبسة من كتب علم التجويد والمادة الصوتية لدى علماء العربية كالخليل وسيبويه وابن جني، وذلك لأن دراسات هؤلاء العلماء تشكل الأساس الذي قامت عليه الدراسة الصوتية عند علماء التجويد. ومن خلال تلك الموازنة يمكن معرفة مقدار ما أضافه علماء التجويد الى الدرس الصوتي العربي. وكنت أضع بجانب ذلك كله نتائج الدرس الصوتي الحديث لكي نتبين المنزلة التي يجب أن نضع فيها جهود علماء التجويد في دراسة الأصوات، فهذه ثلاث حلقات متصلة لدراسة الأصوات: علماء العربية، وعلماء التجويد، وعلماء الأصوات المحدثون،

لا ينبغي الفصل بينها في أي دراسة عن الأصوات العربية يراد لها أن تكون مفيدة .

ولم يخل العمل في هذا البحث من بعض الصعوبات ، فمن ذلك كون أكثر مصادره كتبا مخطوطة ، وهذا يعني صعوبة الحصول عليها ، لا سيما المخطوطات التي تحتفظ بها مكتبات خارج العراق ، ثم إن ما اطلعت عليه من تلك الكتب يحتاج الى جهد مضاعف من أجل قراءة النصوص فيه قراءة صحيحة ، خاصة إذا كانت المخطوطات رديئة الخط ، وكنت أستعين بأكثر من نسخة كلما تيسر ذلك من أجل توثيق النصوص التي أنقلها .

وكنت في بعض الموضوعات أشعر بالحاجة الى استخدام الأجهزة الحديثة التي أصبحت معروفة لدى المشتغلين بعلم الأصوات ، من أجل تقديم نتائج محددة وواضحة ، ولكن تلك الأجهزة غير متيسرة الآن ، ولم تكن المصادر المكتوبة بالعربية في علم الأصوات كافية في سد تلك الحاجة دائما ، وأرجوا أن تتوفر تلك الأجهزة في بلادنا حتى يتمكن الباحثون من المضي في تدقيق نتائج الأبحاث الصوتية العربية القديمة والحديثة ، الى جانب العمل على كشف أسرار الصوت الانساني .

وأخيرا فهذا هو البحث الذي شغلت بأمره مدة من الزمن قد تمكنت بفضل الله تعالى من إنجازه على هذه الصورة التي أرجولها أن تكون حافزا يدفع الباحثين الى الاهتمام بكتب علم التجويد ، فلا يمضي وقت طويل حتى نرى أهم كتب هذا لعلم قد حُقِّقَت ونُشِرَت ، ويبدأ المشتغلون بعلم الأصوات يستفيدون من مادتها الصوتية الأصيلة .

وفي الختام أشكر الأستاذ الدكتور عدنان محمد سلمان الذي أشرف على اعداد هذه الرسالة ، وقام بقراءة أصولها الخطية ، وأفادني بملاحظاته القيمة ، وكان مثالاً طيباً للاستاذ المخلص للعلم ، الحاني على طلبته . وأشكر كل من أسدىٰ إليَّ عونا ، لاسيما الذين يسروا لي الاطلاع على بعض المصادر المخطوطة ، جزاهم الله كل خير .

ويلزمني أيضاً توجيه الشكر إلى لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية في العراق على قيامها بطبع هذا الكتاب على نفقة الوزارة، وَفَّق الله القائمين عليها. لخدمة تراثنا الإسلامي الخالد.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه وأن ينفعني به وبدعاء من نظر فيه (يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنُونَ إلاَّ مَنْ أتىٰ الله بقلبٍ سليمٍ).

غانم قدوري الحمد
١٩٨٤/١١/٨
بغداد

الفصـــل الأول

مصادر الدراسة الصوتية عند علماء التجويـــد

(تاريخ ومنهج)

إن كتب علم التجـويـد القـديمـة تكـاد تكـون مجهـولـة لدى معظم المشتغلين بالـدراسـات الصـوتيـة العربية في الوقت الحاضر.[1] وهي تكاد تكون مجهولة أيضا لدى المتخصصين بدراسة علوم القرآن عامة وعلم التجويد خاصة.

ولا يزال معظم تلك الكتب مخطـوطـاً بعيـداً عن متناول أيدي الباحثين،[2] ولعل ذلـك هو أحـد الأسبـاب التي حالت بين البـاحثين المعاصرين والاستفادة من المادة الصـوتيـة التي تضمنتهـا تلك الكتب. ويبـدولي أن الـرسـائـل المـوجـزة التي كتبها المتأخرون وبعض المعاصرين في علم التجويد كانت من بين الأسباب التي صرفت الـدارسين عن تتبـع كتب علـم التجويد القديمة ودراستها والاعتماد عليها، وذلك لما يغلب على تلك الرسائل من الايجاز الذي أدى الى غموض العبارات في كثير من الأحيان.

وقـد كان لاهمـال دارسي الأصوات العربية المعاصرين كتب علم التجويد وعدم الاستفـادة منهـا في بحـوثهم نتـائـج تتمثـل في حرمـان تلك البحوث من المادة التي

---

(١) لم يستخـدم رواد الـدراسـة الصوتية العربية الحديثة أيّاً من كتب علم التجويد. فالذين كتبوا كتبا مستقلة في دراسة الأصوات العربية مثل (الدكاترة): ابراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وكمال محمد بشر، وأحمد مختار عمر، لم يعتمدوا على تلك الكتب.

(٢) لم يطبـع من كتب علم التجـويـد القديمة سوى كتاب (الرعاية لتجويد القراءة لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، و(شـرح الـواضحـة) لابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، و(التمهيد) لابن الجـزري (ت ٨٣٣هـ)، وبعض شروح المقـدمة الجزرية، مثل شرح ابن الناظم (كان حيا سنة ٨٢٩هـ) وشرح الشيخ خالد الازهري (ت ٩٠٥هـ) وشرح القاضي زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) وشرح علي القاري (ت ١٠١٤هـ). وكذلك طبع كتاب (تنبيه الغافلين وارشاد الجاهلين) لابي الحسن علي بن محمد الصفاقسي (ت ١١١٨هـ).

تتضمنها تلك الكتب، وتتمثل في عدم الدقة في تقويم جهود علماء التجويد في دراسة الاصوات اللغوية.(٣)

وفي هذا الفصل نحاول التعريف بكتب علم التجويد منذ ظهور التأليف المستقل فيه حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، مع الوقوف على منهج علماء التجويد في التأليف وفي طريقة دراسة الأصوات، وبيان ما تميز به ذلك المنهج. ممهدين لذلك بالبحث عن نشأة علم التجويد. ومن ثم جاء هذا الفصل في خمسة مباحث هي:

الأول: نشأة علم التجويد.

الثاني: تعريف بأشهر كتب علم التجويد.

الثالث: الفكرة التي تستند اليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد.

الرابع: منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية.

الخامس: صلة علم التجويد بعلوم القرآن وعلم اللغة.

---

٣ - قال جان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية ص ١١) في حق الدراسات الصوتية القديمة عند النحويين: «ولو رجع ايها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها»، وهذا القول ينطبق على جهود علماء التجويد على نحو أكثر وضوحا.

المبحث الأول
نشـأة علـم التجويـد

لم يُعْرَفْ مصطلح (التجويد) بمعنى العلم الذي يُعْنَىٰ بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق الا في حدود القرن الرابع الهجري، كذلك لم يعرف كتاب أُلِّفَ في هذا العلم قبل ذلك القرن، ومعنى هذا أن علم التجويد تأخر في الظهور علما مستقلا بالنسبة الى كثير من علوم القرآن وعلوم العربية أكثر من قرنين من الزمان.

وقد جاء في بعض المصادر المتأخرة أن الصحابي عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «جَوِّدُوا القرآن...».[1] واستند بعض المحدثين الى هذه الرواية في القول بأن نشأة علم التجويد ترجع الى عصر الصحابة، وقال: «ولسنا نملك لهذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره ووصف المراحل التي قطعها حتى صار علما مستقلا هو (علم التجويد)، وكل الذي يعرف عن مراحله الأولىٰ أن أول من استخدم هذه الكلمة في معنى قريب من معناها هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله: (جوّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات)... ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره...»[2]

وحين تتبعت هذه الرواية في المصادر القديمة وجدت أنها تنقل الرواية على نحو آخر لا تصلح معه للاستشهاد في ما نحن بصدده، فقد جاء فيها (جَرِّدُوا) بالراء بعد الجيم مكان (جودوا) بالواو بعد الجيم،[3] ويترجح لديّ أن الرواية تصحفت في

(١) ابن الجزري: النشر ١/ ٢١٠، والسيوطي: الاتقان ١/ ٢٨١.

(٢) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب ص ٧٧.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف ٢/ ٤٩٧، وأبو عبيد: غريب الحديث ٤/ ٩٤، وابن أبي داود: المصاحف ص ١٣٩. وابو بكر بن الانباري: ايضاح الوقف والابتداء ١/ ١٦، والداني: المحكم ص ١٠، واحمد بن ابي عمر: الايضاح ٦٥و.

المصادر المتأخرة، لأنها تنقل النص باسناد ينتهي الى أسانيد المصادر القديمة، ثم يختلف النص بعد ذلك في حرف واحد.(٤) وهذه الرواية تتعلق في الاصل بموضوع تجريد القرآن من الزيادات المتمثلة بالخموس والعشور وأسماء السور ونحو ذلك.(٥)

ومن المعلوم أنه لم يرد في القرآن الكريم من مادة (ج و د) شيء في وصف القراءة، كذلك لم أجد في (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) الذي يعتمد على تسعة من أشهر كتب الحديث، شيئا من ذلك.(٦) وهذا أمر يمكن أن يستدل به على أن كلمة (التجويد) لم تكن مستعملة في عصر النبوة بالمدلول الذي صارت تدل عليه فيما بعد.

وكانت هناك كلمات أخرى تستخدم في عصر النبي ﷺ وأصحابه في معنى كلمة (التجويد)، مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، وهي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية لصفات النطق العربي الفصيح، جامعة الى ذلك حسن الصوت والعناية بالأداء(٧) ولم يرد من هذه الكلمات الأربع في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل.(٨)

ولا يعني ذلك أن مفردات مادة (ج و د) لم تكن مستخدمة في اللغة العربية، فنجد عددا من الكلمات المشتقة من تلك المادة مثل: الجيِّد نقيض الرديء، وجاد الشيء جُودة وجَوْدة، أي صار جيِّدا. وأجاد أتى بالجيِّد من القول والفعل. ورجل

---

(٤) ذكر ابن الجزري (التمهيد ص٣) أن عليا رضي الله عنه سئل عن معنى الآية (ورتل القرآن ترتيلا) فقال: «الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف»، ولكني وجدت السمرقندي يذكر في روح المريد (١٣٧و) أن علياً روى عن النبي ﷺ في معنى الآية قوله: «الترتيل حفظ الوقوف وبيان الحروف»، وهذه الرواية أقرب الى واقع الاستخدام الاصطلاحي لكلمة (التجويد).

(٥) انظر: الزركشي: البرهان ١/٤٧٩.

(٦) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١/٣٩٦ - ٣٩٧.

(٧) انظر: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى، بحث لكتاب هذه الرسالة في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد السادس ١٩٨٠، ص ٣٧٨ - ٣٨٢.

(٨) قال الله تعالى: ﴿ورتّلناه ترتيلاً﴾ الفرقان ٣٢. وقال ﴿ورَتِّلِ القرآنَ ترتيلاً﴾ المزمل ٤.

جواد سخي، وجاد الفرس فهو جواد. . . الخ. [٩] والتجويد مصدر جوّدت الشيء. قال الداني: ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ النهاية في تحسينه. [١٠]

وأقدم نص وردت فيه كلمة (التجويد) مستعملة بمعنى يقرب من معناها الاصطلاحي، في المصادر التي اطلعت عليها، هو قول ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) مؤلف كتاب (السبعة في القراءات)، فقد قال الداني (ت ٤٤٤هـ): «حدثني الحسَين بن شاكر السمسار، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: اللحْنُ في القرآنِ لَحْنَانِ: جَلِيٌّ وخَفِيٌّ. فالجليُّ لَحْنُ الأعرابِ، والخفيُّ تَرْكُ إعطاءِ الحرفِ حَقَّهُ مِنْ تَجْوِيدِ لَفْظِهِ» [١١] ونقل أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) الرواية على هذا النحو: «. . . والخفي ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها، بلا زيادة فيها ولا نقصان». [١٢]

ان الوقت الذي ظهرت فيه كلمة التجويد بمعناها الاصطلاحي هو الوقت الذي ظهر فيه أول مصنف مستقل في علم التجويد، فقد قال ابن الجزري، وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقانيُ البغدادي المتوفى سنة ٣٢٥هـ: «هو أول من صَنَّفَ في التجويد فيما أعلم، وقصيدته الرائية مشهورة، وشرحها الحافظ ابو عمرو. . .» [١٣]

والمصنَّف الذي أشار اليه ابن الجزري هنا على أنه أول مصنف في التجويد هو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية، التي يقول في مطلعها:

أقولُ مَقَالاً مُعْجِباً لأُولي الْحِجْرِ ولا فَخْرَ، إنَّ الفخرَ يَدْعُو الى الكِبْرِ

وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتا، ذكر فيها أبو مزاحم بعض الموضوعات التي صارت فيما بعد جزءاً من علم التجويد، وكان لهذه القصيدة أثر واضح في جهود

---

(٩) ابن منظور: لسان العرب ٤/ ١١٠ جو
(١٠) التحديد ٢و.
(١١) التحديد ٢٢ظ.
(١٢) الايضاح ٦٨ظ.
(١٣) غاية النهاية ٢/ ٣٢١.

اللاحقين في علم التجويد، فهم بين مقتبس منها مستشهد بأبياتها، وبين معارض لها، أو شارح موضح لمعانيها.[14]

ومع أن القصيدة الخاقانية هي أول مصنف مستقل ظهر في علم التجويد إلا أن أبا مزاحم لم يستخدم فيها كلمة (التجويد) ولا أيا من الألفاظ الأخرى التي تشاركها في المادة اللغوية، واستخدم مكانها كلمة (ٱلْحُسْن) وما ٱشْتُقَّ من مادتها. فقد قال في صدر البيت الخامس:

أَيَا قارِىءَ القرآنِ أَحْسِنْ أَداءَهُ

وقال في صدر البيت السابع عشر:

فقد قلتُ في حُسْنِ الأداءِ قصيدةً

وعدم استخدام أبي مزاحم لكلمة (التجويد) في قصيدته يدل على أن هذا المصطلح لم يكن مشهورا حينذاك، على الرغم من ظهوره في ذلك الوقت، فقد استخدمه معاصره ابن مجاهد، كما مر في النص الذي نقلناه عنه.

وأول من استخدم مصطلح (التجويد) بعد ابن مجاهد هو ابو الحسن علي بن جعفر السعيدي المتوفى في حدود ٤١٠هـ[15] فقد قال في أول كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي): «سألتني . . . أن أُصَنِّفَ لكَ نُبَذاً من تجويد اللفظ بالقرآن». وقال في موضع آخر: «ويؤمر القارئ بتجويد الضاد من (الضالين) وغيرها».[16] وشاع استخدام مصطلح (التجويد) بعد عصر السعيدي على نطاق واسع.[17]

وإذا وافقنا ابن الجزري في قوله إن القصيدة الخاقانية هي أول مصنف كتب في علم التجويد فان هناك قريبا من قرن من السنين بين تاريخ ظهورها وتاريخ ظهور

---

(١٤) لمعرفة المزيد عن هذه القصيدة والاطلاع على نصها يراجع بحث: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى لاسيما المبحث الثاني والمبحث الثالث ص ٣٣٩ ـ ٣٦٥.

(١٥) انظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ١/٢٩٨، وابن الجزري: غاية النهاية ١/٥٢٩.

(١٦) كتاب التنبيه ورقة ٤٥ظ، و٤٧ظ.

(١٧) ينظر في ذلك بحث: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى، ص ٣٨٤ ـ ٣٨٩.

كتـاب السعيـدي (التنبيـه على اللحن الجلي واللحن الخفي) الـذي يتميز بأنه أقدم كتـاب معـروف لدينـا اليـوم في علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية، وهويمثل بدء التأليف المستقل في علم التجويد.

وحين رجعت الى كتـاب (الفهـرست) لابن النـديم المتوفى سنـة ٣٨٥هـ على الأرجح، لم أجده يذكر أيّ كتاب يحمل اسم التجويد أويمكن أن يكون موضوعه في هذا العلم، على الرغم من أنه ذكر في الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه مئات الكتب المؤلفة في علوم القرآن.[١٨] وهذا أمر يدل على أن علم التجويد لم يزل في القـرن الـرابـع الهجـري يخطـو خطـواتـه الأولى ولم تشتهر كتبه حين ألف ابن النديم كتابه سنـة ٣٧٧هـ.[١٩] ولا يزال تاريخ علم التجويد في القرن الرابع بحاجة الى نصوص جديدة تلقي مزيدا من البيان على نشأته.[٢٠]

وحين نتقـدم خطـوة إلى الأمـام ونـدخـل في القـرن الخـامس الهجـري نجد أن المؤلفـات في علم التجـويـد يتتـابـع ظهـورها حتى إننا لنجد أن أعظم مؤلفات علم التجـويـد قد ظهـرت في هذا القرن، فبعد كتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسعيـدي الـذي ظهـر في نهـايـة القـرن الـرابع أو السنين الأولى من القرن الخامس يظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد، هما (الرعاية) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) و(التحديد) لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ).

ونجد في مقدمة كتاب (الرعاية) لمكي ما يشير الى أن القرن الخامس هو التاريخ الحقيقي لظهـور المؤلفـات في علم التجـويـد، قال مكي: «وما علمت أن أحداً من المتقدمين سبقني الى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا الى جمع مثل ما جمعت فيه من صفـات الحـروف وألقـابهـا، ولا ما أتبعت فيـه كل حرف منهـا من ألفـاظ كتـاب الله تعـالى، والتنبيـه على تجـويـد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته. ولقد تصور في نفسي تأليف هذا الكتاب وترتيبه من سنة تسعين وثلاثمائة، وأخذت نفسي بتعليق ما يخطر

---

(١٨) انظر: الفهرست ص ٢٧ ـ ٤٢.

(١٩) المصدر نفسه ص ٣.

(٢٠) راجع ملحقاً عن علم التجويد في القرن الرابع الهجري في آخر هذه الرسالة.

ببالي منه في ذلك الوقت، ثم تركته اذ لم أجد مُعيناً فيه من مُؤَلِّفٍ سبقني بمثله قبلي، ثم قَوَّىٰ الله النية وجَدَّد البصيرة في إتمامه بعد نحو من ثلاثين سنة، فسهَّل الله تعالى أمره، ويَسَّرَ جمعه، وأعان على تأليفه». (٢١)

وجاء في مقدمة كتاب (التحديد) للداني مايشير الى المعنى الذي يفهم من قول مكي السابق من انعدام المؤلفات في علم التجويد في وقتهما، فقال الداني: «أما بعد فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا ومقرئي دهرنا من تجويد التلاوة وتحقيق القراءة، وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى اليه، وحث نبيه ﷺ وأمته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل والترتيل ـ أن أَعْمَلْتُ نفسي في رسم كتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ في وصف علم الاتقان والتجويد، وكيفية الترتيل والتحقيق». (٢٢)

وإذا كان بامكاننا أن نقول إن مكيا ألف كتاب (الرعاية) سنة ٤٢٠ هـ اعتمادا على النص الذي سبق أن نقلناه من الكتاب، فاننا لا نعلم يقينا السنة التي ألف فيها الداني كتاب (التحديد)، ولا نعلم هل ألفه قبل أن يظهر كتاب (الرعاية) أو بعد ظهوره؟(٢٣)

ومهما يكن من أمر فإن نشأة علم التجويد ترتبط بقصيدة أبي مزاحم الخاقاني، وإن مؤلفاته الاولى تتمثل بكتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسعيدي، وكتاب (الرعاية) لمكي، وكتاب (التحديد) للداني، ثم تتوالى المؤلفات بعد ذلك متواصلة حتى عصرنا الحاضر.

وارتباط نشأة علم التجويد بالمؤلفات المذكورة هنا يعني أن علم التجويد قد تأخر ظهوره بشكله المتميز المستقل أكثر من قرنين من الزمن عن ظهور كثير من علوم القرآن والعربية، ويبدو أن جهود علماء العربية من النحويين واللغويين وجهود علماء القراءة كانت تقوم بالمهمة التي قام بها علم التجويد بعد ظهوره، في تعليم الناطقين

---

(٢١) الرعاية ص ٤٢.

(٢٢) التحديد ورقة ١ظ.

(٢٣) ينظر في ذلك بحث: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧.

بالعربية أصول النطق الصحيح، وتحذيرهم من الانحراف في نطق الأصوات العربية.

وتكاد تتلخص جهود اللغويين والنحاة في دراسة الأصوات العربية حتى أواخر القرن الرابع الهجري بما كتبه الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) في مقدمة كتاب العين عن مخارج الحروف وصفاتها. (٢٤) وسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ) في (الكتاب) في باب الادغام خاصة. (٢٥) والمبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) في كتاب (المقتضب) في أبواب الادغام، (٢٦) وابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ) في مقدمة جمهرة اللغة. (٢٧) والزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ت ٣٣٧هـ) في آخر كتاب الجمل في باب الادغام. (٢٨) والأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ) في مقدمة تهذيب اللغة. (٢٩) وأخيراً ابن جني (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ) في سر صناعة الاعراب. (٣٠) وهناك نتف أخرى متناثرة في بعض الكتب. (٣١)

أما كتب القراءات القديمة التي ترجع الى القرنين الثاني والثالث فانه لم يصل الينا منها شيء يذكر. (٣٢) وأقدم كتاب وصل الينا من كتب القراءات هو كتاب (السبعة في القراءات) لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، الذي حققه الدكتور شوقي ضيف، ولا نجد في هذا الكتاب أبواباً مستقلة تعالج موضوع الأصوات العربية، وانما جاءت الملاحظات الصوتية متناثرة في ثناياه.

---

(٢٤) العين ١/٥٢ - ٦٧.

(٢٥) الكتاب ٤/٤٣١ - ٤٨٥، ومواضع أخر متفرقة.

(٢٦) المقتضب ١/١٩٢ - ٢٣٦.

(٢٧) جمهرة اللغة ١/٤ - ٨.

(٢٨) الجمل ص ٣٧٥ - ٣٨٢.

(٢٩) تهذيب اللغة ١/٤١-٥٢.

(٣٠) سر صناعة الاعراب ١/١-٧٥.

(٣١) مثل الواضح في علم العربية لابي بكر الزبيدي ص ٢٨١-٢٨٣.

(٣٢) ينظر لمعرفة أسماء تلك الكتب: عبد الهادي الفضلي: القراءات القرآنية ص ٢٧-٣٢.

وقد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد)، وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين الى تلك المادة، وأضافوا اليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

وبالرغم من استناد علماء التجويد على جهود سابقيهم من علماء العربية وعلماء القراءة فقد جاء عملهم متميزاً، ولا يمكن أن نعده جزءا من تلك الجهود، وانما جاء عملا شاملا للدرس الصوتي، أما علماء العربية فانهم عالجوا الموضوع في إطار الدرس الصرفي وهو أمر تجاوزه علماء التجويد وذلك بالنظر الى أصوات اللغة نظرة أشمل من ذلك

أما علماء القراءة فانهم كانوا مشغولين برواية النص القرآني الكريم وضبط حروفه كما نقلتها طبقات علماء القراءة طبقة عن طبقة حتى تنتهي الى طبقة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تلقوا القرآن من النبي ﷺ.

ولا يمكن أن تُعَدَّ الكتب التي ألفها القراء في وصف القراءات القرآنية بدءاً للتأليف في علم التجويد، لأن علم القراءة وعلم التجويد، وان كان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن، يختلفان في الموضوع كما يختلفان في المنهج، أما الموضوع فان علم التجويد لا يُعنىٰ باختلاف الرواة بقدر عنايته بتحقيق اللفظ وتجويده، مما لا اختلاف في أكثره بين القراء، وأما المنهج فإن كتب القراءات كتب رواية، وكتب التجويد كتب دراية، تعتمد على مقدرة العالم في ملاحظة أصوات اللغة وتحليلها ووصفها.

ويتضح ذلك من عدة نصوص وردت في كتاب (الرعاية) لمكي، منها قوله في مقدمة الكتاب: «ولست أذكر في هذا الكتاب الا ما لا اختلاف فيه بين أكثر القراء، فيجب على كل من قرأ بأيِّ حرف كان من السبعة أن يأخذ نفسه بتحقيق اللفظ وتجويده، وإعطائه حقه على ما نذكره مع كل حرف من هذا الكتاب». [٣٣] ومنها قوله

(٣٣) الرعاية ص ٤٢.

وهـو يتحـدث عن أحكـام تجويد الهمزة: «وقد تقدم ذكر أصول القراء واختلافهم في الهمـز وتليينـه وحـذفه وبدله وتحقيقه وغير ذلك من أحكامه في غير هذا الكتاب، فلا حاجـة بنـا الى ذكـر ذلـك، وكـذلك ما شابهه، فليس هذا كتاب اختلاف، وإنما هو كتـاب تجـويـد ألفـاظ ووقـوف على حقائق الكلام وإعطاء اللفظ حقه ومعرفة احكام الحروف التي ينشأ الكلام منها، مما لا اختلاف في أكثره». (٣٤) ومنها قوله أيضا وهو يتحدث عن تجويد حرف الذال: «وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال وغيـرهـا من الحـروف ممـا اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب، فتلك الكتب كتب تحفـظ منهـا الـرواية المختلف فيها، وهذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كتب رواية، وهذا كتاب دراية». (٣٥)

وقد لخص محمد المرعشي (الملقب ساجقلي زاده ت ١١٥٠هـ) ذلك كله في قوله: «ان قلت: ما الفرق بين علمي التجويد والقراءات؟ قلت: علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الامصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها، فاذا ذكر فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تتميم، اذ لا يتعلق الغرض به. وأما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فاذا ذكر فيه شيء من اختلاف الائمـة فهـو تتميم، كذا حقق في الرعاية»، (٣٦) وكتاب الرعاية هو من تأليف مكي بن أبي طالب. وقد نقلنا منه عدة نصوص قبل هذا النص.

وقد تحدث المرعشي عن هذا الموضوع في كتابه (ترتيب العلوم) أيضا، فقال: «اعلم أن علم القـراءة يخـالف علم التجـويـد لأن المقصـود من الثاني معرفة حقائق صفـات الحـروف مع قطـع النظر عن الخلاف فيها، مثلا يعرف في علم التجويد أن حقيقـة التفخيم كذا وحقيقـة التـرقيق كذا وفي القـراءة [يعرف] فخمهـا فلان ورققها فلان. وبهـذا ينـدفـع ما عسى أن يقال علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحروف

---

(٣٤) المصدر نفسه ص ١٢٨.

(٣٥) المصدر نفسه ص ١٩٩-٢٠٠، وانظر أيضا ص ١٧٦ و٢٠٥.

(٣٦) جهد المقل ورقة ٢ظ.

كالادغام والاظهار والمد والقصر والتفخيم والترقيق، وهي مباحث علم التجويد». (٣٧)

ولا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح ، كما لا يعني أن علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها، فالواقع هو أن قراء القرآن كانوا يعتنون غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ وإعطاء الحروف حقها منذ عصر الصحابة وهلم جرا حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد، وكانوا يستندون في ذلك الى الرواية الأكيدة والأصول المرعية عند العرب في نطق لغتهم.

فأصول علم التجويد وقواعده إذن كانت موجودة في الكلام العربي ، يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم، وإن لم تكن مدونة ، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق ، فعلم التجويد الذي يدرس النظام الصوتي للغة كان موضوعه تحليل ذلك النظام واستخلاص ظواهره ووضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها واتقانها حين يستخدم اللغة ، وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان.

ويوضح لنا قول محمد المرعشي الآتي كيفية قراءة القرآن في المرحلة التي سبقت ظهور كتب علم التجويد حيث يقول: «وتجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجوِّد، بدون معرفة مسائل هذا العلم ، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله ، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة ، وتزيد المهارة ، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف»، (٣٨) فكانت أجيال المسلمين تجوِّد القرآن بالمشافهة منذ عصر الصحابة حتى ظهرت المؤلفات التي تعنى بالتجويد، وظلت المشافهة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأساس في قراءة القرآن واتقان اللفظ بحروفه.

---

(٣٧) ترتيب العلوم ص ٦٤-٦٥، طبع مركز احياء التراث العلمي بجامعة بغداد ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م..

(٣٨) جهد المقل ورقة ٢ظ.

المبحث الثاني
تعريف بأشهر كتب علم التجويد

التأليف في علم التجويد لم ينقطع منذ ظهور مؤلفاته الاولى في القرن الرابع الهجري، حتى وقتنا الحاضر، وهذه ظاهرة توضح مقدار ارتباط المسلمين بالقرآن العظيم وحرصهم على تجويد حروفه واتقان النطق بألفاظه. وقد أنتجت تلك الحركة التأليفية عشرات الكتب على مدى القرون المتتابعة، ويبدو أن تقديم قائمة كاملة بأسماء تلك الكتب أمر غير متيسر للدارسين اليوم، فالمراجع القديمة المتخصصة بالحديث عن العلوم والكتب المؤلفة فيها لا تقدم لنا الا عدداً محدوداً من أسماء تلك الكتب، فلم يتجاوز ما ذكره السيوطي عن هذا الجانب في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) السطر الواحد حيث قال: «من المهمات تجويد القرآن، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف، ومنهم الداني وغيره».[1]

وما ذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون)، وهو يتحدث عن علم التجويد، يعد شيئاً يسيراً جداً الى ما هو معروف من كتب هذا العلم، قال: «وأول من صنف في التجويد موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقرئ المتوفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ذكره ابن الجزري. ومن المصنفات فيه الدر اليتيم، وشرحه، والرعاية، وغاية المراد، والمقدمة الجزرية، وشروحها، والواضحة».[2]

(١) الاتقان ١/٢٨١.

(٢) كشف الظنون ١/٣٥٤.

والمشكلة الأساسية التي تعترض الدارس وهو يحاول استقصاء كتب علم التجويد هي أن ما سلم منها من التلف والضياع لا يزال معظمه مخطوطاً، ولا شك في أن معرفة أسماء تلك المخطوطات وتحديد أماكن وجودها أمر غير متيسر دائماً، لندرة فهارس المخطوطات، وهي إن توفرت في بلد فلا تتوفر في بلد آخر. وإن توفر بعضها فقد لا يتوفر بعضها الآخر. أما الحصول على نسخ مصورة من تلك المخطوطات فذلك أمر دونه خَرْطُ القَتَاد.

وما سنذكره من أسماء كتب علم التجويد هو المحاولة الأولىٰ في هذا السبيل، على ما أعلم، ومن ثَمَّ تظل هذه القائمة مظنة النقص والقصور، على أمل أن يكملها النظر المستمر والجهد المتواصل من المهتمين بهذا العلم الذي لم يحظ بما يستحقه من درس الى اليوم.

وقد استخلصت هذه القائمة من فهارس المخطوطات التي تيسر لي الاطلاع عليها، ومن فهارس الكتب مثل (كشف الظنون)، ومن كتب التراجم، مثل (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، الذي استخلصت منه أسماء جميع الكتب التي تتصل بعلم التجويد، ورتبت هذه القائمة على أساس تاريخي تبعا لوفاة المؤلفين، موردا اسم المؤلف وتاريخ وفاته واسم الكتاب، مشيرا الى ما هو مخطوط منها أو مطبوع، من غير أن استقصي أماكن وجود المخطوط، فان لذلك مظانه الخاصة، من بدء التأليف في هذا العلم، حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري: (٣)

---

(٣) تضمن عدد من كتب القراءات القرآنية مباحث (لا تتجاوز عشر ورقات) عن مخارج الحروف وصفاتها، وما يتصل بذلك من موضوعات علم التجويد، وهذه أسماء بعض تلك الكتب، معتمداً في ذكرها على ما أورده المستشرق أوتو برتزل في مجلة اسلاميكا (سنة ١٩٣٤م) حيث أثبت فهارس موضوعات بعض كتب القراءات المخطوطة:

أ ـ شرح الهداية في القراءات السبع المشهورة ـ أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ)، برتزل ص ٢٤.

ب ـ الاقناع في القراءات السبع ـ أحمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الباذش (ت ٥٤٠هـ)، برتزل ص ٢٨.

١ ـ أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي (ت ٣٢٥هـ):
القصيدة الخاقانية التي قالها في حسن الاداء،[٤] ومطلعها:

أقـولُ مقـالاً لأولـي الحِجْـرِ ولا فخـرَ إن الـفخـر يدعـو إلى الكِبْـرِ

وكـان لهـذه القصيـدة تأثير في جهود علماء التجويد الذين عاشوا بعد عصر أبي مزاحم، ويتمثل ذلك التأثير في نواح ثلاث:

أ ـ المعـارضـة، مثـل قصيـدة أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (ت ٣٧٧هـ)، التي مطلعها:

أقولُ لأهلِ اللُّبِ والفضلِ والحِجْرِ مقـالَ مريـدٍ للثـواب ولـلأجـرِ[٥]

ومثل قصيدة محمد بن أحمد العجلي، التي رواها عنه أبو علي الاهوازي (ت ٤٤٦هـ) في البطائح سنة ٣٨٦هـ، ومطلعها:

لكَ الحمـدُ ياذا المَنِّ والجـودِ والبرِ كمـا أنتَ أهـلٌ للمحـامـدِ والشكـرِ[٦]

جـ ـ الموضح في القراءة ـ نصر بن علي الفارسي (القرن السادس)، برتزل ص ٣٣.
د ـ المصباح الزاهر ـ المبارك بن الحسن الشهرزوري (ت ٥٠٥هـ)، برتزل ٣٩.
هـ ـ رورضة القارىء ـ موسى بن الحسين المعدل (القرن الخامس)، برتزل ص ٤٤. ومما لم يذكره برتزل:
و ـ الايضاح في القراءات ـ أحمد بن أبي عمر الخراساني (ت بعد ٥٠٠هـ) (انظر الايضاح ورقة ٦٥ـ٧٥).
ز ـ النشر في القراءات العشر ـ أبو الخير محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) (النشر ١/١٩٨ ـ ٢٢٤).
ح ـ لطائف الاشارات لفنون القراءات ـ أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) (لطائف ١/١٨٢ ـ ٢٤٧).

(٤) حققتُ هذه القصيـدة ونشـرتهـا في مجلة كليـة الشـريعة بجامعة بغداد، في العدد السادس (سنة ١٩٨٠ م)، ضمن بحث: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى (انظر ص ٣٤٨ـ٣٥٤).
(٥) انظر: ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٧٣ـ٧٤، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/٦٧.
(٦) ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٨٥ـ٨٦.

ب ـ الشرح، مثل شرح أبي عمرو الداني (انظر رقم ٤ الآتي).
حـ ـ الاقتباس، حيث لا يكاد يخلو كتاب من كتب علم التجويد القديمة من بعض أبيات قصيدة أبي مزاحم.(٧)

٢ ـ أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي السعيدي، نزيل شيراز (ت في حدود ٤١٠هـ):
أ ـ التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي.
ب ـ اختلاف القراء في اللام والنون.
وهما كتابان صغيران، الأول قدر عشر ورقات، والثاني قدر ثلاث ورقات، ولا يزالان مخطوطين.(٨)

٣ ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم القرطبي (ت ٤٣٧هـ):
الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ـ مطبوع.(٩)

٤ ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ).
أ ـ التحديد في الاتقان والتجويد ـ مخطوط.(١٠)
ب ـ شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني ـ مخطوط.(١١)
جـ ـ كتاب الادغام الكبير ـ مخطوط.(١٢)
د ـ المنبهة في الحذق والاتقان وصفة التجويد للقرآن ـ مخطوط.(١٣)

---

(٧) يمكن الاطلاع على أمثلة من تلك الاقتباسات في بحث: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى ص ٣٥٤ـ٣٦٥.
(٨) انظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ١/١٧٠. وقد قمت بتحقيق هذين الكتابين.
(٩) طبع في دار المعارف للطباعة بدمشق سنة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، بتحقيق د. أحمد حسن فرحات.
(١٠) منه نسخة في مكتبة وهبي أفندي بتركيا رقمها (١/٤٠)، وقد أكملت تحقيقه.
(١١) مكتبة (رضا) في رامبور بالهند رقم (٢٧٩) وجستربتي بدبلن رقم (١٠/٣٦٥٣).
(١٢) المتحف البريطاني رقم (مشرقيات ٣٠٦٧)، ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (فهرس المخطوطات المصورة ١/٦).
(١٣) الخزانة العامة للكتب في الرباط رقم ٢٨٠٩ (د ٢١٨٦).

هـ ـ كتاب البيان والادغام. [١٤]

و ـ **رسالة** في مخارج الحروف ـ مخطوط. [١٥]

٥ ـ أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن بندار العجلي الرازي (ت ٤٥٤هـ): كتاب في التجويد. [١٦]

٦ ـ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): الموضح في التجويد ـ مخطوط. [١٧]

٧ ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ):

أ ـ التجويد والمدخل الى العلم بالتحديد.

ب ـ البيان عن تلاوة القرآن. [١٨]

٨ ـ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن البناء البغدادي (ت ٤٧١هـ):

أ ـ كتاب بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، وإيضاح الأدوات التي بني عليها الاقراء ـ مخطوط. [١٩]

ب ـ التجريد في التجويد. [٢٠]

٩ ـ أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي (ت ٥٣٩هـ): نهاية الاتقان في تجويد القرآن ـ مخطوط. [٢١]

---

(١٤) ذكره الداني نفسه في كتاب (الادغام الكبير) ورقة ٢٠و، ٢٨و.

(١٥) المكتبة الوطنية بباريس رقم (٦١٠).

(١٦) ابن الجزري: النشر ١/٢١٢.

(١٧) مكتبة (رضا) في رامبور بالهند رقم (٢٨٣)، وأعمل الآن في تحقيقه.

(١٨) الحميدي: جذوة المقتبس ص ٣٤٥. القاضي عياض: ترتيب المدارك ٤/٨١٠.

(١٩) مكتبة الاوقاف العامة في الموصل رقم (٥/٢٠ مجاميع المدرسة الاسلامية)، وقد قمت بتحقيقه.

(٢٠) ذكره ابن البناء نفسه في كتابه (بيان العيوب) ورقة ١٧٤ظ.

(٢١) مكتبة الجمعية الملكية الاسيوية في البنغال بكلكتا بالهند رقم (٧٩٥).

١٠ ـ أبو علي سهل بن محمد بن أحمد الأصبهاني الحاجي (ت ٥٤٣هـ):
التجريد في التجويد ـ مخطوط.[٢٢]

١١ ـ أبو حميد (وأبو الأصبغ) عبد العزيز بن علي بن محمد الأندلسي المعروف بابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ):
أ ـ الانباء في تجويد القرآن ـ مخطوط.
ب ـ مقدمة في التجويد ـ مخطوط.[٢٣]
جـ ـ رسالة في مخارج الحروف ـ مخطوط.[٢٤]
د ـ مرشد القارىء الى تحقيق معالم المقارىء ـ مخطوط.[٢٥]

١٢ ـ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ):
التمهيد في التجويد ـ مخطوط.[٢٦]

١٣ ـ أبو بكر محمد بن حامد بن محمد الأصفهاني (من علماء القرن السادس):[٢٧]

---

(٢٢) مكتبة (رضا) في رامبور بالهند رقم (٢٨٥).

(٢٣) كلاهما في مكتبة جستربتي في دبلن بايرلنده رقم (٣/٣٤٥٣).

(٢٤) المكتبة الظاهرة بدمشق رقم (٦٦)، والخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم (٣٩٧)، وقد علمنا أخيراً أن الكتاب طبع بمكة المكرمة سنة ١٩٨٤ بعنوان (مخارج الحروف وصفاتها) بتحقيق الدكتور محمد يعقوب تركستاني.

(٢٥) مكتبة جستربتي رقم (٤/٣٩٢٥)، والخزانة التيمورية رقم (٣٩٧).

(٢٦) مكتبة جستربتي رقم (٣٩٥٤)، وهو منسوب في فهرس المكتبة الى أبي بكر جعفر بن محمد المستغفري (ت ٤٣٢هـ) ولكني رجحت في بحث (علم التجويد ص ٣٥٩ هامش ٢). أنه لأبي العلاء، وأعود هنا لتأكيد ذلك بعد أن وازنت بين شيوخ مؤلف (التمهيد) وشيوخ أبي العلاء الذين ذكرهم في كتابه المخطوط (الهادي في المقاطع والمبادي) حيث ان أسماء أولئك تتطابق مع أسماء هؤلاء، فدل هذا على أنهما لمؤلف واحد.

(٢٧) ذكر جعفر بن ابراهيم السنهوري (ت ٨٩٤هـ) في كتاب (الجامع المفيد في صناعة التجويد) (ورقة ٨٣و من مخطوطة برلين رقم ١٣٠٧) كتاب: (وسيلة الحفي في إيضاح اللحن الخفي) لهاشم بن أحمد بن عبد الواحد الحلبي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ.

أ ـ التبيين في شرح النون والتنوين.

ب ـ الادغام الكبير بعلله.[٢٨]

١٤ ـ أبو المعالي محمد بن أبي الفرج بن بركة فخر الدين الموصلي ثم البغدادي (ت ٦٢١هـ):

أ ـ نبذة المريد في علم التجويد.[٢٩]

ب ـ الدر الموصوف (أو المرصوف) في وصف مخارج الحروف ـ مخطوط.[٣٠]

١٥ ـ ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ):

أ ـ منهاج التوفيق الى معرفة التجويد والتحقيق ـ وهو باب في كتاب (جمال القراء) للمؤلف.[٣١]

ب ـ عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد. قصيدة نونية مطلعها:

يامنْ يَرومُ تلاوةَ القرآنِ وَيَرودُ شَأْوَ أئمةِ الاتقانِ

وقد ضمها علم الدين السخاوي الى كتابه (جمال القراء)،[٣٢] وقد تنسخ مفردة،[٣٣] وعليها عدة شروح.[٣٤]

١٦ ـ أبو عبد الله محمد بن عتيق بن علي التجيبي الغرناطي (ت ٦٤٦هـ):

الدر المكللة في الفرق بين الحروف المشكلة.[٣٥]

---

(٢٨) ذكرهما ابن الجزري في غاية النهاية ٢ / ١١٤.

(٢٩) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الأداب في معجم الألقاب ج٤، ق٣، ص٣٦٠.

(٣٠) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل رقم (٥ / ٢٠ المدرسة الاسلامية)، وقد أكملت تحقيقه.

(٣١) الأوراق (١٨٩و-١٩٥ظ) من جمال القراء.

(٣٢) الأوراق (١٩٥ظ ـ ١٩٧و) من جمال القراء.

(٣٣) منها نسخة مفردة في مكتبة المتحف ببغداد ضمن مجموع برقم (٩٤١٤).

(٣٤) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢ / ١١٧٢.

(٣٥) البغدادي: هدية العارفين ١ / ١٢٤. ويبدو مما نقله ابن غانم المقدسي منه أن الكتاب أرجوزة (انظر بغية المرتاد ورقة ٦ظ)

١٧ ـ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن وثيق الاشبيلي (ت ٦٥٤هـ):
كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف ـ مخطوط.(٣٦)
١٨ ـ أبو على الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص الأندلسي المعروف بابن الناظر (ت ٦٧٩هـ):
الترشيد في علم التجويد.(٣٧)
١٩ ـ أبو الحسن علي بن يعقوب بن شجاع، عماد الدين الموصلي المعروف بابن أبي زهران (ت ٦٨٢هـ):
التجريد في التجويد.(٣٨)
٢٠ ـ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير الخابوري الحلبي (ت ٦٩٠):
الدر النضيد في التجويد.(٣٩)
٢١ ـ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد المعروف بالديريني (ت ٦٩٧هـ):
أ ـ ميزان الوفي في معرفة اللحن الخفي.(٤٠)
ب ـ منظومة في التجويد ـ مخطوط.(٤١)
٢٢ ـ أبو محمد عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن الصعيدي (لم أتمكن من تحديد تاريخ وفاته ولكن أباه قد توفي سنة ٦٥٠هـ):
أ ـ بغية المريد في معرفة التجويد.

---

(٣٦) مكتبة أيا صوفيا بتركيا رقم (٧/٣٩) ومكتبة الجمعية الملكية الاسيوية في البنغال رقم (٧٩٥). وفي معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة من نسخة أيا صوفيا (انظر: فهرس المخطوطات المصورة ١/١٣).
(٣٧) ابن الجزري: غاية النهاية ١/٢٤٢.
(٣٨) البغدادي: ايضاح المكنون ١/٢٢٨، وهدية العارفين ١/٧١٣
(٣٩) ابن الجزري: غاية النهاية ١/٧٣.
(٤٠) البغدادي: هدية العارفين ١/٥٨٠.
(٤١) مكتبة جستربتي رقم (٣٨٤٦/٦). ولا أعلم هل هي ميزان الوفي، أو كتاب آخر.

ب ـ البلغة الراجحة في تقويم الفاتحة.
جـ ـ جزء في مخارج الحروف. [٤٢]

٢٣ ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم الشريشي النخراز (ت ٧١٨هـ):
المقصد شرح نظم ابن بَرِّي في أصوات القرآن ـ مخطوط. [٤٣]

٢٤ ـ محمد بن قيصر بن عبد الله، البغدادي الأصل، الشهير بالمارديني النحوي (ت ٧٢١هـ):
الدر النضيد في معرفة التجويد ـ مخطوط.
وهو قصيدة لامية فى (٢٧١) بيتا، أولها:
بدأتُ بحمدِ الله ذى الطَّوْلِ والعلا. [٤٤]

٢٥ ـ ابراهيم بن عمر بن ابراهيم الجعبري (ت ٧٣٢هـ):
للجعبري عدد من المؤلفات في علم التجويد، وقد ظفرت بفهرس مصنفات الجعبري مخطوطاً بمكتبة المتحف ببغداد، وهو من تصنيف الجعبري نفسه، فكان خير دليل الى معرفة تلك المؤلفات، وهي مقسمة في الفهرس الى ما كان منها منظوماً، وما كان منها منثوراً، أما المنظومة فهي: [٤٥]
أ ـ عقود الجمان في تجويد القرآن. [٤٦]

---

(٤٢) ابن الجزري: غاية النهاية ١/٤٠١.

(٤٣) المتحف البريطاني رقم (٧٥٣٣ مشرقيات). وغير متيسر القول بأن المقصود بنظم ابن برى هنا هو (متن ابن برى في التجويد) الذي تحتفظ بنسخة منه دار الكتب الوطنية بتونس رقم (٢٧٧) والمكتبة الملكية ببرلين رقم (١٧٧٥). والاطلاع على الشرح والمتن كفيل وحده بتوضيح العلاقة بينهما، وهذا ليس في متناول اليد الآن. مع العلم أن ابن برى هو علي بن محمد بن عليّ (ت ٧٠٩ أو ٧٣٠) كما جاء في وصف نسخة برلين، وليس علي بن برى اللغوي النحوي (ت ٥٨٢هـ).

(٤٤) مكتبة جستربتي رقم (٣٦٥٣/٤).

(٤٥) الجعبري: الهبات الهنيات في المصنفات الجعبريات ورقة ١ظ.

(٤٦) المكتبة الوطنية بباريس رقم (٥٩٣٧) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١١٥٤/٢.

ب ـ حدود الاتقان في تجويد القرآن. (٤٧)
جـ ـ القيود الواضحة في تجويد الفاتحة. (٤٨)
د ـ المرصاد الفارق بين الظاء والضاد.
هـ ـ تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم. (٤٩)
أما المؤلفات المنثورة فهي: (٥٠)
أ ـ المنة في تحقيق الغنة. (٥١)
ب ـ حقيقة الوقوف على مخارج الحروف.
جـ ـ إتمام التبيين في أحكام النون الساكنة والتنوين.

٢٦ ـ أبو عبد الله محمد بن بضحان الدمشقي (ت ٧٤٣هـ):
التذكرة والتبصرة لمن نسي تفخيم الألف أو أنكره. (٥٢)

٢٧ ـ أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله، بدر الدين المرادي، المعروف بابن أم قاسم (ت ٧٤٩هـ):
أ ـ المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد ـ (وهو شرح نونية علم الدين السخاوي في التجويد، انظر رقم ١٥) مخطوط. (٥٣)

---

(٤٧) الوادي آشي: برنامجه ص ٤٧، والبغدادي: هدية العارفين ١/ ١٤، وايضاح المكنون ١/ ٣٩٦.

(٤٨) وهي قصيدة مشهورة باسم (الواضحة في تجويد الفاتحة) شرحها جماعة مثل ابن ام قاسم المرادي (انظر رقم ٢٧)، وأحمد بن علي المعروف بالمقيني (من شرحه نسخة في المتحف البريطاني رقم ٤٢٥٣ مشرقيات). كما اختصرها آخرون مثل فضل بن سلد، (كشف الظنون ٢/ ١٩٩٦).

(٤٩) البغدادي: هدية العارفين ١/ ١٤. ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب بجامعة بغداد رقم (١٠٠٢/ ٣).

(٥٠) الجعبري: الهبات الهنيات ورقة ٢ظ.

(٥١) نقل منه القسطلاني في لطائف الاشارات (١/ ١٩٥).

(٥٢) ابن الجزري: النشر ١/ ٢١٥، وانظر: غاية النهاية ٢/ ٥٨.

(٥٣) مكتبة جستربتي رقم (٣٦٥٣/ ٣)، والخزانة التيمورية رقم (٤٦٢).

ب ـ شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ـ (والواضحة قصيدة للجعبري، انظر رقم ٢٥) مطبوع.(٥٤)

جـ ـ أرجوزة في مخارج الحروف وصفاتها، وشرحها.(٥٥)

٢٨ ـ أبو بكر عبد الله بن أيدغدي بن عبد الله الشهير بابن الجندي (ت ٧٦٩هـ):
التسديد في علم التجويد.(٥٦)

٢٩ ـ محمد بن محمود بن محمد بن أحمد السمرقندي الأصل، الهمذاني المولد، البغدادي الدار (ت ٧٨٠هـ):

أ ـ التجريد في التجويد.(٥٧)

ب ـ العقد الفريد في نظم التجويد.

جـ ـ روح المريد في شرح العقد الفريد ـ مخطوط.(٥٨)

د ـ القصيدة الفائحة في تجويد الفاتحة، وشرحها ـ مخطوط.(٥٩)

٣٠ ـ موسى بن أحمد بن اسحاق الشهبي (ت ٧٨٤هـ):
قال ابن الجزري: «صاحبي الشاب الخير. مات شهيداً بالطاعون... وألف في التجويد... ولو عاش لكان آية في هذا الفن».(٦٠) ولم أقف على أي كتاب له.

---

(٥٤) صدر حديثا من دار القلم ببيروت (د.ت) بتحقيق د. عبد الهادي الفضلي.

(٥٥) ذكرها المرادي نفسه في كتابه (المفيد) ورقة ١٠١و، وشرح التسهيل (له) ٣٠٤و. وقد ذكر ابن الجزري (غاية النهاية ١/٥٩٥) أن أبا حفص عمر بن علي بن عمر السراج القزويني شيخ بغداد (ت ٧٥٠ هـ) جمع شيئاً في التجويد.

(٥٦) ذكره جعفر بن ابراهيم السنهوري (ت ٨٩٤هـ) في كتابه (الجامع المفيد في صناعة التجويد) انظر: ورقة ٥٩ظ، ٦٢و، ٦٣ظ، ٦٨ظ، ٧٤ظ، من مخطوطة مكتبة برلين (رقم ١٣٠٧).

(٥٧) ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٢٦٠.

(٥٨) مكتبة المتحف ببغداد رقم (١/٩١٨١) والاوقاف بالموصل رقم (٢/٢٢ مجاميع مدرسة الحجيات) والقادرية ببغداد (انظر فهرس مخطوطات المكتبة القادرية ١/١٤٤).

(٥٩) مكتبة اقائي السيد محمد مشكاة بمكتبة جامعة طهران رقم (١٠٥).

(٦٠) غاية النهاية ١/٣١٦-٣١٧

٣١ ـ علي بن عثمان بن محمد، الشهير بابن القاصح (ت ٨٠١هـ):
نزهة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين ـ مخطوط.[٦١]
وكان قد ألف في هذا الموضوع قبل ابن القاصح أبو بكر محمد بن حامد الأصفهاني (رقم ١٣) وابراهيم بن عمر الجعبري (رقم ٢٥)، وألف فيه بعد ابن القاصح جماعة من العلماء، وربما ذكروا مع أحكام النون الساكنة موضوعات أخرى، ومن تلك المؤلفات:

أ ـ تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر ـ للقاضي زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، وهو مخطوط.[٦٢]

ب ـ مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين ـ لناصر الدين محمد ابن سالم بن علي الطبلاوي (ت ٩٦٦هـ)، وهو مخطوط.[٦٣]

جـ ـ فتح المبين شرح مرشدة المشتغلين ـ لمحمد بن محمد بن رجب البهنسي الأصل الدمشقي (ت ٩٨٦هـ)، وهو شرح (مرشدة المشتغلين) للطبلاوي، ولا يزال مخطوطا.[٦٤]

د ـ العمدة السنية في أحكام النون الساكنة والتنوين، والمد والقصر، ولام الفعل واللام القمرية والشمسية ـ لمحمد بن القاسم بن اسماعيل البقري (ت ١١١١هـ).[٦٥]

---

(٦١) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٦٩٠/٤).

(٦٢) مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ـ جامعة بغداد رقم (١٢١٢) والمتحف ببغداد (٢١٣١٢/٢) والاوقاف ببغداد (٢١/٢٢٨١١ مجاميع).

(٦٣) مكتبة المتحف ببغداد (٦٩٠/٥) والاوقاف ببغداد (١٣٥٨٧/٣).

(٦٤) المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٥٣٣).

(٦٥) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ١١/١٣٦.

٣٢ ـ خليل بن عثمان بن عبد الرحمن القرافي، المعروف بابن المشبب (ت ٨٠١هـ):

قال ابن الجزري: «وألف كراسا في التجويد». [٦٦] ولعله (تحفة الاخوان فيما تصح به تلاوة القرآن) الذي ذكره حاجي خليفة. [٦٧] وقد سماه جعفر بن ابراهيم السنهوري (تحفة الاخوان في تجويد القرآن). [٦٨]

٣٣ ـ أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، المشهور بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ):

أ ـ التمهيد في علم التجويد. [٦٩]

ب ـ المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، وتُعْرَفُ بالمقدمة الجزرية. وهي نظم يتألف من (١٠٧) أبيات ومطلعها:

يقولُ راجي عَفْوِ رَبٍّ سامعِ   محمدُ بنُ الجزريِّ الشافعِي

وهي من أشهر كتب علم التجويد في العصور المتأخرة، وأكثرها تداولاً، وقد شُرِحَتْ شروحاً عدة، وطُبِعَتْ مفردة أو مشروحة طبعات كثيرة، كما انها ترجمت الى بعض لغات المسلمين الأخرى. وسوف أذكر هنا أشهر ما عثرت عليه من أسماء تلك الشروح على سبيل الاختصار، وهي جديرة ببحث مستقل ودراسة مستفيضة لا يناسبها هذا المكان. [٧٠]

أ ـ الحواشي المفهمة في شرح المقدمة ـ لأبي بكر أحمد بن محمد الجزري، وهو ابن المصنف، كان حياً سنة ٨٢٩ هـ، وهو مطبوع. [٧١]

---

(٦٦) غاية النهاية ١/٢٧٦.

(٦٧) كشف الظنون ١/٣٦١، وانظر: البغدادي هدية العارفين ١/٣٥٣.

(٦٨) الجامع المفيد في صناعة التجويد ورقة او (مخطوطة برلين رقم ١٣٠٧).

(٦٩) طبع في مصر سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م. وقد أعدت تحقيقه، وهو يطبع الآن في مؤسسة الرسالة.

(٧٠) انظر حول ذلك: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/١٧٩٩-١٨٠٠، والبغدادي: ايضاح المكنون ٢/٥٤٢، وآلورد: فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين (بالالمانية) ١/٢٠١ وقد ذكر أسماء الشروح بالعربية.

(٧١) طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٩هـ.

ب ـ الطـرازات المُعْلمَـة في شرح المقـدمـة ـ لعبـد الدائم بن علي الأزهري الحديدي (ت ٨٧٠هـ). [٧٢]

جـ ـ تحفة المريد لمقدمة التجويد ـ لبرهان الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري (من علماء القرن التاسع). [٧٣]

د ـ الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية ـ للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) وهو مطبوع. [٧٤]

هـ ـ اللالىء السنية في شرح المقدمة الجزرية ـ لأحمد بن محمد ابن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ). [٧٥]

و ـ الـدقـائق المحكمـة في شرح المقدمة ـ للقاضي زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) وهومطبوع، [٧٦] وعليه عدة حواش. [٧٧]

---

(٧٢) منـه نسخـة مخطـوطـة في مكتبـة المتحف العـراقي ببغـداد رقمها (٢٠١٦٥) واخرى في المتحف البريطاني رقمها (٩٦).

(٧٣) منـه نسخـة مخطـوطـة في المكتبة الازهرية رقمها (٣٧) ٢٧٩٤ . واخرى في مكتبة جامعة الرياض رقمها (٢٤١٧).

(٧٤) طبع بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الازهر بمصر (د. ت) مع متن الجزرية.

(٧٥) سمـاه حاجي خليفـة (كشف الظنـون ٢ / ١٧٩٩) (العقـود السنيـة) ومنـه نسخة في مكتبة الاوقاف ببغداد رقمها (٢٤٠٢).

(٧٦) طبع بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الازهر بمصر سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م مع متن الجزرية.

(٧٧) منهـا حاشيـة زين العـابـدين بن محيي الـدين الانصاري (ت١٠٦٨هـ) (انظر البغدادي: ايضـاح المكنـون ٢ / ٥٤٢) وحـاشيـة أبي الضيـاء نور الـدين علي بن علي الشبـراملّسي القـاهـري (ت ١٠٨٧هـ) ومنهـا نسخة مخطوطه في مكتبة جامعة برنستون رقمها (٦٢٣). وحاشية ابي السعود أحمد بن عمر الاسقاطي (ت ١١٥٩هـ) ومنها نسخة في مكتبة (رضا) برامبور بالهند رقمها (٣١٨) وحاشية أبي النصر عبد الرحمن النحراوي، ومنها نسخة في مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا رقمها (خ ١١ د١٣٩٧) واخرى في جامعه برنستون رقمها (٦٣٤).

ز ـ ترجمة المستفيد لمعاني مقدمة التجويد ـ لمحمد بن عمر بن مبارك الحضرمي الملقب بـ(بحرق) (ت ٩٣٠ هـ). [٧٨]

ح ـ شرح الدلجي (شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن احمد ت ٩٤٧ هـ). [٧٩]

ط ـ شرح المقدمة الجزرية ـ لعصام الدين أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ). [٨٠]

ي ـ الفوائد السرية في شرح المقدمة الجزرية ـ لمحمد بن ابراهيم بن يوسف الحلبي (ت ٩٧١ هـ). [٨١]

ك ـ المنح الفكرية على متن الجزرية ـ لعلي بن سلطان محمد القارى (ت ١٠١٤ هـ)، وهو مطبوع. [٨٢]

ل ـ الجواهر المضيّة على المقدمة الجزرية ـ لابي الفتوح سيف الدين ابن عطاء الله الوفائي البصير (ت ١٠٢٠ هـ). [٨٣]

---

(٧٨) منه نسخة في مكتبة (رضا) برامبور رقمها (٣٣٥).

(٧٩) حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/١٧٩٩.

(٨٠) منه نسخة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب رقمها (٣/٦٢١) وثلاث نسخ اخرى في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، أرقامها (٢٨٠٨-١٧٤٠٣-٢٩٨٠٦)، ونسخة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل رقمها (١ عبد الله مخلص).

(٨١) منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس رقمها (٤٥٣١) واخرى في مكتبة جامعة الرياض رقمها (٢٤١٦).

(٨٢) طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٢هـ.

(٨٣) منه نسخة في مكتبة الاوقاف العامة رقمها (٢/٢٤٠٢) وقد فات واضع فهرس مخطوطات المكتبة ذكر هذه النسخة. واعتبر المخطوطة المرقمة (٢٤٠٢) كتابا واحدا هو: اللالىء السنية للقسطلاني فقط، والواقع هو ان المخطوط المذكور مجموع يضم كتاب (اللالىء)، وكتاب (الجواهر) (انظر عبد الله الجبوري: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد ١/٣٤) ومن كتاب (الجواهر المضية) نسخة اخرى في مكتبة عاشر أفندي رقمها (٨).

م ـ شرح الجزرية ـ لعمر بن ابراهيم المسعدي (كان حيا سنة ٩٩٩ هـ). [٨٤]

ن ـ الدرة المنظمة البهية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية ـ لمنصور بن عيسى ابن غازي الانصاري السمنودي (كان حيا سنة ١٠٨٤ هـ). [٨٥]

٣٤ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن داود الدمشقي المعروف بابن النجار (ت ٨٧٠ هـ): [٨٦]

غاية المراد في اخراج الضاد[٨٧] ـ مخطوط. [٨٨]

---

(٨٤) نقل منه ملا حسين بن اسكندر الحنفي (ت في حدود ١٠٨٤هـ) في كتابه (لباب التجويد) (انظر: ١ظ ـ ٦ظ ـ ١٧و). وفي الظاهرية جاءت باسم (الفوائد المسعدية) الرقم ٣٩٦٦. وانه ألفها سنة ٩٩٩ هـ.

(٨٥) كحالة: معجم المؤلفين ١٣/ ١٨. والى جانب ما ذكرناه توجد في دار الكتب الوطنية بتونس (رقم ٢٨٧): الدرة المنظمة في شرح المقدمة لاحمد بن يحيى السوسي (؟). وفي المكتبة الوطنية بباريس (رقم ٤٨٠٤ و٦٠٦): ضياء المعنوي على المقدمة الجزرية لمحمد ضياء أبي البقاء (؟). وقد ذكر حاجي خليفة (كشف الظنون) (٢/ ١٨٠٠): ان الشيخ محمد بن عمر المعروف بقورد أفندي شرحها بالتركية. وان محمد بن أحمد الشهير بصوفي زاده (ت ١٠٢٤هـ) ترجمها الى التركية، ولا يصح ما نسبه البغدادي في ايضاح المكنون (٢/ ٥٤٣) ونقله كحالة في معجم المؤلفين (١١/ ١١٦) الى محمد بن أبي الفتح البعلي (ت ٧٠٩هـ) انه شرح المقدمة، لانه توفي قبل أن يولد ابن الجزري باكثر من أربعين عاما! وفي الظاهرية شرح المقدمة لعلاء الدين الطرابلسي (ت ١٠٣٢هـ) رقمها ٣٣٤.

(٨٦) هناك كتاب (موجز في التجويد) ليوسف بن علي بن محمد الحلالي (؟) في مجموع تحتفظ به مكتبة جسترتبي برقم (٣٦٥٣/ ١١) ولم نجد ترجمة للمؤلف، كما أن الكتاب لم يؤرخ، فرأيت أن أشير اليه في الهامش الآن، مع احتمال ان يكون تاريخ كتابته هو نفس تاريخ الرسائل الاخرى في المجموع وهو سنة ٨٥٩ هـ.

(٨٧) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١١٩٣.

(٨٨) دار الكتب الشعبية كيريل وميتودي بصوفيا رقم (مج ١٦٣٣).

وهناك عدد من الكتب المؤلفة بعد عصر ابن النجار عالجت الموضوع نفسه منها:

أ ـ بغية المرتاد لتصحيح الضاد ـ لغلي بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ) وهو مخطوط. (٨٩)

ب ـ رسالة في كيفية النطق بالضاد ـ لعلي بن سليمان المنصوري (ت ١١٣٤هـ) ـ مخطوط. (٩٠)

جـ ـ رد الالحاد في النطق بالضاد ـ لعلي بن سليمان المنصوري السابق (ت ١١٣٤هـ) ـ مخطوط. (٩١)

د ـ رسالة في كيفية أداء الضاد ـ لمحمد المرعشي الملقب ساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ) ـ مخطوط. (٩٢)

هـ ـ السيف المسلول على من ينكر المنقول في حق أداء الضاد ـ لأبي بكر بن محمد البروسي (ت ١١٨٧هـ) ـ مخطوط. (٩٣)

و ـ رسالة في الرد على المرعشي في الضاد ـ لمحمد بن اسماعيل الازميري ـ مخطوط. (٩٤)

وتحتفظ مكتبة الغازي (خسرو) في مدينة (سراييفو) بيوغسلافيا بمجموع مخطوط رقمه (٢٦٢٦) يضم ثلاث عشرة رسالة في علم التجويد، احدى عشرة منها في موضوع نطق الضاد، بضمنها الرسائل السابقة عدا (غاية المراد). وليس متيسرا الآن الحديث عن الرسائل الأخرىٰ التي يضمها المجموع، لأن ذلك يحتاج الى الاطلاع

---

(٨٩) مكتبة المتحف ببغداد رقم (١١٠٦٨/ ٧) والاوقاف بالموصل (١٣/ ١٩ مخطوطات جامع النبي شيت).

(٩٠) مكتبة الغازي خسرو بسراييفو بيوغسلافيا رقم (٢٦٢٦/ ٨).

(٩١) مكتبة الغازي خسرو رقم (٢٦٢٦/ ١٠). وانظر: البغدادي: ايضاح المكنون ١/ ٥٥٢.

(٩٢) مكتبة المتحف ببغداد رقم (١١٠٦٨/ ٦).

(٩٣) مكتبة الغازي خسرو رقم (٢٦٢٦/ ١).

(٩٤) الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم (٢٣١).

على المخطوط نفسه، لغموض المعلومات التي يقدمها فهرس المكتبة، لا سيما أن أكثر تلك المعلومات مكتوب بغير العربية.[(٩٥)]

٣٥ ـ الحسن بن شجاع بن محمد بن الحسن التوني (عاش قبل سنة ٨٧٨هـ).[(٩٦)]

المفيد في علم التجويد ـ مخطوط.[(٩٧)]

٣٦ ـ محمد بن احمد بن مفلح (كان حيا سنة ٨٨٢هـ):

غنية المريد لمعرفة الاتقان والتجويد ـ فرغ من تأليفه سنة ٨٨٢هـ ـ مخطوط.[(٩٨)]

٣٧ ـ أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ):

القول المفيد في أصول التجويد ـ مخطوط.[(٩٩)]

٣٨ ـ احمد بن عبد اللطيف البركوي (من رجال القرن العاشر):

الدر النضيد في المسائل المتعلقة بالتجويد ـ مخطوط.[(١٠٠)]

---

(٩٥) انظر: قاسم دوبراجا: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة الغازي خسرو ١/٩٨.

(٩٦) لم أقف على ترجمة للمؤلف ولا تاريخ وفاته، واستفدت التاريخ المذكور من نسخة مخطوطة من كتاب (المفيد) مكتوبة في شوال سنة ٨٧٨ هـ في مكتبة جامعة طهران رقم (١٤١).

(٩٧) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٢٤٠٨٣/٣). ومكتبة الحرم المكي (٤٣ دهلوي).

(٩٨) مكتبة الجامع الازهر بالقاهرة رقم (١٣٩٣) ٥٣٠٣٥

(٩٩) الخزانة العامة للكتب بالرباط رقم ٦٣٤ (د ٥٠٣).

(١٠٠) مكتبة الجامع الازهر رقم (٣٠٥) ٢٢٣١٢. ودار الكتب المصرية (٢٤٣٤٣ب). وقد اطلعت بعد كتابة هذا البحث على مخطوط كتاب (الجامع المفيد في صناعة التجويد) لجعفر بن ابراهيم السنهوري (ت ٨٩٤هـ) وهو في مكتبة برلين برقم ١٣٠١.

٣٩ ـ شهاب الدين احمد بن أحمد بن الطيبي (ت ٩٧٩هـ):
المفيد في علم التجويد، أرجوزة ـ مخطوط [١٠١]
٤٠ ـ محمد بن بير علي البركوي (ت ٩٨١هـ):
الدر اليتيم في علم التجويد ـ مخطوط. [١٠٢]
وقام الشيخ أحمد فائز الرومي بشرحه شرحاً ممزوجاً ـ وهو مخطوط. [١٠٣]
٤١ ـ محمد بن بدر الدين بن عبد القادر الشهير بابن بلبان الحنبلي (ت ١٠٨٣هـ):
بغية المستفيد في علم التجويد ـ مخطوط. [١٠٤]
٤٢ ـ منصور بن عيسى بن غازي الانصاري السمنودي (كان حيا سنة ١٠٨٤هـ):
أ ـ تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين ـ مخطوط. [١٠٥]
ب ـ الدرة المنظمة البهية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية ـ وقد سبق ذكرها (رقم ٣٣).
٤٣ ـ ملا حسين بن اسكندر الرومي الحنفي (ت في حدود ١٠٨٤هـ): هـ):
أ ـ مختصر في التجويد.
ب ـ لباب التجويد للقرآن المجيد. وهو شرح المختصر السابق.
جـ ـ بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد. [١٠٦] والكتب الثلاثة مخطوطة. [١٠٧]

---

(١٠١) مكتبة (رضا) برامبور رقم (٢٩٥)، وجستربتي رقم (٤٤٣٢/٥). وقال حاجي خليفة (كشف الظنون ٢/١٧٧٧): «وشرحه بعضهم وسماه نزهة المريد في حل ألفاظ المفيد».

(١٠٢) دار الكتب المصرية رقم (٢٣٠٤٧ب).

(١٠٣) مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد رقم (٦١٠). وانظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١/٧٣٧.

(١٠٤) مكتبة الاوقاف ببغداد رقم (٥٤٣٧/١١ مجاميع).

(١٠٥) مكتبة الاوقاف بالموصل (١٩/٣ مخطوطات جامع النبي شيت).

(١٠٦) انظر: البغدادي: هدية العارفين ١/٣٢٣.

(١٠٧) مكتبة المتحف ببغداد [illegible] التجويد رقم (١٠١٠٤/٢) وهنا[illegible] [illegible] نسخ مخطوطة

٤٤ ـ محمد بن القاسم بن اسماعيل البقري (ت ١١١١هـ):
أ ـ غنية الطالبين ومنية الراغبين ـ مخطوط (١٠٨)
ب ـ العمدة السَّنيَّة في أحكام النون الساكنة والتنوين ـ سبق ذكرها (رقم ٣١).
٤٥ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن سليم النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ):
تنبيه الغافلين وارشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين ـ مطبوع. (١٠٩)
٤٦ ـ محمد بن عمر بن عبد القادر الكفيري الدمشقي (ت ١١٣٠هـ):
بغية المستفيد في أحكام التجويد. (١١٠)
٤٧ ـ عبد الغني بن اسماعيل بن عبده الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ):
كفاية المستفيد في علم التجويد ـ مخطوط. (١١١)
٤٨ ـ محمد بن أبي بكر المرعشي، المعروف بساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ):
أ ـ جهد المقل (في علم التجويد).
ب ـ بيان جهد المقل (شرح وحاشية على جهد المقل).
جـ ـ رسالة في كيفية أداء الضاد.
د ـ رسالة في مخارج الحروف.
هـ ـ رسالة في التغني واللحن. (١١٢)

من (بيان المشكلات) ولكنها خالية من اسم المؤلف. وفي مكتبة الاوقاف بالموصل نسخة من (بيان المشكلات) منسوبة الى ملا حسين (انظر فهرس مخطوطات المكتبة ١٥١/٦) وتوجد في بانكي نور في الهند الكتب الثلاثة مخطوطة ومنسوبة اليه، أرقامها ٩٧-١٦٥-١٦٦

(١٠٨) مكتبة المتحف ببغداد رقمها (١٢٩٧٥). وفي المكتبة نفسها رسالة رقمها (١٠١٠٤) بعنوان (نهاية المبتدى وتذكرة المنتهي) لمحمد بن علي المرشدي، يبدو أنها تلخيص لغنية الطالبين للبقري، كما اتضح لي من الموازنة بين عبارات الكتابين.

(١٠٩) طبع في المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٩٧٤ م بتقديم وتصحيح محمد الشاذلي النيفر.

(١١٠) البغدادي: ايضاح المكنون ١/ ١٩٠ وهدية العارفين ٢/ ٣١٤.

(١١١) مكتبة المتحف ببغداد رقم (١٠٨٩٥).

(١١٢) في الخزانة التيمورية مجموع مخطوط (رقم ١٧٣) يضم الكتب الخمسة. وفي مكتبة

٤٩ ـ حسن بن اسماعيل بن عبد الله الدَرْكَزْلِي الموصلي (ت ١٣٢٧هـ): (١١٣)
خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة ـ مخطوط. (١١٤)
وهذا الكتاب شرح لرسالة مختصرة في علم التجويد، وقد ذكر الدركزلي أنه لخص هذا الشرح من شرحه المسمى (العجالة)، بعد أن استطاله. (١١٥)
وهذا الكتاب أكبر كتب علم التجويد التي اطلعت عليها حجماً، على الرغم من قول المؤلف انه اختصره من أصل له أكبر منه، اذ بلغت أوراقه (٢١٧) ورقة.
وهناك غموض كبير يحيط بمؤلف الرسالة المختصرة التي شرحها الدركزلي، فقد جاء في أول هذا الشرح انها لموفق الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله آبن محمد الرحبي، واذا كان قد حصل تصحيف في اسم (عبد الله) وان الصواب (محمد بن علي بن محمد) فهو الرحبي صاحب الارجوزة المسماة (بغية الباحث في جمل الموارث) المشهورة بالرحبية، المتوفى سنة ٥٧٧هـ. (١١٦) ويبدو أن الدركزلي قد عناه. فقد ذكر في آخر الكتاب المصادر التي اعتمد عليها، وقال: «هذا تنبيه وضع لبيان اسماء الكتب التي نقل منها ما له تعرض بلفظ الرسالة الرحبية في التجويد» (١١٧)، وذكر مئة وستة من

المتحف ببغداد مخطوط برقم (١١٠٦٨) يضم الكتب الثلاثة الاولى. وكان الكتابان الاولان قد طبعا في الاستانة سنة ١٢٨٨هـ كما طبعا في الهند طبعة قديمة.

(١١٣) ليس له ترجمة في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. وقد اخذت تاريخ وفاته عن فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل (٢/٢٥١). وقد جاء في آخر كتاب (خلاصة العجالة): «وكان الفراغ منه يوم السبت يوم الثلاثين من شهر ذي القعدة... سنة ألف ومئتين وست وستين من الهجرة». وهذا يعني أن المؤلف عاش بعد تأليفه الكتاب اكثر من ستين سنة. وفي مكتبة الاوقاف العامة في الموصل شرح للقصيدة اليائية للشيخ عبد القادر الجيلاني، شرحها سنة ١٢٧٢ هـ. (انظر: فهرس مخطوطات المكتبة ١٢٧/٧). وكل ما يمكن قوله هنا الآن أن الدركزلي عمر عمرا طويلا

(١١٤) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٢٣٥١٣).

(١١٥) خلاصة العجالة ورقة ١ظ ـ ٢و.

(١١٦) انظر: كحالة: معجم المؤلفين ٤٧/١١.

(١١٧) خلاصة العجالة ورقة ٢١٦ظ.

أسماء تلك الكتب، وذكر من بينها (شرح السلامي[118] على منظومة المؤلف الشهيرة بالرحبية في الفرائض).

ويعارض نسبة هذه الرسالة الى الرحبي أن مؤلفها ينقل عن الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).[119] وهناك عدد من نسخ هذه الرسالة في مكتبة المتحف ببغداد كلها مجهولة المؤلف[120] الا اثنتين ذكر فيهما اسم المؤلف. ولكنه عالم آخر غير الرحبي. فقد جاء في الاولى:[121] «هذه الرسالة في علم التجويد من تأليف العلامة فريد دهره ووحيد عصره محمد چلبي الشهير بحكيم زاده» وجاء في الثانية «الشهير بالحكيم»[122] فقط. ولعله محمد چلبي بن علي الرومي المتوفى سنة ١٠٤٠هـ، المذكور في (هدية العارفين) للبغدادي.[123]

---

(١١٨) لعله محمد بن ابراهيم بن محمد السلامي المتوفي سنة ٨٧٩ هـ (كحالة: معجم المؤلفين ٨/٢١٧). وشرحه يعرف باسم: الانوار الالهية في شرح فرائض الرحبية (البغدادي: هدية العارفين ٢/٢٠٨).

(١١٩) انظر: الرسالة في علم التجويد (مكتبة المتحف ببغداد الرقم ١٦٢٩٠/٤). ورقة ١٣ظ، ١٥ظ.

(١٢٠) أرقامها: ١٢٦٨٦ - ١٥٢٥٠ - ٣٤٢٨ - ١٠٦٠١ - ٥٢٩٥ - ٥٣٢٨ - ٦٨٨٧ - ٢٠٢٠ - ٢٣١٤٢ - ٢٤١٨٦ - ٢٧١٩٣ - ٢٧١٣٤ - ٣٣٣١ - ٢٢٥٠٥ - ٨٣٥٣ - ٢٣٨٦٤ - ٢٥١٠٩ - ٢٤٩٠٠ - ١٥٥٦٩ - ١٥٩١٤ - ١٦٨٧٨.

(١٢١) رقمها (١٦٢٩٠).

(١٢٢) رقمها (٢٦٤٧٤).

(١٢٣) ٢/٢٧٦.

تلك هي أشهر كتب علم التجويد المؤلفة منذ القرن الرابع الهجري، حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، وقد أهملت ذكر الرسائل التي كتبت بعد ذلك، لأنها إما ملخصة عن الرسائل المتأخرة في علم التجويد، أو أن مؤلفيها تأثروا أو نقلوا من كتب (علم الأصوات اللغوية) المؤلفة حديثا، مما يجعلها خارج ميدان البحث، وان كانت في ذاتها قيمة نافعة.(١٢٤)

---

(١٢٤) وأذكر هنا أشهر تلك الكتب مما اطلعت عليه أو عرفت اسمه:

١ ـ ارشاد الاخوان شرح منظومة هداية الصبيان ـ محمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد، القاهرة ١٣٢٠.

٢ ـ أصوات القرآن: كيف نتعلمها ونعلمها ـ يوسف الخليفة أبوبكر، الخرطوم،١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م.

٣ ـ البرهان في تجويد القرآن ـ محمد الصادق قمحاوي، القاهرة (د. ت).

٤ ـ التجويد الواضح ـ أحمد فروخي، الجزائر ١٩٧٢.

٥ ـ التجويد وآداب التلاوة ـ داود العطار، بغداد ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

٦ ـ التجويد والأصوات ـ د. ابراهيم محمد نجا، القاهرة (د. ت).

٧ ـ حق التلاوة: حسني شيخ عثمان، ط٢ مؤسسة الرسالة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٨ ـ خلاصة في علم التجويد ـ الحاج محمد عواد حمودي العاني، بغداد ١٩٧٩م.

٩ ـ الرائد في تجويد القرآن ـ محمد سالم محيسن، القاهرة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

١٠ ـ رسالة في قواعد التلاوة ـ كمال الدين الطائي، ط٢، بغداد ١٣٩٤هـ = ١٩٧٣م.

١١ ـ عمدة المفيد وعدة عبد المجيد في اصول التجويد ـ عبد المجيد الخطيب، الموصل ١٩٧٧م.

١٢ ـ فتح الاقفال بشرح متن تحفة الاطفال ـ سليمان الجمزوري، طبعة الحلبي، القاهرة ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م.

١٤ ـ فن الترتيل ـ عبد الله توفيق الصباغ، دمشق ٢١٩٦٥م

١٥ ـ قواعد التلاوة وعلم التجويد ـ فرج توفيق الوليد.

١٦ ـ كفاية الراغبين في تجويد القرآن المبين ـ محيي الدين عبد القادر الخطيب، ط١. بغداد ١٩٥٧م.

١٧ ـ ملخص العقد الفريد في فن التجويد ـ على أحمد صبره، القاهرة ١٣٣١هـ = ١٩١٣م.

إن مجموع ماورد في هذه القائمة من أسماء كتب علم التجويد يتجاوز مئة كتاب، ولا أزعم أن ما اطلعت عليه هو كل ما كتب في هذا العلم، فلا أكاد أشك في أن تتبع فهارس المخطوطات التي لم يتيسر لي الاطلاع عليها، وكذلك كتب الفهارس والتراجم، يمكن أن يكشف عن أسماء كتب أخرى في علم التجويد، كما يبدو لي أن عددا من تلك الكتب قد طواه النسيان فلا هو مخطوط ولا هو مذكور في الكتب.

ويمكن أن نميز في ذلك العدد الكبير من كتب علم التجويد اتجاهين في التأليف، هما: الاتجاه العام الذي يعالج جميع الموضوعات المتصلة بعلم التجويد، وهو الاتجاه الغالب في التأليف. والاتجاه الخاص الذي يعالج موضوعاً واحداً، فيتعمق في دراسته ويستفيض في شرحه بشكل أكثر مما نجده في المؤلفات العامة. ومن أمثلة هذا الاتجاه الخاص في التأليف الكتب المؤلفة في أحكام النون الساكنة والتنوين (انظر رقم ٣١ في قائمة الكتب) وكذلك الكتب المؤلفة لمعالجة موضوع الضاد (انظر رقم ٣٤). ويمكن أن ندرج في هذا الاتجاه الكتب المؤلفة في تجويد الفاتحة (انظر رقم ٢٢ و٢٥ و٢٩).

---

١٨ ـ نظرات في علم التجويد ـ ادريس الكلاك، بغداد ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

١٩ ـ نهاية القول المفيد في علم التجويد ـ محمد مكي نصر، القاهرة ١٣٢٣هـ.

٢٠ ـ هداية المستفيد في أحكام التجويد ـ محمد محمود المشهور بأبي ريمة حلب (د. ت).

المبحث الثالث
الفكرة التي تستند اليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد

ان توجه علماء قراءة القرآن الى دراسة الأصوات اللغوية وانتظام هذه الدراسة في علم مستقل هو علم التجويد لابد أن يكون مستنداً الى فكرة معينة فما تلك الفكرة؟

سوف نمهد لبيان هذه القضية بالبحث في دوافع الدراسة الصوتية عند علماء العربية، الذين سبقوا علماء التجويد في دراسة الموضوع بأكثر من قرن ونصف من الزمان، لكي نبين هل كانت وجهة علماء التجويد في هذا الموضوع امتداداً لوجهة علماء العربية فيه، أو كانت لهم فكرة خاصة يستندون اليها في معالجته؟

كان علماء العربية من النحاة واللغويين قد سبقوا علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية، وكان دراستهم لها تتناسب مع حاجة الموضوعات التي كانوا يعالجونها، فالذي يقرأ مقدمة معجم (العين) للخليل بن أحمد، وهي الجزء الذي لا يختلف اللغويون حول صحة نسبته الى الخليل، كما قال الأزهري قديما[1] - يجد أن دراسة الخليل للأصوات كانت لأغراض تتعلق بالمعجم وتنظيمه وبالكلمات وأبنيتها، فانشغاله بترتيب الحروف في أول المعجم، وتقديمه طريقة لاختبار مخارجها كان لتوضيح منهجه الذي سار عليه في الكتاب.[2] وكذلك كلامه عن الحروف الذلقية كان مرتبطاً بأبنية الكلمات الرباعية والخماسية.[3] ومثل ذلك كلامه عن تقسيم الحروف الى صحاح ومعتلة كان مرتبطاً بتوزيع الكلمات في أبواب

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٤١.

(٢) العين ١/٤٧ - ٤٨.

(٣) العين ١/٥١ - ٥٢.

المعجم، فانه كان يؤخر المعتل ويقدم الصحيح من الأبنية.[٤] وبالجملة كانت دراسة الخليل للأصوات ترتبط بمنهجه في بناء (العين) الذي اختار له طريقة تعتمد في جوهرها على أسس صوتية محضة.

أما دراسة سيبويه للأصوات في (الكتاب) فكانت ترتبط بموضوع الادغام، فقد قال، بعد أن ذكر عدد حروف العربية وبيّن مخارجها وصفاتها: «وانما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الادغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك».[٥] وردد المبرد وأبن يعيش ما قاله سيبويه حين درسا موضوع الاصوات العربية.[٦] وقال ابن جني في مقدمة كتابه (سر صناعة الاعراب) وهو يبين خطته في الكتاب: «وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها... ثم أفرد، فيما بعد، لكل حرف منها باباً أغترق فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام، من أصليته وزيادته، وصحته وعلته، وقلبه الى غيره، وقلب غيره اليه.»[٧] وكان ما ذكره ابن جني في هذه الأبواب المفردة التي تغلب عليها الدراسة الصرفية أضعاف ما ذكره في دراسة الأصوات في مقدمة الكتاب.

كانت دراسة الأصوات عند علماء العربية إذن ترتبط بأغراض معينة في الموضوعات التي كانوا يبحثونها، ولم تكن تتبع نظرة شاملة مستقلة تهدف الى بيان النظام الصوتي للغة العربية وما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصوتية في الكلام المنطوق. وليس هذا الكلام من باب النقد أو الطعن على جهود علماء العربية، وانما هو من باب تقرير الحقائق لنحدد بالموازنة اتجاهات علماء التجويد

---

(٤) العين ١/٥٧.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٦) انظر: المقتضب ١/١٩٦، وشرح المفصل ١٠/١٢٢، وانظر: الزجاجي: الجمل ص ٣٧٥.

(٧) سر صناعة الاعراب ١/٣-٤.

في دراسة الأصوات . على أننا نلاحظ أن اتجاهاً جديداً برز لدى بعض النحاة المتأخرين ، وان ظلت دراسة الأصوات تسير عندهم في نفس الاطار، ذلك الاتجاه هو أنهم جعلوا من أسباب البحث في الأصوات أن يَنْطِقَ غير العربي بالأصوات العربية مثل ما ينطق العربي ، وهو اتجاه تعليمي محض لا أستبعد تأثرهم فيه بجهود علماء التجويد .

ويبدو أن أبا حيان الأندلسْي (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ) هو أول من ذهب . هذا المذهب الجديد في تحديد غاية الدراسة الصوتية عند النحاة ، ولم نطلع على كلامه بصورة مباشرة ، ولكن عن طريق من نقلوا كلامه من تلامذته وغيرهم . وقد وجدت المقدسي (علي بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم ت ١٠٠٤هـ) يقول في كتابه (بغية المرتاد لتصحيح الضاد) : «قال الأستاذ أبو حيان في شرح التسهيل : إنما ذكر النحويون صفات الحروف لفائدتين : إحداهما لأجل الادغام . ثم قال : والفائدة الثانية وهي الأَوْلَىٰ في الحقيقة بيان الحروف العربية حتى ينطقَ مَنْ ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي ، فهو كبيان رفع الفاعل ونصب المفعول ، فكما أن نصب الفاعل ورفع المفعول لحن كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها لما رُوِيَ من العرب في النطق بها لحن» . [٨]

وكان قد نقل كلام أبي حيان تلميذه الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) في كتابه (شرح التسهيل) . [٩] دون أن يصرح باسمه ، وفعل السيوطي مثله في (همع الهوامع) . [١٠]

وينبغي أن أشير هنا الى أن أبا حيان الاندلسي لم يكن نحوياً كبيراً فحسب وانما كان أيضا عالماً كبيراً من علماء القراءات والتجويد ، وقد وصفه ابن الجزري في كتابه (النشر) بأنه (شيخ التجويد)[١١] وانه (استاذ العربية والقراءات)[١٢] وقال عنه في كتابه

---

(٨) بغية المرتاد لتصحيح الضاد ورقة ٦و - ٦ظ .

(٩) المرادي : شرح التسهيل ٣٠٤ظ .

(١٠) همع الهوامع ٦/٢٩٦ - ٢٩٧ .

(١١) النشر ١/٢١٠ .

(١٢) النشر ١/٢١٦ .

(غـايـة النهـاية): (شيخ العربية والآداب والقراءات)، [13] ومن ثم فاني لا أستبعد أن يكون هذا الاتجاه الجديد عند أبي حيان متأت من تأثره بعلم التجويد الذي كان ينحو هذا المنحى في دراسـة الأصـوات العـربيـة لاسيمـا ان أبـا حيان كان قد عكف على دراسـة علم التجـويـد دراسة عميقة على يد شيخه ابن الناظر (ت ٦٧٩هـ) وأخذ عنه مؤلفه في التجويد، قال ابن الجزري وهويترجم لابن الناظر: «وألف كتاباً كبيراً حسناً في التجـويـد، سمـاه الترشيـد، قال أبـو حيـان: رحلت اليـه قصـداً من غرنـاطة لأجل الاتقان والتجويد. . . قلت (ابن الجزري): وقرأ عليه أيضا كتابه الترشيد وهو الذي أدخله القاهرة». [14]

أما علماء التجويد فان دراستهم للأصوات كانت ترتبط بشكل أساسي بمعالجة ما سمـوه باللحن الخفي، فقـد قَسَّمـوا اللحن الى قسمين همـا: اللحن الجلي، وهـو الخطأ الظـاهـر في الحـركـات خاصـة، وقالوا: بأنه ميدان عمل النحاة والصرفيين. واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخـارج أو الصفـات أوما يطـرأ لهـا من الاحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وقـالـوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد، وهويسـتلزم في نظرهم دراسة ثلاثة أمـور: مخـارخ الحـروف، وصفـاتهـا، وأحكـامهـا التركيبية. وهذه هي عناصر علم التجويد الأساسية.

وكان ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) هو صاحب فكرة تقسيم اللحن الى جلي وخفي، فقـد قال الـداني: «حـدثني الحسين بن شاكر السمسار، قال حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجـاهـد يقـول: اللحن في القـرآن لحنان: جلي وخفي، فالجلي لحن الاعـراب، والخفي ترك اعطـاء الحـرف حقـه من تجـويـد لفظـه»، وفي بعض المصادر «ترك اعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها». [15]

---

(١٣) غاية النهاية ٢/٢٨٥.

(١٤) غاية النهاية ١/٢٤٢.

(١٥) التحـديـد ٢٢ظ، وانظـر: شرح قصيـدة أبي مزاحم للداني أيضا ورقة ١٣٥ظ، وأحمد بن أبي عمر: الايضاح ٦٨ظ، والمرادي: المفيد ١٠١و، وشرح الواضحة له ص ٣١.

وقد تضمن كتاب (السبعة في القراءات) معنى الرواية السابقة، التي قد تكون في أحد كتب ابن مجاهد المفقودة أو أن تلميذه أحمد بن نصر الشذائي تلقفها عن استاذه مشافهة، فقد قال ابن مجاهد في كتاب السبعة: «كذلك ما رُوِيَ من الآثار في حروف القرآن، منها المُعْرَبُ السائر الواضح، ومنها المُعْرَبُ الواضح غير السائر، ومنها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف المعنى في الاعراب غير أنه قد قرئ به. ومنها ما تُوُهِّمَ فيه فَغُلِطَ به - فهو لحن غير جائز - عند من لا يبصر من العربية الا اليسير. ومنها اللحن الخفي الذي لا يعرفه الا العالم النحرير». [١٦] فابن مجاهد اذن هو مؤسس فكرة تقسيم اللحن الى جلي وخفي. [١٧]

وكانت هذه الفكرة في تقسيم اللحن قد عرفت في أعمال علماء التجويد منذ مراحله الأولى، وكانت مستندهم في بناء منهج كتبهم وطريقة معالجتهم للظواهر الصوتية. قال أبو مزاحم الخاقاني (ت ٣٢٥هـ) وهو معاصر لابن مجاهد في قصيدته مشيراً الى اللحن: [١٨]

فَأَوَّلُ عِلْمِ الذكر اتقانُ حِفْظِهِ ... ومعرفةٌ باللحنِ فيه اذا يجري
فكن عارفاً باللحنِ كيما تزيلَهُ ... فما للذي لا يعرفُ اللحنَ مِنْ عذرِ

---

(١٦) كتاب السبعة ص ٤٩.

(١٧) يبدو لي أن ما ورد في كتاب (ابراز المعاني) لابي شامة المقدسي من اسناد هذا التقسيم الى مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) غير صحيح، قال أبو شامة (صفحة ١ من باب مخارج الحروف): «قال مكي اللحن لحنان جلي وخفي...». وكذلك وردت هذه النسبة في كتاب (موجز في التجويد) ليوسف بن علي بن محمد الحلالي حيث قال (١٥٢ظ): «قال أبو محمد مكي: اللحن لحنان...». فلم أجد لهذا القول أثرا في كتاب (الرعاية) لمكي، كما اني لم اجده يستخدم مصطلح (اللحن) في كتابه على الاطلاق، واذا احتاج الى التعبير عن معناه استخدم كلمة (تصحيف) انظر الرعاية ص ١٩٩)، وهو استخدام يحتمل المناقشة، ولكنه يكشف لنا هنا عن أن مكياً لم يطلع على فكرة اللحن الخفي عند ابن مجاهد، ولم يستخدمها، فيكف يمكن أن تنسب اليه؟

(١٨) انظر: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى - مجلة كلية الشريعة، العدد السادس سنة ١٩٨٠ ص ٣٥١.

وأشار الى فكرة تقسيم اللحن أبو الحسن السعيدي (ت في حدود ٤١٠هـ) حتى انه سمى كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)، وقد قال في مقدمته: «ينبغي لقارىء كتاب الله عزوجل بعد معرفته باللحن الجلي أن يعرف اللحن الخفي لأن اللحن لحنان، لحن جلي ولحن خفي».

«فاللحن الجلي هو أن يرفع المنصوب وينصب المرفوع أو يخفض المنصوب والمرفوع، وما أشبه ذلك، فاللحن الجلي يعرفه المقرئون والنحويون وغيرهم ممن قد شم رائحة العلم».

«واللحن الخفي لا يعرفه الا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقن من ألفاظ الاستاذين المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه، المتجنب عن الافراط في الفتحات، والضمات والكسرات والهمزات وتشديد المشددات، وتخفيف المخففات، وتسكين المسكنات، وتطنين النونات، وتفريط المدات وترعيدها، وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة، وتشديد الهمزات وتلكيزها...».(١٩)

وتحدث الداني (ت ٤٤٤هـ) عن موضوع اللحن الخفي في كتابيه (التحديد في الاتقان والتجويد) و(شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني)،(٢٠) والداني هو الذي نقل لنا الرواية التي تحكي لنا تقسيم ابن مجاهد للحن الى جلي وخفي كما سبق قبل قليل، واذا كنا نلاحظ أن الداني لم يطل الوقوف عند هذه القضية فان عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) قد جعلها أساس كتابه (الموضح في التجويد) ولهذا سنقف عنده هنا وقفة أطول مما وقفنا عند غيره.

يتكوّن كتاب (الموضح) من ثلاثة أبواب رئيسية مع مقدمة تتكون من خمسة فصول قصيرة، وقد ذكر المؤلف في أول الكتاب السبب الذي دفعه الى التأليف

---

(١٩) كتاب التنبيه ٤٥ظ ـ ٤٦ظ. وقد طبق السعيدي فكرة اللحن الخفي في كتابه وهو يعالج صورا نطقية معينة فكان يقول (٤٨و): (وذلك لحن غير جائز عند أهل التحقيق) أو يقول (٥٠ظ): (وهو لحن خفي) وانظر أيضا ٥١و، ٥٢و.

(٢٠) التحديد ٢٢ظ وشرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٦و.

فقال: «ولما رأيت الناشئين من قَرَأَةِ هذا الزمان وكثيراً من منتهيهم قد أغفلوا اصلاح ألفاظهم من شوائب اللحن الخفي، وأهملوا تصفيتها من كَدَرِهِ وتخليصها من دَرَنِهِ، حتى مَرَنَتْ على الفساد ألسنتهم، وارتاضت عليه طباعهم، وصار لهم عادة، بل تمكن منهم تمكن الغريزة... رأيت لفرط الحاجة الى ذلك وعظم الغناء به أن أقتضب مقالا يهز عِطْفَ الفاتر، ويضمن غرض الماهر، ويسعف أمل الراغب، ويؤنس وسادة العالم». [٢١]

ثم بين المنهج الذي سوف يسير عليه فقال: «أذكر معنى اللحن في موضوع اللغة وحدّه، وحقيقته في العرف والمواضعة، والسبب الذي من أجله علق بالألسنة وفشا في كلام العرب، وأبين ما المقصود بالتنبيه عليه، والمراد من الاعلان بالتحذير منه، وما الفائدة الحاصلة بذلك والثمرة المجتناة عنه، ثم أشفع ذلك بالكلام عليه من جهة التفصيل والتقسيم، وأبعث على تجويد القراءة بذكر ما يستقبح منها ويستحسن، ويختار منها ويستهجن، بقدر الطاقة ومنتهى الوسع والامكان». [٢٢]

اما الفصول الخمسة التي ذكرها عبد الوهاب القرطبي في المقدمة فهذه عناوينها:

١ - فصل: في بيان معنى اللحن في موضوع اللغة.

٢ - فصل: في اللحن وحقيقته في العرف والمواضعة وذكر السبب الموجب لانتشاره واستمراره.

٣ - فصل: في بيان المراد بالتنبيه على اللحن الخفي والمقصود بالحض على إجتناب الألفاظ المستهجنه.

٤ - فصل: فيما يستفاد بتهذيب الألفاظ وماذا تكون الثمرة الحاصلة عند ثثقيف اللسان.

٥ - فصل: في الكلام على اللحن الخفي والألفاظ المستكرهة من جهة التفصيل وعلى وجه التقسيم.

وقد قال عبد الوهاب القرطبي في أول الفصل الخامس: «قد بينا أن اللحن الخفي خلل يطرأ على الألفاظ، واذ قد وضح ذلك فبنا حاجة الى تبين حقيقة ما

(٢١) الموضح ١٤٤و.

(٢٢) الموضح ١٤٤و.

تتركب منه الألفاظ بالحد، وإيضاحه بالقسمة والحصر، ليكون الخلل الطارئ عليها منقسماً بانقسامها، مستوعباً باستيعابها. فنقول الالفاظ بأسرها انما تتركب من حروف وحركات وسكون، وهذه الاشياء الثلاثة لكل منطوق به كالمادة، عنها يأتلف، ومنها ينشأ...»[٢٣].

ثم مضى يتحدث عن كيفية انتاج الحروف والحركات حتى قال: «واذ قد وضح ما ذكرناه وبانت حقيقة الحروف والحركات والسكون وجب من أجل ذلك أن تكون قسمة ما نحن بصدده على وفقه وبمقتضاه وحسبه، فنجعل الكلام عليه من ثلاثة أوجه، نودع كل وجه منها باباً نتقصى فيه ذكر ما نضمنه اياه، ونستوعب ايراد ما به.

فنستوفي في الباب الاول الكلام على بسيط الحروف، فنحقق مخارجها وما يتبع ذلك من أحكامها، وننبه على ما يطرأ عليها من الخلل المستكره فيها.

وفي الباب الثاني الكلام على ما يلزم هذه الحروف عند الائتلاف وما يحدث فيها لذلك، مما يكره ويختار.

وفي الباب الثالث الكلام على الحركات والسكون، وما الواجب معرفته من ذلك»[٢٤].

ونضيف الى ذلك أن المؤلف ختم الكتاب بفصل (في ذكر كيفية القراءة، وبيان ما يستقبح منها ويستحسن ويختار منها ويستجهن). تحدث فيه الى جانب كيفيات القراءة عن عيوب النطق.

ولعل ما ذكرته هنا عن كتاب (الموضح في التجويد) لعبد الوهاب القرطبي كاف في توضيح أثر نظرية اللحن الخفي على منهج المؤلف في تبويب الكتاب، و(الموضح) بعد ذلك جدير بوقفة أطول، فهو متميز في كثير من نواحي الدراسة الصوتية، وأرجو أن أتمكن خلال فصول هذا البحث من توضيح جانب من تلك النواحي بقدر ما يتيسر.

---

(٢٣) الموضح ١٤٩ظ - ١٥٠و.

(٢٤) الموضح ١٥١ظ - ١٥٢و.

وإذا كنا نلاحظ أن عبد الوهاب القرطبي كان أكثر علماء التجويد عناية بفكرة اللحن الخفي وبيانها، والاعتماد عليها في رسم منهج كتابه (الموضح)، فان هذه الفكرة ظلت موضع عناية علماء التجويد من بعده حتى العصور المتأخرة، وسوف أذكر هنا بعض الامثلة التي توضح أنها كانت الاساس الذي تستند اليه دراسة الأصوات عند علماء التجويد، مع ملاحظة أن من بين ذلك العدد الكبير من مؤلفات التجويد لا يُستبعد أن نجد من العلماء من يهمل الاشارة الى هذه الفكرة ويكتفي بدراسة الأصوات ويعالج مشكلاتها وظواهرها التركيبية.

فنجد أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) يكتب عدة أبواب عن التجويد في كتابه (الايضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم) وكان لموضوع اللحن فيها جزء واضح. وهذه عناوين تلك الأبواب:

الباب السادس والعشرون: في ذكر الحدر والترتيل وغير ذلك مما يحتاج اليه القارىء (ورقة ٦٥ظ).

الباب السابع والعشرون: في ذكر اللحن الخفي ومقالات أرباب الصناعة في ذلك (٦٨ظ).

الباب الثامن والعشرون: في ذكر مخارج الحروف (٧٢و).

الباب التاسع والعشرون: في ذكر أجناس الحروف وأصنافها وصفاتها وألقابها (٧٣و - ٧٥و).

وقد قال في مطلع الباب الخاص باللحن الخفي: «واعلم أن اللحن الخفي لا يعرفه الا النحارير الماهرون من القراء والحذاق المحققون من العلماء بالقرآن، بلغنا عن أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد - رحمه الله - أنه قال: اللحن في القرآن لحنان جلي وخفي، فالجلي لحن الاعراب، والخفي ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها بلا زيادة فيها ولا نقصان»،[٢٥] ثم مضى يتحدث في هذا الباب عن عشرات الصور النطقية التي تندرج تحت موضوع اللحن الخفي (٦٨ظ - ٧٢و).

---

(٢٥) الايضاح ٦٨ظ.

ونجد أبا العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) يتحدث عن الموضوع في الباب السابع من كتابه (التمهيد) الذي خصصه لبيان موضوع الاعراب، ويقسم اللحن الخفي على قسمين، فمما قاله بعد ان تحدث عن حد الاعراب وأصله: «واذ قد ثبت ما ذكرناه فاعلم أن اللحن لحنان جلي وخفي. فأما الجلي فهو الظاهر الذي يستوي في معرفته المبتدىء والمنتهي، وهو تصحيف الحروف وتغيير الحركات والسكون، وما يجري مجراها. وقد سقنا في كراهة ذلك الأخبار والآثار التي مرت.

وأما الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته الا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين:

أحدهما: لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته الا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات، والملطفات، والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والاثبات، والخبر والاستفهام، والاظهار والادغام، والحذف والاتمام، والروم والاشمام، الى ما سوى ذلك من الاسرار التي لا تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ الا من أهل الاتقان والضبط».[٢٦]

ثم تحدث عن الضرب الثاني وقال: «فأما الضرب الثاني من ضربي اللحن الخفي فانه يتقيد بالخط ويدرك وصفه بالشكل والنقط، ويحتاج مبتغيه أولاً الى معرفة مخارج الحروف ومدارجها».[٢٧] ويلاحظ هنا أن أبا العلاء ادرك في الضرب الاول من ضربي اللحن الخفي ظواهر نطقية دقيقة تندرج في باب التنغيم الصوتي للجملة المنطوقة، وذلك مثل (الفرق بين النفي والاثبات، والخبر والاستفهام).

وتحدث الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) عن موضوع اللحن وتقسيمه الى جلي وخفي في كتابيه (المفيد في شرح عمدة المجيد) و(شرح الواضحة).[٢٨] وخصص ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) الباب الرابع من كتابه (التمهيد في علم التجويد) لذكر معنى اللحن وبيان أقسامه والحض على اجتنابه.[٢٩] وقد لخص فيه

(٢٦) التمهيد ١١٩ظ - ١٢٠و.

(٢٧) التمهيد ١٤١و.

(٢٨) المفيد ١٠١و، شرح الواضحة ص ٣١.

(٢٩) التمهيد في علم التجويد ص ١٢ - ١٤.

كلام عبد الوهاب القرطبي عن اللحن في مقدمة كتابه (الموضح في التجويد).

وتحدث محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) في كتابه (جهد المقل) عن موضوع اللحن في الفصل الثاني من الفصول الخمسة التي تتألف منها مقدمة الكتاب، وحدد كلاً من قسمي اللحن الجلي والخفي تحديداً جيداً، وخلص في نهاية الفصل الى أن اللحن بقسميه يتناول دراسته ومعالجة ظواهره عدد من علوم العربية على هذا النحو: «أقول فاللحن يُعْرَفُ:

بعضه بالاطلاع على علم التجويد، وهو الخطأ في المبنى والصفات.

وبعضه بالاطلاع على علم اللغة، وهو الخطأ في حركات الاوائل وحركات الأواسط وسكناتها.

وبعضه بالاطلاع على علم النحو، وهو الخطأ في حركات الأواخر وسكناتها.

وبعضه بالاطلاع على علم الصرف، وهو الخطأ في الاعلال مثل القلب والحذف والنقل». (٣٠)

وقول المرعشي في موضوع علم التجويد انه (الخطأ في المبنى والصفات) يقصد بقوله (المبنى) الحروف، فقد قال في بداية الفصل: «والمراد من المبنى حروف الكلمة، ومن الخطأ فيه تبديل حرف بحرف، كتبديل الطاء دالاً، بترك اطباقها واستعلائها، أوتاء بتركهما وباعطائها همساً». (٣١) وكأن المرعشي يريد أن يقول ان موضوع علم التجويد هو دراسة ما يتعلق بأصوات اللغة العربية، ومعالجة ما يلحق تلك الأصوات من انحراف عند نطقها في كلام متصل.

وقد عالج حسن بن اسماعيل الدركزلي موضوع اللحن في خاتمة كتابه (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة) الذي فرغ من تأليفه سنة ١٢٦٦هـ، وهو آخر من عالج هذا الموضوع، وكتابه آخر كتب علم التجويد التي وقفنا عندها، وهو مع افاضته في الكلام لم يأت بجديد في الموضوع. (٣٢)

وقد كانت لفكرة اللحن الخفي تأثيرها الكبير على دراسة علماء التجويد، سواء

(٣٠) جهد المقل ٣و-٣ظ.

(٣١) جهل المقل ٣و.

(٣٢) خلاصة العجالة ١٩٥ظ-٢٠٨ظ.

أكـان ذلـك في المنهج أم في التفصيلات، حتى ان تعريف (التجويد) كان انعكاساً لتلك الفكـرة فاذا كان اللحن الخفي هو (تـرك اعطـاء الحروف حقوقها) كان التجويد (اعطاء الحروف حقوقها) ويبدو لنا هذا المعنى واضحاً في قول أبي مزاحم الخاقاني في قصيدته:[٣٣]

فذو الحِـذْقِ مُعْـطٍ للحـروفِ حقـوقَهَـا اذا رَتَّـلَ الـقـرآنَ أو كان ذا حَذْرِ

وفي قول السعيـدي: «واللحن الخفي لا يعـرفـه الا المقـرئ الضـابط الذي قد تلقن من ألفـاظ الاستـاذين المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقـه غيـر زائد فيه ولا ناقص منه»[٣٤]

وفي قول مكي بن أبي طالب: «ليكـون الـوقـوف على معرفة ذلك عبرة في لطف قدرة الله الكـريم، وعـونـاً لاهـل تلاوة القـرآن على تجويد ألفاظه واحكام النطق به، واعطاء كل حرف حقه من صفته واخراجه من مخرجه».[٣٥]

وقول الداني: «فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها».[٣٦]

وقول أبي العلاء الهمذاني العطار: «وتزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها».[٣٧]

وقـول علم الـدين السخـاوي: «لأن المـراد بالتجـويد اعطاء الحروف حقوقها، واخراجها من مخارجها واجتناب اللحن الخفي».[٣٨]

وقول المرادي: «ان التجويد هو إعطاء كل حرف حقه من مَخرجه وصفته».[٣٩]

---

(٣٣) انظـر بحث: علم التجـويـد نشأتـه ومعـالمـه الاولى (مجلة كليـة الشريعة العدد السادس ١٩٨٠) ص ٣٤٩.

(٣٤) التنبيه ٤٦و.

(٣٥) الرعاية ص ٤١.

(٣٦) التحديد ٢و.

(٣٧) التمهيد ١١ظ.

(٣٨) جمال القراء ١٨٩ظ.

(٣٩) المفيد ١٠٠ظ، وانظر شرح الواضحة (له) ص ٢٩.

وقول ابن الجزري في المقدمة في تعريف التجويد:[٤٠]

وهـو إعطـاءُ الـحـروفِ حقَّـهَـا من صفـةٍ لهـا ومُـسْـتَـحَـقَّـهـا

وقـد شرح ابنـه أبـوبكر أحمد في (الحواشي المفهمة) هذا التعريف وبَيَّنَ الفرق بين حق الحرف ومستحقه، حيث قال: «والفرق بين حق الحرف ومستحقه: أن حق الحـرف صفتـه الـلازمـة له من همس وجهـر وشـدة ورخـاوة وغيـر ذلك من الصفات الماضيـة، ومستحقـه ما ينشأ عن هذه الصفـات كترقيق المستفل وتفخيم المستعلي ونحـو ذلـك». [٤١] وقـد ردد شراح المقـدمـة هذه الفكـرة نقلا عن ابن الناظم أبي بكر أحمـد وهم يشـرحون قول ابن الجزري السابق. [٤٢] ويبدو لي أن أساس التفرقة يحتمل المنـاقشـة، ولعـل ابن الجـزري لم يقصـد من كلمـة (مستحقها) سوى توكيد معنى (حقها) واقامة الوزن للنظم.

ويتضـح ممـا سبق أن ملاحظـة اللحن الخفي في قراءة القرآن ومحاولة معالجتها وتصحيـح النطق بهـا كانت السبب الـذي يقف وراء الـدراسـات الصوتية عند علماء التجـويـد، وأنهم درسـوا أصـوات اللغـة وحـددوا صور نطقهـا الصحيحة، ورصدوا الانحـرافـات المتـوقعـة في نطقهـا ممـا سمـوه باللحن الخفي، ليحترز الناطق منها ويجتنبهـا، وقـد تحققت لعلمـاء التجويد بذلك فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة، لم تتحقق للنحـاة الـذين كانت تشغلهم دراسـة الاصـوات لمعـالجـة بعض القضايا الصرفية.

---

(٤٠) انظر: ابن الجزري: متن الجزرية ص ١٥.

(٤١) الحواشي المفهمة ٢٦ظ.

(٤٢) انظر مثـلا: عبـد الـدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٢٣و. وخالد الازهري: الحواشي الازهرية ص ١٧. والقسطلاني: اللالىء السنية ١٥ظ.

المبحث الرابع
منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات اللغوية

يتميز منهج علماء التجويد، أعني طريقتهم في دراسة الأصوات اللغوية، بأنه منهج شامل استغرق جميع المباحث المتعلقة بعلم الأصوات النطقي، وبأنه منهج صوتي خالص لم تختلط فيه الدراسة الصوتية بما عداها من الموضوعات.

أولاً ـ منهج علماء التجويد منهج شامل:

أما كون منهج علماء التجويد شاملاً للمباحث الصوتية فان ذلك يتمثل بشكل واضح في قول الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) في كتابيه (المفيد في شرح عمدة المجيد) و(شرح الواضحة في تجويد الفاتحة) الذي لخص فيه منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات، وهو: «إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الاحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار.

واصل ذلك كله وأساسه تلقيه من أولي الاتقان، وأَخْذُهُ عن العلماء بهذا الشأن، وإن انضاف الى ذلك حسن الصوت وجودة الفك وذرابة اللسان، وصحة الأسنان كان الكمال». [1]

---

(١) شرح الواضحة ص ٣٠ من المطبوع، ولكون النسخة المطبوعة منشورة على نسخة مخطوطة واحدة رجعت في توثيق النص الى النسخة المخطوطة المحفوظة في مكتبة جستربتي تحت رقم (٤٧٤١) وهي منسوبة في فهرس المكتبة الى محمد بن علي بن طولون، وهي في الحقيقة للمرادي، وابن طولون هو الناسخ. وانظر: المفيد ١٠٠ظ ـ ١٠١و.

وقد تضمن النص السابق الى حانب الأمور الأربعة الاشارة الى أمرين مهمين في تعليم الأصوات، وسلامة النطق، الاول: التلقي عن المعلم المتقن. والثاني: السلامة من عيوب الكلام مع صحة أعضاء النطق.

ولم يكن المرادي أول من حدد هذا الاطار العام للدراسة الصوتية عند علماء التجويد، ولا آخر من تحدث عنه، ولكنه أول من حدده على هذا النحو من الوضوح، فنجد الداني (ت ٤٤٤هـ) يقول عن الأمرين الأولين: «اعلموا أن قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، وان اشترك في المخرج».(٢)

ويقول أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) في كتابه (التمهيد في التجويد): «الباب الثامن: في معرفة أسماء الحروف ومخارجها ومجاريها ومدارجها ومستحسن فروعها ومستقبحها. اعلم أن هذا الباب من أشرف أصول القراءة وأهم فصول التلاوة، وذلك أن الحروف أصل الكلام كله وعليها مدار تأليفه، ثم من يقرأ القرآن ويتعاطى هذا الشأن متى مالم يتقن مخارج الحروف وأجناسها لم يقف على الخلل الواقع فيها، ولم يهتد الى تجويد القراءة وتهذيبها، وكان كمن رام قطع تِيهٍ بلا دليل، وإصعاد قُنَّةِ نِيْقٍ بلا ما سبيل، فاذا عرف الحروف وأتقنها، ولاحظ أجناسها وأحكمها، ثم انضاف الى ذلك طبع يتقبل هذا الشأن، ويمتزج به أشفى به ذلك على القراءة الصحيحة والألفاظ القويمة، بعون الله ومَنِّهِ».(٣)

ويقول أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤هـ) عن الأمر الثالث: «ينبغي لقارىء القرآن أن يعرف ما يحدث بعض الحروف في بعض من النقصان، لاستطالة حرف على حرف في التجاور، ويستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج...».(٤)

ويقول ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عن ذلك كله: «أول ما يجب على مريد اتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن

(٢) التحديد ١٦و.

(٣) التمهيد ١٤١ظ.

(٤) نقلا عن: أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٦٨ظ، وانظر ٦٧ظ.

مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به، توفية تخرجه عن مجانسه. يُعْمِلُ لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة، فكل حرف شارك غيره في مخرج فانه لا يمتاز عن مشاركه الا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فانه لا يمتاز عنه الا بالمخرج. . . فاذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته مُوفَّ حَقَّهُ، فليُعْمِلْ نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقويّ وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه الا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصَّل حقيقة التجويد بالاتقان والتدريب». (٥)

اما الأمر الرابع، وهو (رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار) فكان علماء التجويد قد أَوْلَوْهُ عناية كبيرة، فكانوا يعتمدون على التلقي بالمشافهة، ويحضون على رياضة اللسان، أي تدريبه، على نطق الحروف وتوفية حقوقها من المخارج والصفات حالة إفرادها، وتوفيتها أحكامها الخاصة بها عند تركيبها.

قال أحمد بن نصر الشذائي، وهو من تلامذة ابن مجاهد: «كان ابن مجاهد، رحمه الله، لعلمه بتفاوت الناس في العلم بالقراءة، وقصور أفهامهم، يستثبت كثيرا ممن يقرأ عليه...». (٦)

وقال الداني بعد تعريف التجويد: «وليس بين التجويد وتركه إلا رياضةُ مَنْ تَدبَّرهُ بفَكِّهِ». (٧) وقد أخذ ابن الجزري هذا المعنى وصاغه بقوله في المقدمة: (٨)

---

(٥) النشر ١/٢١٤ - ٢١٥.

(٦) نقلا عن الداني: التحديد ٢٢ظ.

(٧) التحديد ٢و. ونقله عن الداني: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٩و. وابن الجزري: التمهيد ص ٦ والنشر (له) ١/٢١٣. وقد ذكر أحمد بن أبي عمر (الايضاح ٦٦ظ): «وقال الشيخ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، رحمه الله: التجويد أفضل من الجوهر، وأعز عند العلماء من الكبريت الاحمر، وهو حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو اعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها... وليس بين التجويد وتركه الا رياضة من تدبره بقلبه.» وفي اسناد هذا النص الى أبي الفضل الخزاعي (ت ٤٠٨هـ) اشكال كبير، لانه يتطابق الى حد كبير مع

ولـيسَ بيـنَـهُ وبـيـنَ تركِـهِ الا ريـاضـةُ امـرئٍ بفـكِّـهِ

وقـال ابنـه أبـو بكر أحمد في شرحه: «أي ليس بين التجويد وتركه فرق الا رياضة امـرئ، أي مداومتـه على القـراءة والتكـرار والسمـاع من أفـواه الحـذاق، لا مجرد الاقتصار على النقل، وقوله بفكه أي بفمه». [٩]

وقـد ردد الـداني هذا المعنى في حاجـة القـارئ الى المشـافهـة في التلقي، والرياضة في الأداء كثيراً. [١٠]

ووضـح مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) حاجـة المتعلم الى الأخـذ عن الشيخ المتقن، وحاجة الشيخ أيضاً الى اتقان تجويد الحروف بالاعتماد على الأصول التي يسطرها علماء التجويد في كتبهم، وذلك حيث قال: «والمقرئ الى جميع ما ذكرناه في كتـابنـا هذا أحـوج من القـارئ، لانـه اذا عَلِمَـهُ عَلَّمَهُ، واذا لم يَعْلَمْهُ لم يُعَلِّمْهُ، فيستـوي في الجهـل بالصـواب في ذلـك القـارئ والمقـرئ، ويضل القارئ بضلال المقرئ، فلا فضل لأحدهما على الآخر. فمعرفة ما ذكرنا لا يسع من انتصب للاقراء جهله وبه تكمل حاله، وتزيد فائدة القارئ الطالب ويلحق بالمقرئ.

وليس قول المقرئ والقارئ أنا أقرأ بطبعي وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته ـ بحجة، بل ذلك نقص ظاهر فيهما، لأن

النص الـوارد عنـد الـداني (ت ٤٤٤هـ) ونقلنـا بعضه هنا. والمشهور عند علماء التجويد أنه للداني. ولا يمكن اعتمـاداً على تاريـخ وفـاة الخـزاعي، وهـو مشـرقي، أن يكـون نقل عن الداني، وهو أندلسي. وتبقى بعد ذلك أربعة احتمالات:

١ ـ أن يكون الداني نقل عن الخزاعي، ولم يصرح، وهو بعيد.

٢ ـ ان يكون كلاهما نقل عن مصدر واحد أقدم.

٣ ـ ان يكون مؤلف الايضاح غلط في نسبة، النص الى الخزاعي.

٤ ـ ان يكون ما نقله عن الخزاعي ينتهي عند قوله (الكبريت الاحمر) ونقل ما بعده عن الداني دون أن يصرح بذلك، لاسيما ان مؤلف الايضاح توفي بعد ٥٠٠هـ.

(٨) ابن الجزري: متن الجزرية ص ١٧.

(٩) الحـواشي المفهـمـة ٣١ظ. وانظـر أيضـا: عبـد الدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٢٥و. وعلي القارئ: المنح الفكرية ص ٢١.

(١٠) انظر: التحديد ١٦و، ٤١ظ.

من كانت هذه حجته يصيب ولا يدري، ويخطئ ولا يدري، إذ علمه واعتماده على طبعه وعدة لسانه، يمضي معه أين مامضى به من اللفظ، ويذهب معه أين ماذهب، ولا يبني على أصل ولا يقرأ على علم، ولا يُقرئ عن فهم. فما أقربه من

أن يذهب عنه طبعه، أو تتغير عليه عادته، وتستحيل عليه طريقته، اذ هو بمنزلة من يمشي في ظلام في طريق مشتبه، فالخطأ والزلل منه قريب، والآخر بمنزلة من يمشي على طريق واضح معه ضياء، لانه يبني على أصل، وينقل عن فهم، ويلفظ عن فرع مستقيم وعلة واضحة فالخطأ منه بعيد، فلا يَرْضَيَنَّ امرؤٌ لنفسه في كتاب الله ـ جل ذكره ـ وتجويد ألفاظه الا بأعلى الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل، والله الموفق للصواب». [١١]

ومما يوضح مقدار عناية علماء التجويد بالتدريب العملي لنطق الأصوات، ومكابدتهم ذلك مع الطلبة قول مكي أيضا: «وكل ما ذكرته من هذه الحروف لم أزل أجد الطلبة تزل بهم ألسنتهم الى ما نبهت عليه، وتميل بهم طباعهم الى الخطأ فيما حذرت منه، فبكثرة تتبعي لألفاظ الطلبة بالمشرق والمغرب وقفت على ما حذرت منه، ووصيت به من هذه الألفاظ كلها، وأنت تجد ذلك من نفسك وطبعك». [١٢]

وقد جعل ابن الجزري التدريب ورياضة اللسان الطريق الأمثل لتحصيل التجويد، فقال: «ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الاتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الالسن والتكرار على اللفظ المُتَلَقّى من فم المحسن...». [١٣]

وهناك قضية تتصل بالاتجاه التعليمي للأصوات العربية عند علماء التجويد، وهي أنهم مع تأكيدهم ضرورة التلقي من فم الشيخ المحسن ينصون على ضرورة استخدام الحس النقدي عند التلقي، واجتناب التقليد المحض، فيجب على

---

(١١) الرعاية ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩.

(١٢) الرعاية ص ١٤٤.

(١٣) النشر ٢١٣/١.

الطـالب أن يعرض ما يتلقاه عن شيخه على الأصول المقررة في كتب علم التجويد، خشية أن يكون شيخه قد وهم في بعض ما يلقنه اياه.

قال الـداني: «وقـراء القـرآن متفـاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلـك قيـاسـاً وتمييـزاً، وهـو الحـاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعاً وتقليـداً، وهـو الغبي الفَهِيـهُ.[١٤] والعلم فطنة ودراية آكد منه سماعاً ورواية، وللدراية ضبطهـا ونظمهـا، وللروايـة نقلهـا وتعلمهـا، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».[١٥]

وينازع الداني هذا النص عالم آخر، وهو معاصره مكي بن أبي طالب، فقد نقله في كتابه (الرعاية) بنصه تقريبا، مع تصريحه في أول النص بأنه نقله من غيره، حيث قال: «وقد وصف من تقدمنا من المقرئين، والقراء فقال: القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد...».[١٦]

وقـد ناقش تلك القضيـة، أعني التـدقيق في التلقي عن الشيوخ، الاستاذ محمد المرعشي الملقب ساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ) في كتابيه (جهد المقل) و(بيان جهد المقـل). فقـال في الكتـاب الأول: «وتجـويـد القـرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيـخ المجود بدون معـرفـة مسـائـل هذا العلم، بل المشـافهـة هي العمـدة في تحصيله، لكن بذلـك العلم يسهـل الأخـذ بالمشافهة، ويزيد به المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف كما صرح به في الرعاية».[١٧]

وشرح محمد المرعشي قوله هذا في كتابه الثاني (بيان جهد المقل) بكلام دقيق، جدير بأن ننقله لانه يمس جوهر القضية التي نناقشها هنا، ولأنه يعبر عن مؤقف متميز من عالم عاش في العصور المتأخرة التي غلبت فيها نزعة التقليد وجمود العبارة، لكن المـرعشي كان واضحـاً في رأيـه سلساً في عبارته مستقلاً في تحليله وموقفه، قال في توضيح النص السابق والتعليق عليه:

---

(١٤) الفهيه هو الكليل اللسان العَيِيُّ عن حاجته (انظر: ابن منظور: لسان العرب ١٧/٤٢١ مادة فهه).

(١٥) التحديد ٢و.

(١٦) الرعاية ص ٦٩ - ٧٠.

(١٧) جهد المقل ٢ظ.

«قـولـه (بمشـافهة الشيخ)، قال في الصحاح: المشافهة المخاطبة من فيك الى فيـه، انتهى. أقـول: فإضـافـة المشـافهـة الى الشيـخ من قبيـل إضافة المصدر الى الفاعل، أي بمشافهة الشيخ المجود اياه. قوله (هي العمدة) يجيء بمعنيين: بمعنى المقصـود، وبمعنى ما يعتمـد عليه، والمراد الثاني، لأن الانسان كثيراً ما يعجز عن أداء الحـروف بمجـرد معـرفـة مخارجها وصفاتها من المؤلفات، ما لم يسمعه من فم الشيـخ، لكن لمـا طالت سلسلة الأداء تخلل أشيـاء من التحريفات في أداء كثير من شيـوخ الأداء. الشيـخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعز من الكبريت الأحمر!

فوجب علينـا أن لا نعتمـد على أداء شيـوخنـا كل الاعتماد، بل نتأمل فيما أودعه العلمـاء في كتبهم من بيـان مسـائـل هذا الفن، ونقيس ما سمعنا من الشيوخ على ما أودع في الكتب، فما وافقه فهو الحق، وما خالفه فالحق ما في الكتب. كما صرح به في الرعاية، وهذه عبارتها:

القـراء يفـاضلون في العلم بالتجـويـد، فمنهم من يعلمـه روايـة وقياساً وتمييزاً، فذلـك الحـاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً، فذلك الوهن الضعيف، لا يلبث أن يشـك ويـدخله التحـريف والتصحيف. اذ لم يبن على أصـل، ولا نقل عن فهم، انتهى.

قوله: رواية، يعني: رواية عن شيخه.

وقوله: قياساً، يعني: استنباطاً من قواعده.

وقوله: تمييزاً، يعني: تمييز صحيح الأداء عن فاسده لعلمه بقواعده الكلية». (١٨)

ولم يكتف المـرعشي بالقـول بامتحـان المتلقّى عن الشيـوخ بعـرضه على كتب العلم، بل ذهب الى حد القول بضرورة التدقيق فيما نجده في الكتب، فليس بعيداً أن يعثـر المـدقق على قصـور في عبـارات المصنفين، قال في أول كتـابه (بيان جهد المقل): «لمـا ختمت رسـالتي المسمـاة بجهـد المقل، شرحتها وأظهرت مواضعها

---

(١٨) بيان جهد المقل ٣ظ، وقد لخص المرعشي ذلك وأثبته في رسالته في (كيفية أداء الضاد) انظر ورقة ٣ظ.

المبهمة لينتفع بها أدنى الطلبة، وسميته بيان جهد المقل، وأوصيتهم أن لا يعجلوا بتخطئتي بسبب مخالفة ما ذكرته في هذه الرسالة ظاهر ما يفهم من كلمات المؤلفين في هذا الفن، فان كلماتهم قل ما خلت عن المسامحات، ولا يستبعدوا أن أعثر على الخطأ في كلمات بعضهم، فأثبت المسألة في هذه الرسالة على وجه الصواب. ثم اني وجدت هذا الفن من أصعب الفنون، ووجدت كثيرا من مسائله لم يكشف عن وجوهها[19] القناع، فأتعبتُ نفسي وبذلت جهدي في إيضاح المسألة وتتميم القاعدة بجميع (لعله بجمع) ما تفرق في الكتب المؤلفة بقدر طاقتي ومنتهى حرفتي، بحول الله وقوته، انه حسبي والمستعان في أموري». [20]

ونجد المرعشي يستخدم كلمة (المسامحات) للاشارة الى قصور العبارة عند المصنفين في علم التجويد، فقد استخدمها في النص السابق. واستخدمها في أول كتابه (جهد المقل) حيث قال: «فعملت فيه رسالة محتوية على عامة مسائله بعبارات سهلة، خالية من مسامحات المصنفين». [21]

وقد وضح المرعشي قصده من ذلك في كتابه (بيان جهد المقل) حيث قال: «قوله: (خالية من مسامحات المصنفين). قال في الصحاح: المسامحة المساهلة. أقول هي من السهولة ضد العسرة، فكأن معنى المساهلة اختيار العبارة السهلة الموجزة، وإن خفي معناها اعتماداً على فهم المخاطب». [22]

والقضية الاخيرة التي تضمنها قول المرادي الذي سقناه في أول هذا المبحث عن شمول منهج علماء التجويد في دراسة الاصوات هي حديثه عن (حسن الصوت وجودة الفك وذرابة اللسان وصحة الاسنان)، وهي تعني السلامة من عيوب النطق وأمراض الكلام، وهذا الموضوع وان لم يكن لغوياً محضاً فانه من مكملات الدراسة الصوتية اللغوية. وقد عالج بعض علماء التجويد هذا الموضوع بفصل مستقل ضمن

---

(١٩) في الاصل (وجوههم).

(٢٠) بيان جهد المقل ١ظ.

(٢١) جهد المقل ١ظ.

(٢٢) بيان جهد المقل ٢و.

كتب علم التجـويـد، كمـا فعـل عبـد الوهاب القرطبي في آخر كتابه (الموضح)، أو برسائل مفردة كما فعل ابن البناء برسالته (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء).

كان منهـج علمـاء التجـويـد إذن شامـلاً، استغـرق الكـلام على المـوضـوعات الأساسية في (علم الأصوات النطقي)، وهي :

١ ـ انتـاج الأصـوات اللغـويـة وتقسيمها، ويتضمن ذلك دراسة آلة النطق ومخارج الحروف وصفاتها.

٢ ـ دراسة ما ينشأ عنها من الأحكام، أي الظواهر الصوتية، عند تركيبها في الكلام المنطوق. وشمل أيضا دراسة موضوعات تكميلية هي :

أ ـ رسم منهج تعليمي للأصوات يتمثل في التلقي المباشر عن المعلم المتقن أولاً، ثم التدريب المستمر على نطق الأصوات ثانيا، وهو ما عبر عنه علماء التجويد، برياضة اللسان. مع اخضاع ذلك المنهج التعليمي لاطار نقدي متعدد الاتجاهات، يتمثل في أن القاعدة المدونة في الكتب تحرس الأداء عن الانحراف في النطق من جانب، وأن الدراية تعمل على تدقيق القاعدة المـدونـة والسمو بها دائماً نحو الدقة في وصف جوهر العملية النطقية المراد التعبير عنها.

ب ـ معالجة عيوب النطق أو أمراض الكلام.

ثانيا ـ منهج علماء التجويد منهج صوتي خالص:

ان علمــاء التجــويــد كانــوا دائمــاً من المتخصصين في علم القـراءات، ومن المشتغلين بعلوم القرآن، كما ان الكثير منهم كانوا لغويين ونحاة، أو كانوا على جانب كبير من الثقافة اللغوية: النحوية والصرفية. فهل استطاعوا أن يرسموا حدوداً واضحة لعلم التجويد، متميزة عن العلوم الأخرى التي كانوا يشتغلون بها، لاسيما ان بعض تلك العلوم له ارتبـاط وثيق بعلم التجـويـد من بعض الوجوه، خاصة علم القراءات، وعلم الـوقف والابتـداء، وعلم رسم المصحف، وعلم الصرف؟ ان الاجابة عن هذا

السؤال سوف تحدد لنا أكان منهج علماء التجويد منهجاً صوتياً خالصاً أو لا؟

ان أول قضية بارزة تواجهنا في البحث عن اجابة للسؤال السابق هي أن علماء التجويد قد خصصوا كتباً مستقلة لبحوثهم الصوتية، هي التي تعرف بكتب علم التجويد، وقد ذكرنا في المبحث الثاني من هذا الفصل أشهر تلك الكتب منذ أقدمها وهو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، حتى أحدثها وهو (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة) للدركزلي الموصلي.

واستطاع علماء التجويد بذلك أن يجردوا المباحث الصوتية المبعثرة في كتب النحو والصرف والقراءات ويجمعوها في كتب مستقلة، وهذا من أول شروط كون المنهج واضح المعالم محدد الأبعاد غير مختلط بما سواه من كتب العلوم الاخرى.

والقضية الثانية البارزة في ذلك الصدد هي أن علماء التجويد قد ميزوا أبحاثهم الصوتية بتسمية جديدة، فلم يدعوها تحمل اسم علم النحو، أو علم الصرف، أو علم القراءات، وان كانت ذات صلة بهذه العلوم، ولكنهم استخدموا لتلك المباحث تسمية جديدة مبتكرة هي (علم التجويد)، وقد استقرت هذه التسمية في وقت مبكر من تاريخ هذا العلم، وقد ذكرنا أن مطلع القرن الرابع الهجري قد شهد مصطلح (التجويد) في ميدان الأبحاث الصوتية المتصلة بقراءة القرآن،[٢٣] وشهد ظهور مطلع القرن الخامس على أقرب تقدير اختيار هذا المصطلح اسما لمجموع تلك الأبحاث، ولم يمض وقت طويل من ذلك القرن حتى استقرت هذه التسمية الجديدة.

واذا كنا نجد أن أول مصنف في علم التجويد، وهو قصيدة أبي مزاحم (ت ٣٢٥هـ) جاء خاليا من استخدام مصطلح (التجويد) وأن الكتاب الثاني وهو كتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسعيدي (ت في حدود ٤١٠هـ) استخدم ذلك المصطلح في مادة الكتاب دون عنوانه، فان مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) استخدم المصطلح على الصعيدين معا، فقد قال عن تسمية الكتاب:

---

(٢٣) انظر: المبحث الاول من هذا الفصل.

«وسميت ما ألّفتُ من ذلك بكتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها». [٢٤]

ويبدو هنا أن مكياً كان متردداً في التسمية بين (علم التجويد) و(علم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها)، كما يبدو ذلك من العنوان الطويل الذي اختاره لكتابه، وقد أظهر مكي تعلقاً بالاسم الثاني في ثنايا كتابه الرعاية، فقال وهو يتحدث عن دور المخارج والصفات في اختلاف وقع الأصوات في السمع: «واعلم أنه لولا اختلاف المخارج لم يفرق في السمع بين حرفين أو حروف على صفة واحدة. وقد تقدم منه جملة فافهمه، فعليه مدار علم مخارج الحروف وصفاتها وقوتها وضعفها وتقاربها وتباعدها وادغام بعضها في بعض». [٢٥]

أما الداني (ت ٤٤٤هـ)، وهو أحد رواد هذا العلم الأوائل، فانه سمى كتابه (التحديد في الاتقان والتجويد)، [٢٦] كما انه صرح في مقدمة الكتاب بقوله: «أعملت نفسي في رسم كتاب خفيف المحمل قريب المأخذ في وصف علم الاتقان والتجويد وكيفية الترتيل والتحقيق». [٢٧] ولكنا نلاحظ أن كلمة (الاتقان) التي قرنها الداني بكلمة (التجويد) لم تعد تظهر في عناوين كتب هذا العلم اللاحقة مثل (الموضح في التجويد) لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ)، وكتاب (التجريد في التجويد) لابن البناء (ت ٤٧١هـ)، واذا ما ظهرت في بعض العناوين مثل (نهاية الاتقان في تجويد القرآن) لشريح بن محمد الرعيني (ت ٥٣٩هـ) فانها لا يقصد بها التسمية الاصطلاحية لهذا العلم وانما يفهم منها المعنى اللغوي.

---

(٢٤) الرعاية ص ٤٣.

(٢٥) الرعاية ص ١٩١ - ١٩٢.

(٢٦) حاجي خليفة: كشف الظنون ١ / ٣٥٥.

(٢٧) التحديد ١ظ. وقد جاء عنوان الكتاب في النسخه الخطيه التي تحتفظ بها مكتبه وهبي أفندي (٤٠ / ١) (التحديد في صنعة الاتقان والتجويد) وقد ترددت كلمه (الصناعه) في بعض كتب التجويد، فاستخدم الداني في شرح قصيدة أبي مزاحم (١٣٦و): (الاكابر من علماء هذه الصناعة) واستخدم في المنبهة (ص ١٦): (هذه الصناعه)، كما استخدم أحمد بن أبي عمر في الايضاح (٦٨ط). (أرباب الصناعة) و(٧١و): (أهل الصناعة). وهذا استخدام يشبه اطلاق كلمة (الفن) على علم التجويد.

وإذا كانت قد صارت لمباحث علماء التجويد الصوتية تسمية متميزة وهي (علم التجويد)، وصارت تلك المباحث تضمها كتب مستقلة هي كتب علم التجويد، فلننظر الآن في الموضوعات التي عالجها علماء التجويد في كتبهم، أكانت صوتية خالصة أو اختلطت بها مباحث العلوم الأخرى؟

لاشك في أن تتبع تلك الكتب كلها وإثبات موضوعاتها والتمييز بين ما يدخل في علم التجويد منها وبين ما لا يدخل فيه أكبر من أن نتمكن من القيام به في هذا البحث، لا لصعوبة فيه ولكن لانه يؤدي الى ازدياد حجم البحث أكثر مما يسمح به المنهج الذي نسير عليه. ولهذا سوف نتناول هذا الموضوع من خلال نظرة عامة تركز على علاقة كتب علم التجويد ببعض العلوم الأخرى التي أشرنا قبل قليل الى ارتباطها بمباحث هذا العلم من بعض النواحي.

وأول تلك العلوم التي ترتبط بعلم التجويد هو علم القراءات، فكلاهما يهتمان بنطق ألفاظ القرآن الكريم، ولكن كل منهما يُعنى بجانب معين من جوانب ذلك النطق، وقد ميز علماء التجويد بشكل واضح بين العلمين من حيث المنهج ومن حيث الموضوع. أما المنهج فقد نصوا على أن كتب القراءات تعتمد على الرواية وأن كتب التجويد تعتمد على الدراية المبنية على المشافهة ورياضة الألسن، وأما الموضوع فكتب القراءات تعنى برواية وجوه القراءات في نطق كلمات القرآن، بينما كتب التجويد تعنى بكيفية أداء الألفاظ باخراج الحروف من مخارجها وإعطائها حقها من صفاتها، مما لا اختلاف في أكثره بين القراء. وسبق أن نقلنا في المبحث الأول من هذا الفصل عددا من النصوص التي وضح فيها علماء التجويد الفرق بين مباحث علم التجويد وعلم القراءات، ونكتفي منها هنا بنقل نص واحد يلخص هذا الموضوع بشكل واضح، وهو قول مكي في كتاب (الرعاية) وهو يتحدث عن تجويد حرف الذال: «وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال وغيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب. فتلك الكتب كتب تحفظ منها الرواية المختلف فيها، وهذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كتب رواية، وهذا كتاب دراية». (٢٨)

(٢٨) الرعاية ص ١٩٩ - ٢٠٠

وكـان علمـاء التجـويـد يستحضـرون ذلـك الفرق بين العلمين أثناء بحثهم موضوعات ذات طرفين، أحدهما يرتبط بعلم التجويد والآخر يرتبط بعلم القراءات، مثـل موضـوع الادغـام؛ فالبحث في ظاهـرة الادغـام وتفسيـرهـا من الناحية الصوتية والحـديث عن أنـواع الادغـام كل ذلـك يدخل في مجال علم التجويد، أما اختلاف القراء في ادغام بعض الحروف فهذا يدخل في علم القراءات. ومن أمثلة ذلك قول السـمـرقـنـدي (ت ٧٨٠هـ): «واختـلفـوا في لام هل وبـل عنـد ثمـانيـة أحـرف. . وبيـان ذلـك في كتب القراءات». وقال في مناسبة اخـرى: «وتحقيق ذلـك في كتب القـراءات».[٢٩] وقـال أبـو الفتـوح الـوفـائي (ت ١٠٢٠هـ) في شرحـه على المقـدمـة الجـزريـة: «ولم يمثل الناظم رحمه الله تعالى للادغام الكبير نحو(ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ) (الفاتحة ٣-٤)، (ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ) (البقرة ١٧٦) لأن محله كتب القراءات».[٣٠] وذكر عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ) أن الادغام على نوعين كبيـر وصغيـر، وقـال عن الادغـام الكبيـر: «وليس هذا محـل بيـانه، بل موضعه كتب القراءات». وذكر أن الادغام الصغير متفق عليه ومختلف فيه، ثم قال: «أما الادغام المختلف فيه فله تفاصيل كثيرة مبسوطة في كتب القراءات».[٣١] وهكذا ينص علماء التجويد في كل مناسبة يجري بهم سياق الكلام فيها الى ذكر شيء من ظواهر القراءات المختلف فيها بين القراء، سواء أكان ذلك في المدود،[٣٢] أم الراءات،[٣٣] أم اللامات،[٣٤] أم غيرها.

وكان علماء القراءات، يدركون الحدود الفاصلة بين موضوعات العلمين، لذلك نجد شراح الشاطبية ينصون على أن (باب مخارج الحروف وصفاتها) الذي ختم به

---

(٢٩) انظر: روح المريد ١٣٣و، ١٣١ظ.

(٣٠) الجواهر المضية ٥٤ظ.

(٣١) كفاية المستفيد ١٥ظ، ١٦ظ.

(٣٢) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص ٥٥.

(٣٣) السمرقندي: روح المريد ١٣٢ظ.

(٣٤) علي القاري: المنح الفكرية ص ٢٣.

الشاطبي قصيدته (حرز الاماني) ليس من موضوعات القراءات، قال شعلة الموصلي (ت ٦٥٦هـ) عن ذلك الباب «هذا من الفوائد التي زادت على ما في التيسير. . . ولابد من إيراده وإن لم يكن له تعلق بعلم القراءة، لئلا يُلْحَنَ في القرآن، لان اللحن لحنان. . .»[٣٥] وقال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) عن الموضوع نفسه: «ولا تعلق له بعلم القراءات الا من جهة التجويد، وهو علم مخارج الحروف».[٣٦]

أما علاقة علم التجويد بعلم التصريف فتتجلى بشكل خاص بموضوعات معينة مثل الكلام عن حروف العلة والبدل والقلب والزيادة، وقد صرح علماء التجويد أن استقصاء تلك المباحث ليس موضعه علم التجويد وانما كتب التصريف واللغة، وهذه نصوص توضح حقيقة ذلك.

قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) في الموضح: «وقد يجعل بعضهم الثاء فاء، فيقول في ثلاثة: فلافة، وهو لثغ قبيح، فضلا أن يقال انه لحن خفي. فأما ما ذكر أهل اللغة من أن بعض العرب يبدل الثاء فاء فيقولون في جدث: جدف، وفي ثوم: فوم، فان ذلك غير مطرد، بل هو موجود في أحرف يسيرة خاصة، ومنقول نقلا يحفظ ولا يتجاوز».[٣٧]

وقال أيضا: «وهذه المزية التي لهذه الحروف، أعني بالمزية اختصاصها بالابدال والزيادة لا تعلق لها باللفظ، فمن حقها ألا تذكرها هنا الا أنا أودرناها لتكون القسمة شاملة حاضرة».[٣٨]

وقال: «فأما القلب فانه يجب في حروف كثيرة ومواضع عدة، مثل انقلاب حروف العلة بعضها الى بعض، لما توجبه أحكام التصريف، وتحول الحروف الصحاح بعضها الى بعض للادغام الذي يوجبه تقارب الحروف، وكتاء افتعل في انقلابها طاء في مثل (اضطرب) و(اضطروا) ودالاً في مثل (ازدان) و(يزدري). وكانقلاب الهمزة الى الواو والياء والألف، وغير ذلك من المواضع التي يبدل فيها بعض الحروف ببعض. وليس استيعاب ذلك مما يليق بهذا الموضع، لأنه لا حاجة تدعو اليه فيه

(٣٥) كنز التهاني (باب مخارج الحروف) ص١.

(٣٦) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف).ص ١.

(٣٧) الموضح ١٦١و.

(٣٨) الموضح ١٥٧و.

لأن الحفظ والتلقين يحصلان لقارىء القرآن اللفظ بالمقلوب والمبدل، كما يحصلان له الفظ بالاصل». [٣٩]

وقال أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ): «فأما حروف الزيادة وحروف الابدال فليست مما نحن فيه بشيء، غير أني أذكرها ليكون الباب أجمع». [٤٠]

وقال الفخر الموصلي (ت ٦٢١هـ) بعد ان ذكر حروف الابدال: «والبدل موقوف على السماع». [٤١] وقال بعد أن ذكر حروف العلة وانقلاب بعضها الى بعض: «وهذا يستقصى في كتب التصريف». [٤٢]

أما علاقة علم التجويد بعلم الوقف والابتداء فيبدو أنها ترجع الى ما اتبعه الداني (ت ٤٤٤هـ) في كتابه التحديد حيث ألحق بالكتاب (باب ذكر الوقف وأقسامه) وقال فيه: «اعلموا أن التجويد لا يتحصل لقراء القرآن الا بمعرفة الوقف ومواضع القطع على الكلم». [٤٣] وقد أدرك علماء التجويد الفرق بين العلمين مع ما بينهما من علاقة، قال المرعشي (ت ١١٥٠هـ) عن علم الوقف والابتداء: «وهذا فن مستقل مغاير لفن التجويد، ولكن جرت عادة بعض العلماء بجعل قواعده الكلية جزءاً من كتب التجويد». [٤٤] ولهذا نجد كثيراً من علماء التجويد لم يتطرقوا الى ذكره، وربما تحدثوا عن موضوع كيفية الوقف على أواخر الكلم، وهذا موضوع تجويدي له تعلق بعلم الوقف والابتداء.

وربما كان لصنيع ابن الجزري (**ت ٨٣٣هـ**) في (المقدمة فيما على **قارئ** القرآن أن يعلمه) من إلحاقه لمباحث الوقف، وبعض مباحث الرسم في آخر المقدمة تأثير في اتجاه المؤلفين المتأخرين الى التعرض الى هذه المباحث في كتب علم

---

(٣٩) الموضح ١٧٨ظ - ١٧٩و.

(٤٠) الايضاح ٧٤ظ.

(٤١) الدر الموصوف ١٧٠ظ.

(٤٢) الدر الموصوف ١٧١ظ.

(٤٣) التحديد ٤٣ظ.

(٤٤) جهد المقل ٤٥و.

التجـويـد، بينمـا كان قصـد ابن الجـزري أن يجمـع ابتـداء هذه العلوم الثـلاثة في مقـدمتـه، كما صرح بذلك في أولها. [٤٥] وقد قال طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) في شرحـه على المقـدمـة: «اعلم أن النـاظـم كمـا أشـار اليـه في صدر كتـابه جعل هذه الأرجوزة مبنية على ثلاثة أمور: التجويد، والوقوف، ورسوم المصحف». [٤٦]

من كل ما ذكـرنـاه هنـا نخلص الى هذه النتيجـة، وهي أن علمـاء التجويد كانوا مدركين للحـدود التي تفصـل علم التجـويـد عن العلوم الأخـرى التي تتصـل به من بعض الجوانب، وأنهم كانوا حين يضطرون الى ذكر بعض المباحث التي ترجع الى بعض تلك العلوم يصـرحـون بأن هذه المبـاحـث ترجـع الى هذا العلم أوذاك حرصاً منهم من أن تظـل موضـوعـات علم التجـويـد متميـزة عن مبـاحـث العلوم الاخرى، خالصـة من شوائبهـا، مع الملاحظة أن بعض المؤلفين، لاسيما من المتأخرين ربما حشـروا بعض المبـاحث غيـر الصـوتيـة في كتب علم التجـويـد رغبـة منهم في إفادة القارئ ببعض الأمور التي لها ارتباط بعلم التجويد من بعيد مثل مباحث الوقف، أو مباحث رسم المصحف.

ولعـل من تمـام الكـلام عن منهـج علمـاء التجـويـد في كتبهم أن أنقل هنا أمثلة توضـح كيفيـة تبـويب تلك الكتب، لاسيمـا ان معظمها مخطوط يصعب على الكثير الاطـلاع عليـه، وأكتفي هنـا بكتـابين يمثـلان عصـرين متباعدين، الأول من القرن الخامس الهجري، والثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

أمـا الكتـاب الأول من الكتـابين اللذين نريد أن نتحدث عنهما فهو (التحديد في الاتقـان والتجـويد) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، وسوف أعتمد على نسخة مكتبة (وهبي أفندي) المرقمة (٤٠/١) وهي تقع في أربع وأربعين ورقة من القطـع المتـوسط. وهويبدأ بمقدمة تستغرق صفحة ونصفاً في بيان السبب الذي دفـع المؤلف الى تأليف الكتـاب وذكـر بعض الأمـور المتعلقـة بخطتـه في تنـاول موضوعات الكتاب (١ظ ـ ٢و). ثم تبدأ أبواب الكتاب على هذا النحو:

---

(٤٥) انظر: ابن الجزري: متن الجزرية ص ١٦ (اقرأ الابيات ٥ ـ ٨).

(٤٦) شرح المقدمة الجزرية ٣٤ظ.

١ ـ باب : في ذكر البيان عن معنى التجويد وحقيقة الترتيل والتحقيق وما جاء من السنن والآثار في الحث على استعمال ذلك والأخذ به (٢و ـ ٥ظ).

٢ ـ باب : في قراءة التحقيق وتجويد الألفاظ ورياضة الألسن بالحروف (٥ظ ـ ٨ظ).

٣ ـ باب: ذكر الأخبار الواردة عن أئمة القراءة في استعمال التحقيق (٨ظ ـ ٩و).

٤ ـ باب: ذكر الافصاح عن مذاهب الأئمة في حد التحقيق ونهاية التجويد، وما جاء عنهم من الكراهة في التجاوز عن ذلك (٩و ـ ١٢ظ).

٥ ـ باب: ذكر البيان عن حقائق الألفاظ وحدود النطق بالحروف (١٢ظ ـ ١٦ظ).

قال الداني في أول هذا الباب: «اعلموا أن التجويد لا يتمكن والتحقيق لا يتحصل الا بمعرفة حقيقة النطق بالمحرك، والمسكن، والمختلس، والمُرَام، والمُشَمّ، والمهموز، والمُسَهَّل، والمحقق، والمشدد، والمخفف، والممدود، والمقصود، والمُبَيَّن، والمدغم، والمخفى، والمفتوح، والممال. وأنا أبين ذلك كله. . .».

٦ ـ باب: ذكر مخارج الحروف المعجمة وتفصيلها (١٦و ـ ١٧ظ).

٧ ـ باب: ذكر أصناف هذه الحروف وصفاتها (١٧ظ ـ ٢٠و).

قال الداني في أول هذا الباب: «اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيناها ستة عشر صنفا: المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمطبقة، والمنفتحة، والمستعلية، والمستفلة، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والمتفشي، والمستطيل، والمتكرر، والمنحرف، والهاوي، وحرفا الغنة» ثم وضح الداني هذه الصفات.

٨ ـ باب: ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين (٢٠و ـ ٢٢و).

٩ ـ باب: ذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمل بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها (٢٣ظ ـ ٤١ظ).

وهذا الباب هو أطول أبواب الكتاب، قسمه الداني الى فصول على عدد حروف المعجم، مرتبا لها على المخارج، وتحدث في كل فصل عن

حرف من الحروف ذاكراً صفاته الصوتية، مبيناً الأحكام التي تخصه عند تركيبه في الكلام المنطوق، موضحا ذلك بالأمثلة الكثيرة من كلمات القرآن الكريم.

١٠ـ باب: ذكر أحوال الحركات في الوقف، وبيان الروم والاشمام (٤١ظ ـ ٤٣و).

١١ـ باب: الوقف وبيان أقسامه (٤٣ظ ـ ٤٤ظ). وهو آخر أبواب الكتاب.

وأما الكتاب الثاني فهو (كفاية المستفيد في علم التجويد) لعبد الغني بن اسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣هـ). وسوف نعتمد على نسخة مكتبة المتحف ببغداد المرقمة (١٠٨٩٥) في وصف أبواب الكتاب الذي يتألف من أربع وعشرين ورقة متوسطة الحجم. والكتاب يبدأ بمقدمة تستغرق من الكتاب الأوراق (١ظ ـ ٣و) قال في نهايتها: «واعلم أن أحكام التجويد تنحصر في ثلاثة أصول، كل أصل تحته أربعة فصول. ووجه الانحصار في الثلاثة لأن الكلام على الحروف الهجائية إما أن يكون من حيث إفرادها أو من حيث تركيبها، والثاني هو الأصل الثالث. والأول إما أن يكون من حيث كميتها، وهو الأصل الأول، أو من حيث كيفيتها، وهو الأصل الثاني». هذه هي الفكرة النظرية لمنهج النابلسي في تبويب الكتاب، وهي متماسكة في هيكلها الثلاثي العام، لكنها لا تخلو من بعض التحكم في محاولة تقسيم كل أصل من الأصول الثلاثة **إلى فصول أربعة لا تزيد ولا تنقص.**

وبعد المقدمة تبدأ أبواب الكتاب التي سماها المؤلف أصولا على هذا النحو:

الأصل الأول: معرفة مخارج الحروف (٣و ـ ٥و).

الفصل الأول: في الجوف، ويتولد منه ثلاثة حروف.

الفصل الثاني: في الحلق، وفيه ثلاثة مخارج، يتولد منها ستة حروف.

الفصل الثالث: في اللسان، وله أربعة مواضع: أقصى ووسط وحافتان وطرف، وفيها عشرة مخارج لثمانية عشر حرفا.

الفصل الرابع: في الشفتين، وفيهما مخرجان لأربعة حروف.

الأصل الثاني: معرفة صفات الحروف (٥و ـ ١٢ظ).

الفصل الأول: في الصفات التي لها أضداد تضادها وهي خمس صفات.

الفصل الثاني: في الصفات التي لا أضداد لها، وهي ثماني صفات.

الفصل الثالث: في انقسام الصفات المذكورة الى صفات قوية ومتوسطة وضعيفة.

الفصـل الـرابـع: في معـرفة الحروف الواجبة التفخيم والحروف الواجبة الترقيق أبدا، والحروف التي على التفصيل في ذلك.

الأصـل الثـالث: في معـرفـة أحكـام تعتـري الحـروف في حالة تركبها، وهي ثمانية أشيـاء: مد وقصـر، وادغام واظهار، واخفاء واقلاب، ووقف وابتداء، فانحصر كلامنا على هذا الاصل في أربعة فصول أيضا (١٢ظ - ٢٤و).

الفصل الاول: المد والقصر.

الفصل الثاني: الادغام والاظهار.

الفصل الثالث: الاخفاء والاقلاب.

الفصل الرابع: الوقف والابتداء (يتضمن كيفيات الوقف وأقسام الوقف).

هذان مثالان لتبويب الموضوعات في كتب علم التجويد، تَقَدَّمَ عليهما مثال ثالث من قبل هو كتاب (الموضح) لعبد الوهاب القرطبي، وهناك عشرات الأمثلة الاخرى، منهـا ما يخص المؤلفـات العـامـة لكتب علم التجـويد، ومنها ما يتعلق بموضوعات خاصة على نحو ما عرضنا في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ولا نكـاد نجـد كتـابين من تلك الكتب يتطـابقـان في التبويب، اللهم الا اذا كانا شرحـاً لنص واحـد، مثـل شروح المقـدمـة الجزرية، ونجد في كثير من تلك الكتب أمثلة تعبـر عن دقـة في تبـويب بعض الموضوعات، وما اختلاف مناهج المؤلفين في تبـويب كتبهم، مع كون المـوضوعات واحدة في أغلب الأحيان، الا تعبير عن اصالة التفكير والتحرر من صفة الجمود والتقليد.

ولنـا في نهـايـة حديثنـا عن منهـج علماء التجويد وكيف كان ذلك المنهج شاملاً أولا، وخـالصـاً ثانيـاً، ملاحظـة عامـة عن أسـاليب هؤلاء العلمـاء في معـالجـة موضـوعـاتهم، وعـلاقتهم بغيـرهم من سابقيهم، وهي ملاحظـة ليست نهائية، لأنها تفتقر الى الاستقراء الكامل لكتب علم التجويد، ومع ذلك فلدينا أمثلةٌ كافية ومتعددة عن كل عصر من العصور التي يمتد اليها ميدان هذا البحث.

وتتلخص تلك الملاحظة في القول بأن مؤلفات القرن الرابع الهجري التي تمثل مرحلة النشأة لهذا العلم والتي يمكن أن نمثل لها بقصيدة أبي مزاحم (ت ٣٢٥هـ) وكتاب (التنبيه على اللحن الجلي والخفي) للسعيدي (ت في حدود ٤١٠هـ) كانت تفتقر الى المنهج المتكامل أو الشامل، فهي كتب رائدة لم ينسج مؤلفوها على مثال، وانما ابتدعوها ابتداعاً وصارت أمثلة للمؤلفين من بعد ينظرون فيها ويكملون نقصها، ويتمثلون بعباراتها.

وكانت مؤلفات القرن الخامس الهجري تمثل مرحلة النضج لهذا العلم، منهجاً وموضوعاً، متمثلة بكتاب (الرعاية) لمكي (ت ٤٣٧هـ) و(التحديد) للداني (ت ٤٤٤هـ)، و(الموضح) لقرطبي (ت ٤٦٢هـ). وربما امتدت هذه المرحلة الى القرن السادس أيضا.

وتمثل مؤلفات القرن السابع والثامن الهجريين مرحلة جمع الآراء والموازنة بينها مع خفوت نزعة الابداع في كثير من الأحيان، ويمثل هذه المرحلة (منهاج التوفيق الى معرفة التجويد والتحقيق) في كتاب جمال القراء لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، و(المفيد في شرح عمدة المجيد) للحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، و(التمهيد في علم التجويد) لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، الذي ألفه سنة ٧٦٩هـ.

وكانت أرجوزة ابن الجزري المسماة (المقدمة فيما على **قارئ** القرآن أن يعلمه) بداية لمرحلة جديدة في وجهة التأليف في علم التجويد، فقد شغلت المقدمة معظم علماء التجويد على مدى أربعة قرون تقريباً، فكانوا يعتنون بشرحها، وربما كتب بعض العلماء حواشي على تلك الشروح، ودخل علم التجويد بذلك مرحلة أقل ما يقال فيها انه كثر فيها المكتوب مع قلة الجديد فيه بشكل عام.

وظهرت في النصف الأول من القرن الثاني عشر حلقة علمية متميزة على ما سبقها، وعلى ما لحقها، تتمثل في عالمين: أولهما عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ) الذي كتب (كفاية المستفيد في علم التجويد) الذي فصلنا القول في منهجه قبل قليل، والثاني تلميذ النابلسي: محمد المرعشي الملقب ساجقلي زاده

(ت ١١٥٠هـ) الـذي كتب (جهـد المقـل) و(بيـان جهد المقل) وغيرهما. وقد تميز النابلسي بالمنهج الذي وضعه لكتابه، وتميز المرعشي بالمادة الصوتية التي قدمها في كتبه والتي تتسم بالتحليل العميق والدقيق الى حد كبير.

أما آخر كتب علم التجويد التي وقفنا عندها فهو كتاب (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسـالـة) للدركزلي الموصلي الذي فرغ من تأليفه سنة ١٢٦٦هـ، وهو من أكبر كتب علم التجـويـد حجمـا (٢١٧ ورقـة)، ولكن كبر حجمه كان ناتجاً عن تراكمات واستطـرادات كثيـر منهـا لا يمت الى علم التجـويـد بصلة، واني ألاحظ فيه مع ذلك اتجاهات جديدة تتمثل في ما يأتي: أولاً: رجوع المؤلف الى كتب التشريح لوصف أعضـاء النطق، وثـانيـا: قائمـة المصادر الطويلة التي ذكر فيها أسماء (١٠٦) كتب، وألحقها في آخر كتابه. وهذان الاتجاهان، وان كان الثاني منهما شكليا جديران بالذكر.

المبحث الخامس
صلة علم التجويد بعلوم القرآن وعلم اللغة

كان لعلم التجويد موضوعه المتميز المحدد، وهو دراسة مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها التركيبية، مما نسميه الآن (علم الاصوات اللغوية)، وكان هذا الموضوع يحظى بعناية علماء القراءة، كما كان يحظى بعناية علماء العربية من النحاة واللغويين، قبل أن يظهر علم التجويد بشكله المستقل، وجاءت مرحلة تركزت فيها الدراسة الصوتية في كتب علم التجويد وضعفت عند النحاة، فكان كتاب (سر صناعة الاعراب) لابن جني العمل الوحيد للنحاة الذي أخذ شكلاً مستقلاً، ولكنه لم يكن صوتياً خالصاً، كما انه كان عملاً منقطعاً لم يظهر بعده عمل مستقل للنحويين يعالج هذا الموضوع، فظل يدرس في أواخر بعض كتب النحو أو الصرف كما نجد في (المفصل) للزمخشري، وشروحه و(الشافية) لابن الحاجب وشروحها، و(التسهيل) لابن مالك وشروحه.

وهناك ظاهرة تبدو في دراسة النحويين المتأخرين للأصوات العربية، وهي أنهم صاروا. يعتمدون على آراء علماء التجويد ومذاهبهم في تحليل الظواهر الصوتية ووصفها، وتعليلها، مثلما كان علماء التجويد يعتمدون على دراسات النحويين الصوتية في بدء أمرهم. قال الداني في أول باب مخارج الحروف: «وأنا اذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، اذ هو الصحيح المعول عليه»[1] وصرنا نجد في كتب متأخري النحاة رأي النحوي الى جانب رأي عالم التجويد، وهذه ثلاثة أمثلة توضح لنا ذلك التداخل الحاصل في الدراسة الصوتية بين علماء العربية وعلماء التجويد:

قال ابو حيان في كتابه (ارتشاف الضرب): «المخرج الثاني: وسط الحلق، وهو العين والحاء. وظاهر كلام سيبويه أن الحاء بعد العين، وهو نص كلام مكي بن أبي طالب. ويظهر من كلام المهدوي أن العين بعد الحاء، وهو نص أبي الحسن شبريح».[2]

---

(١) التحديد ١٦و.

(٢) ارتشاف الضرب ص ٢.

وقال الحسن بن قاسم المرادي في كتابه (شرح التسهيل) وهو يتحدث عن ادغام النـون السـاكنـة: «والميم تدغم فيها بغنة، واختلف فيها، فذهب المحققون الى أن الغنة للميم المبدلة من النون وهو ادغام تام صحيح، وذهب ابن كيسان وابن المنادي وابن مجـاهـد في أحـد قوليه الى أن الغنة للنون، وهو ادغام غير مستكمل، والتشديد غير بالغ. وقد ذهب الى ذلك أبو محمد مكي بن أبي طالب، وزاد أن ادغام النون في النـون ادغـام غيـر مستكمـل لبقـاء الغنـة، والصحيـح قول الجمهور. وقال ابن ابي الأحوص: ادغامها في مثلها وفي الميم بغنة لاخلاف في ذلك...». (٣)

وقـال السيـوطي في كتـابه (همع الهوامع): «وقال (أبو) محمد القيرواني صاحب الـرعـاية: اختلاف مخرج اللام والراء والنون كاختلاف المخرج الذي فوقه من وسط اللسان، وهو مخرج الشين والجيم والياء، ولم يُجْعَل ثلاثة مخارج، بل جُعِلَ مخرجا واحـدا، فكـذلك هذه الحروف ينبغي أن تُجْعَلَ كذلك، وقال ابن أبي الأحوص: ما ذهب اليه سيبويه من أنها ثلاثة مخارج هو الصواب...». (٤)

وليس غرضنـا من نقـل هذه النصـوص الثلاثة مناقشة مضمونها هنا، وانما غرضنا توضيـح امتـزاج الـدراسـة الصـوتيـة عنـد علماء العربية بالدراسة الصوتية عند علماء التجويد، فقد ورد في تلك النصوص أسماء عدد من كبار علماء التجويد وهم:

١ ـ ابن مجـاهـد (ت ٣٢٤هـ) وابن المنـادي (ت ٣٣٦هـ) من الطبقة الاولى التي لم تصل الينا منها كتب في علم التجويد.

٢ ـ المهدوي (أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي ت بعد ٤٣٠هـ) مؤلف كتاب (الهـدايـة في القـراءات السبـع المشهورة) وقد شرحه أيضا. وفي هذا الكتاب فصول عن مخارج الحروف وأصنافها. (٥)

٣ ـ مكي بن أبي طالب = أبو محمد القيرواني (ت ٤٣٧هـ) مؤلف كتاب (الرعاية لتجويد القراءة).

---

(٣) شرح التسهيل ٣٠٨ظ.

(٤) همع الهوامع ٦/٢٩٣.

(٥) انظر: برتزل: علم القراءات (بحث في مجلة اسلاميكا) ص ٢٤.

٤ ـ أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني (ت ٥٣٩هـ) مؤلف كتاب (نهاية الاتقان في تجويد القرآن).

٥ ـ ابن أبي الاحوص=أبو علي الحسين بن عبد العزيز، المعروف بابن الناظر (ت ٦٧٩هـ) وهو مؤلف كتاب (الترشيد في علم التجويد).

فدراسة الأصوات العربية اذن كان يتقاسمها علماء العربية وعلماء التجويد، وكان كل فريق يأخذ من الاخر، والفرق بينهما أن علماء العربية لم يخصصوا للموضوع كتباً مستقلة، وكانت دراستهم الصوتية مرتبطة بقضايا صرفية. أما علماء التجويد فقد جعلوا دراستهم مستقلة في كتب خاصة، كما أنها كانت عندهم على نحو أشمل. ولكن ذلك كله لا يغير من حقيقة جوهرية هي أن دراسة الاصوات العربية موضوع لغوي أساساً، سواء أقام بها النحاة أم قام بها علماء قراءة القرآن، وسواء ارتبطت بنص محدد مثل ألفاظ القرآن الكريم، أم كانت تعنى بنص لغوي يشمل القرآن ونصوص لغة العرب من شعر ونثر، في عصر محدد أو غير محدد.

ومن ثَمَّ اذا نظرنا الى مادة علم التجويد أمكننا أن نقول: إن علم التجويد من علوم العربية، كما أننا اذا نظرنا الى كون هذا العلم يرتبط بقراءة القرآن، ويستمد أمثلته من ألفاظ القرآن أمكننا أن نقول: إنه من علوم القرآن. فهذا العلم اذن لا يمكن أن نقطع ارتباطه بهذين الحقلين الواسعين من حقول المعرفة (علوم العربية) و(علوم القرآن). وليس علم التجويد هو الوحيد الذي يتخذ هذه الصفة. فنجد (علم الوقف والابتداء) تنطبق عليه هذه الظاهرة المزدوجة في ارتباطه بعلم النحو من جانب وبعلوم القرآن من جانب آخر، وليس هذا الذي نقوله جديداً، فقد أدرك المشتغلون بتاريخ علوم العربية مقدار ارتباط هذه العلوم بالقرآن الكريم، وكذلك صار واضحا منذ وقت مبكر حاجة المشتغلين بعلوم القرآن، لاسيما المتعلقة بضبط نصه، الى اتقان علوم العربية.

فهذا أبو عمرو الداني يقول في نهاية كتابه (التحديد في الاتقان والتجويد): «فهذا كله وسائر ما ذكرناه قَبْلُ لا تتمكن معرفته للقراء الا بنصيب وافر من علم العربية، وذلك من آكد ما يلزمهم تعلمه والتفقه فيه، اذ به يفهم الظاهر الجلي،

ويدرك الغامض الخفي، وبه يعلم الخطأ من الصواب ويميز السقيم من الصحيح». [٦]

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار في كتاب (التمهيد في التجويد): «ثم اعلم أن ما ذكرناه من الحذق بالأداء وما لم نذكره من مذاهب القراء لا يوقف على حقيقته ولا يوصل الى كيفيته الا باتقان العربية ومقاييسها، ومعرفة وجوه القراءات ورواياتها». [٧]

وقد ذكر القسطلاني في (لطائف الاشارات) العلوم التي يحتاج اليها دارس القراءات، وجعل علم العربية ثاني تلك المهمات بعد (الأسانيد). [٨] وقد قال: «وأما الجزء الثاني: وهو علم العربية، فاعلم أنه لما كان إنزال القرآن العزيز إنما وقع بلسان العرب، توقف الأمر في أدائه على معرفة ما يجوز عندهم النطق به وما لا يجوز، وهو قسمان: معرفة الاعراب المميز للخطأ والصواب، والثاني: معرفة كيفية نطقهم بكل حرف، ذاتا وصفة، وهو معرفة مخارج الحروف وصفاتها». [٩]

ونتيجة لذلك الارتباط بين علم التجويد وعلوم العربية، خاصة النحو والصرف، وجدت الشيخ محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ)، وهو الوحيد الذي اطلعت على رأي له في هذا الموضوع، يميل الى اعتبار علم التجويد من علوم العربية من غير أن ينكر صلته بعلوم القرآن، قال في (جهد المقل) وهو يعلق على قول علي القارى (موضوعه الكلمات القرآنية، يعني حروفها): «وفيه نظر، لأنه يبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت، فلعله من العلوم العربية، وداخل في التصريف، ولذلك جُعِلَ جزءاً من بعض كتبه كالشافية. ولما أفرزه العلماء عن كتب التصريف لمعرفة أحوال حروف القرآن لا يبعد أن يصطلحوا على أنها موضوعه». [١٠]

وقال المرعشي في (بيان جهد المقل) موضحاً أشياء في قوله السابق: «قوله

---

(٦) التحديد (٤٤و - ٤٤ظ).

(٧) التمهيد ٨٩ظ.

(٨) لطائف الاشرات ١/١٧٢.

(٩) لطائف الاشارات ١/١٨٢.

(١٠) جهد المقل ٢و - ٢ظ

(فلعله من العلوم العربية) الباحثة عن أحوال اللفظ العربي سواء وقع في القران وفي غيره، وليس من العلوم الشرعية الباحثة عن أحواله الشرعية الخاصة وقوله (وداخل فى التصريف) لأنه علم يبحث فيه عن هيئات الكلمات التي ليست باعراب، ومخارج الحروف وصفاتها المذكورة في هذا العلم من هيئات الكلمات، لأن الكلمات مركبة من حروف». (١١)

فالمرعشي اذن يرجح أن يكون علم التجويد من العلوم العربية، باعتباره جزءا من علم التصريف (أي الصرف). ويبدو أن المرعشي يتوسع هنا بمفهوم علم الصرف الذي يختص بأحوال الكلمة التي ليست باعراب ولا بناء المتمثلة ببنية الكلمة ليشمل الأجزاء التي تتكون منها الكلمة وهي الحروف.

واذا كنت من الموافقين للمرعشي على عَدِّهِ التجويد من العلوم العربية أي اللغوية، فان واقع الدراسات اللغوية المعاصرة يأبى أن نلحقه بعلم الصرف، فالتجويد علم مستقل بذاته يعنى بدراسة أصوات اللغة العربية مخارجها وصفاتها وأحوالها التركيبية، وليس بضائر بعد ذلك أن نسميه علم التجويد أو علم الأصوات اللغوية.

ومع أننا ندرس في هذا البحث جهود علماء التجويد في قرون مضت ونقرر ما قالوه ونناقشه في ضوء معارفنا الصوتية المعاصرة، تظل أبصارنا تتطلع الى الامام ترمق المكان الذي ينبغي أن يحتله هذا العلم في المستقبل، والدور الذي يمكن أن يقوم به في دراسة أصوات العربية وفي تعليمها أيضا، ومن ثم يجب أن نركز على الجانب اللغوي في علم التجويد، لأن دراساتنا اللغوية وواقع اللغة العربية المنطوق بحاجة الى معطيات هذا العلم النظرية والتطبيقية، مستفيدين الى أقصى حد مما حققه علم الأصوات اللغوية في الوقت الحاضر، هذا من غير أن نقطع صلة علم التجويد بنص القرآن الكريم، فقد كانت لتلك الصلة أهميتها في الماضي ويمكن أن تنال ذات الأهمية في الحاضر والمستقبل.

وهناك قضية أخيرة تتصل بهذا المبحث، وهي بيان أثر ارتباط علم التجويد بنص القرآن الكريم على دراسة الأصوات العربية لدى علماء التجويد، وهل كان

(١١) بيان جهد المقل ٣و.

ذلك الارتباط سببا لتقييد تلك الدراسة أو كان عاملاً في إغنائها وديمومتها؟

ان القرآن الكريم نص لغوي عربي منقطع النظير في سمو فصاحته وبلاغته، يحرص المسلمون على ترتيل كلماته، أي نطقها مبينة مجودة، على نحو ما كان النبي ﷺ وأصحابه يرتلونها، وكان ذلك النطق هو المثال الذي ظل المسلمون يتلقونه جيلاً بعد جيل بالمشافهة والرياضة، وكان ذلك النطق موضوع (علم التجويد) دراسة، وتحليلاً، وتعليماً، ومن ثم انحصرت أمثلة علماء التجويد وشواهدهم التي يدرسونها في ألفاظ القرآن الكريم بشكل أساسي، بخلاف النحاة الذين استمدوا شواهدهم من القرآن أولاً ثم من كلام العرب شعره ونثره ثانياً. لكن علماء التجويد لم يخسروا شيئاً حين حصروا اهتمامهم بألفاظ القرآن الكريم، بل أفادهم ذلك من عدة نواح :

أولا : كان هدف علماء التجويد تعليمياً بالدرجة الاولى، ويناسب ذلك الهدف حصر الدراسة في ميدان محدد، وهو ما يتحقق في نص القرآن الكريم، فلم ينشغلوا بتتبع وجوه النطق اللهجية وإثقال المتعلمين بها، بل تركوا ذلك لجهود علماء العربية، وركزوا جهودهم في ذلك الميدان المحدد، مما سهل عملية التلقي، وتحققت لعلماء التجويد درجة كبيرة في ضبط صورة النطق على نحو لا يفوقه الا استخدام وسائل التسجيل الصوتي الحديثة، التي يجب ان يستعان بها في خدمة ذلك الجهد المتواصل لعلماء التجويد في المحافظة على صورة النطق العربي الاصيل متمثلا بنطق ألفاظ القرآن الكريم. وحرصاً من علماء التجويد على حصر ميدان جهودهم ميزوا موضوع القراءات عن موضوع التجويد، كما أشرنا الى ذلك من قبل.

ثانيا : ان ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد جعل منه علماً شعبياً، بالتعبير المعاصر، في المجتمع الاسلامي على اختلاف البلدان والأزمان، يحرص المسلمون على اختلاف مستوياتهم الثقافية والمادية، وعلى تباين ألسنتهم وأجناسهم، على دراسته وتطبيق أحكامه، لأن تلاوة القرآن من أفضل أنواع الذكر عند المسلمين، ومن شروطها أن تكون مرتلة. وقد انعكست تلك الحالة

على استمرار التأليف في هذا العلم من غير انقطاع، في مختلف بلاد المسلمين.

ثالثا: ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد أعطاه قوة معنوية تجعل المشتغلين به يُقْبِلُونَ على البحث فيه دون كلل، ويصبرون على متاعب البحث والتعليم حتى يتحقق لدى المتعلم المستوى النطقي المطلوب، ويحتسبون ذلك الجهد عند الله تعالى، وقد أثمرت تلك الجهود التي حظي بها علم التجويد في ترسيخ النطق العربي الفصيح على مدى العصور التي أعقبت نزول القرآن الكريم، حتى عصرنا الحاضر، ولولا ذلك الارتباط بين اللغة العربية والقرآن، وبالتحديد بين علم التجويد والقرآن لكان حال اللغة العربية اليوم على غير ما هي عليه، وثبات العربية الفصحى المستمر، خلاف كل اللغات الاخرى، لم يتحقق الا بفضل تلك العلاقة بين علم التجويد، ممثلا لجوهر النطق العربي الاصيل وبين نص القرآن الكريم. وان الواقع اليوم ليشهد انه حيثما أهمل علم التجويد انتكس نطق العربية الفصحى، ولو كان ذلك في قلب بلاد العرب، وحيثما نال هذا العلم العناية الكافية درساً وتطبيقاً ضفا ذلك النطق وسما، ولو كان ذلك في أطراف آسيا أو في قلب افريقيا. انها حقيقة كبيرة، ومهمة في حياتنا اللغوية المعاصرة ولكننا نغفل عنها في كثير من الاحيان.

الفصـــل الثانـــي
دراسة الاصوات عند علماء التجويـد مفردة
(على مستوى التحليـــل)

الفصـــــل الثانـــي

دراسة الاصوات عند علماء التجويـد مفردة

(على مستوى التحليـــل)

الصوت المنطوق هو مادة اللغة الانسانية، ولكل لغة من لغات البشر نظام صوتي يتكـون من عدد من الـوحدات الصوتية، ولا توجد لغة تستخدم الأصوات اللغوية في السلسلة الكـلاميـة بشكـل مفرد وانما تتداخل وتأتلف في مجموعات، يكون المعنى هو الوسيلة الأساسية لمعرفة حدود تلك المجموعات الصوتية التي تسمى بالكلمات. ولكن علمـاء الأصـوات اللغـويـة يلجأون الى تحليـل تلك السلسلة الكـلاميـة الى وحـداتهـا الأسـاسية المفردة لمعرفة عدد الوحدات الصوتية التي يتكون منها نظام لغة معينـة، ولتيسيـر دراسـة تلك الـوحـدات، وبيـان كيفية انتاجها، وتوضيح خصائصها وصفاتها الصوتية.

ويقوم علماء الأصوات اللغوية بوصف أعضاء النطق، وتوضيح الدور الذي يقول به كل عضو في إنتاج الصوت، ثم يصنفون الأصوات على وفق اعتبارات متعددة من أجـل توضيـح الخصـائص الصـوتيـة لكـل صوت حين ينطق منفردا، ثم يدرسون أثر انتظـام الصـوت اللغوي في السلسلة الكلامية المنطوقة على صفاته النطقية والظواهر الصوتية التي تنشأ عن ائتلاف الأصوات وتجاورها.

وكـان علمـاء التجـويـد قد درسـوا أصوات اللغة العربية على أساس هذا المنهج الذي يقتضي مستويين من الدرس: مستوى التحليل، ومستوى التركيب، ونقلنا في أول المبحث الـرابـع من الفصل الاول قول الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) الـذي يلخص وجهـة نظـر علمـاء التجـويـد في دراسة الاصوات، وهو: «ان تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدهـا: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

والرابع: رياضة اللّسان بذلك، وكثرة التكرار.[1]

ويمثل الأمر الأول والثاني في هذا القول ما سميناه بمستوى التحليل في دراسة الأصوات اللغوية، ويمثل الأمر الثالث المستوى الثاني في تلك الدراسة وهو مستوى التركيب، ويتعلق الأمر الرابع بالناحية التعليمية للأصوات.

وسوف أدرس في هذا الفصل جهود علماء التجويد في دراسة الاصوات العربية على مستوى التحليل الذي يُعْنَىٰ بالنظر الى الأصوات مفردة مستقلة عن السلسلة الكلامية، فيدرس صفاتها الصوتية، ويصنفها تبعا لتلك الصفات الى مجموعات، كل مجموعة تشترك في صفة معينة تميزها عن المجموعات الأُخرى. وهذه الدراسة هي الأساس لفهم الظواهر الصوتية التي تنشأ من اتصال الأصوات في السلسلة الكلامية المنطوقة، مما سماه علماء التجويد بالأحكام الناشئة عن التركيب، التي سوف ندرسها في فصل لاحق ان شاء الله تعالى.

ونحن في هذا المنهج نسير في خطى علماء التجويد، ونُرْضِي متطلبات الدرس الصوتي الحديث في الوقت نفسه، وكان عبد الوهاب القرطبي قد سار على أكمل منهج في دراسة الأصوات العربية في كتابه (الموضح في التجويد) وذلك حين قسم مباحث الكتاب الرئيسية الى أبواب ثلاثة وهي:

الباب الاول: في الكلام على بسيط الحروف (في مخارج الحروف وصفاتها).
الباب الثاني: في الكلام علىّ ما يلزم هذه الحروف عند الائتلاف (التركيب).
الباب الثالث: في الكلام على الحركات والسكون.[2]

ونحن نكتفي بتقسيم بحث الأصوات العربية الى قسمين: الأول في دراسة مخارج الحروف وصفاتها، حروفاً وحركات. والثاني: في دراسة الأحكام الناشئة عن التركيب، التي تتعلق بالحروف والحركات أيضاً.

وسوف نتناول في هذا الفصل المباحث المتعلقة بالحروف والحركات من حيث

---

(١) شرح الواضحة ص ٣٠.

(٢) انظر: الموضح ١٥٢و.

بيان مخارجها وصفاتها، على هذا النحو:

المبحث الأول: وصف أعضاء آلة النطق.

المبحث الثاني: انتاج الأصوات اللغوية.

المبحث الثالث: تصنيف الأصوات اللغوية الى جامدة وذائبة.

المبحث الرابع: تصنيف الأصوات الجامدة بحسب المخارج.

المبحث الخامس: تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات.

المبحث السادس: الأصوات الذائبة (مخارجها وصفاتها).

المبحث الأول
وصف أعضاء آلة النطــق

أول واجب على دارس الأصـوات هو معـرفـة ما يسمى (أعضاء النطق) من حيث تكـوينهـا، ومن حيث كيفيـة استعمـالها في تكوين الأصوات الكلامية، ولكن هذا لا يعني أنه في حاجة الى الالمام بكل التفصيلات التي يقدمها علم (وظائف الاعضاء) وعلم (التشـريـح) عن أعضـاء النطق، اذ أن الكثيـر من هذه المعلومـات لا يقـدم له نفعاً، ولكن هناك قدراً ضرورياً من المعرفة بهذه الاعضاء عليه أن يحصله، لأن هذه المعرفة هي الحجر الأساسي لوصف الأصوات وتصنيفها.(١)

ومن ثم نجد معظم الباحثين الذي درسوا الأصوات اللغوية يحرصون على كتابة مقدمة في وصف أعضاء النطق، وكذلك فعل علماء التجويد من قبل فكانوا قد عرفوا كل تلك الأعضـاء وأدركـوا دورهـا في تكـوين الأصوات، ولم يغب عن ادراكهم منها شيء سوى ما لا يقـع تحت النظـر والمـلاحظـة الـذاتيـة، وإن كانـوا قد أحسـوا بأثره الصوتي وميزوه عن غيره. ووجود تباين في التفاصيل بين كلام علماء التجويد وكلام اللغويين المحدثين أمر متوقع لسببين:

الأول: تقدم مناهج البحث.

الثاني: ازدياد المعرفة العامة.

---

(١) انظر: محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارىء العربي ص ١٤٠-١٤١.

ويمكن أن يعمل هذان السببان عملهما في تفسير التباين في دراسة أية ظاهرة عند جيلين من العلماء يعيشان في عصرين مختلفين.

وقد جعلتُ عنوان هذا المبحث (وصف أعضاء آلة النطق) لأمر يتعلق بطبيعة استخدام علماء التجويد للمصطلحات المعبرة عن ذلك، فليس من خطة هذا البحث الخروج على مصطلحاتهم من غير ما سبب واضح. فالمحدثون من علماء الأصوات منقسمون على قسمين في استخدام المصطلح المعبر عن موضوع هذا المبحث، فبعضهم يستخدم كلمة (جهاز) فيقول: (جهاز النطق)،(٢) أو (الجهاز النطقي)،(٣) أو (جهاز التصويت)،(٤) وبعضهم يستخدم كلمة (أعضاء) فيقول (أعضاء النطق)،(٥) أو (الأعضاء الصوتية).(٦)

وقد وجدت أن بعض علماء التجويد يميل الى استخدام عبارة (آلة النطق)، خاصة عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) في كتابه (الموضح في التجويد)، حيث رددها خمس مرات، من ذلك قوله: «فأما وجوب اظهار النون عند حروف الحلق فلأن حروف الحلق تباعدت عن مخرج النون، وهي محتاجة الى تمكن آلة النطق بها».(٧)

(٢) كمال محمد بشر: علم اللغة العام (القسم الثاني): الاصوات ص ٨١.

(٣) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٦٤، واحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٠.

(٤) جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية (ترجمة صالح القرمادي): ص ١٧.

(٥) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٦، ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٤٠.

(٦) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٤٠.

(٧) الموضح ١٧٨و. وانظر: ١٦٩ظ، ١٧٤و، ١٨٣و، ١٨٨و. كذلك استخدم أبو شجاع محمد بن علي المعروف بابن الدهان (ت ٥٩٢هـ) عبارة (آلة النطق في كتابه (تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء ٢و) وابن الدهان هذا لغوي نحوي واصولي فقيه (انظر: كحالة: معجم المؤلفين ١١/١٥).

واستخـدم ابن البنـاء (ت ٤٧١هـ) (آلة المنطق)، [٨] بينما استخدم طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) في شرحه على المقـدمـة الجـزرية كلمة (آلات) و(الآلات). [٩] وكـان الاستـراباذي (ت ٦٨٦هـ) وهو من علماء العربية، قد استخدم (آلة الحروف) و(آلة الصوت). [١٠]

واستخـدم مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) كلمة (عضو) وجمعها (أعضاء) حيث قال: «ولا يعتمـد اللسـان عنـد خروجهـا على عضو من أعضاء الفم». [١١] واستخدم علم الـدين السخـاوي (ت ٦٤٣هـ) كلمـة (العضـو) مريـداً بهـا أي جزء يشترك في تكـوين الصـوت، كمـا يفهم ذلـك من قولـه: «ومعنى الادغـام أن تصـل حرفاً ساكناً بحـرف متحـرك ممـاثل له، يرتفع العضو عنهما ارتفاعة واحدة، وانما قلت: العضو، ولم أقل اللسان كما قال غيري لأن مثل (ثوب بكر) لا يقال فيهما ارتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة». [١٢]

ومن هنـا رأيت ان استخـدام (آلـة النطق) أو (أعضـاء آلة النطق) في بحث يكتب لبيـان جهـود علمـاء التجـويـد في المـوضوع أولى من استخدام المصطلحات التي نجدها عند المحدثين لا سيما أن الرجوع الى المعاجم يؤيد أصالة ما استخدموه دون ما استخدمه المحدثون. [١٣]

---

(٨) كتاب بيان العيوب ١٨٣ظ.

(٩) شرح المقدمة الجزرية ١١ظ.

(١٠) شرح الشافية ٢/٢٥١ و٢٧٢.

(١١) الرعاية ص ١٠٣.

(١٢) جمال القراء ١٧٥ظ.

(١٣) انظر استخدام كلمة (جهاز) و(آلة) في: لسان العرب، والمعجم الوسيط، مادة (جهز) و(أول).

وأعضاء آلة النطق التي وصفها المحدثون هي : الرئة، والقصبة الهوائية، والحنجرة، والحلق، والخيشوم، والفم، واللسان، وسقف الفم، والأسنان، والشفتان. وتتفاوت هذه الأعضاء في الدور الذي تقوم به في عملية التصويت، كما أن أكثرها له وظائف أخرى لا تقل أهمية بالنسبة للجسم عن عملية النطق.

وينبغي أن نذكر هنا أن علماء العربية منذ الخليل وسيبويه قد أوردوا في أثناء حديثهم عن مخارج الحروف معظم أسماء أعضاء آلة النطق. [14] ولكن علماء التجويد قد تميزوا في دراسة هذا الموضوع عن علماء العربية بنواح هي :

١ ـ وصف أعضاء النطق.

٢ ـ الاستعانة بعلم التشريح.

٣ ـ تخصيص فصل مستقل لوصف بعض أعضاء النطق.

٤ ـ الاستعانة بالرسم التوضيحي.

وهذا بيان لهذه الأمور الأربعة التي تميز بها علماء التجويد في كلامهم عن أعضاء النطق.

١ ـ وصف أعضاء النطق :

لم يكتف علماء التجويد بذكر تلك الأعضاء في أثناء تحديد مخارج الحروف، وانما قدموا وصفاً لها وتحديداً لمدلولاتها، وقد حدد بعضهم أعضاء آلة النطق إجمالاً، مثل قول مكي : «ورَتَّبَ ـ تبارك وتعالى اسمه ـ لها مخارج تخرج منها عند النطق بها، من آخر الصدر الأعلى، ومايليه من الحلق، والفم، وأطراف الشفتين، والى الخياشيم». [15] وقول عبد الوهاب القرطبي : «فحيث ما عرض ذلك المقطع

---

(١٤) انظر: الخليل: العين ١/٥١-٥٢ و٥٧-٥٨. وسيبويه: الكتاب ٤/٤٣٢-٤٣٦.

(١٥) الرعاية ص ٤٠.

شُمّيَ حرفاً، وسُمّيَ ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً». [16] وكان الاستراباذي أكثر تحديدا في قوله: «فلولا اختلاف أوضاع آلة الحروف - وأعني بآلتها مواضع تكونها في اللسان والحلق والسن والنطع [17] والشفة، وهي المسماة بالمخارج - لم تختلف الحروف». [18] وقد نقلت قول الاستراباذي هنا مع أنه من علماء العربية لأنه عاش بعد مكي وعبد الوهاب القرطبي، ولأن قوله يكمل كلامهم، ولا يناقض ذلك منهج البحث، لاني أجد في أكثر الأحيان أن كلام علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية يتكامل مع كلام علماء العربية.

(أ) الرئــة:

ذكر بعض علماء التجويد (الرئة) التي تقوم بدفع الهواء الذي يعتبر مادة الصوت الاساسية. [19] وقد وصفها الدركزلي بأنها «لحم رخو متخلخل كالزبد الى بياض اسفنجي... خلقت محيطة بالقلب كالفراش للترويح عليه بالهواء المستنشق من القصبة». [20]

(ب) القصبــة:

تتشعب القصبة الهوائية من الأسفل الى شعبتين كل شعبة ترتبط برئة، وتنتهي من الأعلى بالحنجرة. وقد سماها ابن البناء (قصبة الحلق). [21] وسماها الدركزلي (قصبة الرئة). [22]

---

(١٦) الموضح ١٥٠و.

(١٧) النطع: الغار الاعلى في الفم، أي سقف الفم (انظر: لسان العرب ١٠/٢٣٥ نطع).

(١٨) شرح الشافية ٣/٢٥١

(١٩) القسطلاني: لطائف الاشارات ١/١٨٣.

(٢٠) خلاصة العجالة ١٣٢ظ.

(٢١) بيان العيوب ١٧٥ظ.

(٢٢) خلاصة العجالة ١٣٣ظ.

(جـ) الحنجـرة:

وهي من أهم أعضاء آلة النطق، لأنها تضم الوترين الصوتيين اللذين لهما القدرة على انتاج النغمة الصوتية التي تسمى بالجهر. وكان علماء العربية وعلماء التجويد قد أحسوا بأثر الوترين في نطق الأصوات وإعطائها صفة الجهر، كما سنوضح لاحقاً ان شاء الله، لكنهم لم يتمكنوا من وصفها بشكل محدد لأنها تقع في نقطة لا يدركها النظر.

وكان أبو علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) قد خصص الفصل الثالث من رسالته (أسباب حدوث الحروف) لتشريح الحنجرة واللسان،[٢٣] ولكن يبدو أن تأثير كلام ابن سينا كان محدود الأثر في الدراسات الصوتية العربية القديمة. ومع ذلك فقد وجدت ابن البناء يذكر (الحنجرة) في كتابه (بيان العيوب) حيث قال: «ومن العيوب الترعيد، وصفته تعليق الصوت بترديد الحنجرة. . .».[٢٤] ولعل ابن البناء يريد بقوله (ترديد الحنجرة) صفة الجهر، وهي النغمة الصوتية الناشئة عن اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة، التي تشكل جوهر أصوات المد، لاسيما الألف، التي يعرض لها العيب الصوتي المسمى بالترعيد، وهو اضطراب الصوت كأن الناطق يرتعد من برد أو مرض.

(د) الحلـق:

ويقصد به الفراغ الواقع بين الحنجرة وأقصى اللسان. ويقسمه علماء العربية والتجويد الى ثلاثة أقسام: أقصاه ووسطه وأدناه. ويفهم من قولهم ان أقصى الحلق مخرج للهمزة والهاء أنهم يجعلون الحنجرة جزءا من الحلق.[٢٥]

---

(٢٣) انظر: أسباب حدوث الحروف ص ٩.

(٢٤) بيان العيوب ١٧٥ظ.

(٢٥) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣. والداني: التحديد ١٦و.

(هـ) اللهـــاة:

قال مكي (ت ٤٣٧هـ): «الـلهـــاة بين الفم والحلق». (٢٦) وقــال أبــو العــلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ): «وهي اللحمة المسترخية كالزَّنَمَة في أقصى الحلق تكتنفهـا النُّغْنُغَـة، وهي لحمـة في أصل الاذن من باطن، والجمع نغانغ». (٢٧) وقال السمـرقنـدي (ت ٧٨٠هـ): «واللهـاة اللحمـة المستـرخية بين الفم والحلق تكتنفها النغنغة، وهي لحمة في أصل الاذن من داخل». (٢٨)

وقــول الـسمـــرقنــدي (بين الفم والحلق) أدق من قول الهمـــذاني (في أقصى الحلق). وقـد زاد السمـرقندي على ما ذكره الهمذاني بتقسيمه اللهاة الى: الغَلْصَمَة والعُكْـدَة. حيث قال: «ومن اللهـــاة حرفـان القـاف والكـاف، فالقـاف غلصميـة، والغلصمـة أول اللهـاة من جانب الحلق. والكـاف عكـدية، والعكدة آخر اللهاة من جانب الفم». (٢٩)

وتقسيم اللهاة عند السمرقندي على ذلك النحوشيء انفرد به، فالغلصمة نوع من اللســان واقـع فوق الحنجـرة بصورة خاصة لتحمي الحنجرة خلال عملية البلع، وقد سماها بعض المحدثين (لسان المزمار). (٣٠) وما ورد في معجم (لسان العرب) يؤيد هذا المعنى. (٣١) أمـا العكـدة، بضم العين وسكـون الكاف، أوبفتحات متواليات، فلم يستخــدمهـــا المحـدثـون، وهي في المعجم بمعنى أصـل اللســان. (٣٢) وقـد

---

(٢٦) الرعاية ص ١١٤. والفم هو الفراغ الذي يسترخي فيه اللسان.

(٢٧) التمهيد ١٤٤ظ.

(٢٨) روح المريد ١٢٥و.

(٢٩) المصدر نفسه ١٢٥و.

(٣٠) انظر: محمـود السعـران: علم اللغـة ص ١٤٥. وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٤٩. وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٨٤.

(٣١) انظر: ابن منظور: لسان العرب ١٥/٣٣٧ مادة (غلصم).

(٣٢) انظر: ثابت: خلق الانسان ص ١٨١، وابن منظور: لسان العرب ٤/٢٩٢ مادة (عكد).

استخدمها الخليل بهذا المعنى في كتاب (العين) فقال: «وأما الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم». [٣٣] وإذا تجاوزنا ادراج الخليل للجيم مع القاف والكاف أمكننا أن نقبل وصف الكاف بأنها (عكدية) باعتبار أن العكدة تدل على أقصى اللسان، وليس على آخر اللهاة من جهة الفم. وكذلك وصف القاف بأنها (غلصمية) باعتبار أن (الغلصمة) تدل على شيء يقع في أصل اللسان، وهو لسان المزمار، وليس على أول اللهاة من جهة الحلق، كما ذهب السمرقندي إلى ذلك في النص السابق.

ويبدو أن الدركزلي قد أدرك دور اللهاة في عملية التصويت، الى جانب كونها تشكل مخرج القاف الفصيحة، حيث قال: «اللهاة لحم مستدير رخو، يشكل الصوت ويعدل الهواء»، [٣٤] فلعله يريد بذلك اشتراك اللهاة مع ما يحيط بها من الحنك اللين في فتح مجرى الهواء الى الخياشيم أو غلقه.

(و) الحنك (الغار) الأعلىٰ، واللثة:

يستخدم علماء التجويد مصطلح (الحنك الأعلىٰ)، وقد سبقهم علماء العربية الى ذلك الاستخدام. [٣٥] وقد وضحه علماء التجويد بأنه سقف الفم، قال مكي: «نطع الغار الأعلىٰ، وهو سقفه». [٣٦] وقال السمرقندي: «نطع الفم، وهو الغار الأعلىٰ، أي سقف الفم». [٣٧]

ويذهب المحدثون من علماء الأصوات الى أن الحنك الأعلىٰ يشمل: اللثة، والجزء الصلب من سقف الفم، ثم الجزء اللين، بما في ذلك اللهاة. [٣٨] لكن بعض

(٣٣) العين ١/٥٢.

(٣٤) خلاصة العجالة ١٤٢و.

(٣٥) انظر: الداني: التحديد ١٧و، وسيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣٦) الرعاية ص ١١٤.

(٣٧) روح المريد ١٢٥ظ: وقال ثابت (خلق الانسان ص ١٦١): «وفي الفم الحنك، وهو سقف أعلى الفم».

(٣٨) محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٢، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٤.

علماء التجويد نص على أن اللثة ليست من الحنك، قال أبو الفتوح الوفائي: «اللثة ليست من الحنك الأعلى، بل أسفل منه حول الأسنان». (٣٩) واللثة عندهم، وهي بكسر اللام وتخفيف المثلثة، (٤٠) «اللحم المركب فيه الأسنان». (٤١) أو هي «اللحم الذي فيه منبت الأسنان». (٤٢)

(ز) اللســـان:

نقل الدركزلي تعريفا للسان بأنه «اللحم المتخلخل بين بياض وحمرة حال الصحة». وقال أيضا: «وهو مؤلف من لحم رخو أبيض وأوردة وشريانات صغار وأعصاب كثيرة». (٤٣) ولم أنقل هذا التوضيح لأجل تقديم تعريف علمي للسان بقدر ما أردت أن أعرض وجهة نظر بعض علماء التجويد في هذا الموضوع.

ويقسم المحدثون من علماء الأصوات اللسان الى ثلاثة أقسام، هي: أقصاه، ووسطه، وطرفه، وهم يجعلون نهاية اللسان أوذلقه داخلاً في طرفه. (٤٤) أما علماء التجويد فانهم يقسمون اللسان أربعة أقسام، باضافة (حافة اللسان) الى أقسامه الثلاثة السابقة، وهذا أمر سبقهم اليه علماء العربية من قبل. (٤٥)

قال الداني (ت ٤٤٤هـ): «اعلم أن حروف اللسان ثمانية عشر حرفا، ولها عشرة مخارج، وينقسم جميعها على أربعة أقسام: أقصى اللسان، ووسطه. وطرفه، وحافته». (٤٦)

---

(٣٩) الجواهر المضية ٢١ظ.

(٤٠) الدركزلي: خلاصة العجالة ١٣٨ظ، لكن علي القاري قال (المنح الفكرية ص ١١): «بضم فتخفيف مثلثة» وجاء في لسان العرب (مادة لثي ١٠٧/٢٠): «واللثة بالكسر والتخفيف».

(٤١) الرعاية ص ١١٥.

(٤٢) العطار: التمهيد ١٤٥و، السمرقندي: روح المريد ١٢٥ظ.

(٤٣) خلاصة العجالة ١٣٤ظ - ١٣٥و.

(٤٤) محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٨، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٨٧.

(٤٥) سيبويه: الكتاب ٤٣٣/٤.

(٤٦) الادغام الكبير ١١ظ.

وقال أبو الفتوح ـوفائي (ت ١٠٢٠هـ): «وللسان حافتان من أصله الى رأسه كحافتي النوادي، وهما جانباه». (٤٧) وقال ابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ): «ان بين طرف اللسان وحافته مشابهة من حيث إن كلا منهما نهاية مساحة جرم اللسان، فالطرف نهايته من جهة مقدم الفم، والحافة نهايته من جهة يسار الفم أو يمينه». (٤٨)

ونجد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) يُسَوِّي بين طرف اللسان وأسلة اللسان، وذلق اللسان. (٤٩) وهو ما يفهم من قول الداني السابق. لكن بعض علماء التجويد يخصصون أسلة اللسان بمستدق طرفه. (٥٠) وهو ما نص عليه الخليل في كتاب العين، حيث قال عنها: «وهي مستدق طرف اللسان». (٥١) وهو اتجاه ذهب اليه بعض المحدثين واستخدم له كلمة (حد اللسان). (٥٢) وكان العطار (ت ٦٥٩هـ) قد قال من قبل: «ذلق اللسان وهو حده». (٥٣)

وقد سَمَّىٰ مكي المجال الذي يسترخي فيه اللسان في لحظة هدوئه (قاع الفم). (٥٤) وسماه ابن البناء بالحنك الأسفل. (٥٥) ورُوِيَ عن أبي زيد اللغوي أنه يُسَمِّىٰ (الفراش). (٥٦)

ويبدو أن كلمة (الفم) حين تطلق يراد بها اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، قال أبو شامة: «ان مخارج الحروف ستة عشر مخرجا. وهي دائرة على

---

(٤٧) الجواهر المضية ١٩ظ.

(٤٨) بغية المرتاد ٨و.

(٤٩) الرعاية ص ١١١، ١١٤، ١١٥.

(٥٠) العطار: التمهيد ١٤٥و، والسمرقندي: روح المريد ١٢٥ظ.

(٥١) العين ٥٨/١.

(٥٢) انظر: احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٦.

(٥٣) التمهيد ١٤٤ظ.

(٥٤) الرعاية ص ٩٩.

(٥٥) بيان العيوب ١٧٦ظ. وانظر: ابن الطحان ١٢٩و.

(٥٦) انظر ثابت بن أبي ثابت: خلق الانسان ص ١٦١.

ثلاثة: الحلق والفم والشفة، ويقال: الحلق واللسان والشفتان، والمعنى واحد». [٥٧]

وكان الخليل قد وصف الجيم والشين والضاد بأنها شجرية، لأن مبدأها من شَجْر الفم، أي مَفْرَج الفم. [٥٨] ونقل بعض علماء التجويد ذلك، وقد فسر مكي كلمة مفرج الفم بقوله: أي مفتحه. [٥٩] واذا رجعنا الى قول سيبويه بأن الجيم والشين والياء تخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى. [٦٠] أمكننا القول بأن (الشَّجْر) هو وسط اللسان.

(ح) الخياشيم:

استخدم عدد من المحدثين عبارة (الفراغ الأنفي)[٦١] و(التجويف الانفي)، [٦٢] بدل كلمة الخياشيم، وهم يقصدون بذلك التجويف الذي يندفع خلاله الهواء حتى يخرج من الأنف. وكان سيبويه أول من استخدم كلمة الخياشيم، ووضح أن الهواء يأخذ طريقه فيها عند نطق النون والميم. [٦٣] ولكنه لم يبين المقصود منها. وتابع علماء التجويد سيبويه في استخدام كلمة الخياشيم. [٦٤] لكنهم قدموا لنا توضيحاً مناسباً لها، فقال مكي: «والخيشوم الذي تخرج منه هذه الغنة، هو المركب فوق غار الحنك الأعلى». [٦٥] وجاء تعريف الداني للخيشوم أكثر وضوحا، وذلك حيث قال: «والخيشوم خرق الأنف المنجذب الى داخل الفم». [٦٦]

---

(٥٧) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٣.

(٥٨) العين ١/٥٨.

(٥٩) الرعاية ص ١١٤، وانظر: العطار: التمهيد ١٤٤ظ.

(٦٠) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٦١) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٨.

(٦٢) كمال محمد بشر: الاصوات ص ٨٩.

(٦٣) الكتاب ٤/٤٣٤، وانظر أيضا ٤/٤٥٢ و٤٥٦.

(٦٤) انظر مثلا: الداني: التحديد ١٧و، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ.

(٦٥) الرعاية ص ٢١٤. وانظر: العطار: التمهيد ١٤٦ظ، والسمرقندي: روح المريد ١٢٨و.

(٦٦) التحديد ٢٢و، وكذلك ١٩و.

(ط) الشفتـــان :

يبـــدو أن بروز الشفتين للعيـان جعـل علمـاء الأصـوات المحـدثين يكتفـون في حديثهم عنهما ببيان الوظيفة التي تقومان بها في انتاج بعض الأصوات. [٦٧] وهو عين السبب الذي جعل علماء العربية والتجويد يسلكون الطريق نفسه، فاكتفوا ببيان دور الشفتين في انتـاج الأصـوات اللغـويـة. [٦٨] الا أن الـدركزلي ذكر بعض خصائصهما الحركية، فقال: «... بالشفتين المشتملتين على انطباق وانفتاح وحركة محكمة». [٦٩]

(ى) الأسنـــان :

للأسنان دور بارز في انتـاج عدد من الأصـوات، واختـلالها يؤثر على إنتاج تلك الأصوات، ومن ثم اهتم بها علماء العربية وعلماء التجويد، وكذلك علماء الأصوات المحـدثـون. وكـان سيبـويـه قد ذكـر أقسامها دون أن يعددها، فذكر منها الأضراس والضـاحـك والناب والرَّبَاعِيَة والثنية. [٧٠] ويبدو لي أن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) هو أول من أحصاها ممن درسوا الاصوات. [٧١] فقال: «ان الأسنان اثنتان وثلاثـون سناً: ست عشرة في الفلك الأعلى، ومثلها في الفك الأسفل.

فمنهــا الثنـايـا: وهي أربـع من قُدَّام، ثنتـان من فوق، ومثلهمـا من أسفـل. ثم الـربـاعيـات، وهي أربـع أيضا: رباعيتان من فوق يمنة ويسرة، ومثلهما من أسفل.

---

(٦٧) انظـر: ابـراهيم أنيس: الاصـوات اللغـويـة ص ١٨، ومحمـود السعـران: علم اللغة ص ١٤٩، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٨٩.

(٦٨) انظر سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣ و٤٣٦، والداني: التحديد ١٧و، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٧ظ.

(٦٩) خلاصة العجالة ١٤١ظ.

(٧٠) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٧١) كان علمـاء اللغـة الـذين ألفـوا في (خلق الانسـان) قد سبقوا دارسي الاصوات الى ذلك انظر: ثابت بن أبي ثابت: كتاب خلق الانسان ص ١٦٥-١٦٦.

وخلفهما الأنياب الأربع : نابان من فوق، يمنة ويسرة، ومثلهما من أسفل. وخلف الأنياب الضواحك، وهي أربع : ضاحكتان من فوق يمنة ويسرة، ومثلهما من أسفل. وخلف الضواحك الأضراس، وهي ست عشرة، ثمان من فوق، أربع يمنة وأربع يسرة، ومثلها من أسفل.

ومن الناس من ينبت له خلف الأضراس النواجذ، وهي أربع من كل جانب: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل، فيصير ستا وثلاثين سنا». (٧٢)

ولم يتجاوز علماء التجويد الأوائل ما فعله سيبويه، حيث ذكروا أنواع الأسنان عند كلامهم على مخارج بعض الحروف. (٧٣) وسلك المتأخرون منهم مسلك الاستراباذي، فذكروا أنواع الأسنان وأعدادها. (٧٤) أما علماء الأصوات المحدثون فمنهم من أشار اليها اشارة عامة، (٧٥) ومنهم من فَصَّل فيها القول تفصيلاً. (٧٦)

وكان بعض علماء التجويد قد تنبه الى أثر الخلل الذي يصيب الأسنان على سلامة النطق، فقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «ولا سبيل الى ما سقناه... الا بالمواظبة على القراءة ورياضة اللسان والأخذ من أفواه أولي العلم والاتقان، وان انضاف الى ذلك حسن الصوت وجودة الفك وذرابة اللسان وصحة الأسنان كان الكمال». (٧٧)

(ك) الجوف:

ذهب الخليل بن أحمد في كتاب (العين) الى أن الواو والياء والالف تخرج من

---

(٧٢) شرح الشافية ٣/٢٥٢. وانظر: الجاربردي: شرح الشافية ص ٢٤٣.

(٧٣) انظر مثلا: الداني: التحديد ١٦ظ - ١٧و.

(٧٤) خالد الازهري: الحواشي الازهرية ص ٩، وطاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ٩و. وأبو الفتوح الوفائي: الجواهر المضية ٢٠ظ، وعلى القاري: المنح الفكرية ص ١١، وأحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ٧ظ، والمرعشي: جهد المقل ٤و.

(٧٥) محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٩. وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٨٩.

(٧٦) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٨٢.

(٧٧) التمهيد ٨٩و.

الجـوف،[٧٨] ولـم يذكـر سيبـويـه هذا المخـرج، لكن علماء التجويد ذكروه وجعلوه خاصا بحروف المد، الألف، والواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها.[٧٩] وليس الجـوف نقطـة محددة، بل هو على ما يبدو التجويف الممتد من فوق الحنجرة الى الشفتين، المسـامت للحلق واللسـان، عنـدما يفتح الناطق فاه. قال ابن بلبان: «فأما الجوف، وهو الخلاء داخل الفم والحلق، فهو مخرج لثلاثة أحرف».[٨٠] وقال المرعشي: «جوف الحلق والفم، وهو الخلاء الداخل فيهما».[٨١]

٢ ـ الاستعانه بعلم التشريح:

الناحية الثانية التي تميـز بها علماء التجويد في كلامهم عن أعضاء آلة النطق هي الاستعانة بكتب الطب، خاصة كتب التشريح، وبالرغم من ان معظم علماء التجويد كانـوا يعتمـدون على المـلاحظـة الـذاتيـة في وصف تلك الاعضـاء نجـد من بين المتأخـرين من يستعين بكتب الطب، فقـد استعـان الدركزلي في (خلاصة العجالة) بأكثر من كتاب من كتب الطب في وصف أعضاء النطق.

وهـذه ظاهـرة جديـدة تستحق الـذكـر، وهي تبين منهجاً صحيحاً في دراسة هذا المـوضـوع، فان كلمـة علمـاء التشريح ووظائف الأعضاء تظل هي المستند العلمي الـذي ينبغي أن يستعين به دارسـو الأصـوات اللغـويـة في وصف أعضاء آلة النطق، فيأخذون القدر النافع لدراستهم لأن كثيراً من تفصيلات الموضوع التشريحية لا تفيد دارس الأصوات فائدة مباشرة.

فكان الدركزلي الذي فرغ من تأليف (خلاصة العجالة) سنة ١٢٦٦هـ، ينقل من بعض كتب داود بن عمر الأنطاكي، المولود بانطاكية، والمتوفى بمكة سنة ١٠٠٨هـ.[٨٢] وذلـك حين تكلم عن الـرئـة، والقصبـة، والحلق، واللسان، والفك

---

(٧٨) العين ١/٥٧.

(٧٩) العطار: التمهيد ١٤٥و. وابن الجزري: النشر ١/١٩٨.

(٨٠) بغية المستفيد ٥٤ظ.

(٨١) جهـد المقـل ١٠و. على أن أبـا الفتوح الوفائي اعتبر الجوف الخلاء الداخل في الفم فقط (انظر: الجواهر المضية ١٨و).

(٨٢) انظر مصادر ترجمته: كحالة: معجم المؤلفين ٤/١٤٠.

الأعلى، والأسنان واللثة، والشفتين، واللهاة، فكان يقول: قال داود صاحب التذكرة، أو: قال داود الحكيم.[٨٣]

وكتاب التذكرة هو: تذكرة أُولي الألباب والجامع للعجب العجاب، قال عنه حاجي خليفة بأنه تأليف عظيم في الطب.[٨٤] ويبدو أن الدركزلي كان ينقل من كتاب آخر من كتب داود الحكيم، هو (النزهة المبهجة)، فقد ذكر هذا الكتاب في قائمة مصادره دون كتاب التذكرة، قال: «والنزهة المبهجة في الطب لداود، ومختصر المسيحي فيه».[٨٥] ومختصر المسيحي مصدر آخر من المصادر الطبية التي نقل منها الدركزلي.

وأهمية هذه الظاهرة لا تنبع من قيمة المادة التي نقلها مؤلف (خلاصة العجالة) من الكتب الطبية الموجودة في عصره، وانما تتركز في المنهج الذي سار عليه، وهو منهج لم يسبقه اليه سوى ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحروف) مع العلم أن ابن سينا نفسه كان طبيباً ولغوياً ومن ثم جاء كلامه أكثر مساساً بحاجة دارس الأصوات، وسار المحدثون على هذا المنهج، كما يبدو جلياً فيما كتبه الدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه (أصوات اللغة) في الباب الذي سَمَّاهُ (الوسيلة التشريحية).[٨٦]

٣ـ تخصيص فصل مستقل لوصف بعض أعضاء النطق:

يحرص دارسو الأصوات من المحدثين على كتابة فصل في صدر أبحاثهم الصوتية لوصف أعضاء آلة النطق، ولم يكن علماء العربية يفعلون ذلك، بل كانوا يكتفون بتسمية تلك الأعضاء في أثناء كلامهم عن مخارج الحروف، وتبعهم في ذلك متقدمو علماء التجويد، ولكنهم تميزوا عنهم بوصف تلك الأعضاء عندما يرد ذكرها في أثناء الحديث عن المخارج، على نحو ما بينا ذلك قبل قليل.

---

(٨٣) انظر: خلاصة العجالة ١٣٢و، ١٣٦ظ، ١٣٨ظ.

(٨٤) كشف الظنون ١/٣٨٦.

(٨٥) خلاصة العجالة ٢٢١و.

(٨٦) أصوات اللغة ص ٣٩ـ٩١.

وقـد خصص محمـد المـرعشي (ت ١١٥٠هـ) الفصـل الرابع من فصول مقدمة كتـابـه (جهـد المقل) الخمسة لبيان الأسنان في الانسان. (٨٧) وهو اتجاه جديد يقرب مما نجده عند المحدثين من تخصيص فصل مستقل لوصف أعضاء آلة النطق.

٤ ـ الاستعانة بالرسم التوضيحي:

الـرسـوم التـوضيحيـة إحـدىٰ الـوسـائـل التي يستعين بهـا المحدثون من علماء الأصوات، لتوضيح اعضاء آلة النطق أو لبيان الحالة التي تتخذها تلك الأعضاء عند نطق صوت معين. وكـان علمـاء التجـويد قد استخدموا هذه الوسيلة في بيان مخارج الحـروف وتـوزيعها على أعضاء النطق، فوضحوا تلك الأعضاء وبينوا توزيع مخارج الحروف عليها في آن واحد.

وأقدم ما اطلعت عليـه من تلك الـرسـوم عند علماء التجويد هو الرسم الذي أورده ابن وثيق الأندلسي (ت ٦٥٤هـ) في كتاب له في علم التجويد. فقد قال بعد أن ذكر حروف العـربيـة: «وهـذه صورة الحـروف المتقـدمـة كما ترى: صورة ما بين الرأس متصـل بأول اللسـان». (٨٨) وأورد رسمـاً تخطيطيـاً مبسطاً يمثل الحلق واللسـان والشفتين، وكتب على أجـزائـه: صورة الحلق وحـروفـه، هذا أول اللسان وحروفه، الحنـك الأعلى، والحنـك الأسفـل، الشفـة العليا، الشفة السفلى، مقدم الرأس، العثنون، وهو الذقن، وقد وزع ابن وثيق الحروف العربية على أجزاء هذه الصورة.

وكان السكاكي (يوسف بن أبي بكر ت ٦٢٦هـ) وهو من علماء العربية، ومعاصر تقـريبـا لابن وثيق، قـد أورد صورة لمخارج الحروف في كتابه (مفتاح العلوم). (٨٩) وهو الوحيد من بين علماء العربية الذي استعان بالرسم التوضيحي.

---

(٨٧) جهد المقل ٤و.

(٨٨) ابن وثيق: كتاب في تجويد القراءة ٧٨ظ.

(٨٩) مفتاح العلوم ص ٦.

وهناك نماذج أخرى من الرسوم التوضيحية في بعض الرسائل المتأخرة في علم التجويد.[٩٠] لعل أكثرها تدقيقا الرسم الوارد في كتاب اسمه (أرجوزة البيان في حكم تجويد القرآن) لمحمد حسين الاضفهاني،[٩١] وهو متأخر ينقل عن خالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ).[٩٢] فقد جاء في آخر الكتاب، وهو نثر وليس نظماً كما يفهم من العنوان، صورة لمخارج الحروف،[٩٣] وهي على شكل مقطعين الأول يمثل اللسان وما يتصل به من الشفتين والاسنان، والثاني يمثل الحلق. وقد كتبت على هذا الرسم كل أعضاء النطق، مع الحروف التي تتكون عندها.

وجاءت في هذا الرسم كلمتان لم تردا في كتب علم التجويد الأخرى التي اطلعت عليها، وهما (الطنطنة أو الطلطلة) حيث كُتِبَتا في الجزء الواقع بعد أقصى اللسان، وكأنهما تشيران الى عضو معين. وحين رجعت الى لسان العرب لابن منظور لأتتبع ما قاله عن الكلمتين، وجدت أن أقرب الألفاظ دلالة على الموضع الذي كتبتا فيه هي كلمة (الطُّلاَطِلَة) التي قال عنها: «لحمة في الحلق، قال الاصمعي: الطُّلاطلة: اللحمة السائلة على طرف المسترط».[٩٤]

ان كلام علماء التجويد في وصف أعضاء آلة النطق صحيح وتام بالنسبة لأكثر الأعضاء، وكانت (الحنجرة) هي العضو الوحيد الذي لم يتمكن علماء التجويد من

---

(٩٠) منها الرسائل المرقمة في مكتبة المتحف ببغداد ٢٣٣٤٨-٢٠١٦٥-١٠٨٤٥-١٦٥٧٩-١٨٧٢١، والثلاثة الاخيرة بالفارسية. وفي مكتبة الاوقاف بالموصل مجموع رقمه (٢/٢٢ مدرسة الحجيات) يضم ورقة فيها رسم توضيحي رقمها (١٢٣و) من المجموع.

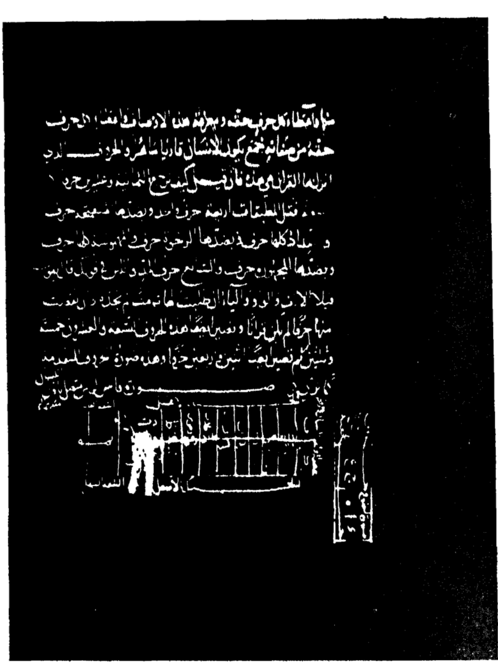
(٩١) توجد في مكتبة المتحف ببغداد نسختان من الكتاب أرقامهما (١٠١٩و١٠٨٣٤) لم يكتب عليهما اسم المؤلف. وفي دار الكتب المصرية نسخة من الكتاب تحت رقم (٢١٣٢٦ ب) جاء فيها ان مؤلفها هو محمد حسين الاصفهاني، وهو مجهول لنا.

(٩٢) أرجوزة البيان ص ٤١.

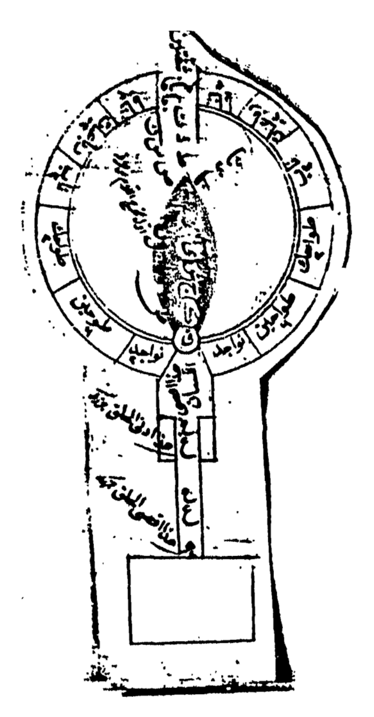
(٩٣) المصدر نفسه ص ٦٦.

(٩٤) لسان العرب ١٣/٤٣٣ مادة (طلل). وقد ذكر جان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية ص ١٨) أن الطلاطلة هي اللهاة.

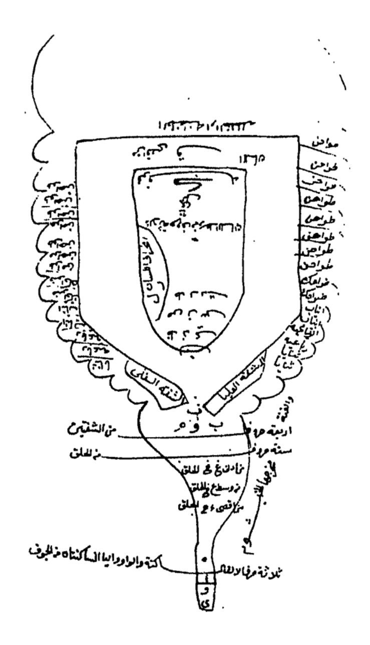
وصفه وصفاً كاملاً، لأنها لا تقع تحت النظر، مع أنهم عرفوها وأدركوا تأثيرها في إنتاج الأصوات. ولم تكن معرفتهم بتلك الأعضاء نظرية، بل كانت مقترنة بادراك تام لعملية إنتاج الأصوات وتمايزها. على نحو ما سنذكر في المبحث الآتي والمباحث التي تليه، ان شاء الله تعالى.



صورة آلـة النطق عليهـا مخـارج الحـروف من كتـاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف لابن وثيق الاندلسي المتوفى سنة ٦٥٤هـ. وقد كتبت مخطوطة الكتاب سنة ٦٩٤هـ. وهي محفوظة بمكتبة أيا صوفيا بتركيا رقم (٧/٣٩).



صورة آلـة النطق عليهـا مخـارج الحـرنب. جاءت في ورقة مفردة في آخر كتاب الطـرازات المعلمـة في شرح المقـدمـة لعبـد الدائم بن علي الازهري المتوفى سنة ٨٧٠هـ. وهو مخطوط بمكتبة المتحف ببغداد رقم ٢٠١٦٥.



صورة آلة النطق عليها مخارج الحروف وردت في كتاب أرجوزة البيان في حكم تجـويـد القرآن لمحمد حسين الاصفهاني ، الذي تحتفظ بمخطوطته مكتبة المتحف ببغداد رقم ١٠١٩ .

المبحث الثاني
إنتاج الأصوات اللغوية

أدرك علماء التجويد أن الهواء هو المادة لانتاج الأصوات اللغوية، فقالوا: «والصوت هو الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الدافعة فيتموج، فيصدم الهواء الساكن، فيحدث الصوت من قرع الهواء بالهواء المندفع من الرئة». (١)

وقد نص محمد المرعشي على أن هواء الزفير المندفع من الرئتين هو الذي تتشكل منه الأصوات اللغوية في الأكثر، وذلك حيث قال: «ثم ان الغالب تلفظ الكلم مع إخراج النَّفَس. وأما تلفظها مع إدخاله فيعسر ويقبح به الصوت عند الجهر، فلاشك في كراهته، بخلاف ذلك عند الاخفاء. ولم أجد تصريحاً في هذا الباب». (٢)

ويبدو أن المرعشي هو أول من ذكر هذه القضية، كما صرح هو بذلك، وقد نص عليها علماء الأصوات المحدثون، فقد قال الدكتور أحمد مختار عمر: «ولا نعلم لغة تعتمد على هواء الشهيق في إنتاج الصوت، وان أمكن أن تنتج أصوات خلال عملية الشهيق أيضا، ولكن هذا إن حدث يكون استثناء فقط، ومثل هذه الأصوات تسمع من الاطفال، ونحن نستعملها في حالة النشيج أو الانتحاب». (٣)

---

١ ـ القسطلاني: لطائف الاشارات ١/١٨٣ وقال أحمد بن الجزري (الحواشي المفهمة ١٣ظ): «مادة الصوت الهواء الخارج من داخل (الانسان)». وانظر: علي القارى: المنح الفكرية ص ١٠.

(٢) جهد المقل ١١و.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ص ٩١-٩٢

وهـذه القضيـة قد تبـدو من الأمـور البـديهية ولكن تقريرها مع ذلك ينم عن ادراك صحيـح لعمليـة إنتـاج الأصـوات اللغـويـة ، وينبغي أن ينسب تقـريـرها الى محمد المـرعشي المتـوفى سنـة ١١٥٠هـ=١٧٣٧م ، مع ملاحظـة أن الدكتور أحمد مختار عمـر نقـل هذه القضيـة متـرجمـة عن مصدرين من مصادر الدراسة الصوتية المكتوبة باللغـة الانكليـزية .[٤] وهذا مثال ، وان كان في قضية صغيرة ، يوضح لنا ما يمكن أن تقدمه كتب علم التجويد في دراسة الأصوات .

ان معرفة دور الهواء المندفع من الرئة في إنتاج الصوت اللغوي لا يكفي وحده في تفسير تعدد الأصوات وتباينها ، فلابد أن تكون هناك عمليات معينة تحدث في بعض أعضاء آلة النطق ، تعترض الهواء فتكيفه بكيفيات خاصة ، تؤدي الى تمايز صوت عن آخـر . فمـا مدى ادراك علمـاء التجـويـد لتلك العلميات التي تحدث للهواء في أثناء مروره على آلة النطق فتجعله أصواتا متباينة؟

هنـاك عدد من النصـوص وضح فيها علماء التجويد العمليات النطقية التي تؤدي الى إنتـاج الأصـوات اللغـويـة ، وبعض هذه النصـوص منقـول عن علمـاء العـربيـة المتقـدمين وبعضهـا جديـد ، صاغـه بعض علماء التجويد لتوضيح تلك العمليات ، ولـدينـا أربعـة نصوص أساسية في هذا الموضوع ، ونصوص أخرى في مناقشة بعض الجـزئيـات . وسوف نعرض أولاً النصوص الأربعة ، ثم نحاول تحليلها مستفيدين من النصوص الاخرى .

---

(٤) همـا المـرجعـان ٦١و ٣٠ من قائمـة مراجعـه ، كما أشار الى ذلك في هامش (١) ص ٩٢ ، والاول هوكتـاب (علم الاصوات) لمالمبرك ، وهومطبوع في نيويورك سنة ١٩٦٣م ، والثاني (مقدمة في علم الاصوات) لمالمبرك نفسه مع عالم آخر ، وهو مطبوع في كمبرج سنة ١٩٧٠م .

النص الأول ـ قول المازني (أبي عثمان بكر بن محمد ت ٢٤٨هـ):

لم نطلع على هذا النص في كتاب للمازني، وانما أورده مكي بن أبي طالب في كتابه (الرعاية لتجويد القراءة) على هذا النحو: «فصل: قال المازني: ان الذي فصل بين الحروف التي أُلِّفَ منها الكلام سبعة أشياء: الجهر، والهمس، والشدة، والارخاء، والاطباق، والمد، واللين. قال: لأنك اذا جهرت، أوهمست، أو أطبقت، أوشددت، أومددت، أولينت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد، فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد. قال: ولوكانت المخارج واحدة والصفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد، وصفة واحدة لا تفهم».(٥)

النص الثاني ـ قول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ):

قال مكي في كتابه (الرعاية): «فالحروف تكون من مخرج واحد وتختلف صفاتها، فيختلف لذلك ما يقع في السمع من كل حرف، وهذا تقارب بين الحروف من جهة المخرج، وتباين من جهة الصفات. وتكون الحروف من مخرجين، وهي مختلفة الصفات فهذا غاية التباين، اذ قد اختلفت في المخارج والصفات. وتكون من مخرجين متفقة الصفات فهذا أيضاً تقارب بين الحروف من جهة الصفات، وتباين من جهة المخرج، فافهم هذا فعليه مدار الحروف كلها. ولا تجد أحرفاً من مخرج واحد متفقة الصفات البتة، لأن ذلك يوجب اتفاقها في السمع، فلا تفيد فائدة، فتصير كأصوات البهائم التي لا اختلاف في مخارجها ولا في صفاتها، فلابد أن تختلف الحروف إما في المخارج وإما في الصفات».(٦)

---

(٥) الرعاية ص ١١٧، وانظر: المرادي: المفيد ١٠٢و.

(٦) الرعاية ص ١٢٩-١٣٠.

النص الثالث ـ قول عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢هـ):

قال في كتابه (الموضح في التجويد): «الألفاظ بأسرها انما تتركب من حروف وحركات وسكون. وهذه الأشياء الثلاثة لكل منطوق به كالمادة، عنها يأتلف ومنها ينشأ.

فالحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النَّفَس ممتداً مستطيلاً فتمنعه عن اتصاله بغايته، فحيث ما عرض ذلك المقطع سُمِّيَ حرفاً، وسمي ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً.

ولذلك اختلف الصوت باختلاف المخارج واختلاف صفاتها، أعني به الجهر والهمس والشدة والرخاوة والانطباق والانفتاح وغير ذلك. وهذا الاختلاف هو خاصية حكمة الله تعالى المودعة في هذا الشخص، إذ بها يحصل التفاهم ولولا ذلك لكان الصوت واحداً بمنزلة أصوات البهائم التي هي من مخرج واحد، وعلى صفة واحدة، فلم يتميز الكلام ولا علم المراد، فبالاختلاف يُعْلَمُ، وبالاتفاق يُعْدَمُ». (٧)

وهذا القول في الواقع صياغة للقولين السابقين بالاضافة الى قول آخر لابن جني، فالمقطع الأول من هذا القول تلخيص لقول ابن جني في كتابه (سر صناعة الاعراب): «اعلم أن الصوت عَرَض يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، واذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك. ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فان انتقلت عنه راجعاً عنه أو متجاوزاً له ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدىً غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف فانك اذا قطعت بها سمعت هنا صدىً ما، فان رجعت الى القاف سمعت غيره، وإن جُزْتَ الى الجيم سمعت غير ذينك الأوَّلَيْنِ». (٨)

---

(٧) الموضح ١٥٠و.

(٨) سر صناعة الاعراب ١/٦.

النص الرابع ـ قول طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى بن خليل ت ٩٦٨هـ)

قال في كتابه (شرح المقدمة الجزرية) : «فائدة مهمة : اعلم أن الهواء الخارج من داخل الانسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نَفَساً، بفتح الفاء، واذا خرج بالارادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتاً.

واذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب آلات مخصوصة يسمى حروفاً، واذا عرض للحروف كيفيات أُخَرُ عارضة بسبب الآلات تسمى تلك الكيفيات صفات.

ثم ان النَّفَس الخارج الذي هو وظيفة[٩] حرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً، وان بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً.

وأيضا اذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تاماً فلا يجرى يسمى شدة،[١٠] كما في (الحج)، فانك لو وقفت على قولك (الحج) وجدت صوتك راكداً محصوراً، حتى لو رمت مد صوتك لم يمكنك.

وأما اذا جرى الصوت جرياً تاماً ولا ينحصر أصلاً يسمى رخوة كما في (الطش) فانك اذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جارياً تمده إن شئت.

وأما إذا لم يتم الانحصار ولا الجري يكون متوسطاً بين الشدة والرخاوة. كما في (الخل) فانك إذا وقفت عليه وجدت الصوت لا يجرى مثل جري (الطش)، ولا ينحصر مثل انحصار (الحج)، بل يخرج[١١] على اعتدال بينهما. والله أعلم». [١٢]

---

(٩) في المنح الفكرية لعلي القارى ص ١٤ (صفة).

(١٠) في المنح الفكرية ص ١٤ (شديدا).

(١١) في نسخ شرح المقدمة لطاش كبرى زاده الموجودة في مكتبة المتحف ببغداد (يجري).

(١٢) شرح المقدمة الجزرية ١١ظ ـ ١٢ظ. وقد راجعت في توثيق هذا النص خمس نسخ من شرح المقدمة لطاش كبرى زادة هي : نسخة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد رقم (٣/٦٢١) وهي المعتمدة في هذا البحث. ثم ثلاث نسخ في مكتبة

وقد نقل علي القارى (ت ١٠١٤هـ) في (المنح الفكرية على متن الجزرية) هذا النص دون أن ينسبه الى أحد.[١٣] ونقل محمد المرعشي مقاطع منه في كتابه (جهد المقل) عن علي القاري.[١٤]

ويبدو لي أن استخلاص عناصر مكونة لنظرية واضحة لانتاج الأصوات اللغوية عند علماء التجويد من النصوص السابقة يتوقف على مناقشة جملة أمور وردت في تلك النصوص، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

١ ـ النَّفَس، والصوت.

٢ ـ الحرف، والمقطع، والمخرج، والصفة.

٣ ـ الجهر، والهمس.

٤ ـ الشدة، والرخاوة، والتوسط.

وهذه الامور التي تضمنتها النقاط الأربع هي العناصر الأساسية لانتاج الصوت اللغوي، ولا نريد أن نذكر هنا كل ما يتعلق بها، فلا نريد أن نحصي مخارج الحروف العربية وصفاتها، فان لذلك مكاناً آخر، وانما نريد أن نبين هنا المقصود بالمخرج والصفة، دون الدخول في التفصيلات، كذلك بالنسبة للجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط، لا نريد هنا أكثر من توضيح وجهة نظر علماء التجويد في بيان مدلولاتها وعلاقة ذلك بانتاج الاصوات وتمايزها. على أننا سندرس نقطة خامسة تتعلق بتصور علماء التجويد للفرق بين المجهور والشديد والمهموس والرخو، وللعلاقة بينها.

المتحف ببغداد أرقامها: ٨٢٠٨-١٧٤٠٣-٢٩٨٠٦. ونسخة مكتبة الأوقاف العامة في الموصل المرقمة (١ عبد الله مخلص).

(١٣) المنح الفكرية ص ١٤.

(١٤) جهد المقل ٥ظ، ١١ظ.

١ ـ النَّفَس والصوت :

النَّفَس ـ بفتح الفاء ـ هو الهواء الخارج من داخل الانسان بدفع الطبع، والصوت : هو الهواء الخارج من داخل الانسان بقوة الارادة، ويعرض له في مجراه تموج بسبب تضييق مجراه أو غلقه كلياً ثم اطلاقه. هذا ما قرره طاش كبرى زاده في قوله السابق (النص الرابع).

وقد عرّف محمد المرعشي الصوت من جهة أُخرىٰ، فقد قال «اعلم أن النَّفَس الذي هو الهواء الخارج من داخل الانسان إن كان مسموعاً فهو صوت، والا فلا». (١٥) وقال في مكان آخر: «حقيقة الصوت هي النَّفَس المسموع». (١٦) وقال أيضا: «ان النفس ركن الصوت». (١٧) وهذا تصور لحقيقة الصوت لا مزيد عليه في الوضوح.

وتعريف طاش كبرى للصوت يعتمد على طبيعة مصدره ومنشئه، فهو عنده النفس الخارج بالارادة، لا بالطبع، والطبع هنا يقصد به عملية التنفس المشتملة على شهيق زفير ويقوم بها الانسان بفطرته لا بإرادته وان كان بامكانه التحكم فيها الى حد ما. وأما تعريف المرعشي فيعتمد على أثر الصوت السمعي، فان كان النفس مسموعاً فهو صوت، والا فلا. وهذا التعريف أوضح في تحديد طبيعة الصوت اللغوي، وهو الذي يقرره المحدثون من علماء الأصوات، قال الدكتور كمال محمد بشر: «الصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الاعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق». (١٨)

ونلاحظ في النص الثالث معنى للصوت لا يتفق تماماً مع ما سلف هنا من تعريف للصوت، فقول ابن جني: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً». وقول عبد الوهاب القرطبي، الذي هو في الواقع صياغة جديدة لقول ابن

---

(١٥) جهد المقل ٥ظ.

(١٦) جهد المقل ١٢ظ، وبيان جهد المقل (له) ١٦ظ.

(١٧) بيان جهد المقل ١٥و.

(١٨) الاصوات ص ٨١. وانظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦و١٣.

جني : «فالحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتداً مستطيلاً» ـ يشيران الى أن الصوت شيء آخر غير النفس : وهذا معنى يتردد في كثير من مصادر الدراسة الصوتية العربية القديمة ، حتى انا لنجد الاستراباذي يصرح بأن النفس هو مَرْكَب الصوت ، حيث قال : «لان النفس الخارج من الصدر ـ وهو مركب الصوت ـ يحتبس اذا آشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف» . [19]

ويبدو أن التمييز بين الصوت والنفس قديم ، يرجع الى ما قاله سيبويه في الكتاب عن المجهور والشديد من الأصوات ، فجعل النفس مرتبطاً بتعريف المجهور ، والصوت مرتبطاً بتعريف الشديد . [20] ولا نريد أن نتبع هذه القضية في هذا المكان ، لأننا سنناقش تعريف المجهور والشديد في مكان قريب ان شاء الله تعالى ، وسوف نتعرض لقضية الصوت والنفس من خلال محاولة توضيح الفرق بين المجهور والشديد عند علماء العربية وعلماء التجويد ، في النقطة الخامسة .

٢ ـ الحرف ، والمقطع ، والمخرج ، والصفة :

الحرف كما يقول علي القاري : «هو صوت معتمد على مقطع محقق ، وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة ، أو مقطع مقدر وهو هواء الفم ، اذ الألف لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث انه ينقطع في ذلك الجزء» . [21]

---

(١٩) شرح الشافية ٣/٢٥٩ .

(٢٠) انظر: سيبويه : الكتاب ٤/٤٣٤ .

(٢١) المنح الفكرية ص ٨ . وانظر القسطلاني : لطائف الاشارات ١/١٨٣ . ويلاحظ هنا أن مصطلح (الحرف) صارت له دلالة صوتية ، الى جانب استخدامه للتعبير عن الرمز المكتوب . وقد قال المستشرق الالماني أ. شاده : «ولكن هذا التقصير هو خلل في الاصطلاح أكثر من كونه خللا في الادراك» (انظر علم الاصوات عند سيبويه وعندنا . صحيفة الجامعة المصرية ١٩٣١ العدد الخامس ص ٦) .

والمقطـع: هو المخـرج، قال المرعشي: «ومراده من المقطع هو المخرج، لأن الصوت ينقطع في المخرج». [٢٢]

وهـذا التعـريف للحـرف والمقطع ينطبق على قول عبد الوهاب القرطبي (النص الثالث): «فالحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النَّفَس ممتداً مستطيلاً، فتمنعه عن اتصـالـه بغـايتـه، فحيثمـا عرض ذلـك المقطـع سُمِّيَ حرفـا، وسُمِّيَ ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً».

أما المخرج فقد قال الداني في تعريفه: «ومعنى المخرج انه الموضع الذي ينشأ منه الحرف». [٢٣] وقال أحمد بن الجزري: «وهو عبارة عن الحيز المولد للحرف». [٢٤] وقد جمع القسطلاني بين التعريفين بقوله: «المخارج جمع مخرج، اسم للموضع الذي ينشأ منه الحرف، وهو عبارة عن الحيز المولد له». [٢٥] لكن علي القاري قال: «والاظهر أنه موضع ظهوره وتمييزه عن غيره». [٢٦]

وهـذه التعـريفـات للمخرج لا تناقض بينها وهي متفقة في أن المخرج هو النقطة المعينـة من آلـة النطق التي ينشأ منهـا الحـرف أو يظهـر فيهـا ويتميـز، نتيجة لتضييق مجـرى الهـواء أو غلقـه ثم إطـلاقـه، وهي تعـريفـات تتطـابق مع وجهـة نظـر علماء الأصوات المحدثين، يقول برجستراسر: «والمَخرج أو المُخرج هو الموضع من الفم ونـواحيـه الذي يَخرج أو يُخرج منه الحرف». [٢٧] ويقول ماريوپاي: «وان التمييز بين أصـوات اللغـة سواء منهـا الأنفي أو الفمـوي يعتمـد على استمـرار الصـوت ودرجـة

---

(٢٢) جهد المقل ٥ظ.

(٢٣) التحديد ١٦و. وانظر: احمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٢و.

(٢٤) الحواشي المفهمة ١١ظ.

(٢٥) لطائف الاشارات ١٨٢/١.

(٢٦) المنـح الفكـريـة ص ٨. وكـان ابن يعيش قد عرّف الحـرف بأنه (صوت مقروع في مخرج معلوم) وعرف المخرج بانه (المقطع الذي ينتهي الصوت عنده) (شرح المفصل ١٢٤/١٠).

(٢٧) التطور النحوي ص ٥-٦.

بإسماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج. وكلمة المخرج تشير الى النقطة المحددة في الجهاز النطقي التي يتم عندها تعديل وضعه» .(٢٨)

وقد وضّح محمد المرعشي تعريف الحرف من أنه صوت معتمد على مقطع محقق أومقدر، وقال بأن المراد من المقطع هو المخرج لأن الصوت ينقطع في المخرج، ثم قال: «سبب انقطاع الصوت في المخرج المحقق انضغاط الصوت فيه، فلجميع الحروف مخرج محقق الا حروف المد، اذ لا تنضغط أصواتها في موضع انضغاطاً ينقطع به الصوت، بل يمتد بلين بلا تكلف الى أن تقطعه بإرادتك. . .» .(٢٩)

وكذلك وضّح معنى اعتماد الصوت على المخرج فقال: «ومعنى اعتماد الصوت على المخرج تضييق المخرج وضغط الصوت فيه، ومعنى قوة الاعتماد عليه شدة تضييقه، وقد يذكرون الاعتماد على الحرف ومرادهم الاعتماد على مخرجه، والحروف كلها ما عدا الألف المدية متشاركة في أصل الاعتماد على المخرج ومتفاوتة في قوة الاعتماد، فالحروف الشديدة أقوى اعتماداً من الحروف الرخوة، وكلما كان الاعتماد أقوى كان صوت الحرف أقوى. . .» .(٣٠)

وعلماء التجويد يتبعون في تعيين مخرج الحرف طريقة النحاة في ذوق الحروف، وذلك أن يسكن الحرف وتدخل همزة الوصل عليه، ليتوصل الى النطق به، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه .(٣١)

وقد اضاف علي القاري بعض العناصر الى تلك الطريقة، وان لم تتبدل من حيث الجوهر، وذلك حيث قال: «واذا أردت أن تعرف مخرج حرف صريحاً بعد تلفظك به

---

(٢٨) أسس علم اللغة ص ٧٨.

(٢٩) جهد المقل ٥ظ ـ ٦و.

(٣٠) جهد المقل ٦ظ.

(٣١) انظر: الخليل: العين ١/٤٧، والازهري: التهذيب ١/٤١، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٧. وانظر: الداني: التحديد ١٦و، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٠و.

صحيحاً، فَسَكِّنْهُ، أو شَدِّدْهُ، وهو الأظهر، وأدخل عليه همزة الوصل بأي حركة، وأصغ اليه السمع فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المقدر، فتدبر». (٣٢)

وقد وضح محمد المرعشي بعض عبارات علي القارى، وصحح بعضاً، فقال: «قوله: (فسكنه أو شدده وهو، أي التشديد، الأظهر) هذا يدل على أن ضغط المخرج في السكون أقوى منه في الحركة، وفي التشديد أقوى منه في السكون. وانما اختير السكون أو التشديد في معرفة المخرج لأن المخرج موضع الانضغاط فما لم يكن الانضغاط قوياً لا يظهر محله».

ثم قال: «قوله: (وأصغ اليه السمع) الظاهر أن يقال بدله: وارجع الى وجدانك فتأمل وتَحَرَّ موضع انقطاع الصوت فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وذلك لأن معرفة المخرج بالسمع عسير». (٣٣)

أما الصفة فقد عرّفها طاش كبرى زاده بقوله: «وصفة الحروف كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض». (٣٤) وهذا التعريف للصفة ينسجم مع تصور طاش كبرى لعملية انتاج الأصوات التي أوردناها في النص الرابع، وهو ينسجم مع وجهة الدرس الصوتي الحديث أيضا، فالصوت ينتج عن عملية مركبة في الغالب من تدخل بعض أعضاء آلة النطق في تيار النَّفَس في نقطة معينة هي التي تسمى (المخرج)، وهذه هي العملية الأساسية في انتاج الصوت، وهناك عمليات أخرى مصاحبة تحدث في بعض أعضاء النطق كعملية اهتزاز الوترين الصوتيين التي تسمى الجهر. (٣٥) فهذه العمليات المصاحبة لما يحصل للصوت في المخرج هي التي تسمى بالصفات.

---

(٣٢) علي القاري: المنح الفكرية ص ٨.

(٣٣) جهد المقل ٥ظ.

(٣٤) شرح المقدمة الجزرية ١١و.

(٣٥) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٢-١٠٧.

فصفات الحروف اذن هي كيفيات مصاحبة لتكون الحروف في المخرج، سواء كانت تبين كيفية مرور الهواء في نقطة المخرج أم توضح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءاً مهماً في تكون الصوت وتميزه عن غيره. «ولم يريدوا بالصفة معنى النعت كما أراد النحويون، مثل اسم الفاعل وآسم المفعول، اوما يرجع اليهما من طريق المعنى نحو مثل وشبه». (٣٦)

٣ ـ الجهر والهمس:

ظاهرة الجهر من الظواهر الصوتية التي لها شأن كبير في تمييز الأصوات اللغوية، وتقابلها ظاهرة الهمس. وقد حظيت هاتان الظاهرتان بعناية علماء العربية وعلماء التجويد، في القديم، كما حظيت بعناية علماء الأصوات المحدثين. وكان لرأي سيبويه في تفسير هاتين الظاهرتين سلطان قاهر على أجيال العلماء، كما كان لآرائه الصوتية الاخرى تأثير مستمر واحترام كبير. ولم تنل الدراسات الصوتية الحديثة من تلك المكانة التي يحتلها سيبويه في مجال الدرس الصوتي العربي الا في جوانب محدودة، لعل من أوضحها تعريف المجهور من الأصوات والمهموس.

ولكي تتضح وجهة علماء التجويد في فهم ظاهرتي الجهر والهمس نحتاج الى بيان رأي سيبويه في ذلك، لأنه ظل الأساس الذي تستند اليه جهودهم في هذا الموضوع الدقيق الذي كان خارج ميدان الملاحظة الذاتية المباشرة. ولكني أجد من المفيد ذكر تفسير المحدثين لظاهرتي الجهر والهمس، ذلك التفسير الذي غدا حقيقة ثابتة لا تحتمل التبديل، وذلك لكي تكون مناقشتنا للموضوع تستند الى مقياس ثابت أكيد.

إن من الانجازات المهمة لعلم الأصوات الحديث ادراك دور الحنجرة في عملية التصويت، وذلك بعد اطلاع علماء الأصوات على تشريح الحنجرة، وتقدم وسائل دراسة الأصوات، والحنجرة تُكَوِّنُ الجزء الأعلىٰ من القصبة الهوائية، وهي أشبه

---

(٣٦) طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ١٠ظ ـ ١١و.

بصنـــدوق غضـروفي ، أوبحجـرة صَغيـرة ذات اتسـاع معين ، ومكـونـة من عدد من الغضاريف . وفي الحنجرة يمتد الوتران الصوتيان ، وهما في الواقع ليسا وترين ، وانما عبـارة عن شفتين أوشريطين من العضـلات يتصل بهما نسيج ، وهما يقعان متقابلين على قمـة القصبـة الهـوائية ، ويمتدان بالحنجرة نفسها أفقياً من الخلف الى الامام ، حيث يلتقيـان عنـد البروز الناتئ في منتصف الرقبة من أمام ، ويسمى الفراغ الكائن بين الوترين بالمزمار ، وتقوم (الغلصمة) التي قد تسمى بلسان المزمار ، والكائنة فوق الحنجـرة ، بحمـاية طريق التنفس أثناء عملية البلع من دخول الطعام الى القصبة ثم الى الرئتين . (٣٧)

ان فتحـة المـزمـار الكـائنـة بين الوترين الصوتيين يمكن أن تتسع وذلك بتجافي الـوتـرين عن بعضهمـا ، ويمكن أن تضيق الى حد كبيـر وذلـك بتضـام الـوترين نحو بعضهمـا ، ويمكن أن تزول وذلـك بانطبـاق الـوتـرين الصوتيين . وهذه هي الأوضاع المؤثرة في إنتاج الأصوات اللغوية التي يتخذها الوتران الصوتيان ، فالصوت يختلف تبعاً لاختلاف تلك الأوضاع على النحو الآتي : (٣٨)

(١) قد يتجافى الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر في أثناء مرور الهواء بهما من الـرئتين ، بحيث يسمحـان له بالخـروج دون أن يقـابله اعتـراض في طريقـه ، ويظل الوتران صامتين . فيحدث في هذه الحالة ما يسمى بالهمس ، والصوت اللغوي الذي ينطق عندما يتخذ الوتران هذا الوضع يسمى مهموساً . فالصوت المهمـوس إذن هو الصـوت الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به . والـوضـع الـذي يتخـذه الوتران الصوتيان في حالة الصوت المهموس هو نفس الوضع الذي يتخذانه في حالة التنفس العادي .

---

(٣٧) انظـر : ابـراهيم أنيس : الاصـوات اللغـويـة ص ١٧ . ومحمـود السعـران : علم اللغة ص ١٤٤ـ١٤٥ . وكمـال محمـد بشر : الاصوات ٨٤ـ٨٥ . واحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص ٨٠ـ٨٢ .

(٣٨) انظر : محمود السعران : علم اللغة ص ١٤٥ـ١٤٧ . وكمال محمد بشر : الاصـوات ص ١٠٩ـ١١٠ ، وأحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٦ـ١٠٨ .

(٢) قد يتضام (أويقترب) الوتران الصوتيان أحدهما نحو الآخر بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما آن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة، فتحدث من ذلك التتابع لعملية الفتح والغلق السريعة والمستمرة، بسبب ضغط التيار الهوائي الصاعد من الرئتين، ذبذبات أو اهتزازات منتظمة، تُكَوِّنُ نغمة صوتية تسمى بالجهر، ويسمى الصوت الذي تصحبه هذه النغمة مجهوراً. فالصوت المجهور اذن هو الصوت الذي يتذبذب (٣٩) الوتران الصوتيان حال النطق به.

(٣) قد ينطبق الوتران انطباقا تاما، فلا يسمحان للهواء بالمرور الى الفراغ الحلقي مدة انطباقهما، وعندما ينفرج الوتران، بعد انطباقهما مدة، يسمع صوت انفجاري (شديد) نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مضغوطاً فيما دون الوترين الصوتيين، وهذا الصوت هو ما نسميه في العربية بالهمزة.

أما تعريف سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ) للمجهور والمهموس فهو قوله: «فالمجهور حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضيَ الاعتماد عليه ويجريَ الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة. والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما.

وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه. وأنت تعرف ذلك اذا اعتبرت فردّدت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. فاذا أردت اجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد. أو بما فيها منها، وان شئت أخفيت». (٤٠)

---

(٣٩) استخدم الدكتور ابراهيم أنيس كلمة (تهتز الأوتار) في حالة الصوت المجهور، و(لا تهتز الاوتار) في حالة الصوت المهموس. (انظر الاصوات اللغوية ص ٢٠) واستخدم الاستاذ صالح القرمادي في ترجمته لكتاب (دورس في علم أصوات العربية) لجان كانتينو (ص ٢٥): (تنز الاوتار) في حالة الصوت المجهور. و(لا نزيز للاوتار) في حالة الصوت المهموس.

(٤٠) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

وكان سيبويه أول من قدّم هذا التعريف للمجهور والمهموس من علماء العربية. (٤١) وظل له تأثير كبير في موقف الذين درسوا الموضوع من بعده سواء أكانوا من علماء العربية أم علماء التجويد، ولم يتمكنوا من الخروج عليه، أو الزيادة فيه الا في جوانب ضيقة لم تصل الى حد تقديم تعريف آخر لهما يحل محل تعريف سيبويه. (٤٢) وسوف نجعل من تلك الاضافات التي قدمها علماء التجويد خاصة مداراً للمناقشة لنتلمس مقدار اقتراب علماء التجويد نحو الوضوح في تعريف الصوت المجهور والصوت المهموس، وادراكهم لجوهر هذه الظاهرة الصوتية. ولكن

---

(٤١) من النصوص النادرة أن الزجاج نسب هذا التعريف الى الخليل بن أحمد، فقال في كتابه (معاني القرآن واعرابه ١/٤١٩): «... وهذا يحتاج صاحبه الى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة: وهي فيما زعم الخليل ضربان: فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه، ومنع النفس أنْ يجري معه، والمهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه وجرى معه النفس». ونحن أمام هذا النص بين احتمالين:

الاول: أن أصل التعريف، أو التقسيم الى مجهورة ومهموسة على الأقل، هو للخليل، وأخذه سيبويه عنه.

والثاني: ان الزجاج وهم في النسبة وأنه أراد أن يقول: فيما زعم سيبويه، فقال فيما زعم الخليل، لاسيما اننا لا نجد للمجهور والمهموس في كتاب العين أي أثر. ولكني وجدت الدكتور ابراهيم أنيس ينقل من شرح السيرافي على كتاب سيبويه نصاً منقولاً عن أبي الحسن الأخفش، يتعلق بالمجهور والمهموس، ويرد فيه ذكر الخليل، وهو: قال الاخفش: «سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور، فقال المهموس اذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك، واما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى، فقال: ألا ترى كيف يمكن. وكرر الطاء (؟) والدال وهما من مخرج التاء فلم يمكن. وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل». (انظر: الاصوات اللغوية ص ١٢١). وقول الاخفش (واحسبه ذكر ذلك عن الخليل) يُقَوِّي الاحتمال الأول. (وانظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٤٦١).

(٤٢) انظر مثلا: من علماء العربية: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٦٩. وابن عصفور: المقرب ٢/٦، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٩. ومن علماء التجويد: مكي: الرعاية ص ٩٣، والداني: التحديد ١٧ظ، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦و.

أجد من الضروري الوقوف عند تعريف سيبويه والبحث في جوانبه قبل أن نخطو تلك الخطوة.

توقف بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين أمام تعريف سيبويه للصوت المجهور محاولين تفسيره بموجب الفهم المعاصر لظاهرة الجهر، وهم لا يخفون حيرتهم في بعض جوانبه، ولكنهم يقررون أن سيبويه حين قسم الأصوات الى مجهورة ومهموسة كان يريد بالمجهور الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، ويريد بالصوت المهموس الصوت الذي لا يهتز معه الوتران، على الرغم من اعترافهم بأن سيبويه لم يعرف الوترين الصوتيين، ولكنه أدرك أثرهما، وعلى الرغم من أنه عد كلاً من الطاء والقاف والهمزة أصواتاً مجهورة، وهي ليست كذلك في نطقنا المعاصر، ولا يهمنا كثيرا الدخول في تفصيل تلك المحاولات. (٤٣) ولكن عنصراً جديداً في تعريف الصوت المجهور لم يرد في تعريف سيبويه السابق، ولكنه نُقِلَ عنه في أماكن أخرى، جدير بالوقوف عنده، لأنه يدل على إدراك سيبويه لدور الوترين الصوتيين في إحداث الجهر، ويوضح أيضا تعريفه السابق للصوت المجهور والمهموس، ذلك العنصر هو ما سماه سيبويه بصوت الصدر وصوت الفم.

وقد نقل الدكتور ابراهيم أنيس النص الذي تضمن تلك الفكرة من شرح السيرافي على كتاب سيبويه في كتابه (الأصوات اللغوية). وأعاد هنري فليش نشر القسم الثاني من النص الذي يبدأ (بقال سيبويه) في كتابه (العربية الفصحى). وقد جاء في النص أن السيرافي (الحسن بن عبد الله ت ٣٦٨هـ) ذكر أن أبا الحسن الأخفش (سعيد بن مسعدة ت ٢١٥هـ على خلاف) قال: «سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال: المهموس اذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك.

---

(٤٣) انظر: أ. شاده: علم الاصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٠-١٤. وابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٢٠-١٢٦. وتمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ص ٦٠-٦٢. وعبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص ٢٣٠-٢٣٧

وأمـا المجهـور فلا يمكنـك ذلك فيه، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى، فقال: ألا ترى كيف يمكن، وكـرر الظـاء (؟) والـدال، وهمـا من مخـرج التـاء، فلم يمكن. وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل.

قال سيبويه: وانما فرّق بين المجهور والمهموس انك لا تصل الى تبيين المجهور الا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصـدر ويجـرى في الحلق، غيـر أن الميم والنـون تخـرج أصـواتهـا من الصدر ويجـري في الحلق[٤٤] والخيشـوم (فيصيـر ما جرى في الخيشـوم)[٤٥] غنة تخالط ما جرى في الحلق. والـدليـل على ذلـك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أخل بهما.

وأمـا المهـمـوسـة فتخـرج أصواتها من مخارجها، وذلك مما يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة، فأخرج الصوت من الفم ضعيفاً. والدليل على ذلك أنك اذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل الى ذلك في المجهور. فاذا قلت: شخص، فان الذي أزجى هذه الحروف صوت الفم، ولكنك تتبع صوت الصـدر هذه الحـروف بعد ما يزجيها صوت الفم ليبلغ ويفهم بالصوت.[٤٦] فالصوت الـذي من الصـدر ها هنـا نظير ذلك الصوت الذي ترفعه بعد ما يزجي صوت الصدر، ألا ترى إنـك تقـول: قام فان شئت أخفيت، وان شئت رفعت صوتـك، فاذا رفعت صوتك فقد أحدثت صوتاً آخر».[٤٧]

وهـذا النص يتضمن وسيلة جديـدة، الى جانب صوت الصـدر، لتمييز المجهور من المهمـوس وذلـك عن طريق إخفـاء الصـوت مع المحـافظـة على الهمس فيظـل

(٤٤) في الأصـل المخطـوط (ويجـري في الصـدر) وكـذلـك نقلها الدكتور ابراهيم أنيس، وقد صححها هنري فليش الى (الحلق)، وهو ما يناسب السياق.

(٤٥) ما بين القوسين ساقط من كتاب (الاصوات اللغوية) لابراهيم أنيس.

(٤٦) الى هنا ينتهي ما نقله الدكتور ابراهيم أنيس.

(٤٧) السيـرافي: شرح الكتـاب ٦/٤٦١-٤٦٣. وانظـر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٢١-١٢٢، وهنري فليش: العربية الفصحى ص ١٩٩-٢٠٠.

الصوت المهموس محافظاً على جرسه حين الاخفاء كما هو حين رفع الصوت، أما إخفاء الصوت مع المجهورات فغير ممكن لأنه يترتب عليه زوال صفة الجهر واختلال جرس الصوت، لأن ذلك يفضي به الى نطيره المهموس. ولعل هذا هو مراد سيبويه من قوله في التعريف الذي نقلناه آنفا: «وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك اذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه»

أما (صوت الصدر) الوارد في النص، وهو ما جعله سيبويه جوهر الأصوات المجهورة ويقابله ما سماه (صوت الفم) الذي تتكون منه الاصوات المهموسة فلعل المقصود به هو تلك النغمة الصوتية الناتجة عن اهتزاز وذبذبة الوترين الصوتيين حال النطق بالأصوات المجهورة، فأدرك سيبويه أثرها الصوتي ولم يدرك مصدرها، فنسبها الى الصدر لأن صداها يتردد هناك، وهو ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم أنيس في تفسير (صوت الصدر) حيث قال: «ولعل هذا الصوت هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة، وهذا الصدى نحس به ولا شك في الصدر، كما نحس به حين نسد الأذنين بالأصابع، أو حين نضع الكف على الجبهة. فهو الرنين الذي نشعر به مع المجهورات، وسببه تلك الذبذبات التي في الحنجرة». (٤٨)

وهذا يعني أن للأصوات المجهورة مصدرين للتصويت، الأول صوت الحنجرة الناتج عن ذبذبة الوترين، والثاني مخرج الصوت حيث يضيق مجرى النفس أو ينغلق. أما الصوت المهموس فليس له الا مصدر واحد للتصويت، وهو مخرج الصوت فقط. وهو ما سماه سيبويه بصوت الفم، أي الصوت الحاصل في مخرج الحرف دون أن يصاحبه صوت آخر منبعث من الصدر، أي الحنجرة.

ولدينا نصوص أخرى تؤيد رواية أبي الحسن الاخفش عن سيبويه حول صوت الصدر وصوت الفم، التي نقلها السيرافي، وأول تلك النصوص ما ورد في الكتاب لسيبويه نفسه، حيث قال في (باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك

---

(٤٨) الاصوات اللغوية ص ١٢٣.

لكراهيتهم التقاء الساكنين) : «واعلم أن من الحروف حروفاً مُشْرَبَةً ضُغِطَتْ من مواضعها ، فاذا وقفت خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونبا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة . . . ومن المشربة حروف اذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ، ولم تضغط ضغط الاولى ، وهي الزاي والظاء والذال والضاد ، لان هذه الحروف اذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره ، وقد فتر ، من بين الثنايا لأنه يجد منفذاً ، فتسمع نحو النفخة . . . أما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر ، وانما تنسل معه . . . واعلم أن هذه الحروف التي يسمع معها الصوت والنفخة في الوقف ، لا يكونان فيهن في الوصل اذا سكّن ، لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك ، ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتاً . وكذلك المهموس ، لانك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدئ صوتاً» . (٤٩)

وقد ورد في هذا النص مصطلح (صوت الصدر) ، و(صوت الفم) ، وهما مستعملان في المعنى نفسه الذي استعملا فيه في رواية السيرافي ، الا أن ها هنا مصطلحا ثالثا هو (الحروف المشربة) ، وقد ورد في سياق يقابل (الحروف المهموسة) ، وهو امر يجعلني أرجح ان مراد سيبويه من قوله : (الحروف المشربة) هو الحروف المجهورة ، ولأمر ما لم يستخدم سيبويه كلمة (المجهورة) في هذا المكان من الكتاب ، وهو متقدم كثيراً على باب الادغام الذي درس فيه الأصوات العربية ، واستخدم هناك مصطلح (المجهور والمجهورة) ، ويكون بذلك معنى (المشربة) هو الحروف التي أشربت صوت الصدر ، أي تخرج مع صوت الصدر ، أخذا من قول سيبويه في ذات المكان عن الحروف المنهموسة (يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر)

ونقل بعض علماء العربية والتجويد فكرة (صوت الصدر وصوت الفم) المميزة بين المجهور والمهموس عند سيبويه ، ولكن دون نسبتها اليه ، من ذلك ما قاله مؤلف تفسير (المباني لنظم المعاني) وهو أبو محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بنسطام

---

(٤٩) الكتاب ٤/١٧٤-١٧٥ .

(كان حيا سنة ٤٢٥هـ)[٥٠]: «والحروف المهموسة عشرة. . . سميت مهموسة لان الاعتماد يضعف في موضعها فيجري النفس قبل انقضاء الاعتماد، ويخرج الصوت مهموساً، أي خفياً. والحروف كلها سوى هذه العشرة مجهورة، وانما سميت مجهورة لان الاعتماد يسمع في موضع الحرف منها، فلا يجري النفس حتى ينقضي الاعتماد، ويخرج صوت الصدر مجهوراً».[٥١] وكذلك نقل عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) في كتابه (الموضح في التجويد) نص كلام سيبويه في الكتاب حول الحروف المشربة، لكن دون أن ينسبه اليه.[٥٢]

وقد لخص الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) الفكرة في كتابه شرح شافية ابن الحاجب على هذا النحو: «قيل: والمجهورة تخرج أصواتها من الصدر، والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها في الفم».[٥٣]

تلك هي فكرة سيبويه عن الصوت المجهور والصوت المهموس. وقد رددها من بعده علماء العربية وعلماء التجويد، ويمكن القول بأن سيبويه تمكن من تصنيف الأصوات الى مجهورة ومهموسة استناداً الى إدراكه للفرق بين طبيعة القسمين الناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين، التي سماها سيبويه صوت الصدر، اثناء نطق الاصوات المجهورة، وعدم اهتزازهما في أثناء نطق الأصوات المهموسة، وكان هذا التقسيم في جملته صحيحاً.

ولم يكتف علماء التجويد بترديد أفكار سيبويه في المجهور والمهموس، بل نجد بعض الأضافات الصحيحة، كما نجد بعض المحاولات لتقديم تعريف أوضح من تعريف سيبويه.

---

(٥٠) كان مؤلف هذا التفسير مجهولاً، وقد كتبت بحثا رجحت فيه ان يكون المذكور هو المؤلف (انظر: مجلة الرسالة الاسلامية، بغداد، العددان ١٦٤-١٦٥ ص ٢٤٣-٢٥٥).

(٥١) أنظر مقدمة كتاب المباني، ضمن: مقدمتان في علوم القرآن ص ١٤٨.

(٥٢) الموضح ١٥٧ظ.

(٥٣) شرح الشافية ٢٥٨/٣-٢٥٩.

وتتركز ملاحظات علماء التجويد حول المجهور والمهموس على الأثر السمعي لا على توضيح مصدر الجهر، فهم يقررون أن المجهور أوضح في السمع من المهموس، وهذا ما يفهم من وصف مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) للصوت المجهور بأنه أقوى من المهموس وان المهموس أضعف من المجهور، ثم هو يقول: «وانما لقب هذا المعنى بالجهر لأن الجهر: الصوت الشديد القوي، فلما كانت في خروجها كذلك لقبت به، لأن الصوت يجهر بها لقوتها». (٥٤)

وركز الداني (ت ٤٤٤هـ) في توضيح المجهور والمهموس على المعنى اللغوي للكلمتين، فقال في كتاب (التحديد): «الهمس الاخفاء، والجهر الاعلان». (٥٥) وقال في كتاب (الادغام الكبير): «الهمس اخفاء الصوت، والجهر الاعلان». (٥٦) وذكر ذلك أيضا عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) فقال: «ان المهموس ما خفي، والمجهور ما أعلن». (٥٧) وقد صرح ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) بأن الهمس هو (الصوت الخفي) والجهر هو (الصوت العالي)(٥٨). وهذه النصوص كلها تشير الى معنى واحد هو أن المجهور أوضح في السمع من المهموس، واذا لم يكن ذلك معناها فبأي شيء يمكن أن تفسر هذه الكلمات: القوة ـ الاعلان ـ العلو؟

وكان ابن كيسان (محمد بن أحمد ت ٢٩٩هـ على خلاف) قد صرح بهذه الحقيقة، حيث قال: «ومعنى المهموس منها أنه حرف لان مخرجه دون المجهور وجرى معه النفس، وكان دون المجهور في رفع الصوت»، (٥٩) وابن كيسان نحوي ومقرئ. (٦٠) وكان الداني قد أشار اليه في كتاب (التحديد في الاتقان والتجويد)

---

(٥٤) الرعاية ص ٩٢.
(٥٥) التحديد ١٧ظ.
(٥٦) الادغام الكبير ٩ظ.
(٥٧) الموضح ١٥٦و.
(٥٨) الايضاح في شرح المفصل ٢/ ٤٩٠.
(٥٩) ابن منظور: لسان العرب ١/ ٧.
(٦٠) انظر: ابن النديم: الفهرست ص ٨٩

مرتين.[٦١] وذهب الاستراباذي هذا المذهب حيث صرح بأن «الجهر رفع الصوت بالحرف»[٦٢]

ونقــل أحمــد بن أبي عمـر (ت في حدود ٥٠٠هـ) مؤلف كتـاب (الايضـاح في القراءات) عن علي بن عيسى (لعله الرماني ت ٣٨٤هـ او الربعي ت ٤٢٠ هـ)،[٦٣] أن المجهـور يتميـز (بشـدة الـوقع) لقوة الاعتماد فيه.[٦٤] ونقل عنه توضيحا لمعنى قوة الاعتماد وذلك حيث قال: «وقال علي بن عيسى:

معنى مجهور: حرف قَوِيَ الاعتماد في موضعه، فَقَوِيَ الصوت لقوة الاعتماد.

ومعنى مهموس: حرف ضعف الاعتماد في موضعه فضعف الصوت لضعف الاعتماد.

وأنت اذا اعتبـرت ذلـك وجدته: تقول: أصْ، فترى الاعتماد للصاد ضعيفاً، ثم تقـول: أزْ، فتـرى الاعتمـاد للزاي قوياً، والصوت بالزاي أقوى من الصوت بالصاد، وهما من مخرج واحد.

وكـذلـك تقـول: أثْ، فتعتمـد للثاء اعتماداً ضعيفاً، وتقول: أذْ، فتعتمد للذال اعتماداً قوياً، والصوت بالذال أقوى من الصوت بالثاء، وهما من مخرج واحد».[٦٥]

وقـد أشـارالمحـدثـون من علمـاء الأصوات الى هذه الخاصية للصوت المجهور وللصـوت المهمـوس، وأن الاصـوات المجهـورة أشد بروزاً ووضوحاً في السمع من الاصوات المهموسة.[٦٦]

وكـان طاش كبـرى زاده (ت ٩٦٨هـ) قد حاول صيـاغـة تعريف جديد للمجهور

---

(٦١) التحديد ١٧و، ٢١ظ.

(٦٢) شرح الشافية ٣/ ٢٦٠.

(٦٣) انظر: كحالة: معجم المؤلفين ١٦٢/٧ و١٦٣.

(٦٤) الايضاح ٧٣ظ.

(٦٥) الايضاح ٧٣ظ.

(٦٦) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٢٥.

والمهموس يعتمد على نظريته في إنتاج الأصوات، التي سبق أن ذكرناها (النص الرابع)، وذلك حيث يقول: «ان النَّفَس الخارج، الذي هو وظيفة حرف، إنْ تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً، وان بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً». (٦٧)

وهذا التعريف، وان كانت بعض أجزائه تفتقر الى الوضوح، لكنه يتقدم على تعريف سيبويه خطوة نحو التعريف الكامل للمجهور والمهموس الذي نجده عند المحدثين. فهو يبين أن المجهور أقوى من المهموس لا بسبب قوة الاعتماد وانما بسبب تكيف النَّفَس كله بكيفية الصوت، ولكن كيف يحصل ذلك؟ التعريف يقف عند هذا الحد، وإن كنا الآن ندرك أن ذلك يتم باهتزاز الوترين الصوتيين في أثناء مرور النَّفَس بهما. والصوت المهموس لا يتكيف بهذه الكيفية.

وناقش محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) هذا التعريف ناقلاً اياه عن علي القاري الذي أورده في (المنح الفكرية على متن الجزرية) دون أن ينسبه لأحد. (٦٨) وذلك حيث قال: «وتحقيق الفرق هنا ما قال (علي القاري): إنَّ نَفَس الحرف ان تكيف كله بكيفية الصوت حتى حصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً، وان بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً، انتهى.

أقول [المرعشي]: هذا الفرق يتحقق في القراءة جهراً، فالمراد من الصوت القوي الجهر، وقوله بلا صوت يعني بلا صوت جهري يجري مع مبدأ الحرف. فاذا قلت: اذْ بالمعجمة، ومددتها تجد نَفَسها كله متكيفاً بصوت جهري. واذا قلت: اصْ بالمهملة، ومددتها تجد مبدأ نَفَسها متكيفاً بصوت جهري وآخره خالياً عن ذلك الجهر بل متكيفاً بصوت خفي، وقس عليهما. فالصاد المهملة بعض صوتها مجهور وبعضه مهموس لكن الاصطلاح وقع في انها مهموسة، وكذا سائر حروف الهمس.

واما في القرءة إسراراً فلا يتحقق هذا الفرق، (هو نظر)». (٦٩)

(٦٧) شرح المقدمة الجزرية ١١ظ.

(٦٨) المنح الفكرية ص ١٤.

(٦٩) جهد المقل ١١ظ

ونجد في تحليل المرعشي للتعريف السابق ما يزيل بعض الغموض الذي فيه، فتفسيره لكلمة (الصوت) بأن المراد منها (الصوت الجهري) أي النغمة المتولدة من ذبذبة الوترين الصوتيين جعل تعريف المجهور والمهموس أقرب الى الوضوح والدقة، فالمجهور حينئذ الحرف (الصوت) الذي يصاحب نطقه اهتزاز الوترين الصوتيين، وما يترتب على ذلك من نغمة صوتية، هي التي ذكرت في التعريف بأنها (صوت قوي). والمهموس هو الذي لا يصاحب نطقه ذلك الصوت. وهنا نقترب من تعريف المحدثين للمجهور بأنه الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به، وللمهموس بأنه الصوت الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به.

وتبقى بعد ذلك قضيتان في كلام المرعشي السابق جديرتان بالمناقشة، الأولى: اعتقاده بأن الصاد تبدأ بصوت جهري ثم تنتهي بصوت خفي (أي مهموس) وهكذا بقية الحروف المهموسة. فهذا العبقري الذي ختم الدراسات التجويدية بآرائه وتحليلاته القيمة وقع في وهم ما كان له أن يقع فيه، فاعتقاده هنا غير صحيح، ويبدو أن الذي أوقعه في ذلك الوهم أسلوب التجربة الذاتية التي أجراها على الصاد، فحين ننطق بها على هذا النحو (إصْ) فاننا نبدأ بالهمزة، وهي ليست مجهورة، ولكننا ننطق بعد الهمزة بكسرة وهي مجهورة، ثم ننطق بعد ذلك بالصاد. ولعل قول المرعشي أن الصاد تبدأ بصوت جهري جاء نتيجة لتأثره بذك الجهر الناشئ من كسرة همزة الوصل.

الثانية: هي تمييزه بين القراءة بصوت مرتفع والقراءة المخافتة، ولاحظ أن التفريق بين المجهور والمهموس لا يتم الا في القراءة بصوت مرتفع، أما في القراءة إسرارا فلا يتحقق هذا الفرق، لأن الوترين الصوتيين يكفان عن الاهتزاز حينئذ، فلا يتميز الصوت المجهور عن المهموس على النحو الذي يحصل في القراءة المرتفعة.

ومن الاضافات القيمة لعلماء التجويد في سبيل توضيح المجهور والمهموس ما ذكره محمد المرعشي في كتابه (جهد المقل) من «أن نَفَس الحرف المجهور قليل،

ونَفَس الحرف المهموس كثير». (٧٠) وأكد هذه الفكرة في (بيان جهد المقل) فقال: «لكن جري النَّفَس في المهموس الرخو أكثر من جريه في المجهور الرخو». (٧١) وقال في موضع آخر: «فالرخو المصحوب بنَفَس كثير هو الرخو المهموس كالسين والصاد المهملتين». (٧٢)

والمرعشي يشير بذلك الى أن انتاج الصوت المهموس يحتاج الى كمية من هواء النفس أكثر مما يحتاج اليه انتاج الصوت المجهور. ويلاحظ ذلك في نطق الذال والثاء مثلا، فنقول: إذْ، ونمد الصوت، ونقول: إثْ ونمد الصوت، فنشعر بوضوح الى الحاجة الى نَفَس قوي في الثاء بينما نحتاج الى أقل من ذلك في الذال، وهكذا في كل مجهور ومهموس.

وهذه ملاحظة يؤيدها علماء الاصوات المحدثون، فقد قال الدكتور محمود السعران: «ومما هو جدير بالملاحظة أن الصوامت المهموسة يحتاج نطقها الى قوة من اخراج النَّفَس (=الزفير) أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة. ويمكن أن نلمس هذا الفارق في قوة النَّفَس اذا بسطنا الكف أمام الفم ونحن ننطق صامتاً مهموساً متلواً بنظيره المجهور مثل ث، ذ/ت، د/س، ز. . . الخ». (٧٣)

ويمكن أن نضيف الى ذلك وسيلة ثانية تؤكد حاجة الصوت المهموس الى نَفَس أقوى من حاجة الصوت المجهور، وهي أن يملأ الناطق رئتيه هواء ثم ينطق صوتاً مهموساً مثل اس أو اث ويمد الصوت حتى ينفد الهواء، ثم يعيد ملء رئتيه هواء وينطق صوتاً مجهوراً مثل از أو اذ ويمد الصوت حتى ينفد الهواء، فسنجد أن مدة نطق الصوت المجهور قد تصل الى ضعف مدة الصوت المهموس، اذا حاول نطقهما بطريقة واحدة، وهو أمر يؤكد فعلاً ما قرره محمد المرعشي وأيدته الدراسة الصوتية الحديثة من أن المهموس يحتاج الى نَفَس أكثر من المجهور.

(٧٠) جهد المقل ١٢ظ.

(٧١) بيان جهد المقل ١٥و.

(٧٢) المصدر نفسه ١٦و.

(٧٣) علم اللغة ص ١٦٤.

وربمـا تكـون هذه الظـاهـرة مرتبطة بحقيقة لاحظها علماء التجويد وأيدتها أيضا الدراسات الحديثة، وهي ان المجهور أوضح في السمع من المهموس، وذلك راجع الى النغمة التي تتولد من ذبذبة الوترين الصوتيين، وهو ما يفتقده الصوت المهموس، فيكـون النـاطق مضطراً حينئذ الى زيادة الضغط في مخرج الصوت المهموس وزيادة دفع الهواء من الرئتين لزيادة وضوحه السمعي.

تلك هي جهـود علمـاء التجـويـد في دراسة ظاهرتي الجهر والهمس، وهي تمثل مرحلة بين ما قالـه سيبـويَـه وعلمـاء العربية وما توصل اليه المحدثون من دور الوترين الصـوتيين في ذلـك، وقـد أدرك علمـاء التجـويـد كل خصـائص الصـوت المجهور والصوت المهموس الا أنهم لم يتوصلوا الى معرفة الوترين الصوتيين وتحديد دورهما في ظاهرتي الجهر والهمس، وليس كثيراً ألا يتوصلوا الى ما لم يتوصل اليه المحدثون الا بالوسائل الآلية الدقيقة. فيكفيهم أنهم أدركوا بالملاحظة الذاتية جوانب كثيرة من خصائص الأصوات دلت على عمق النظرة والمواظبة على البحث من أجل اكتشاف أسرار الصوت الانساني.

٤ ـ الشدة، والرخاوة، والتوسط:

من الجـوانب الأسـاسيـة في انتـاج الأصوات اللغوية تحديد درجة انفتاح مخرج الصـوت أثنـاء مرور الهـواء به، لأن ذلـك من العـوامـل المؤثـرة في تنـوع الأصوات واختـلاف جروسهـا. وعلمـاء الأصـوات، سواء منهم علماء العربية وعلماء التجويد المتقدمون، أوعلماء الأصوات المحدثون يقسمون الأصوات تبعاً لهذا الاعتبار الى ثلاثة أقسام:

١ ـ الصوت الرخو، (٧٤) ويسميه المحدثون الاحتكاكي.
٢ ـ الصوت الشديد، ويسميه المحدثون الانفجاري.
٣ ـ الصوت المتوسط.

(٧٤) قال ابو الفتوح الوفائي (الجواهر المضية ٢٦ظ): «والرخوة بتثليـ ث الراء والكسر أشهر»، وما جاء في لسان العرب لابن منظور (١٩/ ٢٨ رخو) يؤيد هذا القول.

وسـوف أتبـع في منـاقشـة هذا الموضوع المنهج الذي اتبعته في مناقشة موضوع الجهر والهمس. فأعرض أولاً رأي علماء الأصوات المحدثين، ثم أورد رأي سيبويه وعلمـاء العـربيـة من بعده، وأخيراً اذكر رأي علماء التجويد، مركزاً على الاتجاهات الجديدة لديهم في الموضوع، مبيناً موقعها من الدرس الصوتي الحديث.

فالصوت الشديد (الانفجاري) لدى علماء الأصوات المحدثين هو الذي ينحبس مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن في مخرجه، وذلك بالتقاء عضوين من أعضاء آلة النطق، ثم ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً، مثل الباء والتاء والدال وغيرها.

والصـوت الـرخو (الاحتكاكي) هو الذي لا ينحبس الهواء في مخرجه حبساً تاماً، وذلـك بأن يضيق مجـرى النَّفَس باقتـراب عضوين من أعضاء آلة النطق نحو بعضهما في مخرج الحرف، دون أن يقفلا المجرى، فَيُحْدِث النَّفَسُ في أثناء مروره بمخرج الصـوت حفيفـاً مسمـوعاً تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى. وذلك مثل صوت السين والزاي والحاء وغيرها.

أما الأصوات المتوسطة فهي التي يجد النَّفَس له فيها منفذاً يتسرب منه الى الخارج على الرغم من التقاء العضوين في مخرج الصوت المنطوق، وذلك مثل اللام والميم والنـون وغيـرهـا، ومن هنـا سميت هذه الأصـوات بالمتوسطة أي التي لسيت شديدة (انفجارية) ولا رخوة (احتكاكية). (٧٥)

وقد عرّف سيبويه (الشديد) بأنه «الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة، والقـاف، الكـاف، والجيم، والطـاء، والتـاء، والـدال، والبـاء، وذلك أنك لو قلت (الحج) ثم مددت صوتك لم يجر فيه». (٧٦)

ثم عَدَّدَ الحروف الرخوة، وقال: «وذلك اذا قلت: الطس، وانقضْ، وأشباه ذلك

(٧٥) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٢٣-٢٤، وجان كانتنو: دروس ص ٢٤

(٧٦) الكتاب ٤/ ٤٣٤

أجريت فيه الصوت ان شئت». [٧٧] وقال ابن جني: «والرخو هو الذي يجري فيه الصوت». [٧٨]

ولم يستخدم سيبويه مصطلح (المتوسطة) ولكنه قال بعد أن ذكر الحروف الشديدة والرخوة: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة» ثم عدَّدَ أصنافاً من الحروف هي: الأنفية والمكرر، واللينة، والهاوي. [٧٩] ثم جاء ابن جني فنص أن كل ما عدا الشديدة والرخوة فهو من التي بين الشديد والرخو، وهي ثمانية وحصرها في (لم يروعنا)، [٨٠] ولا نريد أن ندخل هنا في مناقشة عددها، لأنا سنعود الى ذلك في مكان لاحق ان شاء الله، ولكننا نريد هنا أن نقف على التصور العام في انتاج هذه الأصوات.

ويبدو أن استعمال مصطلح (المتوسطة) تأخر كثيراً، وظلت عبارة (بين الشديدة والرخوة) هي المستعملة حتى القرن السابع وربما الى الثامن. فلا نجده في المفصل للزمخشري، ولا في شرحيه لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ). [٨١] وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ). [٨٢] وكذلك لا نجده في الشافية لابن الحاجب، ولا في شرحيها للاستراباذي (ت ٦٨٦هـ). [٨٣] وللجاربردى (ت ٧٤٦هـ). [٨٤]

وأقدم من وجدته يستخدم مصطلح (المتوسطة) هو أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في كتابه (ارتشاف الضرب). [٨٥] وكذلك استخدمها تلميذه الحسن بن

---

(٧٧) الكتاب ٤/٤٣٥.
(٧٨) سر صناعة الاعراب ١/٧٠.
(٧٩) الكتاب ٤/٤٣٥.
(٨٠) سر صناعة الاعراب ١/٦٩.
(٨١) شرح المفصل ١٠/١٢٩.
(٨٢) الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٦.
(٨٣) شرح الشافية ٣/٢٦٠.
(٨٤) شرح الشافية ص ٢٤٧.
(٨٥) ارتشاف الضرب ص ٥.

قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) في كتابه (شرح التسهيل). (٨٦) ولكنه لم يستخدمها في كتابه (المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد). (٨٧) وهذه قضية لا يمكن تقديم رأي قاطع فيها، فمن غير المستبعد أن توجد نصوص أخرى لم نطلع عليها يمكن أن ترجع باستخدام مصطلح (المتوسطة) قروناً، لكن المتيسر من النصوص الآن يشير الى ما ذكرته.

ولعلنا لا نجد عناء كبيراً في فهم كلام سيبويه عن الصوت الشديد والرخو والمتوسط، وانه يريد بمنع الصوت من الجريان في الشديد حصر الصوت في مخرجه، وقد استخدم سيبويه نفسه كلمة الحصر، فهويقول: «لأن الدال ليس فيها إطباق، فانما تغلب على الطاء لأنها من موضعها، ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال». (٨٨) فاستخدام سيبويه عبارة (حصر الصوت في الموضع أي المخرج) يدل بوضوح على أنه يبني تقسيمه للحروف الى شديدة ورخوة على أساس واضح يعتمد على حالة المخرج في أثناء مرور النفس خلاله، فاذا حصر النَّفَس فهوشديد، واذا لم يحصره فهورخو، والمتوسطة حالة بينهما، ويكون معنى قوله (يمنع الصوت أن يجري فيه) في تعريف الشديد هوأنه يحصر الصوت فيمنعه من الجريان حتى ينقضي الاعتماد في المخرج فينطلق النَّفَس بالحرف.

ونجد أن بعض النحاة استخدم كلمة (الحصر) في تعريف الشديد، وترك كلمة (المنع) الواردة في كتاب سيبويه، فيقول ابن الحاجب: «ومعنى الشدة أن ينحصر صوت الحرف في مخرجه فلا يجري، والرخاوة بخلافها، وما بينهما هوألا يتم له الانحصار، ولا يتم له الجرى». (٨٩)

أما علماء التجويد فقد كان الأوائل منهم حول تعريف سيبويه يدورون، فلا يبتعدون عنه ولا يغيرون في ألفاظه الا الشيء القليل، فكأنهم يشرحونه.

---

(٨٦) شرح التسهيل ٣٠٥و

(٨٧) المفيد ١٠١ظ.

(٨٨) الكتاب ٤/٤٦٠.

(٨٩) الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٦.

قال مكي: «ومعنى الحرف الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي فيه، حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به». (٩٠)

وقال الداني: «ومعنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجري معه». (٩١)

وقال عبد الوهاب القرطبي: «ومعنى الحرف الشديد أنه حرف لزم موضعه، فمنع الصوت أن يجري فيه». (٩٢)

ونجد اتجاهات جديدة في تعريف الحرف الشديد وقسيميه عند علماء التجويد الذين عاشوا بعد الجيل الأول. وقبل أن نتابع تلك الاتجاهات أشير الى نص، يتضمن عنصرا جديدا، ورد في تفسير (المباني لنظم المعاني) لابي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام (كان حيا سنة ٤٢٥)، وهو: «وانما سميت رخوة لأن الاعتماد يضعف في موضع الحرف، ولا يضغط ضغطا يمنع الصوت من أن يخرج، فيخرج الحرف رخوا لذلك». (٩٣) الجديد في هذا النص عبارة (يضغط ضغطا) وكلمة الضغط تساوي الحصر، واستخدامها في هذا السياق استخدام سديد.

وكان أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) حين عَرَّفَ الشديد والرخو رَكَّزَ على امكانية مد الصوت مع الرخو وعدمها في الشديد، فقال «والشديد ما لزم مخرجه فلا يمكنك مد الصوت به لتمكنه، ألا ترى أنك اذا قلت: الشج والشط، ثم رمت مد الصوت بالجيم والطاء، امتنع عليك. . . والرخو ما لم يلزم مخرجه لزوم الشديد فيمكن مد الصوت به، ألَا ترى أنك اذا قلت: الهزّ والمسّ والرشّ ونحو ذلك، امتد به صوتك جارياً مع الزاي والسين والشين». (٩٤)

---

(٩٠) الرعاية ص ٩٣.

(٩١) التحديد ١٧ظ.

(٩٢) الموضح ١٥٦و.

(٩٣) انظر: مقدمة كتاب المباني، ضمن: مقدمتان في علوم القرآن ص ١٤٨.

(٩٤) التمهيد ١٤٥ظ.

وملاحظــة امتداد الصوت في الرخو وعدم امتداده مع الشديد ملاحظة صحيحة، وصف بعض المحدثين من علماء الاصوات على أساسها الأصوات الشُديدة بأنها (آنِيَّة) والأصوات الرخوة بأنها (مُتَمَادَّة). [٩٥]

وقد جمع طاش كبرى زاده بين ملاحظة حصر الصوت في الشديد ومده في الرخو في تعريف المصطلحات الثلاثة، وهو جزء من قوله الذي نقلناه آنفا (النص الرابع)، وننقله هنا لنضعه الى جانب النصوص الاخرى التي عالجت الموضوع، قال: «اذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تاماً فلا يجري يسمى شدة، كما في (الحج) فانك لو وقفت على قولك (الحج) وجدت صوتك راكداً محصوراً، حتى لو زمت مد صوتك لم يمكنك.

وأما اذا جري الصوت جرياً تاماً ولا ينحصر أصلاً يُسَمَّىٰ رخوة، كما في (الطش)، فانك اذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جارياً تمده ان شئت.

واما اذا لم يتم الانحصار ولا الجري يكون متوسطاً، بين الشدة والرخاة، كما في (الخل) فانك اذا وقفت عليه وجدت الصوت لا يجري مثل جري (الطش) ولا ينحصر مثل انحصار (الحج) بل يخرج على اعتدال بينهما». [٩٦]

ونختم الكلام عن وجهة علماء التجويد في هذا الموضوع برأى محمد المرعشي الذي كانت بين يديه جهود أجيال من علماء العربية وعلماء التجويد، فناقش النصوص المتعلقة بتعريف المصطلحات الثلاثة التي تضمنتها المصادر التي اعتمد عليها. [٩٧] ولكنه كان في اثناء تلك المناقشات يصوغ رأيه بعبارة دقيقة موجزة، مثل قوله: «اذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف ونَفَسه إما أن يحتبسا بالكلية فيحصل صوت شديد، وهو في الحروف الشديدة، أو لا يحتبسا أصلاً بل يجريا جرياناً كاملاً

---

(٩٥) انظر: محمود السعران: علم اللغة ١٦٦.

(٩٦) شرح المقدمة الجزرية ١١ظ - ١٢و، وانظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ١٤، وأحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ١٠ظ.

(٩٧) انظر: جهد المقل ١١ظ - ١٢و.

وهـو (في) الحـروف الرخوة. أو يتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجري، وهو في الحروف البينية». (٩٨)

ويـلاحـظ هنـا ان المرعشي استخدم كلمة (البينية) مكان (المتوسطة) وهو اتجاه ذهب اليه بعض علماء التجويد، قال أبو الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠هـ) عن الحروف المتوسطة: «وتسمى هذه الحروف البينية». (٩٩)

وقـد تضمن النص السـابق للمـرعشي كلمـة (يحتبس) وهي ليست قديمـة في الاستخدام في هذا الموضع، فالسابقون غالبا ما كانوا يستخدمون (المنع) و(اللزوم) و(الحصـر) وجـاءت كلمـة (الحبس) عنـد المـرعشي أوضح في الدلالة على حقيقة الصـوت الشـديـد من كل الكلمـات الاخـرى، فهي تشيـر الى القفـل التام لمجرى النَّفَس. وقد استخدم بعض علماء الأصوات من المحدثين كلمة (الحبس) وما اشتق منها في وصف عملية تكون الأصوات الانفجارية (اي الشديدة). (١٠٠)

ولمـا كانت الحـروف الشـديـدة تتميـز بحبس النَّفَس ثم اطـلاقـه فجأة، نجـد المـرعشي يتبنى فكـرة تسميـة الشـديـدة بمصطلح (آنيـة) وتسميـة الرخوة بمصطلح (زمـانيـة)، فينقل الفكرة عن السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في شرحـه لكتـاب (المـواقف في علم الكـلام) لعضد الدين عبد الرحمن بن محمد الايجي (ت ٧٥٦هـ). (١٠١) قال المـرعشي: «قـال في شرح المواقف: ان الحروف الشديدة آنية، لا توجد الا في آن حبس النَّفَس، وما عداها زمانية يجري فيه الصوت زمانا. انتهى.

---

(٩٨) جهد المقل ١٢ظ - ١٣و.

(٩٩) الجواهر المضية ٣٠و، وانظر: أحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ١٠ظ.

(١٠٠) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٢٣-٢٤، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٢٧.

(١٠١) انظر شرح المواقف، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٥هـ=١٩٠٧م، جـ ٥، ص ٧٢.

أقـول (المـرعشي) : ومـا عداها متفاوتة في الجريان ، اذ حروف الرخو أتم جرياناً من الحروف البينية ، وحروف المد أطول زماناً من سائر حروف الرخو» . [١٠٢] وقد ردد المـرعشي هذه الفكـرة في مواضـع اخـرى . [١٠٣] وقـد أخذ بعض المحدثين بتسمية الأصوات الشديدة (آنية) . [١٠٤]

وأدرك علماء التجويد كما نص علماء العربية من قبل أن من الحروف المتوسطة ما يأخـذ النَّفَس معـه مجراه من الأنف ، فيقول المرعشي : «واعلم أن جريان الصوت في البينية دون جريانه في الرخوة لكن جريانه في ثلاثة منها ليس في المخرج ، هي النـون والميم والـلام . وأمـا الأَوْلَيَان فالجاري فيهما الغنة ، وهي تجري في الخيشوم واللسان لاصق فيهما لموضع الحرف ، فاذا أمسكت أنفك لم يجر فيهما صوت البتة ، كذا قالـه علي القـارى ، وأما اللام فاللسان لاصق فيها لموضع الحرف ، وانما يجري الصـوت من الطـرفين المجـاورين للمخـــرج» . [١٠٥] وقـولـه (فـاللسان لاصق فيهما لمـوضـع الحرف) الحقيقة أن هذا ينطبق على النون ، أما الميم فالشفتان هما موضع الميم . وأصل هذه الفكرة عند سيبويه . [١٠٦] وعنه نقلها علماء التجويد وغيرهم . [١٠٧]

٥ ـ الفرق بين الشديد والمجهور وبين الرخو والمهموس :

أصبح الفرق واضحاً لدى دارسي الأصوات من المحدثين بين هذه المصطلحات الأربعـة ، فالمجهـور والمهمـوس مصطلحـان يستخدمان لوصف الصوت تبعاً لحالة الـوتـرين الصـوتيين عند النطق ، فاذا تذبذب الوتران حال النطق بالصوت وصف بأنه

(١٠٢) جهد المقل ١٢و.

(١٠٣) جهد المقل ١٧ظ .

(١٠٤) جان كانتينو: دروس ص ٣٥ .

(١٠٥) بيان جهد المقل ١٦و.

(١٠٦) الكتاب ٤/٤٣٥ .

(١٠٧) انظر: الداني : التحديد ١٨و. وعبد الوهاب القرطبي : الموضح ١٥٦ظ .

مجهـور، واذا ظلا ساكنين والنَّفَس يمـر بينهمـا دون أن يتـذبذبا حال النطق بالصوت وصف بأنه مهموس.

أما الشديد والرخو فمصطلحان يعبران عن كيفية مرور الهواء في مخرج الصوت، فاذا حُبِسَ النفس في المخـرج لحظـة ثم أُطْلِقَ وُصِفَ الصـوت بأنـه شديد، واذا مر النفس في مخـرج الصـوت مع تضييق مجـراه دون أن يحتبس في المخـرج وُصِفَ الصوت بأنه رخو.

ومن ثم فان الصـوت المجهـور يمكن أن يكـون شديـداً مثـل: د، ب ويمكن أن يكون رخواً مثل: ذ، ز. وكذلك الصوت المهموس يمكن أن يكون شديداً مثل: ك، ت، ويمكن ان يكون رخواً مثل: ث، س. ولا تناقض في ذلك أبداً.

وكـذلـك كان موقف علمـاء العـربيـة وعلماء التجويد من هذا الموضوع، الا أن بعض جوانبه ظلت غامضة لدى نفر قليل جداً منهم، فخلطوا بين المجهور والشديد، وأسـاس ذلـك الغموض ينبع من تعريف سيبويه للمجهور والشديد.، فالمجهور عند سيبويه: (حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت» والشديد عنده: (هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه).(١٠٨)

فالمجهـور (منـع النَّفَس أن يجري معه) والشديد (يمنع الصوت أن يجري فيه). وقـد فهم العلمـاء بعـد سيبـويـه أن (النَّفَس) و(الصـوت) لهمـا دلالة خاصة ومتمايزة عنـده، فكـانـوا حريصين على الـدقـة في استخـدام كلمـة (النَّفَس) مع المجهور، واستخـدام كلمـة (الصـوت) مع الشـديـد. وجعلوا ذلـك جوهر الفرق بينهما، فقال الاستـرابـاذي (ت ٦٨٦هـ): «والفرق بين الشديدة والمجهورة أن الشديدة لا يجري الصوت عند النطق بها، بل إنك تسمع به في آنٍ ثم ينقطع، والمجهورة لا اعتبار فيها بعدم جري الصوت بل الاعتبار فيها بعدم جري النَّفَس عند التصويت بها».(١٠٩)

---

(١٠٨) الكتاب ٤/٤٣٤.

(١٠٩) شرح الشافية ٣/٢٦٠.

وقال أبو الفرح الوفائي (ت ١٠٢٠هـ) : «التحقيق أن بين المجهورة والشديدة فرقاً باعتبار عدم جري النَّفَس في المجهورة، وعدم جري الصوت في الشديدة، كما نص عليه الرضي في شرح الشافية». (١١٠)

وهذا الاتجاه في تحقيق الفرق بين المجهور والشديد يسير موازياً وموافقاً لتعريف سيبويه لكل منهما، دون أن يأخذ بالحسبان عدم الوضوح في تحديد ذلك الفرق، ومن ثم برز الى جانبه اتجاه آخر في توضيح الفرق بين المجهور والشديد، وضديهما المهموس والرخو. ويتمثل ذلك الاتجاه فيما نقله أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) في كتابه (الايضاح في القراءات) وهو أن «الفرق بين المجهور والشديد أن المجهور يقوىٰ الاعتماد فيه بشدة الوقع، والشديد يشتد الاعتماد فيه بلزوم موضعه لا بشدة الوقع». (١١١)

وأخذ ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) هذه الفكرة وحاول أن يشرحها ويجعلها شاملة في بيان الفرق بين هذه المصطلحات الأربعة فقال: «والفرق بين المجهورة والشديدة أن المجهورة يقوىٰ الاعتماد فيها، والشديدة يشتد الاعتماد فيها بلزومها موضعها لابشدة الوقع. وهو ما ذكرناه من الضغط، ألا ترى أن الذال والظاء مجهورتان غير مضغوطتين، فنقول: اذ، اظ، فيجرى معها صوت ما.

والفرق بين المهموسة والرخوة أن المهموسة هي التي تردد في اللسان بنفسها أو بحرف اللين الذي معها، ولا يمتنع النَّفَس. والصوت الذي يخرج معها نَفَس، وليس من الصدر. واما الرخوة فهي التي يجري النَّفَس فيها من غير ترديد، وهو صوت من الصدر». (١١٢)

ومع اننا نلاحظ اقتراب ابن يعيش من دائرة الوضوح في تصور الموضوع وتجاوزه لعقدة (الصوت والنَّفَس) الى حد ما، يظل كلامه عن (الرخو) بحاجة الى ما يوضحه، ولا أستبعد أن يكون هناك خلل أو تصحيف في العبارة، لاسيما في جزئها الاخير

(١١٠) الجواهر المضية ٢٩ ظ.

(١١١) الايضاح ٧٣ظ.

(١١٢) شرح المفصل ١٠/١٢٩.

الذي يتحدث فيه عن الرخوة، خاصة قوله: (. . . من غير ترديد، هو صوت من الصدر).

وكـان السكـاكي (أبـو يعقوب يوسف بن أبي بكر ت ٦٢٦هـ) الوحيد بين العلماء المتقـدمين والمتأخـرين من علمـاء العربية وعلماء التجويد، الذي لم يستطع تجاوز الغموض في تعريف سيبويه المشهور للمجهور والشديد، فأحس أن فيه تناقضاً، فلم تسعفه خبرة طويلة في ممارسـة دراسة الأصوات العربية، فخلط في المقدمة الموجزة التي كتبهـا في أول كتـابـه (مفتـاح العلوم) عن الأصـوات العـربيـة، بين المجهـور والشديد، والمهموس والرخو.

قال وهـو يتحـدث عن حروف العـربيـة: «اعلم أنهـا عنـد المتقـدمين تتنوع الى مجهـورة ومهمـوسـة. وهي عنـدي كذلك، لكن على ما أذكره وهو أن الجهر انحصار النَّفَس في مخرج الحرف، والهمس جري ذلك فيه. والمجهور عندي الهمزة والألف والقـاف والكـاف والجيم والياء والراء والنون والطاء والدال والتاء والباء والميم والواو، ويجمعها قولك: قدك اترجم ونطايب. والمهموسة ما عداها.

ثم اذا لم يتم الانحصـار ولا الجـري كمـا في حروف قولـك (لـم يروعنـا) سميت معتدلة وما بين الشديدة والرخوة.

واذا تم الانحصار كما في جروف قولك (أجدك قطبت) سميت شديدة، واذا تم الجري كما في الباقية من ذلك سميت رخوة». (١١٣)

[illegible] ما يمكن قوله ه[illegible]ا ان [illegible]كاكي أراد أن يعبد [illegible]اغة تصنيف الأصوات العربية من حيث الجهـر والهمس ومن حيث الشـدة والـرخاوة، ولكن خبرته في الموضوع لـم تسعفـه. وكـان يدفعـه الى ذلـك على ما يبـدو صعوبة اعترضته في فهم كلام سيبويه وعلمـاء العـربية الذين سبقوه في دراسة الموضوع، فاختلط عليه الامر فجعل الكاف والتـاء من المجهـورة، وهـو ما لم يقـل به أحـد من المتقـدمين ولا المتأخرين، اعتبار أن الجهر عنده هو (انحصار النفس في مخرج الحرف).

(١١٣) مفتاح العلوم ص ٥.

ولم يمض الا وقت قصير حتى تصدى لتصحيح الوهم الذي وقع السكاكي فيه عدد من علماء العربية الذين كانوا يدركون حقيقة دلالة المصطلحات الصوتية. (١١٤)

ونجد أن دلالة (النَّفَس) و(الصوت) أخذت تتحدد عند جيل من علماء التجويد المتأخرين على نحو واضح، ومن ثم أخذت تتحدد مفاهيم المجهور والشديد، والمهموس والرخو، على نحو واضح أيضا. ونلمس ذلك عند طاش كبرى زاده في قوله السابق (النص الرابع) الذي ميز فيه بوضوح بين النَّفَس والصوت، فالنَّفَس هو الهواء الخارج من داخل الانسان بدفع الطبع، والصوت هو ذات الهواء (=النَّفَس) الخارج من داخل الانسان بالارادة وعرض له في مخارج الحروف تموج بسبب تضييق مجراه في المخارج، وقد درسنا هذا الموضوع من قبل في الفقرة الخاصة بالنَّفَس والصوت، والذي يعنينا هنا أن نبين أثر تحديد دلالة مصطلحي النَّفَس والصوت على الوضوح في تصور المصطلحات الأربعة التي عقدنا هذه الفقرة لدراسة العلاقة بينها.

ويتضح من كلام طاش كبرى زاده أنه يستخدم مصطلح الصوت مع الأنواع الاربعة: المجهور والمهموس والشديد والرخو. لكن الذي ميز بينها هو طريقة تكونها، ونكتفي هنا بما أوردناه من قبل عند تحليل فقرات النص المذكور.

وكان محمد المرعشي أكثر المتأخرين وضوحاً في ادراك العلاقة بين النَّفَس والصوت، ووضوحاً في التعبير عن العلاقة بين الأنواع الأربعة المذكورة. فحقيقة الصوت عنده هي (النَّفَس المسموع)، وهذه مقولة كررها كثيرا. (١١٥) وهو يقول الى جانب ذلك (ان النَّفَس ركن الصوت). (١١٦) وهو معنى قول علماء الصوت المحدثين: «ان تيار النَّفَس هو أساس كل صوت لغوي مهما كان نوعه». (١١٧)

---

(١١٤) انظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٧/٣. والجاربردي: شرح الشافية ص ٢٤٦.

(١١٥) جهد المقل ٥ظ، ١٢ظ، وبيان جهد المقل ١٦ظ.

(١١٦) بيان جهد المقل ١٥و.

(١١٧) أ. شاده: الاصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية، ١٩٣١م العدد الخامس، ص ٩.

وقد عقد محمد المرعشي فصلا في كتابه (جهد المقل) لبيان علاقة النفس والصوت بالحروف المجهورة والمهموسة، والشديدة والرخوة رأيت أن أنقل جزءاً منه، لكونه يتضمن وجهة نظر متكاملة وواضحة، ولأن دارسي الأصوات العربية المعاصرين بحاجة الى الاطلاع على هذه النصوص النادرة المجهولة جداً لديهم، قال محمد المرعشي:

«اعلم... أن صوت الحرف، وان كان مجهوراً، فهولا يتحقق بدون النَّفَس، لأن حقيقة الصوت هي النَّفَس المسموع، كما سبق، فاحتباس الصوت يستلزم احتباس النَّفَس معه، وجريه جريه، وأن نَفَس الحرف وان كان مهموساً فهولا ينفك عن الصوت، لان حقيقة الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج، كما سبق. وأن نَفَس الحرف المجهور قليل، ونَفَس الحرف المهموس كثير...

اذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف ونَفَسه:

إما أن يحتبسا بالكلية فيحصل صوت شديد، وهوفي الحروف الشديدة. أولا يحتبسا أصلاً بل يجريا جرياناً كاملاً، وهوفي الحروف الرخوة. أويتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجري، وهوفي الحروف البينية.

فهذه ثلاثة أنواع:

ففي النوع الأول: إن جرىٰ بعد ذلك الاحتباس نَفَس كثير فالحرف شديد مهموس، وإن لم يجر فالحرف شديد مجهور.

وفي النوع الثاني: إن كان صوت الحرف جارياً كله مع نَفَس قليل فالحرف رخو مجهور، وان كان جارياً كله مع نَفَس كثير فالحرف رخو مهموس.

والنوع الثالث: مجهور كله...»(١١٨)

ويبدو لي أن الدرس الصوتي عند المرعشي خاصة في كتابيه (جهد المقل) و(بيان جهد المقل) جدير ببحث مستقل لانه يتميز دائما بدقة تحليله للظواهر الصوتية وعمق نظرته في فهمها ووصفها. ونحن لا نملك في هذا البحث سوى أن نقتطف

(١١٨) جهد المقل ١٢ظ - ١٣و.

بعض النصوص ونضعها مواضعها من المباحث والفصول الى جانب نصوص أخرى لا تقل أهمية عنها في كثير من الأحيان.

الخلاصـــــة :

يتضح مما سبق أن علماء التجويد عرفوا حقيقة عملية النطق، وأدركوا العناصر الأساسية المكونة للأصوات اللغوية، ويمكن أن نلخص وجهة نظرهم في انتاج الصوت اللغوي بالنقاط الآتية، مقتبسة من النصوص الاربعة ومن المناقشة بعدها:

١ ـ ان النَّفَس (=الهواء المندفع من داخل الرئتين) هو ركن الصوت، وأنه لا يسمى صوتاً حتى يكون مسموعاً وذلك اذا أخرج بالارادة وقوة الدفع، وتعرضَ في أجزاء من آلة النطق الى تموج، نتيجة حبس كامل أو تضييق لمجراه، وأن الأصوات اللغوية تنتج من النَّفَس الخارج من الرئتين لا الداخل اليها.

٢ ـ أدرك علماء التجويد دور الحنجرة في تكوين الصوت اللغوي، وعَرَفَها بعضهم، وان لم تصل تلك المعرفة الى معرفة الوترين الصوتيين وطبيعة عملهما. وقد سموا النغمة الصوتية التي يصدرها الوتران مع [illegible] الأصوات بصوت الصدر، اقتداء بسيبويه، وسماها ابن البناء (ترديد [illegible])، وسماها طاش كبرى زاده والمرعشي (الصوت القوي)، أو (الصوت [illegible]ري). وقد سموا الحرف الذي تصاحب انتاجه تلك النغمة مجهوراً، والحرف الذي لا تصاحب انتاجه تلك النغمة مهموساً.

٣ ـ ثم ان الذي ميز بين الأصوات بعد أن يجتاز النَّفَس الحنجرة هو اختلاف مواضع القطع، أي اختلاف المخارج، وقد بلغ علماء التجويد في تحديد تلك المخارج درجة كبيرة من الدقة، وسوف نوضح في مبحث لاحق تفصيل ذلك، ان شاء الله تعالى.

[illegible]رك علماء التجويد أثر حالة ممر الهواء عند المخرج ومقدار درجة انفتاحه في اختلاف الأصوات وتنوعها، وقرروا أنه اذا احتبس الصوت في مخرج الحرف بالكلية كان شديداً (انفجارياً) واذا لم يحتبس الصوت كان رخواً (احتكاكياً)،

ويكون متوسطاً (أو بينياً) اذا كان بين صفة الشديد والرخو.

٥ ـ سَمَّى علماء التجويد تلك الكيفيات المصاحبة لتكوّن الصوت في مخرجه من جهر وهمس وشدة ورخاوة وتوسط، صفات، اقتداء بتسمية علماء العربية من قبلهم، وقد ذهب علماء التجويد الى أن اختلاف هذه الصفات هو أساس تمايز الحروف المتحدة المخرج، كما ان اختلاف المخرج هو أساس تمايز الحروف المتفقة الصفات، كما ورد ذلك واضحاً في النص الأول والنص الثاني. وقد أخَّرْتُ الكلام على صفة لها دور في التمييز بين بعض الأصوات، وهي صفة الاطباق، وذلك لأن أثرها لا يشمل الا عدداً محدوداً من الأصوات، وانما قصدت في هذا المبحث توضيح الفكرة العامة لعلماء التجويد عن كيفية إنتاج الأصوات، دون أن ندخل في التفاصيل أو نستقصي الجزئيات، اذ سوف نتناول ذلك في مباحث لاحقة على نحو مفصل، ان شاء الله تعالى.

٦ ـ أدرك علماء التجويد أن بعض الاصوات يُعْتَمَدُ له في الفم أو الشفتين ولكن الهواء يتخذ مجراه من الأنف (أو الخيشوم)، وهي الأصوات التي تسمى بالأنفية أو الخيشومية، وهي النون والميم خاصة. وقد أفاض علماء التجويد في بحث هذا الموضوع من خلال بحث (الغنة) التي هي مرور النَّفَس من الخيشوم.

ونختم هذا المبحث بايراد نصين موجزين لتصور المحدثين لكيفية انتاج الأصوات اللغوية، لندرك مدى ما حققه علماء التجويد بوسائلهم الذاتية المحدودة، قياساً بما حققه علماء الأصوات المحدثون بأجهزتهم الآلية الدقيقة، في ذلك الموضوع.

قال: أ. شاده: «ان الأصوات اللغوية هي ظواهر سمعية تحدث بأن تيار النَّفَس الخارج من الرئة يعرض له في الحنجرة أو في الفم أو بين الشفتين عارض يضيق طريقه أو يقطعه. فلا يحدث صوت الا بعاملين، أحدهما النَّفَس، وثانيهما العارض». (١١٩)

---

(١١٩) علم الاصوات عند سيبويه وعند ...، صحيفة الجامعة المصريه، السنة ...
العدد الخامس ص ٣.

وقـال جان كانتينـو: «فهنـاك اذن في عمليـة التصـويت عنصـران لازمـان وكافيان لإحداث الاصوات أو لإحداث أي دَوِيٍّ آخر، هما:

١ ـ اخراج النَّفَس من الرئتين.

٢ ـ تفصيل النطق في الفم. ومن المفروغ منه أن المدوي الفموي يمكن أن تتغير هيئتـه وحجمـه حسب ارادة النـاطق. وهنـاك عنصـران آخـران قد يضـافان الى العنصرين الأولين أو لا يضافان اليهما وهما:

١ ـ نزير الأوتار الصوتية (يعني ذبذبة الاوتار).

٢ ـ الغنة الخيشومية، التي تحدث اذا تنزّل غشاء الحنك وتنعدم اذا ارتفع». (١٢٠)

---

(١٢٠) دروس في علم أصوات العربية ص ١٩ـ٢٠.

المبحث الثالث
تصنيف الأصوات اللغوية الى جامدة وذائبة
(أو الى صامتة ومصوتة)

يصنف علمـاء الأصوات المحدثون الأصوات اللغوية تصنيفات متعددة، تبعاً للمعنى الذي ينظرون إليها من خلاله، وذلك لأجل تيسير دراستها وتحليلها ثم وصفها. وأول تصنيف يتصدر كتب علم الأصوات اللغوية الحديثة هو تصنيفها الى (صَامِتَةٍ ومُصَوِّتَةٍ). [1] وهذا هو المصطلح الذي كنت قد آثرت استخدامه للتعبير عن هذين الصنفين حين كتبت بحثاً عن هذا الموضوع قبل خمس سنوات. [2] وهو الذي آثر استخدامه أيضا عددٌ من الدارسين. [3] من بين عدد من المصطلحات التي حاول دارسو الأصوات العربية المحدثون أن يترجموا اليها المصطلحين الأوربيين المعبرين عن ذينك الصنفين. [4]

واليوم، وبعد أن درست عددا من كتب علم التجويد، أُرَجِّحُ استخدام مصطلحين آخرين، وهما (الجامد) و(الذائب)، وتسمى أيضا (الجامدة والجوامد)،

---

(١) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٢٦، ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٦٠، وجان كانتينو: دروس ص ٢٠، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٩١. واحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ١١٣.

(٢) هو (المصوتات عند علماء العربية) مجلة كلية الشريعة (جامعة بغداد) العدد الخامس ١٩٧٩.

(٣) انظر: المصوتات عند علماء العربية ص ٣٩٥-٤٠٤.

(٤) وهما: Consonant (صامت) وVowel (مصوت).

و(الذائبة والذوائب). وهذه مصطلحات جديدة لا نعلم أن أحداً من دارسي الأصوات العربية استخدمها أو أشار اليها، بينما كان علماء التجويد قد استخدموها قبل ما يقرب من ألف سنة، وهي أكثر المصطلحات تعبيراً عن المعنى الذي يقوم عليه هذا التصنيف للأصوات اللغوية، على نحو ما سنوضح في هذا المبحث.

وهذه المصطلحات لعلماء التجويد خاصة لم يشركهم في استخدامها أحد من علماء العربية، وهي تعكس اتجاهاً يتسم بعمق النظرة في تحليل الأصوات وإدراك خصائصها الصوتية، وان لم يكن غالباً، فقد كان الغالب عليهم وعلى علماء العربية أيضا الاكتفاء بمصطلحي (الجروف والحركات)، وهما لا ينطبقان على ذلك التصنيف ولا يعبران عنه بدقة.

وتتلخص الفكرة التي يقوم عليها هذا التصنيف في قول المستشرق الفرنسي جان كانتينو، مع ملاحظة أن مترجم الكتاب يستخدم مصطلح (الحرف) و(الحركة). حيث يقول: «ويمكن تحديد الحروف والحركات تحديداً وجيزاً هكذا:

١ - خاصية الحرف هي أن يقوم حاجز في جهاز التصويت، ثم ان يجتاز النَّفَس ذلك الحاجز.

٢ - خاصية الحركة هي بالعكس، أن لا يقوم حاجز في جهاز التصويت، فيجري النفس حراً طليقاً». (٥)

ويضيف بعض الدارسين خاصية أخرى تميز الحروف عن الحركات، وهي قوة الوضوح السمعي للحركات، قياساً بالحروف. (٦) ولعل ذلك بسبب كونها مجهورة، ولا يعترض طريق الهواء حال نطقها عائق.

وها هنا ظاهرة نشير اليها دون أن نتقصى أمثلتها وهي أن معظم دارسي الأصوات العربية من المحدثين نسبوا الى علماء العربية التقصير في دراسة الأصوات العربية

---

(٥) دروس ص ٢٠.

(٦) محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٢، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٩٣.

وفقـا لهـذا التصنيف، وهم لم يطلعـوا على جملة أقـوالهم، ولا عرفـوا شيئـاً مما قاله علماء التجويد في ذلك.[7]

وكنت قد كتبت بحث (المصـوتـات عنـد علمـاء العربية) لمناقشة هذه القضية، وأوردت فيه عدداً من أقوال علماء العربية في مناقشة الموضوع، توضح الخطأ الكبير الذي وقع فيه أولئك النفر من المحدثين، في دعواهم تلك، وأكتفي هنا بذكر بعض تلك الأقوال بأوجز عبارة لننظر بعد ذلك في رأى علماء التجويد في الموضوع.

فمن ذلـك قول الخليـل بن أحمـد (ت ١٧٠هـ): «في العربية تسعـة وعشرون حرفـاً: منهـا خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الـواو واليـاء والألف اللينـة (والهمزة)، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، وانمـا هي هاويـة في الهـواء، فلم يكن لهـا حيـز تنسب اليـه إلا الجوف. وكان يقول كثيراً: الالف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء».[8]

وقـال سيبـويـه (ت ١٨٠هـ) في (بـاب الـوقف في الـواو والياء والالف): «وهذه الحـروف غيـر مهمـوسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فاذا وقفت عندها لم تضـمهـا بشفـة ولا لسـان ولا حلق كضم غيرها، فيهوي الصوت اذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة، واذا تفطنت وجدت مسّ ذلك».[9]

وقـال المبـرد (ت ٢٨٥هـ): «فمن حروف البـدل حروف المـد واللين المصوتة، وهي الألف والـواو واليـاء».[10] وقال عن هذه الحروف في مكان آخر: «وهي حروف بائنة من جميع الحروف... فحروف المد حَيِّزٌ واحد على حدة».[11]

(٧) يمكن الأطلاع على بعض تلك الدعاوىٰ في بحث (المصوتات) ص ٣٩٢-٣٩٤.

(٨) العين ١/ ٥٧.

(٩) الكتاب ٤/ ١٧٦.

(١٠) المقتضب ١/ ٦١.

(١١) المقتضب ١/ ٢١٠-٢١١.

وكان ابن جني (ت ٣٩٢هـ) قد وصف هذه الحروف بصفة (المصوتة). أيضا،(١٢) ومما قاله عن مخارجها: «والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الالف، ثم الياء، ثم الواو...».(١٣)

وكان أبو علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٨هـ) قد صنف الحروف الى صامتة ومصوتة.(١٤) وكذلك فعل أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان (ت ٥٩٢هـ).(١٥) وأبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ).(١٦)

وقد ورث علماء التجويد تلك الجهود في تصنيف الأصوات، ولكنهم لم يقفوا عند حد ترديد مقولات علماء العربية، بل نجد لديهم اتجاهاً جديداً في التعبير عن التصنيف السابق للأصوات، لم يأخذوه عن غيرهم كما يبدو، وكان هذا الاتجاه قد ظهر في القرن الخامس، ولكنه لم يستمر أبعد من القرن السادس للهجرة، وارتبط بعدد محدود من علماء ذينك القرنين، ويتمثل ذلك الاتجاه بالتعبير عن صنفي الأصوات المذكورين باستخدام كلمة (جامد) وكلمة (ذائب).

وكان الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ) أول من استخدم مصطلح (الحرف الجامد) و(الحروف الجامدة)، من المصادر التي اطلعت عليها، لكنه لم يستخدم مصطلح (الذائبة)، واستعاض عنه بمصطلح حروف المد. وهو لم يستخدم مصطلح (الجامدة) في كتابه (التحديد في الاتقان والتجويد) الا مرة واحدة، حيث قال، وهو يتحدث عن الواو والياء اذا كانت قبلهما حركة من جنسهما: «فان انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المد، وانبسط اللسان بهما، وصارا بمنزلة سائر الحروف الجامدة، وأُلقي عليهما حركات الهمزات في مذهب من رأى ذلك، وأُدغما في مثلهما باجماع».(١٧)

(١٢) الخصائص ٣/١٢٥.

(١٣) سر صناعة الاعراب ١/٨.

(١٤) أسباب حدوث الحروف ص ٤٢-٤٣، وانظر: ص ١٩.

(١٥) تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء ٢و.

(١٦) التفسير الكبير ١/٢٩.

(١٧) التحديد ٢٩و-٢٩ظ. وكنت قد نقلت هذا النص وحده في بحث (المصوتات) ص ٤٢٥.

ونجد الداني يستخدم مصطلح (الحرف الجامد) خمس مرات في كتابه (الادغام الكبير) ويستخدم في مقابله (حرف مد ولين)، وسوف أنقل هنا النصوص الخمسة وذلك لتوضيح استخدام هذا المصطلح الجديد، ولندرة مثل هذه النصوص أيضا.

١ - قال الداني وهو يتحدث عن ادغام الهاء في مثلها عند أبي عمرو بن العلاء في مثل قوله تعالى (فيهِ هُدًى) (البقرة ٢) و(إنَّهُ هُوَ التوابُ) (البقرة ٣٧): «فان قال قائل: فقد جمع فيما قبل الهاء فيه ساكن من ذلك بين ساكنين. قيل له: الساكن الأول اذا كان حرف مد ولين فالمد فيه مقام حركة، فامتنع الجمع بين الساكنين لذلك بإجماع النحويين، فان كان حرفاً جامداً أخفَى ولم يدغم، فلم يلتق ساكنان». [١٨]

٢ - «وكذلك جميع ما يدغمه من المثلين والمتقاربين مما قبل المدغم فيه ساكن جامد غير حرف مد ولين». [١٩]

٣ - «واما النون فكان يدغمها في مثلها، ولا يراعي ما قبلها من حركة أوسكون، وفي اللام والراء اذا تحرك ما قبلهما لا غير. . . فان سكن ما قبل النون، حرف مد ولين كان ذلك الساكن أوحرفاً جامداً، لم يدغمها فيهما». [٢٠]

٤ - «واما الراء فكان يدغمها في مثلها وفي اللام لا غير. . : وإن تحركت الراء بالفتح وسكن ما قبلها، حرفاً جامداً كان ذلك الساكن أو حرف مد ولين، لم يدغمها». [٢١]

٥ - «وأما الميم فانه كان يدغمها في مثلها. . . وكان يخفيها عند الباء اذا تحرك ما قبلها لا غير. . . فان سكن ما قبل الميم لم يخفها وأظهر حركتها، اكتفاء بخفة الساكن عن خفة الاخفاء، وسواء كان الساكن حرف مد ولين أو كان حرفاً جامداً». [٢٢]

---

(١٨) الادغام الكبير ١٠و.

(١٩) الادغام الكبير ١٢و.

(٢٠) الادغام الكبير ١٩و.

(٢١) الادغام الكبير ١٩ظ.

(٢٢) الادغام الكبير ٢٤و.

وهذه النصوص تبين بوضوح المقابلة التامة في الاستخدام بين (الحرف الجامد) و(حرف المد واللين)، وسوف أناقش الدلالة الصوتية لهذه المصطلحات في نهاية المبحث، بعد أن أستوفي تتبع استخدام هذا المصطلح الجديد في النصوص الأخرى، وقبل أن نترك الأندلس، بلد الداني، نشير الى عالم آخر من تلك البلاد استخدم مصطلح (الجوامد) في مقابل (حروف المد واللين)، وهو عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢هـ) في كتابه (الموضح في التجويد) لكنه لم يستخدمه الا مرتين، وفي نص واحد هو في أصله نص الداني الذي أورده في كتاب (التحديد).[٢٣]

واذا ولينا وجوهنا قبل بلدان المشرق الاسلامي وجدنا عدداً من العلماء يستخدمون مصطلح (الحروف الجامدة) لكننا نجد مصطلحا جديداً آخر يستخدم في مقابله بدلاً من (حروف المد واللين) وهو (الحروف الذائبة)، وكان استخدام هذا المصطلح خطوة كملت وجهة نظر علماء التجويد في تصنيف الحروف العربية وفق منظور صوتي خالص.

وكان الشيخ أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤هـ).[٢٤] أقدم من استخدم ذينك المصطلحين من علماء المشرق، ممن وقفت على أقوالهم، ولكني لم أطلع على النصوص المتعلقة بذلك في واحد من كتبه، وانما عثرت عليها في كتاب (الإيضاح في القراءات) لأحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) في الأبواب التي خصصها لعلم التجويد، ولعل مؤلف الايضاح نقلها من كتاب التجويد لأبي الفضل الرازي المفقود.[٢٥]

١ ـ قال أبو الفضل الرازي: «ولا يخلص للقارئ التجويد والترتيل الا بمعرفة مخارج الحروف، وإعطائه إياها من المخارج حدها، ومن الحركات حظها، ومن السكون حقها، وفرّق بين مهموسها ومجهورها... وجامدها وذائبها».[٢٦]

(٢٣) الموضح ١٦٤ظ.

(٢٤) ترجمته: ابن الجزري: غاية النهاية ١/٣٦١.

(٢٥) ذكره ابن الجزري في النشر ١/٢١٢.

(٢٦) الايضاح ٦٧ظ.

٢ ـ «وعن أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي، رحمه الله، انه قال: ينبغي لقارىء القرآن أن يعرف ما يحدث بعض الحروف في بعض من النقصان، لاستطالة حرف على حرف في التجاور، ويستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج بالألفاظ البشعة والطباع الجافية، وذلك أن يحترز من المدات الطويلة الرعشة المطيطة التي نهي عنها، والهمزات الملكزة، وتشريب الألفات النبرة في الوقف، وتنبير الذوائب حتى توازي الجوامد سيما المدود من ذلك والممكن». (٢٧) وكلمة (تنبير) هنا من النبر أي الهمز، وتنبير الذوائب يعني همزها، وهذا النص يوضح أن الهمز من الحروف الجوامد، لأن الحروف الذائبة، وهي حروف المد، اذا همزت لحقت بالجوامد.

وكان أحمد بن أبي عمر قد بيّن في كتابه (الايضاح) دلالة مصطلح (الجامد) و(الذائب) بشكل واضح ومحدد حيث قال: «والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسورة ما قبله، والواو المضموم ما قبله، والألف ولا يجيء الا مفتوحاً ما قبله، وهذه الحروف حروف المد واللين، سميت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمتد.

وما عداها جامد لانه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد». (٢٨)

وقد ورد مصطلح (الذوائب) في مواضع اخرى من كتاب (الايضاح). (٢٩) كما استخدمه أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) مرة واحدة في كتابه (التمهيد في التجويد) بنفس المعنى السابق. (٣٠) وذكره جعفر بن ابراهيم السنهوري (ت ٨٩٤هـ) في كتابه (الجامع المفيد في صناعة التجويد) حيث قال: «وحروف المد واللين الثلاثة تسمى الذوائب». (٣١)

---

(٢٧) الايضاح ٦٨ظ.

(٢٨) الايضاح ٧٤ظ.

(٢٩) انظر: الايضاح ٧٢و، ٧٣ظ.

(٣٠) التمهيد ١٥٨و.

(٣١) الجامع المفيد ١٠٤ظ، وانظر ٩٨ظ من نسخة برلين رقم ١٣٠٧.

ولا أستبعد أن تكون هناك نصوص أخرى استخدم فيها مصطلح (الجامدة) و(الذائبة)، ولكن ذهاب كثير من الكتب القديمة، وعدم اطلاعنا على مخطوطات قسم منها حرم البحث من فرصة تتبع ذلك الاستخدام، ولكني أجد أن الأمر أصبح واضحاً من خلال النصوص السابقة، ولم يبق إلا أن ننظر في هذا الاستخدام الجديد والفريد لتلك المصطلحات للتعبير عن صنفي الأصوات، وأن نقرر هل كان هذا الاستخدام موفقاً، بحيث يمكن أن يسعف دارسي الاصوات العربية اليوم ويقدم لهم مصطلحا تطمئن اليه نفوسهم، فيخرجون من تلك الحيرة المطبقة عليهم والاضطراب والفوضى الى استخدام مصطلح موحد ذي دلالة واضحة؟

وسوف اكتفي هنا بالموازنة بين أربعة مصطلحات (الصامت والمصوت) و(الجامد والذائب)، لأن ما عدا هذه الأربعة لا ينسجم مع الدرس الصوتي الخالص.

أما (الصامت والمصوت) فان استعمالهما قديم في الدلالة على صنفي الأصوات، على نحو ما ذكرنا من استخدامهما أو أحدهما عند المبرد وابن جني وابن سينا وابن الدهان والفخر الرازي، قبل قليل. وكذلك استخدمهما بعض علماء اللغة من المحدثين.[٣٢] واذا كان مصطلح (مصوّت) يمكن أن نربط بين دلالته على زيادة التصويت والتمطيط،[٣٣] واستخدامه في الدلالة على تلك الأصوات التي يتم إنتاجها من غير أن يقوم في ممر الهواء عائق، على اعتبار أن هذه الأصوات هي أكثر الأصوات قابلية لمد الصوت بها، فان من غير اليسير الربط بين دلالة كلمة (الصامت) على السكوت،[٣٤] وبين استخدامها في الدلالة على تلك الأصوات التي يقوم في طريق النفس عند انتاجها عائق كامل أو جزئي.

(٣٢) عبد الصبور شاهين (مترجم): العربية الفصحى لهنري فليش ص ١٩-٢٠ و٣٣ و٣٥. وقد استخدم محمود السعران الصامتة والصائتة (علم اللغة ص ١٦٠) وكذلك فعل برجستراسر (التطور النحوي ص ١٢ و٣٣).

(٣٣) انظر: ابن منظور: لسان العرب ٢ / ٣٦١ (صوت).

(٣٤) المصدر نفسه ٢ / ٣٥٩ (صمت).

وقـد تشكـك بعض دارسي الأصـوات العـربيـة من المحدثين في صلاحية ذلك الاستخدام لكلمة (الصامت)، فهويرى أن «فيها شيئا من الغرابة والتناقض، اذ كيف يسمى الصـوت صامتـاً؟!»[٣٥] ويـرى غيـره أن استخـدام كلمة (صامت) لا تخلومن مأخذ، اذ قد يلتبس هذا (الصمت) بمعنى (الهمس) المستعمل في مقابل (الجهر).[٣٦]

ويظهـر أن المعنى اللغـوي لكلمـة (الصـامت) يقرب من معنى كلمة (الأخرس) فالعرب تقول: هذه لبنة خرساء، يريدون اللبن الخاثر الذي لا يسمع له صوت اذا أريق.[٣٧] والصـامت من اللبن: الخـاثر.[٣٨] وقالت العرب: ماله صامت ولا ناطق، يريـدون بالصـامت الـذهب والفضـة، وبـالنـاطق الحيـوان من الابـل والغنم.[٣٩] فالصـامت اذن هو ضد النـاطق، وهـو معنى الاخـرس. ومن هنا يظهر التناقض الذي أشار اليه بعض المحدثين من استخدام هذه الكلمة في الدلالة على المعنى المذكور.

ويؤيد هذا التفسير لكلمة (الصامت) الذي يبين قصور استخدامها في مقابل كلمة (المصـوت) للدلالـة على قسمي الأصوات السابقي الذكر أن الفراء (أبا زكريا يحيى ابن زيـاد ت ٢٠٧هـ) استخـدم كلمـة (الأخرس) في مقابل (المصوت) للدلالة على (الشـديـد) و(الـرخـو) من الأصـوات.[٤٠] ويبدو ان هذا الاستخدام أوضح من حيث

---

(٣٥) محمد الانطاكي: الوجيز في فقه اللغة ص ١٤٦ هامش (١).

(٣٦) عبد الصبور شاهين (مترجم): العربية الفصحى لهنري فليش ص ١٩.

(٣٧) لسان العرب ٧/٣٦٣ (خرس).

(٣٨) لسان العرب ٢/٣٥٩ (صمت).

(٣٩) لسان العرب ٢/٣٦٠ (صمت).

(٤٠) ذكـر ذلـك السيـرافي في آخـر شرحـه لكتـاب سيبويه (أنظر: ما ذكره الكوفيون من الادغام للسيرافي، تحقيق صبيح حمود الشاتي. مجلة المورد، بغداد ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م المجلد ١٢ ـ العدد الثاني ص ١٣٢ و١٣٥). ونقل ذلك عبد الوهاب القرطبي في كتابه (الموضح ١٥٢و)، ونص قوله: «قسم الفراء الحروف الى مصوت والى أخرس،وكأنه أراد بالمصوت الـرخـو من الحـروف، وأراد بالاخـرس الشـديـد». وانظـر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٦٠٦.

أصـل الـدلالـة اللغـويـة والبعـد عن اللبس، فالصـوت الرخوله قابلية على الامتداد والتصويت به فهو (مصوِّت)، بعكس (الشديد) الذي لا يوجد الا في لحظة النطق به فهو اذن أخرس أي غير قابل للتصويت أي للتمطيط وزيادة المد. وقد ذكر المرعشي: «ان الحروف الشديدة آنية، لا توجد إلا في آن حبس النفس، وما عداها زمانية يجري فيه الصوت زماناً». (٤١) وقال: «فالحروف الرخوة ما عدا حروف المد يمكن تمديدها كحـروف المـد لكن بتكلف، بخـلاف حروف المـد فان مدهـا بمقتضى السليقـة المستقيمة بلا تكلف». (٤٢)

امـا مصطلح (الجـامـد) و(الـذائب) فان أصل استخدامهما اللغوي يتعلق بحالة الاشيـاء السـائلة كالمـاء وغيـره، لا بمـوضـوع الأصوات. فيقال: جَمَدَ الماء جَمْداً وجُمُـوداً، فهـو جامد: اذا صلب (ضد ذاب). ويقال: ذاب الشحم والثلج ونحوهما ذوباً وذوباناً اذا سال عن جمود. (٤٣) وقد قالت العرب: (لك جامد المال وذائبه) كما قالت (ماله صامت ولا ناطق). (٤٤) وهذا يرينا التقابل بين (جامد وذائب)، بينما نجد ان مقابل (صامت) هو (ناطق) وليس (مصوت).

ومهما يكن من أمر فان استخدام (جامد وذائب) في الدلالة على قسمي الأصوات المـذكـورين أوضـح وأكثر لصوقا بالمعنى اللغوي من (صامت ومصوت)، فالخاصية الأساسية التي ميزت بين قسمي الأصوات هي أن منها ما يجري فيه النفس حراً طليقاً فيمتـد في مخـرجـه، فكأنه يذوب ويسيل فيه، وذلك في حروف المد، ومنها ما يتعثر النفس في مخـرجـه، فربمـا حبس حبسـاً تاماً، وربما حصل تضييق في مجراه، فلا يمكن تمديد هذا النوع من الأصوات أصلاً أو يمكن ذلك ولكن بتكلف، فكأنه جمد في مخرجه فلا يذوب فيه ولا يسيل، وذلك في كل حروف العربية ما عدا حروف المد.

وقد نقلنا من قبل تعليل أحمد بن أبي عمر لتسمية حروف المد بالحروف الذائبة،

---

(٤١) جهد المقل ١٢و.

(٤٢) جهد المقل ٦و-٦ظ.

(٤٣) لسان العرب ٤/١٠٣ و٣٨١ والمعجم الوسيط ١/١٣٣ و٣١٧ مادة (جمد) و(ذوب).

(٤٤) لسان العرب ٤/١٠٣ (جمد).

«لانها تذوب، وتلين، وتمد. وما عداها جامد لانه لا يلين، ولا يذوب، ولا يمتد » فكلمة (تذوب) تعبر عن مرور الهواء حراً طليقاً من غير عائق مؤثر تأثيراً بيناً، وكلمة (تلين) تؤكد ذلك المعنى، لأن اللين ضد الخشونة،(٤٥) ولما كانت هذه الاصوات تذوب فهي اذن (تمتد). وذلك كله لا يتحصل في الأصوات الجامدة.

ومن ثم فاني أجد أن استخدام مصطلح (الصوت الجامد) ويقابله (الصوت الذائب) اكثر تعبيرا عن صنفي الأصوات من جميع المصطلحات التي استخدمت قديماً وحديثاً. ولكن المشكلة الاساسية تتركز في أن هذه المصطلحات كانت مجهولة كلياً لدى الدارسين المحدثين، وأن المصطلحات الأخرى الأقرب الى الدرس الصوتي مثل (صامت ومصوت) أحسن حظاً من حيث الاستخدام. ولكن ما دام البحث الصوتي العربي غير متوقف، فان هناك فرصة للخروج من دائرة الاضطراب الى حيز الاستقرار باستخدام مصطلحي (الجامد والذائب)، لاسيما اذا أدرك الدارسون ما يتميز به هذان المصطلحان قياساً بالمصطلحات الاخرى المستخدمة في مكانهما.

واذا كنا قد تحققنا من دقة استخدام علماء التجويد لمصطلح (الجامد والذائب) فينبغي أن نبين أنهم أدركوا بوضوح كيفية انتاج (الأصوات الذائبة) وتميزها بحرية مرور الهواء أثناء النطق بها، يقول المرعشي، وهويستخدم مصطلح (حروف المد) في مقابل (الحروف الذائبة): «فلجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد، إذ لا تنضغط أصواتها في موضع انضغاطاً ينقطع به الصوت، بل تمتد بلين بلا تكلف الى أن تقطعه بارادتك، ولذا قبلت الزيادة في الامتداد على مقدار يحصل به ذوات هذه الحروف».(٤٦)

وقال علي القاري عن حروف المد الثلاثة: «ثم انهن بالصوت المجرد أشبه منهن بالحروف، ويتميزن عن الصوت المجرد بتصعد الالف وتسفل الياء واعتراض الواو».(٤٧) والصوت المجرد يقصد به الصوت الذي ينتج حين يفتح الناطق فاه.

(٤٥) لسان العرب ١٧ / ٢٨٠ (لين).

(٤٦) جهد المقل ٦و.

(٤٧) المنح الفكرية ص ٩، وانظر: القسطلاني: لطائف الاشارات ١ / ١٨٩.

ويدفع بالهواء الى الخارج مع ذبذبة الوترين الصوتيين، وسماه ابن جني (الصوت الساذج). [٤٨]

وقد أتى ابن الطحان (أبو الأصبغ عبد العزيز بن علي الاشبيلي ت بعد ٥٦٠هـ) بتشبيه طريف يصور حالة أعضاء آلة النطق حين انتاج الأصوات الذائبة فقال وهو يتحدث عن الواو والياء الواقعتين بعد حركة من جنسهما: «انما يصير الفم لصوتيهما كالأنبوب». [٤٩]

ويتضح من هذه النصوص المحددة أن المسافة بين علماء التجويد وعلماء الأصوات المحدثين قد تضيق جداً أو تنعدم في كثير من الموضوعات، فغاية ما قاله المحدثون عن المصوت (الذائب): «بأنه الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً». [٥٠] وهذا لا يبتعد كثيراً عما قاله علماء التجويد قبل مئات السنين.

وإذا كانت الأصوات العربية تنقسم الى ذائبة، وهي حروف المد، وجامدة وهي ما عداها، فما موقع الحركات العربية: الفتحة والكسرة والضمة، من قسمة الأصوات العربية تلك، وهل هي من الجامدة أو الذائبة؟

النصوص الواردة عن علماء التجويد تؤكد أن الحركات مأخوذة من حروف المد، قال الداني وهو يتحدث عن حروف المد: «وان الحركات مأخوذة منها:
فالفتحة من الألف.
والكسرة من الياء.
والضمة من الواو». [٥١]

(٤٨) سر صناعة الاعراب ٩/١، وانظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٠/٣.

(٤٩) مرشد القارىء ١٣٦و.

(٥٠) كمال محمد بشر: الاصوات ص ٩٢، وانظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٠.

(٥١) التحديد ١٨ظ.

وهذه قضية قررها علماء العربية قديماً، [٥٢] وأخذها عنهم علماء التجويد واستدلوا عليها وصارت لديهم من الحقائق المقررة حتى قال عبد الوهاب القرطبي: «وهذا الأمر لامزيد عليه من الوضوح». [٥٣] وقال ابن الجزري: «والجمهور على أن الفتحة من الألف والضمة من الواو والكسرة من الياء». [٥٤]

ومع إني لم أعثر على نص صرح فيه علماء التجويد بأن الحركات من الأصوات الذائبة لكن ذلك هو معنى النصوص السابقة، لأن كل واحدة من الحركات مأخوذة من أحد الأصوات الذائبة، وما ينطبق على الأصل ينطبق على الفرع.

---

(٥٢) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٠١ و٢٤١ و٣٠٩ و٣١٨. والمبرد: المقتضب ١/٥٦، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/١٩، والخصائص ٢/٣١٥ و٣٢٧.

(٥٣) الموضح ١٥٠و.

(٥٤) النشر ٢/٢٠٤، وانظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٥.

المبحث الرابع
تصنيف الأصوات الجامدة بحسب المخارج

اولا ـ عدد حروف العربية عند علماء التجويد:

يقسم علماء العربية وعلماء التجويد الحروف العربية الى أصول وفروع. وهذه القسمة ترجع الى ما أورده سيبويه في الكتاب، حيث قال: «فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة والألف والهاء، والعين والحاء...

وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي:

النون الخفيفة.

والهمزة التي بين بين.

والألف التي تمال إمالة شديدة.

والشين التي كالجيم.

والصاد التي كالزاي.

وألف التفخيم، يُعنىٰ بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة.

وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي:

الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف.[1]

---

(١) قال أبو حيان (ارتشاف الضرب ص ٤): «وعد سيبويه هذا حرفاً واحداً، لأن النطق لا يختلف، وراعى ابن جني الاصل فعدّ ذلك حرفين، وتبعه ابن عصفور وابن مالك». وعلى هذا الاساس جعل ابن جني مجموع حروف العربية اصليها وفرعيها ثلاثة واربعين (انظر سر صناعة الاعراب ١/٥١).

والجيم التي كالشين.
والضاد الضعيفة.
والصاد التي كالسين.
والطاء التي كالتاء.
والظاء التي كالثاء.
والباء التي كالفاء.

وهـذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيّدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة...»(٢)

وقد اقتفى معظم دارسي الأصوات العربية من المتقدمين خطى سيبويه في تقسيم الأصوات الى أصلية وفرعية، وحاول كثيرون توضيح كلام سيبويه وإيراد الأمثلة عليه وشرحها، وربما استدرك بعضهم على سيبويه حرفاً أومثالاً، وليس من غرضنا استقصاء كل ذلك هنا، وسوف نكتفي بتوضيح موقف علماء التجويد من تلك القسمة، وبيان عدد حروف كل قسم، مؤكدين النواحي التي تمكن فيها علماء التجويد من أن يضيفوا شيئاً جديداً الى ما قرره سيبويه. ويمكن أن نتتبع ذلك بالنظر الى الموضوع من طرفيه: أعني الحروف الأصلية والحروف الفرعية.

١ ـ الحروف العربية الأصلية:

ذكر سيبويه في النص السابق أن أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، وصار ما ذكره سيبويه أساساً استند عليه معظم علماء العربية، ولم يشذ منهم أحد الا أبا العباس المبرد، قال ابن جني: «اعلم أن أصل حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً، فأولها الألف وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم، الا أبا العباس فانه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفاً، ويجعل أولها الباء، ويدع الألف من أولها، ويقول هي همزة، ولا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة، فلا أعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة. وهذا الذي

(٢) الكتاب ٤/٤٣١-٤٣٢.

ذهب اليه أبو العباس غير مرضي منه عندنا . . . ». [٣] وقد أفاض ابن جني في الرد على المبرد إخراجه الهمزة من جملة الحروف.

والنص الوارد في كتاب (المقتضب) للمبرد لا يتضح منه بشكل قاطع أن المبرد لا يعد الهمزة من حروف العربية الأصلية، فهويقول: «اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً، منها ثمانية وعشرون لها صور»، لكنه يقول بعد ذلك مباشرة: «فمنها للحلق ثلاثة مخارج: فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة، وهي أبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك». [٤] فغاية ما يمكن قوله هنا أن المبرد لاحظ أن صور الحروف العربية ثمانية وعشرون، [٥] وهويريد الرموز المكتوبة، والهمزة من بين أصوات العربية لم يكن لها رمز محدد لأسباب لغوية تاريخية، أما انها أحد أصوات العربية لديه فيكفي في تقرير ذلك كلامه عن مخارج حروف الحلق الذي نقلنا جزءاً منه هنا.

وكان بعض المحدثين قد أخذ على سيبويه أنه حين جعل الحروف العربية تسعة وعشرين ذكر الألف الى جانب الهمزة، وهو يريد بها المدة التي في نحو(كان)، ولكنه لم يذكر الواو والياء الا مرة واحدة وهو يريد بهما الواو في (ثَوْب) والياء في (بَيْت)، فلم يذكر واو المد في (تقول) ولا ياء المد في نحو(تبيع)، وكان ينبغي - حسب رأيه - أن يكون عدد الحروف العربية الأصلية واحداً وثلاثين حرفا. [٦]

وكان علماء التجويد يسيرون باتجاه القول بأن حروف العربية الأصول واحد وثلاثون حرفاً منذ وقت مبكر، ويتمثل ذلك بحديثهم عن الطبيعة المزدوجة لكل من

---

(٣) سر صناعة الاعراب ١/٤٦ وما بعدها. وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٦، وابن عصفور: الممتع في التصريف ٢/٦٦٣.

(٤) المقتضب ١/١٩٢.

(٥) ولعل هذا هو قصد الفراء بقوله (معاني القرآن ١/٣٦٨): «أ ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا».

(٦) انظر: كمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة ١/٨١-٨٢، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٠.

الواو والياء حين يكونان حرفي مد (من الحروف الذائبة) مرة، وحين يكونان حرفي لين (من الجامدة) مرة أخرى، على نحو ما يوضح ذلك قول عبد الوهاب القرطبي: «الواو والياء تكون تارة من حروف المد واللين بأن تسكنا ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يَتَحَيَّزُ مخرجهما اذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد وبقي اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة الحروف الجوامد». (٧) وسوف نتحدث عن تلك الصفة لكل من الواو والياء في مبحث لاحق، ان شاء الله تعالى، ولكن الذي يعنينا هنا هو أن نقرر أن تلك النظرة المزدوجة الى كل من الواو والياء قد انتهت عند علماء التجويد الى القول بأن الحروف العربية الأصلية واحد وثلاثون حرفاً وذلك على يد محمد المرعشي.

كان المرعشي قد بحث في الفصل الخامس، وهو آخر فصول مقدمة كتابه (جهد المقل) مسائل يتوقف عليها بيان المخارج، وجعل ذلك في مقالتين، الأولى في عدد الحروف الأصلية والفرعية. والثانية في عدد المخارج. ومما ذكره في المقالة الأولى عن عدد الحروف قوله: «أما الحروف الأصلية فهي تسعة وعشرون، باتفاق البصريين، فهم يجعلون الألف المدية غير الهمزة، ويجعلون الواو والياء حرفين سواء كانا مديين أو لا، والمبرد منهم جعل الألف والهمزة حرفاً واحداً، ولذا جعل الحروف الأصلية ثمانية وعشرين. . .

أقول (المرعشي): وكذلك ينقسم كل من الواو والياء الى مدية وغير مدية». (٨)

وقال المرعشي في كتابه (بيان جهد المقل) موضحا عبارة وردت في النص السابق: «قوله: (سواء كانا مديين أولا)، أقول: ولو جعلوا الواو والياء المديين غير الواو والياء الخاليين من المد كما هو مقتضى قياس الألف المدية غير الهمزة، تصير الحروف الأصلية واحدا وثلاثين». (٩) وقوله هنا (الحروف) يعني بها الأصوات المنطوقة لا الرموز المكتوبة.

---

(٧) الموضح ١٦٤ظ.

(٨) جهد المقل ٤ظ.

(٩) بيان جهد المقل ٦ظ.

٢ ـ الحروف العربية الفرعية :

الحرف الفرعي هو الصوت الأصلي الذي تتغير صفة من صفاته الصوتية أو ينتقل مخرجه الى مخرج صوت مجاور له. وذلك التغير ناتج عن واحد من ثلاثة أسباب :

١ ـ المجاورة، مثل الصاد التي كالزاي في نحو (مَصْدر)، والشين التي كالجيم في نحو (أشْدّق) فقد لحق الجهر كُلّاً من الصاد والشين المهموستين لمجاورة الدال المجهورة.

٢ ـ لغات القبائل، مثل همزة بين بين، وألف الامالة، وألف التفخيم.

٣ ـ اللكنة الأعجمية، مثل الطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء.

وقد ادرك علماء التجويد حقيقة الأصوات الفرعية، فقال مكي (ت ٤٣٧ هـ) ان مخرج الحرف الفرعي «متوسط بين مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه». [١٠] وقال أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ): «وانما كانت فروعاً لامتزاجها بغيرها، وكانت مستحسنة لما يستفاد بالامتزاج من تسهيل اللفظ وتحسينه في المسموع». [١١] وقال المرادي (ت ٧٤٩هـ): «المراد بالفروع حروف ترددت بين مخرجين، وتولدت من حرفين». [١٢] وقال المرعشي (ت ١١٥٠هـ): «ووجه تفرع هذه الحروف انها متولدة من امتزاج الحرفين الأصليين». [١٣]

وأدرك علماء التجويد أن الحروف الفرعية لا تدرك الا بالمشافهة، لأنها لا صورة لها في الكتابة، فنصوا على ما نص عليه سيبويه في قوله السابق من انها (لا تتبين الا بالمشافهة)، فقال أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ): «ولا يوقف على حقيقة هذه الحروف المتفرعة الا بالشفاه». [١٤]

---

(١٠) الرعاية ص ٨٨.

(١١) الايضاح ٧٢و.

(١٢) المفيد ١٠١ظ.

(١٣) جهد المقل ٥و.

(١٤) التمهيد ١٤٣ظ.

ويظهــر من كلام سيبـويـه أن أسـاس تقسيم الحـروف الفـرعيـة الى مستحسنـة ومستقبحـة هو كثـرة الاستخـدام وقلتـه ، فمـا كثـر استخدامه منها في لغة من ترتضى عربيتـه كان (مستحسناً) ، وما قل استخدامه كان (مستقبحاً) ، وسيبويه يستخدم كلمة (غيـر مستحسن) ولم يستخـدم كلمـة (مستقبح) التي استخدمها بعده عدد من علماء العربية وعلماء التجويد ، لكنه استخدم كلمة (رديء) . (١٥)

وكان سيبويه قد عد من الحروف المستحسنة ستة ، ومن الحروف غير المستحسنة سبعـة باعتبار الكاف التي بين الجيم والكـاف ، والجيم التي كالكـاف حرفـاً واحداً ، فتكـون عدة الحـروف العـربية أصليها وفرعيها ، جيدها ورديئها اثنين وأربعين حرفا . ولمـا كان الأسـاس الذي استند اليه سيبويه في بيان عدد الحروف العربية هو السماع من قراء القـرآن والعـرب فمن المتـوقـع اذن أن يروي غيـره حروفاً أُخرىٰ ، إما لأنه لم يسمعهـا أو أنـه اعتبـرهـا حرفـاً واحداً ، وعدها غيره أكثر من حرف . ومن ثم زاد بعض علمـاء العـربيـة وبعض علمـاء التجـويـد في عدد حروف العـربية حتى بلغ بها عبد الوهاب القرطبي اثنين وخمسين حرفاً . (١٦) أي بزيادة عشرة أحرف على ما ذكره سيبويه .

والحـروف الفـرعيـة المستحسنـة التي زادهـا عبـد الوهاب القرطبي على ما ذكره سيبويه هي : اللام المفخمة التي هي فرع على المرققة ، والراء المرققة التي هي فرع على المغلظـة ، والـواو التي يُنْحَى بالضمة التي قبلها نحو الكسرة ، والياء التي يُنْحَى بالكسـرة التي قبلهـا نحـو الضمـة ، وعد الهمزة المسهلة بين بين ثلاثة أحرف ، وكان سيبويه قد عدها حرفاً واحداً ، فتلك ستة أحرف . (١٧)

والحروف الفرعية غير المستحسنة التي ذكرها عبد الوهاب القرطبي زيادة على ما ذكره سيبويه هي : السين التي كالزاي ، والجيم التي كالزاي ، والقاف التي بين القاف

(١٥) انظر: ابوحيان: ارتشاف الضرب ص ٤ ، والسيوطي : همع الهوامع ٦/ ٢٩٥ . وأحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٢ظ. والعطار: التمهيد ١٤٣و.

(١٦) الموضح ١٥٥ظ.

(١٧) الموضح ١٥٣ظ - ١٥٤ظ.

والكـاف وهي تأتي مثـل لفـظ الكـاف التي بين الجيم والكـاف، واعتبر عبد الوهاب القـرطبي الكـاف التي بين الجيم والكـاف، والجيم التي كالكـاف، حرفين، بينمـا عدهما سيبويه حرفاً واحداً. [١٨] واعتبارهما حرفين هو مذهب ابن جني وابن عصفور وابن مالك. [١٩] فذلك أربعة أحرف.

ونقل أبو العلاء الهمذاني العطار أن الأخفش أضاف حرفاً آخر هو الذال التي كالثاء. [٢٠] وذكر أبو حيان الاندلسي القاف التي كالكاف، كقولهم في القمح: الكمح. [٢١]

وقـد أورد علمـاء التجويد أمثلة تلك الحروف الفرعية ووضحوا صفاتها الصوتية، وكيفيـة حصـولهـا، ونكتفي هنـا بمـا ذكرناه عنها، وسوف نستوفي الكلام عنها مقرونا بالكـلام على الحـروف العـربيـة الأصـول، حين نحـدد مخـارجهـا ونبين صفـاتهـا وأحوالها، ليكون الحديث مترابطاً متكاملاً على صعيد واحد.

ثانيا ـ بيان عدد مخارج الحروف العربية عند علماء التجويد:

المخـرج هو المـوضـع الذي ينشأ منه الحرف، وكلمة (المخرج) هي الغالبة في الاستخـدام عنـد علمـاء التجويد، وسبق القول في موقفهم من تعريفها. وكان قدماء النحـويين قد استخـدمـوا الى جانب كلمة (المخرج) عدداً من الكلمات للتعبير عن مكـان تَكَـوُّنِ الحـرف من آلـة النطق، فكان الخليل بن أحمد قد استخدم في مقدمة كتاب العين كلمة (حَيِّز، وجمعها أحياز). [٢٢] وكلمة (مدرجة، ومدرج، ومدارج)، [٢٣] واستخدم أقل من ذلك كلمة (المخرج). [٢٤]

---

(١٨) الموضح ١٥٥ظ. وانظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٤٤٨ و٤٥١.
(١٩) انظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٤، المرادي: شرح التسهيل ٣٠٤ظ.
(٢٠) التمهيد ١٤٣ظ.
(٢١) ارتشاف الضرب ص ٤.
(٢٢) العين ١/٤٨ و٥٧.
(٢٣) العين ١/٥١ و٥٧، وانظر: الازهري: تهذيب اللغة ١/٥٠ و٥١.
(٢٤) العين ١/٥١ و٥٢.

أمـا سيبـويه فان كلمة (المخرج) هي المستخدمة لديه أكثر من غيرها. [٢٥] حيث ترد عنـده كلمـة (حيـز)، [٢٦] وكلمـة (مـوضـع)[٢٧] على نحو أقل. ويغلب أن يكون استخـدام هذه الكلمـات بمعنى واحـد. [٢٨] وهـو استخـدام لم يجد المحدثون عنه محيدا ولم يجدوا له بديلاً ولا مزيداً. [٢٩]

وكان أقدم بيان متقن لمخارج الحروف العربية هو الذي أورده سيبويه في كتابه، أمـا ما ورد في مقـدمـة كتـاب العين للخليـل بن أحمد فانه كان موضع نقد من بعض جوانبه. وكان متقدمو علماء التجويد يعتمدون على بيان سيبويه لمخارج الحروف. قال الـداني وهـو يتحـدث عن مخارج الحروف: «وأنا اذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، اذ هو الصحيح المعول عليه». [٣٠] وقال عبد الوهاب القرطبي: «أما تحقيق ذواتهـا وذكـر مخـارجهـا وتبيين أجنـاسها وذكر مراتبها في الاطراد فنذكره على ما ذكره سيبويه ـ رضي الله عنه ـ ورتبه في نسخة أبي بكر مبرمان، وتلاه أصحابه وغيرهم من المتأخرين عليه، لأنه المعتمد». [٣١]

ولا يعني ذلـك أن علمـاء التجـويد، سواء منهم المتقدمون أم المتأخرون، قنعوا بمـا ذكـره سيبـويـه، ورددوا كلمـاتـه دون أن يوضحوا غامضاً أو يزيدوا شيئاً، وما كان تمسكهم بما أورده سيبويه الا لشعورهم بدقته واتقانه. كيف لا والمحدثون يشهدون لسيبـويـه بذلك، مثل قول المستشرق الالماني أ. شاده عن سيبويه: «بلغ في تعيين

---

(٢٥) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢٦) انظر: الكتاب ٤/٤٦٤ و٤٦٥ و٤٦٨.

(٢٧) انظر: الكتاب ٤/٤٥٣ و٤٦١ و٤٧٩.

(٢٨) يفهم من قول سيبـويـه (الكتـاب ٤/١٠١): (والحـروف المرتفعة حيز واحد) وقول المبرد (المقتضب ١/٢٠٩): (ثم نذكـر حروف الفم، وهي حيـز على حدة) أن كلمـة (حيـز) قد تستخدم بمعنى أعم من كلمة (مخرج).

(٢٩) قال الدكتور محمود السعران (علم اللغة ص ١٩٩): ان ما يسميه العرب (مخرج الحرف) سماه المحدثون في الغرب (موضع النطق).

(٣٠) التحديد ١٦و.

(٣١) الموضح ١٥٢و.

مواضع الحروف ومخارجها من الصحة والدقة ما يعسر علينا الزيادة والاصلاح، وان كانت عباراته تحتاج في بعض الأمكنة الى التفسير». [٣٢] ويمكن أن ندرس ما تناوله علماء التجويد من قضايا تتعلق بمخارج الحروف في عدة نقاط، وذلك قبل أن ندقق في المخارج مخرجاً مخرجاً، ونوازن بين ما قاله سيبويه وعلماء العربية فيها وما قاله علماء التجويد، وما قاله المحدثون من بعدهم.

١ ـ الاختلاف في عدد المخارج:

قال سيبويه: «ولحروف العربية ستة عشر مخرجا». [٣٣] وهذا هو الذي جرى عليه أكثر علماء العربية، [٣٤] وكثير من علماء التجويد، [٣٥] ولكن نجد الى جانب ذلك من يذهب من علماء العربية المتقدمين الى جعل المخارج أربعة عشر مخرجاً، ومن يذهب من علماء التجويد المتأخرين الى جعلها سبعة عشر مخرجا.

قال الداني: «وزعم الفراء وقطرب والجرمي وابن كيسان أن مخارج الحروف أربعة عشر مخرجاً، فجعلوا اللام والراء والنون من مخرج، وهو طرف اللسان، وجعلهن سيبويه من ثلاثة مخارج». [٣٦] وقد أضاف المرادي الى هؤلاء (ابن دريد)،

---

(٣٢) علم الاصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٥. ومن العجيب المؤسف قول الدكتور تمام حسان (مناهج البحث في اللغة ص ٨٥): «ولقد خلط النحاة العرب خلطاً كبيراً في تحديد المخارج»، ثم هو بعد ذلك لا ينقل الا من كتاب النشر لابن الجزري ويخلط في فهم نصوصه خلطاً كبيراً!

(٣٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣٤) انظر: الزبيدي: الواضح في علم العربية ص ٢٨١، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥٢، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٣-١٢٤، وابن عصفور: المقرب ٢/٥، والإستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٠.

(٣٥) انظر: مكي: الرعاية ص ١١٨، والداني: التحديد ١٦و، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢و، واحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٢ظ، والعطار: التمهيد ١٤٣ظ.

(٣٦) التحديد ١٧و. وانظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ.

وقال عن ابن كيسان (بخلاف عنه). [٣٧] ولكن ما ورد في كتاب الجمهرة لابن دريد لا يؤيد اضافة المرادي له الى الأربعة الذين ذكرهم الداني. فابن دريد يقول: «ان هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستة عشر مجرى»، أي مخرجا. ثم قال عن الحروف الثلاثة موضع الخلاف: «ثم النون تحت حافة اللسان من الشق الأيمن، واللام قريبة من ذلك، والراء أدخل بطرف، الا أن الراء أدخل بطرف اللسان في الفم». وهذا الكلام يفهم منه أن ابن دريد يذهب الى أن لكل حرف من هذه الحروف الثلاثة مخرجاً مستقلاً، وأن عدد مخارج الحروف العربية ستة عشر مخرجاً. [٣٨]

ولا توجد في أيدي الدارسين اليوم المصادر الأصلية التي ورد فيها رأى الفراء (يحيى بن زياد ت ٢٠٧هـ) وقطرب (محمد بن المستنير ت ٢٠٦هـ) والجرمي (صالح بن اسحاق ت ٢٢٥هـ) وابن كيسان (محمد بن أحمد ت ٢٩٩هـ). لكن مكياً تحدث عن الموضوع في باب مستقل في كتابه (الرعاية) سماه (باب الاختلاف في المخارج)، والجديد الذي تضمنه هذا الباب هو ما استدل به ابن كيسان في الموضوع، وأجد من المفيد أن أنقله بنصه، لأن فيه ما قد يفسر لنا عبارة المرادي التي قالها عن ابن كيسان، وهي قوله (بخلاف عنه).

قال مكي: «قال ابن كيسان محتجاً (لقول) سيبويه: النون أدخل في اللسان من الراء، وفي الراء تكرير ليس في النون، وارتعاد طرف اللسان بالراء لتكريرها مخالف لمخرج النون، فهما مخرجان متقاربان. قال: واللام مائلة الى حافة اللسان عن موضع النون، تنحرف عن الضاحك والناب والرَّباعية حتى تخالط الثنايا، فهذا مخرج ثالث.

قال ابن كيسان: فان قال قائل: المخرج واحد، ولكن الزيادة التي في الراء واللام كالزيادة التي في النون من الغنة الخارجة من الخياشيم، واختلاف هذا

(٣٧) شرح التسهيل ٣٠٣ظ، وانظر: ارتشاف الضرب ص ٢؛ والسيوطي: همع الهوامع ٦/٢٨٩ و٢٩١.

(٣٨) الجمهرة ٨/١.

المخرج كاختلاف المخرج الذي فوقه من وسط اللسان، وهو مخرج الشين والجيم والياء، وينبغي أن يقال: هذه ثلاثة مخارج أيضا.

قيل له: ابتداء الشين والجيم والياء من مخرج واحد، وانما اختلفت هي أنفسها باستطالة الشين وانبساط الجيم ومد الياء، كما أن الدال والطاء والتاء من مخرج واحد، وهي مختلفات في أنفسها، للاطباق الذي في الطاء، والجهر الذي في الدال، والهمس الذي في التاء». (٣٩)

ان المقطع الأول من كلام ابن كيسان يؤيد مذهب سيبويه ويحتج له في جعل مخارج هذه الحروف ثلاثة، لكل حرف مخرج، أما ما بعد المقطع الأول فانه وان كان مسوقاً لتأكيد مذهب سيبويه فهو يصلح للاحتجاج لمذهب الفراء وقطرب والجرمي في عد الحروف الثلاثة من مخرج واحد، فاذا كانت الشين تميزت بالاستطالة والجيم بالانبساط والياء بالمد وهي مع ذلك من مخرج واحد فانه يمكن القول بأن الراء تميزت بالتكرير، والنون بالغنة، واللام بالانحراف وهي مع ذلك من مخرج واحد، قياساً على حكم الشين والجيم والياء. فابن كيسان في أول كلامه مع سيبويه، وفي آخره مع الفراء وأصحابه، وقد اختلف العلماء في تحديد موقف ابن كيسان، حتى قال المرادي: (بخلاف عنه).

أما اعتبار مخارج الحروف العربية سبعة عشر مخرجاً فهو ما ذهب اليه جماعة من علماء التجويد، الذين أفردوا الألف والواو والياء المدية بمخرج مستقل سماه أكثرهم (الجوف) تأثراً بما ذهب اليه الخليل بن أحمد من اعتباره هذه الحروف الثلاثة هوائية تخرج من الجوف. (٤٠)

وقد لخص ابن الجزري ذلك بقوله في كتابه النشر: «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها، فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل ابن أحمد، ومكي بن أبي طالب، وأبي القاسم الهذلي، وأبي الحسن شريح

---

(٣٩) الرعاية ص ٢١٧-٢١٨.

(٤٠) العين ١/٥٨.

وغيرهم . سبعة عشر مخرجاً، وهذا الذي يظهر من حيث الاختبار، وهو الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها .

وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشر،[41] فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين ، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق ، والواو من مخرج المتحركة ، وكذلك الياء .

وذهب قطرب . . . الى أنها أربعة عشر . . . والصحيح عندنا الأول لظهور ذلك في الاختبار» .[42]

وليس متيقناً أن الذين ذكرهم ابن الجزري قالوا جميعاً بأن مخارج الحروف سبعة عشر، ويترجح لديّ أن ابن الجزري أراد أن هؤلاء العلماء يذهبون الى أن لحروف المد مخرجاً مستقلاً ، خاصة بالنسبة للخليل ومكي وابن سينا . أما الهذلي وشريح فلم أطلع على ما يوضح رأيهما بالتحديد . فالخليل بن أحمد لم يقل في مقدمة كتاب العين ان مخارج الحروف سبعة عشر، بل ان الذي يستنتج من كلامه انه يجعل مخارج الحروف تسعة، لكنه ذكر ان الواو والياء والألف هوائية تخرج من الجوف .[43] وكذلك يفهم من كلام ابن سينا الذي ميز بين الياء والواو (الصامتتين والمصوتتين) ، أنه يجعل للألف والواو والياء المصوتة مخرجاً أو مخارج متميزة ، فقد وصف مخارج هذه الأصوات بانها مع اطلاق الهواء سلساً غير مزاحم ، أو مع أدنى تضييق .[44] أما مكي بن أبي طالب فقد صرح «أن للحروف التي تألف منها الكلام ستة عشر مخرجاً» .[45] لكن ورد في بغض كلامه أنه يميل الى اعتبار الألف من الجوف ، فقال حين ذكر حروف الحلق الستة «وقد زاد قوم الألف» .[46] وقال وهو

---

(٤١) قال القسطلاني (اللالئ السنية ٧و) : «وقال سيبويه وأتباعه كالشاطبي ستة عشر» .

(٤٢) النشر ١/١٩٨-١٩٩ .

(٤٣) انظر: العين ١/٥٧-٥٨ . وانظر: الازهري : تهذيب اللغة ١/٤٨ .

(٤٤) أسباب حدوث الحروف ص ١٩ .

(٤٥) الرعاية ص ١١٨ .

(٤٦) الكشف ١/١٣٩ .

يتحـدث عن مخـرج الألف: «لكن الألف حرف يهـوي في الفم حتى ينقطع مخرجه في الحلق، فنسب في المخرج الى الحلق لأنه آخر خروجه». [٤٧] وذكر حين تحدث عن صفـات الحـروف وألقـابهـا (الحروف الجوفية، والحروف الهوائية) وهي حروف المد واللين الثلاثة، نقل ذلك عن الخليل. [٤٨] فهناك اذن بعض ما يمكن أن يستدل به على أن مكياً يجعل مخرج حروف المد مخرجاً واحداً هو الجوف، على الرغم من أنه صرح ان مخارج الحروف ستة عشر مخرجا.

وكـان سيبـويه قد جعل المخرج السادس عشر من الخياشيم للنون الخفيفة، [٤٩] وهي النـون المخفـاة التي تصير غنة في الخيشوم. [٥٠] لكن بعض علماء التجويد لم يعتبر هذا المخرج، ومن ثم فان من ذهب مذهب سيبويه في جعل مخارج الحروف ستـة عشـر جعلهـا خمسـة عشر باسقاط مخرج النون الخفية أو الغنة. [٥١].ومن ذهب مذهب ابن الجزري في جعل مخارج الحروف سبعة عشر جعلها ستة عشر مخرجاً. [٥٢]

وحسبنـا هنـا أن نشيـر الى هذه المـذاهب العـامـة في تحـديـد مخارج الحروف العـربيـة، وسوف نشير الى موقف علماء الأصوات المحدثين من هذه القضية بعد أن نتحـدث عن موقف علمـاء التجـويـد من مخـارج الحروف تفصيلاً، وقبل أن نعرض لذلـك نقف عنـد مقـولـة بعض علمـاء العـربية (لكل حرف مخرج) ونبين أثرها على موقف علماء التجويد.

---

(٤٧) الرعاية ص ١٣٤.
(٤٨) الرعاية ص ١١٦.
(٤٩) الكتاب ٤/٤٣٤.
(٥٠) انظر: الداني التحديد ١٧و. واحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٣و.
(٥١) انظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٨ظ.
(٥٢) انظر: السمنودي: تحفة الطالبين ٧ظ.

٢ ـ هل لكل حرف مخرج؟ :

حين قرر سيبويه أن مخارج الحروف ستة عشر مخرجاً فان ذلك يعني أن من الحروف مايشترك في مخرج واحد، لان حروف العربية حسب رأيه تسعة وعشرون حرفاً، فنجد الحرفين والثلاثة يشتركان في المخرج الواحد، وقليل من تلك الحروف ما انفرد بمخرج مستقل، ويكون اختلاف الصفات هو الأساس في تمييز الحروف المشتركة في المخرج الواحد، وهو السبب في اختلاف جروسها في السمع، لكن بعض النحاة ذهب الى أن ذلك تقريب، والتحقيق أن كل حرف له مخرج. فما مقدار هذا القول من الصحة، وما موقف علماء التجويد من ذلك؟

يبدو أن ابن الحاجب (عثمان بن عمرت ٦٤٦هـ) هو أقدم من ذهب ذلك المذهب، فقد قال في الشافية: «ومخارج الحروف ستة عشر تقريبا، والا فلكل مخرج». [٥٣] وقال في (الايضاح في شرح المفصل): «قسم النحويون مخارج الحروف الى ستة عشر على التقريب، والحاق ما اشتد تقاربه بمقاربه، وجعله معه من مخرج واحد، والتحقيق أن كل حرف له مخرج يخالف الآخر وإلا كان إياه، فجعلوا للهمزة والألف والهاء أقصى الحلق، ولا شك أن الهمزة أول، والألف بعدها، والهاء بعدها، ولكن لما اشتد التقارب اغتفروا ذكر التفرقة». [٥٤]

ولم يكن لهذا الاتجاه الجديد في تحديد مخارج الحروف العربية إلا تأثير يسير على موقف علماء التجويد في دراسة المخارج، سرعان ما اختفى ذلك التأثير، فلم يذهب ذلك المذهب الا عدد قليل من علماء القراءة وعلماء التجويد. [٥٥] وكذلك ذهب اليه بعض علماء العربية. [٥٦] ومع أن هذا الاتجاه ظل افتراضياً، ولم يُعْتَمَدْ في

---

(٥٣) انظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٥٠

(٥٤) الايضاح في شرح المفصل ٢/ ٤٨٠.

(٥٥) مثل: أبو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٣. وشعلة الموصلي: كنز التهاني (باب مخارج الحروف) ص ٢. وزكريا الانصاري: الدقائق المحكمة ص ٧، وأحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ٩و.

(٥٦) مثل: الجاربردي: شرح الشافية ص ٢٤١، والسيوطي: همع الهوامع ٦/ ٢٩٢.

دراسة المخارج، حتى عند القائلين به، نجد بعض العلماء يتصدون له ويبينون عدم متانة الأساس الذي يقوم عليه.

وكان رضي الدين الاسترباذي (ت ٦٨٦هـ) قد وضح مذهب ابن الحاجب لكنه تشكك في دقة ما ذهب اليه، فقال في آخر تعليقه على قول ابن الحاجب في الشافية (والا فلكل مخرج): «ان اختلافها قد يحصل مع اتحاد المخرج بسبب اختلاف وضع الآلة من شدة الاعتماد وسهولته وغير ذلك، فلا يلزم أن يكون لكل حرف مخرج». (٥٧)

وانتقد علي القارى (ت ١٠١٤هـ) ذلك المذهب، وقرر أن الصواب هوما ذهب اليه الجمهور، فقال معلقاً على قول من قال: «التحقيق أن لكل حرف مخرجاً مخالفاً لمخرج الآخر، وإلا لكان إياه»: «قلت: هذا التعليل بعيد من التحقيق فإن الجمهور من أرباب التدقيق جعلوا لحروف متعددة مخرجاً واحداً بناء على أنَّ التمييز حاصل باعتبار اختلاف الصفات، وإن كان الاتحاد باعتبار الذوات». (٥٨)

وحاول محمد المرعشي التقريب بين ما ذهب اليه ابن الحاجب من أن كل حرف له مخرج، وماذهب اليه الجمهور من أن مخارج الحروف ستة عشر أوسبعة عشر، فيشترك في بعض المخارج أكثر من حرف، وذلك بتقسيم المخارج الى مخارج كلية ومخارج جزئية، فقال، وهويتحدث عن عدد مخارج الحروف: «اعلم أن في عددها اختلافاً بين العلماء، والمختار عند الجمهور أنها سبعة عشر، بعضها كلي منقسم الى مخرجين جزئيين أو أزيد، وبعضها جزئي غير منقسم، فلكل حرف مخرج جزئي، كما قاله الرضي، والمخارج السبعة عشر متمايزة تمايزاً بيناً، بخلاف المخارج الجزئية المشتركة في مخرج كلي من هذه السبعة عشر». (٥٩)

ومحاولة المرعشي هذه قد تنطبق على بعض المخارج مثل مخرج (ج ش ي) ومخرج (ب م و) للتباين الكبير في طريقة نطق كل مجموعة، ولكن من غير اليسير

(٥٧) شرح الشافية ٢٥١/٣.

(٥٨) المنح الفكرية ص ٩.

(٥٩) جهد المقل ٥و.

تطبيقها على مخرج (ط د ت) ومخرج (ص س ز) وذلك لأن أصوات كل مجموعة متقاربة جداً ولم يميز بينها الا الاختلاف في صفة واحدة. وقد قال المرعشي عن (ط د ت): «الكل متشاركة في المخرج والشدة، ويفترق الطاء عن الدال بالاطباق. . . ويفترق الدال عن التاء بالهمس فقط، فلولا الجهر لكانت تاء، ولولا الهمس في التاء لكانت دالاً». (٦٠)

٣ ـ ترتيب الحروف التي تشترك في مخرج واحد:

والقضية الاخرى التي شغل بها علماء التجويد كثيرا، هي قضية ترتيب الحروف التي تخرج من مخرج واحد، فقول سيبويه: (ومن أوسط الحلق العين والحاء)(٦١) هل يعني أن العين قبل الحاء أو أنه لم يقصد بينهما ترتيباً؟ وقد كان أبو الحسن علي آبن محمد بن خروف (ت ٦٠٦هـ على خلاف) قد قال: «ان سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد». (٦٢)

وكان ابو حيان قد قال: «وظاهر كلام سيبويه أن الحاء بعد العين، وهو نص كلام مكي بن أبي طالب. ويظهر من كلام المهدوي أن العين بعد الحاء، وهو نص أبي الحسن شريح». (٦٣) ونقل ابن الجزري كلام أبي حيان في كتابه النشر. (٦٤) وقد قال الدكتور ابراهيم أنيس ان هذا الخلاف وهمي، وان التجارب الحديثة قد دلت على أن لكل صوتين من أصوات الحلق حيزاً معيناً، يحلان فيه معاً دون ترتيب لأحدهما على الآخر، وأيد كلامه بقول ابن خروف السابق. (٦٥)

السؤال الآن: هل الخلاف في ترتيب الحروف التي تنتج من مخرج واحد خلاف وهمي، فيكون علماء التجويد قد أخطأوا في هذا الموضوع جملة وتفصيلاً؟

---

(٦٠) جهد المقل ١٩ظ.

(٦١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٦٢) ابو حيان: ارتشاف الضرب ص ٣. وابن الجزري: النشر ١/١٩٩.

(٦٣) ارتشاف الضرب ص ٢.

(٦٤) النشر ١/١٩٩.

(٦٥) الاصوات اللغوية ص ١١٤ـ١١٥.

ان وسـائـل دراستنـا محدودة لا تعدو الملاحظة الذاتية، مع الاستفادة من النتائج التي توصـل اليهـا دارسو الأصوات من المحدثين. فاذا كانت (التجارب الحديثة) قد دلت على خطأ موقف علمـاء التجـويـد، فنحن لا نملك بالمـلاحظة الذاتية فقط أن نثبت العكس في موضـوع دقيق جداً، لأن علمـاء التجـويـد حين قالوا بأن العين قبل الحاء مثلا كانوا يدركون التقارب الشديد بينهما، ومن ثم نشأت تلك الآراء الثلاثة: (قبـل - مع - بعـد). ولـولا ما عثـرنـا عليـه من نصـوص لبعض علمـاء التجويد حول المـوضـوع لاكتفينـا بمـا دلت عليه التجارب الحديثة، لكن تلك النصوص لا تسمح للبـاحث المـدقق أن يمـر عليهـا دون أن يتساءل عن الأسس التي بنيت عليها، وعن مقدارها من الصحة.

كان محمـد المـرعشي قد قال وهـو يتحـدث عن الظـاء والـذال والثاء: «فاللسان يقرب الى الخارج في الثاء أكثر مما يقرب في اختيها، ويقرب اليه في الذال أكثر مما يقرب في الظاء». [٦٦] وهذا النص يكشف لنا عن ظاهرة دقيقة تخص الأصوات التي تشتـرك في مخـرج واحـد، وهـو يتعلق بأصـوات يمكن مراقبة انتاجها بالنظر من دون حاجة الى أجهزة، فنحن نلاحظ مالاحظه المرعشي، فيكفي المرء أن يردد (ظ - ذ - ث) ليكتشف ذلك التدرج في اندفاع طرف اللسان مع هذه الأصوات التي تخرج من مخـرج واحـد، ويمكن الاستعـانة بمرآة في أثناء النطق بتلك الأصوات لكي يلاحظ الناطق حركة طرف اللسان في تقدمه مع الثاء وتراجعه مع الذال، ثم تراجعه أكثر من ذلك مع الظاء، ويشترط في أثناء إجراء هذه التجربة أن ينطق الأصوات الثلاثة بنَفَس واحـد، غيـر فاصـل بينهـا بصـوت آخـر من همـزة الوصل أو غيرها، حتى يتمكن من ملاحظة حركة اللسان بوضوح دون مؤثرات خارجية، وسواء بدأ بالظاء وانتهى بالثاء أم بالعكس.

ويمكن أن نفسـر تلك الظـاهـرة من خلال ظاهـرتي الجهـر والهمس، والاطبـاق والانفتاح، فالثاء حرف مهموس يحتاج نطقه الى ضغط النَّفَس في مخرجه على نحو أكثـر ممـا يحتـاج في نطق الـذال الذي يتذبذب الوتران الصوتيان في أثناء النطق به،

---

(٦٦) جهد المقل ٩ظ.

فتحصل النغمة الصوتية التي تجعل الصوت المجهور أوضح من المهموس فلا يحتاج الناطق الى ضغط الهواء في مخرجه بقدر ما يحتاج في المهموس، فيخرج نَفَس المجهور من مخرجه فاتراً. وقد ذكرنا من قبل ان نَفَس الصوت المهموس كثير، ونَفَس المجهور قليل. وهذا يعني أن النَّفَس في الصوت المهموس يجذب طرف اللسان الى الخارج لشدة الضغط معه أكثر مما يجذبه الصوت المجهور لضعف النَّفَس معه قياساً بنفس المهموس. فاللسان اذن يقرب الى الخارج في الثاء أكثر مما يقرب في الذال.

أما الظاء فانه صوت مطبق، والاطباق أن ترفع ظهر لسانك الى الحنك الأعلى مطبقاً له، في أثناء النطق بالصوت المطبق. (٦٧) ففي حالة النطق بالظاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه. (٦٨) والذال هو الصوت المنفتح المقابل للظاء. وليس بينهما من فرق سوى الاطباق. ويبدو أن اندفاع ظهر اللسان من جهة أقصاه مع الظاء جعل طرفه يتقاصر عن موضع الذال شيئاً قليلاً ومن ثم لاحظ المرعشي أن طرف اللسان يقرب الى الخارج مع الذال أكثر مما يقرب مع الظاء.

ونخرج من هذا الكلام بنتيجة خلاصتها أن الأصوات التي تخرج من مخرج واحد يمكن ان ترتب في داخل ذلك المخرج على أساس أن الصوت المهموس يكون متقدماً نسبياً على الصوت المجهور، وأن الصوت المنفتح يكون متقدماً على الصوت المطبق. وذلك التمايز بين أصوات المخرج الواحد يكون جزئياً ودقيقاً بحيث لا يحمل الدارس على جعل مخرج مستقل لكل صوت من تلك الأصوات المشتركة في مخرج واحد.

ويبدو أن تلك الظاهرة هي التي جعلت المرعشي يذهب الى تقسيم المخارج الى مخارج كلية ومخارج جزئية. (٦٩) وسار على هذا المبدأ في كلامه على مخارج الحروف العربية، فقال عن المخرج الأول: «أقصى الحلق يخرج منه همزة فهاء،

(٦٧) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٦، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ ظ.

(٦٨) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٧.

(٦٩) جهد المقل ٥و.

أعني أنه ينقسم الى مخرجين متقاربين يخرج من أولهما مما يلي الصدر الهمزة، ومن ثانيهما الهاء. وهكذا الفاء الداخل على الحروف فيما سيأتي يدل على الترتيب في المخارج الجزئية الداخلة في مخرج كلي». (٧٠)

فاذا صح ما ذهبنا اليه في تفسير كلام المرعشي أمكننا القول بأن اختلاف علماء التجويد في ترتيب الحروف التي هي من مخرج واحد مثل العين والحاء، والغين والخاء، ليس وهميا، بل هو مبني على ملاحظة دقيقة جدا لحالة تلك الأصوات في مخارجها. والدليل على ذلك ما لاحظناه في نطق (ظ ذ ث). ويمكن أن نُجْرِي القاعدة السابقة في ترتيب أصوات المخرج الواحد على جميع أصوات المخارج الاخرى، وأن نقول ان من ذهب الى أن العين مقدم على الحاء، وأن الغين مقدم على الخاء فان قوله هذا مبني على أساس صوتي صحيح، وعسى أن تثبت التجارب في مختبرات الصوت صحة ما ذهب اليه بعض علماء التجويد في هذا الموضوع.

أما تقديم الهمزة على الهاء، وهما تخرجان من أقصى الحلق (= الحنجرة)، وهو أول المخارج، فلعله مبني على أساس أن الهمزة حرف شديد (انفجاري) وهو بذلك آني غير ممتد، وأن الهاء حرف رخو (احتكاكي)، وهو بذلك يكون زمانيا ممتدا، فالهمزة تنتج بانطباق الوترين الصوتيين ثم انفراجهما بعد حصر النَّفَس خلفهما لحظة، بينما تنتج الهاء بتباعد الوترين، فيتسرب الهواء خلال فتحة المزمار، ولا بد حينئذ من تكلف إظهار الهاء بدفع النفس بقوة خلال الفتحة الكائنة بين الوترين، حتى يحدث الحفيف الذي يمكن أن تسمع به الهاء. (٧١) فلعل استمرار اندفاع تيار النفس خلال فتحة المزمار عند نطق الهاء وامتداده عبر تجويف الحلق جعل علماء العربية وعلماء التجويد يحسون أن الهمزة أعمق من الهاء، وأن الهاء متراخية عنها، وان كان الصوتان ينطقان من منطقة الوترين، وذلك بتأثير طريقة نطق كل منهما.

---

(٧٠) جهد المقل ٧و.

(٧١) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٨٩، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٥٦.

٤ ـ أصول مخارج الحروف:

اتجه بعض علماء التجويد الى تقسم مخارج الحروف الى مجموعات، وذلك طبقاً لتقسيم أعضاء آلة النطق الى أقسام رئيسية، وكل قسم يضم عدداً من المخارج، ويبدو أن هذا الاتجاه جاء من أجل تيسير فهم العلاقات الصوتية بين مجموعات الحروف. ويمكن للدارس أن يلمح مثل هذا المعنى في كلام سيبويه عن المخارج، لكنه لم يُعْنَ بالنص على ذلك في أول كلامه على مخارج الحروف.

وتتراوح أقسام المخارج الكبرىٰ التي يذكرها علماء التجويد بين ثلاثة وستة، ويمكن أن تكون ثمانية وذلك بضم بعض الآراء الى بعض. فهي عند مكي ثلاثة، قال: «اعلم أن المخارج على الاختصار ثلاثة: الحلق والفم والشفتان». [٧٢] ويقصد بالفم المكان الذي يسترخي فيه اللسان وما يتصل به أثناء حركته. وقد استخدم ابن الطحان كلمة (اللسان) مكان (الفم) حيث قال: «وهي الحلق واللسان والشفتان». [٧٣]

وقسم أحمد بن أبي عمر المخارج الى ستة أقسام حيث قال: «ومخارج حروف العربية ستة عشر، وهي على ستة أقسام: حروف الحلق، وحروف أقصى اللسان، وحروف وسط اللسان، وحروف حافة اللسان، وحروف طرف اللسان، وحروف الشفتين». [٧٤] وكان الداني قد سار على هذا التقسيم في كتاب (الادغام الكبير)، فتحدث أولا عن حروف الحلق، [٧٥] ثم تحدث عن حروف اللسان، وقد قال عنها: «وتنقسم جميعها على أربعة أقسام: أقصى اللسان ووسطه وطرفه وحافته». [٧٦] ثم تحدث عن حروف الشفتين. [٧٧] وقد اتبع الداني في كتاب (التحديد) ذات التقسيم

---

(٧٢) الكشف ١/١٣٩.
(٧٣) مرشد القارئ ١٢٨ظ.
(٧٤) الايضاح ٧٢ظ.
(٧٥) الادغام الكبير ٩و.
(٧٦) الادغام الكبير ١١ظ.
(٧٧) الادغام الكبير ٢٣و.

ولكن دون أن ينص عليه. [٧٨]

وأضاف المرادي (الخياشيم) الى اقسام المخارج حيث قال: «وهي على اختلافها ترجع الى أربعة أصول، وهي: الحلق، واللسان، والشفتان، والخياشيم»، [٧٩] وسلك ابن بلبان الحنبلي (محمد بن بدر الدين بن عبد القادر ت ١٠٨٣هـ) نفس الطريق، لكنه أضاف الى أقسام المخارج (الجوف) الى جانب (الخياشيم) فذكر خمسة أقسام على هذا النحو: «أصول هذه المخارج خمسة، وهي: الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم». [٨٠] واضافة (الجوف) تعكس ما ذهب اليه المتأخرون من علماء التجويد من تخصيص مخرج مستقل لحروف المد هو الجوف.

وتصير الأقسام الرئيسية للمخارج التي ذكرها علماء التجويد ثمانية أقسام، هي: الحلق، وأقصى اللسان، ووسط اللسان، وحافة اللسان، وطرف اللسان، والشفتان، والخياشيم، والجوف.

ويقرب من ذلك ما كان الخليل بن أحمد قد أورده في مقدمة كتاب العين من ألقاب الحروف، فان كل لقب منسوب الى قسم من أعضاء آلة النطق، وهو يمثل مخرجاً أو أكثر من مخارج الحروف العربية، وقد جعلها تسعة أقسام، هي: حَلْقية، ولَهَوية، وشَجْرية، وأَسَلِية، ونطعية، ولِثَوِية، وذَلَقية، وشفوية، وهوائية (= جوفية). [٨١] وكان بعض علماء التجويد قد أورد مصطلحات الخليل في ألقاب الحروف الى جانب غيرها من مصطلحات الدارسة الصوتية الموروثة عن سيبويه وغيره من علماء العربية. [٨٢]

---

(٧٨) التحديد ١٦و - ١٧و.

(٧٩) المفيد ١٠١و.

(٨٠) بغية المستفيد ٥٤ظ.

(٨١) العين ٥٨/١. وانظر: الازهري: تهذيب اللغة ٤٨/١.

(٨٢) انظر: مكي: الرعاية ص ١١٣، واحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٣و. والعطار: التمهيد ١٤٣ظ.

٥ ـ طريقة ترتيب المخارج :

ونلاحظ أن علماء العربية وعلماء التجويد حين يذكرون مخارج الحروف يرتبونها ترتيباً تصاعدياً يبدأ بأقصى نقطة في آلة النطق، وهي التي يسمونها (أقصى الحلق)، ثم يتدرج صاعداً حتى ينتهي بالشفتين. وقد عزف كثير من دارسي الأصوات العربية المحدثين عن هذا الترتيب، واتبعوا الترتيب المعاكس له الذي يبدأ بالشفتين وينتهي بأقصى الحلق (الحنجرة)، وهم يقلدون في ذلك علماء الأصوات الغربيين الذين اتبعوا الترتيب الذي يبدأ بالشفتين وينتهي بأقصى الحلق (= الحنجرة).[٨٣]

ونحن لا نرى مجرد اتباع علماء الأصوات الغربيين لترتيب معين لمخارج الحروف مسوغاً للعدول عن الترتيب الذي سارت عليه جماهير علماء العربية وعلماء التجويد، اضافة الى أن كلا الترتيبين يؤدي الى نتيجة واحدة، فقضية ترتيب المخارج مثل أي قضية ذات طرفين، يمكن دائماً أن تبدأ من أي من الطرفين لتصل الى الطرف الثاني.

ولم تكن هذه القضية في ترتيب المخارج لتغيب عن علماء التجويد، فبينوا أن هناك طريقتين لترتيب المخارج، وأن جمهور علماء العربية والتجويد اختاروا البدء بالأقصى دون الأدنى لأن مادة الصوت هي الهواء الخارج من داخل الانسان، وأن أول نقطة يمكن أن ينتج فيها صوت لغوي اعتبروها أول المخارج، وهي أقصى الحلق (= الحنجرة).

قال ابوبكر أحمد بن الجزري في كتابه (الحواشي ٱلْمُفْهِمَة في شرح ٱلْمُقَدِّمَة): «كل مقدار له نهايتان، أيها فرضت أوله كان مقابلها آخره. ولما كان وضع الانسان على الانتصاب لزم منه أن يكون رأسه أوله ورجلاه آخره، واذا كان كذلك كان أول المخارج الشفتين وأولهما مما يلي البشرة، وثانيهما اللسان وأوله مما يلي الأسنان

(٨٣) انظر: كمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٢ و١١٧. واحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩.

(٨٤) الحواشي المفهمة ١٣ظ ـ ١٤و.

وآخره مما يلي الحلق، وثالثهما الحلق وأوله مما يلي اللسان وآخره مما يلي الصدر، ولو كان وضع الانسان على التنكيس لانعكس.

ولما كان مادة الصوت الهواء الخارج من داخل كان أوله آخر الحلق وآخره أول الشفتين. فرتب آلناظم رحمه الله (يعني أباه محمد بن الجزري مؤلف المقدمة الجزرية) الحروف باعتبار الصوت وفاقاً للجمهور». (٨٤) وقد نقل هذا النص عدد من علماء التجويد. (٨٥)

ولانعلم أن أحداً من علماء العربية أو علماء التجويد اتبع ترتيب المخارج الذي يبدأ بالشفتين وينتهي بالحلق. ولكن جاء في كلام المرعشي حول الموضوع ما يفهم منه أن بعض العلماء سار عليه في ترتيب المخارج، وهذه عبارته «ان في ترتيب المخارج اعتبارين:

أحدهما: وهو الذي أخذه الجمهور، واختير في هذه الرسالة ان يكون أول المخارج أقصى الحلق وآخرها خارج الشفتين.

والآخر أن يكون أول المخارج خارج الشفتين وآخرها أقصى الحلق، وهو الذي اختاره بعض العلماء، هكذا قاله البعض». (٨٦) وقال في مكان آخر: «فأول المخارج حينئذ مخرج الواو وآخرها مخرج الهمزة». (٨٧)

ويذهب دارسو الأصوات العربية من المحدثين الذين يبدأون بترتيب المخارج من الشفتين الى أن للأصوات العربية أحد عشر مخرجا. (٨٨) ويتركز الاختلاف بينهم وبين علماء العربية والتجويد في أنهم يعدون عددا من الأصوات من مخرج واحد

---

(٨٥) انظر: عبد الدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٨و. والقسطلاني: اللالئ السنية ٧ظ، ولطائف الاشارات (له) ١/ ١٨٩. وطاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ٧ظ. وابو الفتوح الوفائي: الجواهر المضية ١٧ظ. وعلي القارى: المنح الفكرية ص ١٠.

(٨٦) بيان جهد المقل ٩و.

(٨٧) المصدر نفسه ١٢و.

(٨٨) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٩، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٢، واحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩.

بينما يعدها علماء العربية والتجويد من مخرجين أو أكثر، لاسيما حروف طرف اللسان، أو أنهم لا يعتبرون بعض المخارج أصلاً، مثل مخرج النون الخفية، وهذه اتجاهات كانت معروفة لدى علماء التجويد قديماً. كما بيّنا ذلك قبل قليل حين وضحنا تقسيمهم للمخارج الى مجموعات رئيسية، وهو عمل لا يختلف عنه كثيراً ما فعله دارسو الأصوات العربية من المحدثين، لاسيما اذا علمنا أن بعض المحدثين يعتبر مخارج الحروف العربية الرئيسية تسعة مخارج.[89]

ولا يهمنا تتبع ذلك الاختلاف هنا، لأنه لا يعدو أن يكون شكلياً أو لفظياً، بقدر ما يهمنا بيان الاختلاف في تعيين مخارج بعض الحروف بين علماء التجويد ودارسي الأصوات العربية من المحدثين. وهو ما سنحرص على الوقوف عنده في الفقرة الآتية من هذا المبحث، حين نفصل القول في مخارج الحروف العربية، مع محاولة بيان الأسباب التي أدت الى ذلك الاختلاف، وهل ترجع الى تطور الأصوات العربية، أو الى خطأ أحد الفريقين أعني علماء التجويد والمحدثين، أو أنه اختلاف يرجع الى التكلف في ذَوْقِ الحروف على حد قول المرعشي: «ان الكلام على المخارج على حسب استقامة الطبع لا على التكلف، فاختلاف العلماء في ترتيب المخارج اختلاف في حكم الطبع المستقيم».[90]

---

(٨٩) جان كانتينو: دروس ص ٢٢.

(٩٠) بيان جهد المقل ١٢و.

ثالثا ـ بيان مخارج الحروف العربية عند علماء التجويد :

١ ـ حروف الحلق :

قال سيبويه : «ولحروف العربية ستة عشر مخرجا . فللحلق منها ثلاثة :
فأقصاها : الهمزة والهاء والألف .
ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء .
وأدناها مخرجاً من الفم : الغين والخاء» . [١]

ظل كلام سيبويه هو الأساس الذي استندت اليه دراسات علماء العربية وعلماء التجويد في الأصوات ، ولا يزال كلام سيبويه صحيحاً منطبقاً على واقع الدرس الصوتي في كثير من جوانبه ، ولم يكتف علماء التجويد بترديد كلام سيبويه في المخارج وتفسيره ، بل انهم حاولوا مناقشة بعض وجهات نظره مما يحتمل المناقشة ، ومن ذلك إخراج الألف من حروف الحلق فان كثيراً من علماء التجويد اعتبروا حروف الحلق ستة ، وأخرجوا الألف منها . وهذا اتجاه ينسب الى أبي الحسن شريح بن محمد الرعيني الاشبيلي (ت ٥٣٩هـ) ، فقد قال : «ان الألف هوائية لا مخرج لها» . [٢] ولعله ذهب هذا المذهب في كتابه (نهاية الاتقان في تجويد القرآن) ، الذي لم نطلع عليه ، وقد قلده في ذلك كثير من علماء التجويد ، حتى انتهى أصحاب هذا المذهب الى القول بأن حروف المد الثلاثة : الألف والواو والياء المسبوقة بحركة تجانسها لها مخرج على حدة سموه الجوف . [٣] وكان الخليل قد قال قديما : الألف والواو والياء هوائية . [٤] لكن علماء التجويد ميزوا بين نوعين من الواو والياء . وهما المدية وغير المدية ، فالمدية من الجوف وغير المدية من مخارجها التي ذكرها سيبويه .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ .
(٢) انظر: ابو حيان : ارتشاف الضرب ص ٢ ، والمرادى: شرح التسهيل ٣٠٣ظ .
(٣) انظر: ابن الجزري : النشر ١/١٩٩ .
(٤) العين ١/٥٨ .

وإخـراج الألف من حـروف الحلق تؤيـده الدراسة الصوتية الحديثة،[٥] باعتبار أن الألف من الأصـوات الـذائبـة، بحسب تعبيـر بعض علمـاء التجويد، أو الصائتة (أو المصوتة) بحسب تعبير بعض علماء الأصوات المحدثين، التي تتميز بأن الهواء يمر في أثنـــاء النطق بهـا حراً طليقـاً خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقـهِ عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً.[٦]

ونجـد في كلام بعض علمـاء التجـويـد ما يفسر ادراج سيبويه للألف في حروف الحلق، فعبـارة أقصى الحلق تعني عنـد علمـاء العـربيـة وعلماء التجويد الحنجرة، التي تتضمن الوترين الصوتيين، اللذين تشكل النغمة التي تنشأ عن تذبذبهما جوهر صوت الألف، فنص المرعشي على أن أقصى الحلق هو مبدأ صوت الألف.[٧] لكن الغـالب هو أن تنسب الحـروف الى موضع التضييق لمجرى الهواء (= المخرج)، لا الى الأحداث الصوتية الثانوية التي تصاحب نطق الصوت مثل حالة الوترين الصوتيين.[٨]

وقـد نص علمـاء التجـويد على أن «الهمزة أول الحروف خروجا وهي تخرج من أول مخـارج الحلق من آخـر الحلق ممـا يلي الصـدر»، حسب عبارة مكي.[٩] وقال الـداني «من أول الصـدر وآخـر الحلق».[١٠] وكل ذلك يشير الى فتحة المزمار الكائنة بين الـوتـرين الصـوتيين، حيث ينطبق الـوتران انطباقاً تاماً، حال النطق بالهمزة، فلا

---

(٥) انظـر: حسن ظاظـا: كلام العـرب ص ١٦، وحسام النعيمي: الدارسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٠٢.

(٦) كمال محمد بشر: الاصوات ص ٩٢. وانظر أيضا ص ١٢٢-١٢٣.

(٧) جهد المقل ٧و.

(٨) انظر: احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٩٨.

(٩) الرعاية ص ١١٩.

(١٠) التحديد ١٦و.

يسمحان للهواء بالمرور من الحنجرة، ثم ينفرجان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوت الهمزة.[11]

٢ ـ حروف أقصى اللسان:

قال سيبويه: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلىٰ مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف».[12]

واتبع علماء التجويد خطى سيبويه في تحديد مخرجي القاف والكاف.[13] مع بعض التوضيحات، مثل قول شريح بن محمد الرعيني (ت ٥٣٩هـ): ان القاف تخرج من أول اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء.[14] وكان السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) قد قسم اللهاة الى قسمين: الغلصمة وهي أول اللهاة من جانب الحلق، والعكدة وهي آخر اللهاة من جانب الفم وجعل القاف تخرج من الغلصمة وسماها غلصمية، وجعل الكاف تخرج من العكدة وسماها عكدية.[15] وسبق أن ناقشنا وجهة نظر السمرقندي هذه عند الحديث عن (اللهاة) في المبحث الاول الخاص بوصف أعضاء آلة النطق. وهي تؤدي الى النتيجة نفسها التي يؤدي اليها مذهب غيره من العلماء، وهو القول بأن القاف تسبق الكاف.

وذهب بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين الى ترتيب آخر في توزيع مخارج الحروف الأربعة (غ خ/ق ك). يتلخص في تقديم مخرج القاف على مخارج الحروف الثلاثة الاخرى، فتكون (غ خ ك) من أقصى الحنك، وتكون القاف

---

(١١) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٩١، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٤٢.

(١٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(١٣) مكي: الرعاية ص ١٤٥ و١٤٧. والداني: التحديد ١٦و.

(١٤) ابو حيان: ارتشاف الضرب ص ٣. وابن الجزري: النشر ١/١٩٩.

(١٥) روح المريد ١٢٥و.

من اللهاة أعمق من الحروف الثلاثة.(١٦) بينما ذهب بعضهم الى اعتبار (غ خ ق) من اللهاة وما يتصل بها من غشاء الحنك، مع ابقاء الكاف من أقصى الحنك.(١٧) وجرى بعض المحدثين على منهاج علماء العربية في اعتبار الغين والخاء من حروف أدنى الحلق الى الفم، واعتبار القاف من حروف اللهاة أو أقصى اللسان، والكاف أدنى من ذلك الى مقدم الفم.(١٨)

وبالغ بعض المحدثين من دارسي الأصوات العربية في نسبة الغلط الى علماء العربية وعلماء التجويد في تحديد مخارج الحروف الاربعة (غ خ ق ك). فقد قال الدكتور تمام حسان في كلامه عن مخارج الحروف: «والمخارج التي نذكرها هنا تختلف الى حد ما عن تلك التي توجد في علم التجويد والقراءات اختلافاً اقتضاه منهج البحث الحديث، وسنشير عند كل نقطة من نقط الخلاف بين هذه المخارج وتلك الى وجه النقص الذي نراه في وجهة نظر النحاة والقراء».(١٩) ثم ذكر المخارج من وجهة النظر الحديثة فجعلها عشرة. وهذا ليس شيئاً جديداً كما وضحنا ذلك في فقرة سابقة من هذا المبحث،(٢٠) وانه اختلاف في الاصطلاح وليس راجعاً الى الغلط في تحديد المخارج.

ثم يستمر الدكتور تمام حسان في كلامه فيقول: «ولقد خلط النحاة العرب خلطاً كبيراً في تحديد هذه المخارج، وحسبك أن ترى ابن الجزري يفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها... ثم يغلط في تحديد مخارج أصوات الخاء والغين والكاف، والطاء والدال والتاء، فيقول: ان صوتي الخاء والغين من أدنى الحلق الى

---

(١٦) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٣، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٢.

(١٧) جان كانتينو: دروس ص ٢٣.

(١٨) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٨٥ و٨٨.

(١٩) مناهج البحث في اللغة ص ٨٤.

(٢٠) انظر ص ٢٨٧ من هذا البحث.

الفم، وراء مخرج القاف، مع أنهما من مؤخر اللسان مع الطبق أمام مخرج القاف. وهو يجعل الكاف خلف القاف، والعكس أصح، فصوت الكاف من نفس مخرج صوتي الخاء والغين. ثم يقول: ان الأصوات الثلاثة الاخيرة نطعية، ويقصد أنها من نطع الغار، ونسميه في هذا الكتاب الغار، والصحيح أنها أسنانية لثوية». (٢١)

ان الكلام الخاص بالأصوات الثلاثة (ط د ت) سوف يأتي في مكان لاحق من هذا المبحث ان شاء الله تعالى، ونقتصر هنا على مناقشة ما يتعلق بالأصوات الأخرى (غ خ ك). ولكن لدينا ملاحظات تتعلق بكلام الدكتور تمام حسان السابق نذكرها قبل أن نناقش وجهة علماء الأصوات المحدثين في تحديد وترتيب مخارج الحروف الأربعة.

الملاحظة الأولى هي أنه نسب الخلط والغلط والتقصير في دراسة مخارج الحروف الى علماء العربية وعلماء التجويد قاطبة وهو لم يطلع على ما يبدو الا على مصدر واحد، هو في الواقع ليس من المؤلفات الأساسية في الموضوع لدى الفريقين من علماء العربية وعلماء التجويد، ذلك المصدر هو (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري، وهو كتاب في القراءات، مع انه تضمن فصلا عن مخارج الحروف وصفاتها. وهذه حالة لا تسمح بذلك التعميم الذي تورط فيه الدكتور تمام حسان، وتتناقض مع منهج البحث الحديث الذي يتشبث به.

والملاحظة الثانية هي انه نسب الى ابن الجزري ما لم يقله، فابن الجزري لم يخرج على الترتيب المشهور للحروف الأربعة (غ خ، ق ك) لدى علماء العربية وعلماء التجويد. أما الدكتور تمام حسان فنفهم من عبارته، مع غموض دلالات (وراء - وامام - وخلف) لديه، أنه ينسب الى ابن الجزري هذا الترتيب (غ خ ك ق) لمخارج هذه الأصوات الاربعة. وهذه عبارة ابن الجزري ننقلها بنصها:

«المخرج الرابع: أدنى الحلق الى الفم، وهو للغين والخاء، ونص شريح على أن الغين قبل. وهو ظاهر كلام سيبويه أيضا، ونص مكي على تقديم الخاء، وقال الاستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن خروف النحوي: ان سيبويه لم يقصد ترتيباً

(٢١) مناهج البحث في اللغة ص ٨٥-٨٦.

فيما هو من مخرج واحد. قلت وهذه الستة الأحرف المختصة بهذه الثلاثة المخارج هي الحروف الحلقية.

المخرج الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك، وهو للقاف. وقال شريح: ان مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء.

المخرج السادس: أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلاً ومايليه من الحنك، وهو للكاف. وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوي، نسبة الى اللهاة، وهي بين الفم والحلق». (٢٢)

وهذا النص من الوضوح بحيث لا يمكن الا أن يفهم منه أن ابن الجزري يذهب في ترتيب الحروف الأربعة هذا المذهب (غ خ ق ك) فمن أين استخلص الدكتور تمام حسان ما نسبه الى ابن الجزري من أنه يذهب في ترتيبها هذا المذهب: (غ خ ك ق)؟ اللهم الا اذا فهم من قول ابن الجزري عن الكاف بأنها (من أسفل مخرج القاف) انها أعمق بينما يراد بكلمة (أسفل) أن الكاف أمام القاف من جهة الفم.

إن من الأمور المؤسفة أن يتصور بعض الباحثين أن أبحاثهم لن تجد لها مكاناً مناسباً الا اذا نسبوا التقصير الى جهود سابقيهم، بينهما المنهج القويم يقتضي منا أن نزن الأمور بميزان الحق، فلا نتورط بالازراء بجهود القدماء، ولا نفرط في الاطراء بها، بل يجب أن نبين مواضع التقصير بالتحديد، كما يجب ألَّا ننسى مواضع الاحسان والاجادة.

أمامنا الآن ثلاثة اتجاهات في ترتيب مخارج الأصوات الأربعة، الأول: هو(غ خ ـ ق ك)، وهو يمثل مذهب علماء العربية وعلماء التجويد، فالغين والخاء من أدنى الحلق من جهة الفم مع ما يلي ذلك من أعلى الجدار الخلفي للحلق أو من اللهاة. ثم القاف من أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى بما في ذلك اللهاة، ومن موضع أسفل من موضع القاف، الى الأمام، مخرج الكاف. وكانوا يسمون الغين والخاء حلقية، والقاف والكاف لهوية.

---

(٢٢) النشر ١/١٩٩-٢٠٠.

والاتجاه الثاني: ينحو هذا المنحى في ترتيبها: (ق/غ خ ك). فتكون القاف لهوية، وتكون الأصوات الثلاثة الأخرى من أقصى الحنك.

والاتجاه الثالث: ينحو هذا المنحى في ترتيبها: (ق غ خ/ك).

ويبدو أن الفصل بين مخرج القاف، ومخرج الغين والخاء أمر غير يسير، وليس في أيدينا من الوسائل الآن ما يمكن أن نحدد من خلاله موقع القاف منهما. وكل ما تهدينا اليه الملاحظة الذاتية الآن هو أن نحافظ على ترتيب علماء العربية وعلماء التجويد لهذه الحروف الثلاثة، مع احتمال كبير في أن يكون للهاة دور في انتاج الغين والخاء الى جانب الجزء الأعلى من الحلق، وهو ما يعبر عنه بأدنى الحلق من الفم. وهذا ينطبق على الاتجاه الأول كما انه لا يبتعد عن الاتجاه الثالث اذا اعتبرنا ان (ق غ خ) تخرج من مخرج واحد.

أما الاتجاه الثاني الذي يجعل مخرج القاف من اللهاة، ومخرج الحروف الثلاثة الاخرى من أقصى الحنك الى الامام من مخرج القاف فان الملاحظة الذاتية تدلنا على عدم دقته وذلك لاستحالة الجمع بين الكاف والغين والخاء في مخرج واحد، وهي ملاحظة تنبني على أساس مما ذكره سيبويه في الكتاب، وهو أمر غفل عنه الدارسون المحدثون الذين أخذوا بهذا الاتجاه، قال سيبويه، وهو يتحدث عن القاف وأنها من أقصى اللسان، ولم تنحدر انحدار الكاف الى الفم، بل تصعدت الى ما فوقها من الحنك الاعلى: «والدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت: قَقْ قَقْ، لم تر ذلك مخلا بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن». [٢٣]

وعند تطبيق هذه التجربة المبنية على الملاحظة الذاتية نجد أن الكاف تختفي فلا يمكن أن ننطق بها مع فتح الفم الى أقصاه، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله: (جافيت بين حنكيك)، ويمكن في نفس الوقت نطق القاف والغين والخاء، وهذا يدل على أن مخرج الغين والخاء ليس قريبا من مخرج الكاف، والا آختل كما اختل مخرج الكاف.

---

(٢٣) الكتاب ٤/ ٤٨٠.

ويبقى بعد ذلك أمر القاف والغين والخاء متداخلاً الى حد كبير، ولكن يترجح لديّ أن الغين والخاء أعمق من القاف، وان مخرجهما يحاذي التجويف الحلقي، بينما يحاذي مخرج القاف أقصى الحنك الاعلى، ولنا في موقف القراء من إخفاء النون قبل هذه الحروف الثلاثة دليل على ما نحن بصدده، فأكثر القراء يظهرون النون قبل الغين والخاء، ولم يخفها معهما الا نفر قليل جدا من القراء.[٢٤] بينما لم يُخْتَلَفْ في وجوب اخفاء النون قبل القاف. وهو أمر قد يدل على ان القاف أقرب الى الفم من الغين والخاء. وقديماً قال السيرافي «فصار الغين والخاء حيزاً مفرداً بين حروف الحلق وحروف الفم... وأنهما حيز لا يختلط بحروف الحلق ولا حروف الفم في الادغام.[٢٥]

٣ ـ حروف وسط اللسان:

قال سيبويه: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلىٰ مخرج الجيم والشين والياء».[٢٦] هذا هو الاتجاه الأساسي في وصف مخرج الأصوات الثلاثة لدى علماء التجويد.[٢٧] ولكن لهم ملاحظة وهي أنهم يصفون الياء بانها (غير المدية).[٢٨] وقال ابن الطحان (الجيم والشين والياء الحية).[٢٩] وهذا مصطلح استخدمه بعض العلماء في مقابل (الياء الميتة)، اي ان (الياء) التي تخرج من هذا المخرج هي الياء الجامدة. أما الذائبة (الميتة) فلها مخرج آخر. وسنناقش في المبحث الخاص بالأصوات الذائبة مصطلح (الحية والميتة).

وتنسب بعض المصادر الى المهدوي (أبي العباس أحمد بن عمارت بعد ٤٣٠هـ) أنه يذهب الى أن الشين تلي الكاف، وأن الجيم والياء يليان الشين.[٣٠]

---

(٢٤) انظر: الداني: التحديد ٢٠و. وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٧٨و.

(٢٥) شرح كتاب سيبويه ٦/١١ه‍ـ٥١١-٥١٢.

(٢٦) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢٧) الداني: التحديد ١٦ظ، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ.

(٢٨) ابن الجزري: النشر ١/٢٠٠، وعلي القارى: المنح الفكرية ص ١١.

(٢٩) مرشد القارئ ١٢٩و.

(٣٠) ابو حيان: ارتشاف الضرب ص ٣. وابن الجزري: النشر ١/٢٠٠.

لكن علماء الأصوات من المحدثين يرون أن مخرج الياء يتقدم على مخرجي الجيم والشين. [٣١] على أن بعضهم يصرح بقوله: «ويجب أن نعلم أن بين الياء وبين الجيم والشين قربا شديدا في المخرج، حتى ان بعض الدارسين سمى هذه الاصوات الثلاثة أصوات وسط الحنك». [٣٢]

ويبدو أن ما نسبه المرعشي الى مكي من أنه «قدم في الرعاية الشين على الجيم». [٣٣] مبني على الناحية الشكلية فقط فالوارد في كتاب الرعاية يشير الى أن مكياً يعد الحروف الثلاثة من مخرج واحد ولكنه حين أراد الحديث عن الخصائص الصوتية لكل حرف كان لابد من أن يقدم بعضها على بعض، فبدأ بالشين، ثم الجيم، ثم الياء. ونجده مع ذلك يقول عن مخارجها: «الشين تخرج من المخرج الثالث من مخارج الفم بعد مخرج الكاف من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك». [٣٤] ثم يقول: «الجيم تخرج من مخرج الشين» [٣٥] وبعد ذلك يقول: «الياء تخرج من من مخرج الشين والجيم المذكورين، وهو المخرج الثالث من مخارج الفم». [٣٦]

٤ ـ حروف حافة اللسان:

قال الداني: «ولحافة اللسان مخرجان وحرفان، وهما الضاد واللام». [٣٧]

اما الضاد فقد قال سيبويه: «ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد». [٣٨] وقال علماء التجويد: «فالضاد من بين أول حافة اللسان وما يليها

---

(٣١) انظر التفصيل: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٠٨.
(٣٢) كمال محمد بشر: الاصوات ١١٣.
(٣٣) جهد المقل ٧ظ.
(٣٤) الرعاية ص ١٤٩.
(٣٥) الرعاية ص ١٥٠.
(٣٦) الرعاية ص ١٥٣.
(٣٧) التحديد ١٧و. والادغام الكبير (له) ١٢و. واحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٢ظ.
(٣٨) الكتاب ٤/٤٣٣.

من الأضـراس، فبعض النـاس يجـرى له في الشدق الأيمن، وبعضهم يجرى له في الشدق الأيسر، ومخرجها من هذا كمخرجها من هذا». [٣٩] والاضافة التي وردت في قول علمـاء التجـويـد حول بيـان مخـرج الضـاد أصلها وارد في كتاب سيبويه أيضا، وذلك حين تحدث سيبويه عن الضاد الضعيفة. [٤٠]

وذكر أبـو شامـة المقـدسي (ت ٦٦٥هـ) في شرح الشـاطبية أن «منهم من يجعل مخرج الضاد قبل الجيم والشين والياء». [٤١] وكان الخليل بن أحمد قد قال: «الجيم والشين والضـاد في حيـز واحـد». وسمـاهـا شَجْـرية لأن مبدأها من شَجْر الفم، وهو مفرجه. [٤٢] وكان سيبويه قد ذكر (الضاد) قبل الجيم حين رتب الحروف (... ك ض ج ش ي ...). [٤٣] لكنه أَخَّرَهَا عن حروف وسط اللسان (ج ش ى) حين تحدث عن المخارج. وصحح ابن جني ترتيب سيبويه للحروف فجعل الضاد بعد الياء لينسجم ذلـك مع ترتيب المخـارج. [٤٤] وكـذلك فعل بعض علماء التجويد. [٤٥] ونص بعض علمـاء التجـويـد أن مخرج الضاد بعد مخرج الياء. [٤٦] فيكون ترتيب المخارج على رأى جمهور علماء العربية وعلماء التجويد هو (... ك ج ش ى ض ...).

والـوصف السـابق لمخرج صوت الضاد انما ينطبق على الضاد العربية القديمة، التي استحـالت في ألسنـة النـاطقين بالعـربيـة اليـوم الى عدة أصوات لاينطبق عليها جميعـاً الـوصف المتقـدم لمخـرج الضـاد، وسوف نناقش هذه القضية حين نستوفي الحديث عن صفات الحروف.

---

(٣٩) الـداني: التحـديـد ١٧و. وانظـر: مكي: الـرعـايـة ص ١٥٨، وعبـد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ، وابن الجزري: النشر ١/ ٢٠٠.

(٤٠) الكتاب ٤/ ٤٣٢.

(٤١) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٤.

(٤٢) العين ١/ ٥٨.

(٤٣) الكتاب ٤/ ٤٣١.

(٤٤) سر صناعة الاعراب ١/ ٥٠.

(٤٥) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢و.

(٤٦) المرعشي: جهد المقل ٧ظ.

أما اللام فقد قال سيبويه : «ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، [مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام] . (٤٧)

ولم يجد علماء العربية ولا علماء التجويد مجالاً لأي زيادة على كلام سيبويه من أجل توضيح مخرج اللام ، بل ان بعضهم حاول أن يختصر عبارة سيبويه ، فقال : «ومن أدنى الحافة وهو أقربها الى طرف اللسان وبين الحنك تخرج اللام» . (٤٨) وقال غيره : «اللام من طرف اللسان وأصول الثنايا» . (٤٩) وكذلك فعل المحدثون من علماء الاصوات ، فقالوا «يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا» . (٥٠)

وكان ابن الحاجب يرى أنه يكفي في تحديد مخرج اللام ذكر الثنايا فقال : «وكان ينبغي أن يقال فوق الثنايا» ، لكنه اعتذر عن ذلك بقوله : «على أن الناطق باللام تنبسط جوانب طرفي لسانه مما فوق الضاحك الى الضاحك الآخر ، وان كان المخرج في الحقيقة ليس الا فوق الثنايا ، وانما ذلك يأتي لما فيها من شبه الشدة ودخول المخرج في ظهر اللسان ، فينبسط الجانبان لذلك ، فلذلك عدد الضاحك والناب والرباعية والثنية» . (٥١) ونقل أبو شامة المقدسي كلام ابن الحاجب . (٥٢)

وقال المرعشي في تحديد مخرج اللام : «ما بين حافتي اللسان معا ، بعد مخرج الضاد ، وما يحاذيهما من اللثة العليا ، وهي لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين

---

(٤٧) الكتاب ٤/٤٣٣ ، وما بين العقوفين سقط من طبعة عبد السلام هارون ، وأثبته من طبعة بولاق ٢/٤٠٥ .

(٤٨) ابن الطحان : مرشد القارئ ١٢٩و.

(٤٩) مكي : الكشف ١/١٣٩ . وانظر: الاستراباذي : شرح الشافية ٣/٢٥٠ .

(٥٠) محمود السعران : علم اللغة ص ١٨٥ . وانظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٥ . وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٦ . واحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٠ .

(٥١) الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٠-٤٨١ .

(٥٢) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٤

والثنيتين يخرج منه اللام، ورأس اللسان داخل في مخرجه».[٥٣] وقال ملخصا ذلك بعبارة أوجز: «فمَخرج اللام ما بين حافتي اللسان مع رأسه وبين ما يحاذي الجميع من اللثة العليا.[٥٤] ثم تحدث عن طول مخرج اللام فقال: «وليس في الحروف أوسع مخرجا منه لطوله كما ترى لكنه مقوس ولَمَّا لم يكن طول مخرجه الى سمت جريان الصوت بل معترضا على سمتَ الجريان لم يوجب طول مخرجه طول صوته».[٥٥]

ويتميز اللام بأن الصوت معه لا يخرج من الموضع الذي يلتقي فيه العضوان، بل يخرج من حافتي اللسان (أي جانبيه) وطرف اللسان لازم لموضعه، أثناء ذلك، وقد أدرك علماء العربية وعلماء التجويد هذه الخاصية للام، فكان سيبويه قد قال عن اللام بأنه «ليس كالرخوة، لان طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك».[٥٦] وقال عبد الوهاب القرطبي: «اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما».[٥٧] ولذلك سمي اللام الصوت المنحرف.

٥ ـ حروف طرف اللسان:

قال الداني: «وطرف اللسان له خمسة مخارج، وأحد عشر حرفا». وهي: ر ـ ن ـ ط د ت ـ ص ز س ـ ظ ذ ث.[٥٨] وقد سَمَّىٰ بعض المحدثين حروف طرف اللسان (المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج) وقال عنها: «ووجه الشبه بين

---

(٥٣) جهد المقل ٨و.

(٥٤) بيان جهد المقل ١٠ظ.

(٥٥) المصدر نفسه ١٠ظ.

(٥٦) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٥٧) الموضح ١٥٧و.

(٥٨) الادغام الكبير ١١ظ، والتحديد ١٦ظ. وانظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩و.

كل هذه الأصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان، بما فيه طرفه، والثنايا العليا، بما فيها أصولها». (٥٩)

(أ) الراء والنون:

حدد سيبويه مخرجهما بقوله: «[ومن طرف اللسان بينه وبين] ما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً، لانحرافه الى اللام، مخرج الراء». (٦٠)

والكلام عن مخرجي الراء والنون يقتضي بيان أمرين: الأول تحديد مخرجيهما، والثاني تحديد أيهما قبل الآخر.

أما مخرج النون فان علماء التجويد حافظوا على عبارة سيبويه في بيانه، ولكنهم أضافوا اضافة قيمة تتعلق باخراج النون، وهي الربط بين مخرجه في الفم باعتماد طرف اللسان على ما فويق الثنايا العليا، وبين خروج النَّفَس في أثناء ذلك من الخيشوم. قال الداني: «والنون من طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، ويتصل بالخياشيم». وقال أيضا: «فأما النون المتحركة فمخرجها من الفم مع صويت من الأنف». (٦١)

وقال المرعشي معلقا على النون والميم في (عَنْ ولَمْ): «فان كُلّاً من النون والميم الساكنتين هنا مركب من صوتين: صوت ذاته و[هو] صوت جارٍ في داخل الفم ينقطع في مخرج النون والميم، وقد عرفت مخرجيهما. وصوت صفته وهو صوت جارٍ في الخيشوم». (٦٢)

---

(٥٩) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٦.

(٦٠) الكتاب ٤/٤٣٣. وما بين المعقوفين سقط من طبعة عبد السلام هارون، وأثبته من طبعة بولاق ٢/٤٠٥.

(٦١) التحديد ١٦ظ، ١٧و. وانظر: الادغام الكبير (له) ١٢و. واحمد ابن أبي عمر: الايضاح ٧٢ظ.

(٦٢) بيان جهد المقل ١٢ظ.

ولم يكن سيبويه غافلاً عن صوت الخيشوم الذي يجرى مع النون، الذي يسميه الغنة، لكنه أشار اليه في معرض حديثه عن صفات الحروف، ولم يذكره مقترنا ببيان مخرج الحرف. فقال: «ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت، لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فانما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم». (٦٣)

وعبارة سيبويه (فويق الثنايا) استبدل بها بعض علماء التجويد كلمة (اللثة). (٦٤) قال محمد المرعشي: «المخرج التاسع ما بين رأس اللسان وما يحاذيه من اللثة، وهي لثة الثنيتين العليين يخرج منه النون المظهرة...». (٦٥) ولم يستخدم سيبويه كلمة (اللثة) وهو يبين مخارج الحروف.

أما مخرج الراء فلم يزد علماء التجويد على ما ذكره سيبويه الا اليسير، قال الداني: «والراء من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان لانحرافه الى اللام» (٦٦) وقال محمد المرعشي: «ما بين رأس اللسان مع ظهره مما يلي رأسه، وما يحاذيهما من اللثة، وهي لثة الثنيتين العليين أيضا يخرج منه الراء». (٦٧)

وما ورد في بيان مخرج الراء عند سيبويه وعند علماء التجويد يثير قضية ترتيب مخرجي هذين الحرفين وأيهما قبل الآخر. فبينما نجدهم يوضحون مخرج النون قبل مخرج الراء نجدهم يقولون في مخرج الراء: (من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان)، وهو يشير الى تقدم مخرج الراء. وكان سيبويه قد قدَّم ذكر الراء في ترتيب

---

(٦٣) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٦٤) احمد بن الجزري: الحواشي المفهمة ١٥ظ. وأبو الفتوح الوفائي: الجواهر المضية ٢١ظ.

(٦٥) جهد المقل ٨و.

(٦٦) التحديد ١٦ظ. وانظر: مكي: الرعاية ص ١٦٩.

(٦٧) جهد المقل ٨و.

حروف العربية على النون على هذا النحو (. . . ل ر ن . . .) وحذا ابن جني حذوه .[٦٨] وكذلك فعل بعض علماء التجويد .[٦٩]

وكان هذا الموضوع مدار بحث عند علماء العربية وعلماء التجويد ، فقال أبو عمرو بن الحاجب : «ألَا ترى أنك إذا نطقت بالنون والراء ساكنتين وجدت طرف اللسان عند النطق بالراء فيما هو بعد مخرج النون ، هذا هو الذي يجده المستقيم الطبع . وقد يمكن إخراج الراء مما هو أدخل من مخرج النون ، ومن مخرجها . ولكن بتكلف لا على حسب إجراء ذلك على الطبع المستقيم ، والكلام في المخارج انما هو على حسب استقامة الطبع لا على التكلف» .[٧٠] ويفهم من هذا أن ابن الحاجب يذهب هنا الى أن النون أدخل في اللسان وأن مخرج الراء يليها باتجاه طرف اللسان . لكنه في الشافية يصرح بأن النون أقرب الى رأس اللسان من الراء .[٧١]

وناقش محمد المرعشي هذه القضية ودقق فيها غاية التدقيق ، وهو حين حدد مخرج النون قال : (ما بين رأس اللسان وما يحاذيه من اللثة مخرج النون) وحين حدد مخرج الراء قال : (ما بين رأس اللسان مع ظهره مما يلي رأسه وما يحاذيهما من اللثة مخرج الراء) .[٧٢] والفرق بين مخرج الحرفين أن الذي يعتمد على اللثة مع النون هو رأس اللسان ، ومع الراء رأس اللسان مع ظهره القريب من رأسه . ثم يضيف المرعشي : «أقول ظهر اللسان أدخل من رأسه ، وما يلابسه رأسه من اللثة بعد مخرج
١ النون ، فمن نظر الى الأول يظهر له جعل مخرج الراء قبل مخرج النون ، ومن نظر الى الثاني أخَّرَ الراء عن النون ، والله أعلم» .[٧٣]

وحاول المرعشي توضيح الفقرة السابقة فقال : «قوله (فمن نظر الى الأول) يعني أن مخرجي النون والراء يشترك فيهما اللسان واللثة . فمن نظر الى اللسان ظهر له

---

(٦٨) سر صناعة الاعراب ١ / ٥٠ .

(٦٩) انظر: عبد الوهاب القرطبي : الموضح ١٥٢و.

(٧٠) الايضاح في شرح المفصل ٢ / ٤٨١ . وانظر: أبو شامة : ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٤ . والمرعشي : جهد المقل ٨و.

(٧١) انظر: الاستراباذي : شرح الشافية ٣ / ٢٥٠ و٢٥٣ .

(٧٢) جهد المقل ٨و.

(٧٣) جهد المقل ٨ظ .

جعل مخرج الراء قبل مخرج النون، لأن مخرج الراء تَضَمَّنَ ما هومقدم على مخرج النـون. ومن نظـر الى اللثـة أَخَّرَ الراء لأن ما يلابسه رأس اللسان من اللثة بعد مخرج النون. وانما قلنا في الأول (يظهر) ولم نقل: قدم الراء لعدم اطلاعنا على الرواية من أهل الاداء بتقديم الراء على النون». (٧٤)

ولم أجد من سبق المـرعشي الى مثـل هذا التفصيـل في تحـديـد مخرجي الراء والنون، خاصة تعليقه أمر تقديم أحدهما على الآخر باعتبار العضو الذي ينظر اليهما من خلالـه، فمن نظـر الى اللسـان قدم الـراء، لأن الجزء الذي يعتمد عليه منه للراء أدخل من الجزء الذي يعتمد عليه منه للنون، ومن نظر الى العضو الآخر وهو اللثة قَدَّمَ النون وأَخَّرَ الراء، لأن موضع اعتماد اللسان على اللثة مع النون أعمق منه مع الراء.

وفي الـوقت الـذي لا نجـد فيه النصوص التي تؤيد وجهة نظر المرعشي لا نملك أيضـا من الأدلـة ما يعـارضها، بل ان التجربة الشخصية ربما أدت الى تحسس ذلك الفـارق الـدقيق الذي ألمح اليه المرعشي في تحديد مخرجي النون والراء. على أن المرعشي مدرك للتقارب بين مخرجي النون والراء، ولهذا نجده حين ناقش الخلاف في اعتبار اللام والراء والنون من مخرج واحد، أومن ثلاثة مخارج يقول: «فالاقرب أن يُجْعَلَ اللام وحده من مخرج، ويُجْعَلَا من مخرج آخر كلي». (٧٥)

أمـا علمـاء الأصـوات المحـدثون فانهم يجعلون مخرج الراء قبل مخرج النون، وان اختلفت عبارتهم وتباينت مصطلحاتهم التي استخدموها في تحديد المخارج. (٧٦) وهو أمر يؤيد الشواهد التي تضمنها كلام علماء العربية وعلماء التجويد في اعتبار مخرج الراء أدخل في اللسان من مخرج النـون

(ب) الطاء والدال والتاء:

قال سيبويه: «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال

(٧٤) بيان جهد المقل ١١و.

(٧٥) جهد المقل ٨ظ.

(٧٦) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٤. وجان كانتينو: دروس ص ٢٣، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٢.

والتـاء». [77] وقـد حافـظ علماء التجويد على عبارة سيبويه، [78] مع بعض الاضافات التوضيحية، التي تتلخص في قول الداني: «فالطاء والتاء والدال من مخرج واحد، وهـو بين طرف اللسـان وأصـول الثنـايـا العليا، مصعداً الى الحنك» [79] وذهب ابن الحـاجب الى أن «قـولـه (وأصـول الثنـايا) ليس بحتم، بل قد يكون ذلك من أصول الثنايا ويكون مما بعد أصولها قليلاً، مع سلامة الطبع من التكلف». [80]

وأتى محمـد المـرعشي ببعض التحقيقـات الـدقيقة في تحديد مخرج الأصوات الثلاثة، منها أنه قَسَّمَ مخرجها الى ثلاثة مخارج جزئيه، على حسب النظرية القائلة ان أصـوات المخـرج الـواحـد تتمـايـز في موضعهـا تبعـا للجهـر والهمس والاطباق والانفتاح، فقال: «فظهر أن أصليهما ينقسمان الى ثلاثة مواضع: فما يلي اللثة منها يخـرج منـه الطـاء، ومن بعيـده الـدال، ومن بعيـده التاء. فالمراد من أصليهما ليس أقصى نهـايتهمـا من جانب اللثـة لاستحالة الانقسام حينئذ بل المراد ما يلي اللثة من نصفيهما، والله اعلم». [81]

وكـان الخليـل بن أحمـد قد وصف الحـروف الثـلاثـة بأنهـا نِطعية، حيث قال: «والطاء والتاء والدال نِطعية، لان مبدأها من نِطع الغار الأعلى». [82] والنِّطع «ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتـزقـة بعظم الخُلَيْقَـاء، فيهـا آثـار كالتحزيز، وهنـاك موقـع اللسـان في الحنـك». [83] وقـد حمـل علي القـارى هذه التسمية على

(٧٧) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٧٨) انظر: مكي: الرعاية ص ١٧٢. والداني: الادغام الكبير ١١ظ. والمرادي: المفيد ١٠١و.

(٧٩) التحديد ١٦ظ. وانظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ.

(٨٠) الايضـاح في شرح المفصـل ٢/٤٨١. وانظـر: ابـوشـامـة: ابـراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٥

(٨١) جهد المقل ٨ظ.

(٨٢) العين ١/٥٨.

(٨٣) ابن منظور: لسان العرب ١٠/٢٣٥ (نطع).

المجاورة لا على أن النطع موضع خروجها، فقال: «ويقال لهذه الحروف الثلاثة نطعية، لخروجها من نطع الغار الأعلى، أي سقفه، والغار داخل الحنك. والتحقيق أنها انما سميت نطعية لمجاورة مخرجها نطع الغار الأعلى، وهو سقفه، لا لخروجها منه، فتأمل يظهر لك وجه الخلل». [٨٤] على ان الخليل قال (لأن مبدأها) ولم يقل (لخروجها). وظاهر كلام العلماء يقتضي نفي أن يكون مبدؤها نطع الغار الأعلى، لأنها تتكون من نقطة تتحدد بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا، وأصول الثنايا بعيدة من نطع الغار الأعلى.

أما عبارة المحدثين من علماء الأصوات عن مخارج هذه الحروف الثلاثة فتتراوح بين المحافظة على عبارة سيبويه وهي «التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا»، [٨٥] والقول بأنها تخرج «عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة». [٨٦] وقال بعضهم: «بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها». [٨٧] ومؤدى ما ذهب اليه المحدثون لا يختلف عما أخذ به علماء العربية وعلماء التجويد.

(جـ) الصاد والزاي والسين:

قال سيبويه: «ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد». [٨٨] ولم يصف سيبويه الثنايا في هذا الموضع ولا في غيره، فلم يقل العليا ولا السفلى. [٨٩] وحاول العلماء الذين جاءوا بعد سيبويه أن يحددوا مراد سيبويه من

---

(٨٤) المنح الفكرية ص ١٢، وانظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٠٨، وتمام حسان: مناهج البحث ص ٨٦.

(٨٥) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٨، ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٦٨.

(٨٦) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٢٩. وانظر: ؛ احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩.

(٨٧) جان كانتينو: دروس ص ٢٣.

(٨٨) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٨٩) ابو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٦. ونستدرك من ذلك وصف سيبويه لمخرج الفاء فقد قال فيه: (أطراف الثنايا العلى) (الكتاب ٤/٤٣٣).

قوله: (فويق الثنايا)، فكانت لدينا هذه المذاهب·

١) فويق الثنايا = فويق الثنايا السفلى، قال أبو القاسم الزجاجي (عبد الرحمن بن اسحاق ت ٣٣٧): «ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى مخرج الزاي والسين والصاد»(٩٠). وذهب هذا المذهب عدد من علماء التجويد.(٩١)

٢) وذهب بعض علماء التجويد الى تخصيص الثنايا بقولهم (العليا) لكنهم لم يستخدموا حينئذ كلمة (فويق). قال الداني: «والصاد والزاي والسين من مخرج واحد، [وهي الفرجة التي](٩٢) بين طرف اللسان والثنايا العليا»(٩٣) لكن الداني قال في كتاب (الادغام الكبير): «والصاد والسين والزاي من مخرج واحد، وهو طرف اللسان واصول الثنايا السفلى».(٩٤) وقوله (اصول الثنايا السفلى) غريب جدا، لان الذين استخدموا كلمة (السفلى) يقولون (فويق الثنايا السفلى).
وذهب ابن الطحان مذهبا قريبا من مذهب الداني الأول فقال: «ومن طرفه وما يليه من الشق بين الثنيتين العليين تخرج الصاد والسين والزاي».(٩٥)

٣) ذهب بعض شراح الشاطبية مذهباً أقرب الى المذهب السابق، لكنه أكثر تحديداً فقال: «ومن طرف اللسان ومن بين الثنايا لا أصولها ولا أطرافها ثلاثة أحرف، وهي الصاد والسين المهملتان والزاي».(٩٦)

ولم يتفق دارسو الأصوات العربية من المحدثين على تحديد الموضع الذي

---

(٩٠) الجمل ص ٣٧٧.
(٩١) انظر مكي: الرعاية ص ١٨٣. والكشف (له) ١ / ١٣٩. وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ.
(٩٢) ما بين المعقوفين ساقط من بعض نسخ كتاب (التحديد) حسبما أشير الى ذلك في هامش النسخة المخطوطة التي نعتمد عليها.
(٩٣) التحديد ١٦ظ. وانظر المرعشي: جهد المقل ٩و.
(٩٤) الادغام الكبير ١١ظـ١٢و.
(٩٥) مرشد القارئ ١٢٩و.
(٩٦) انظر: ابو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٥. والحسيني كاشف المعاني

يعتمد عليه طرف اللسان في أثناء النطق بهذه الأصوات، وتفاوتت عبارتهم عن ذلك على هذا النحو:

١ ـ يعتمد طرف اللسان على اللثة.[٩٧]

٢ ـ يعتمد طرف اللسان خلف الاسنان العليا مع التقاء مقدمه باللثة العليا.[٩٨]

٣ ـ التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا.[٩٩]

ولعل محمد المرعشي كان أكثر العلماء المشتغلين بهذا العلم دقة في التعبير عن مخرج هذه الحروف الثلاثة وتوضيح علاقة طرف اللسان بالثنايا العليا والسفلى أثناء النطق بها. فقال في تحديد مخرجها: «ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العليين، أعني صفحتيهما الداخلتين، يخرج منه الصاد فالسين فالزاي، ولا يتصل رأس اللسان بالصفحتين بل يسامتهما».[١٠٠]

وتحدث عن دور الثنايا السفلى في نطق الأصوات الثلاثة فقال: «وفي بعض الرسائل أن هذه الثلاثة تخرج من بين رأس اللسان وبين فويق الثنيتين السفليين، وفيه إشكال، لأن المخرج ما ينقطع الصوت فيه، ولا يجري صوت هذه الثلاثة بين رأس اللسان وبين فويق الثنيتين السفليين حتى يتصور انقطاعه فيه، بل يجري بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العليين وينقطع فيه، كما يشهد به الامتحان الصادق نعم رأس اللسان يسامت رأسي الثنيتين السفليين، لكن المسامتة لا يتحقق بها المخرج ما لم ينقطع الصوت بين المسامتين».[١٠١]

١٨٢و.

(٩٧) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩١.

(٩٨) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٥٣. وانظر احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩.

(٩٩) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٧٧.

(١٠٠) جهد المقل ٩و.

(١٠١) جهد المقل ٩و.

ونلاحظ اختلافاً في ترتيب هذه الحروف الثلاثة عند تحديد مخرجها، عكس الثلاثة التي سبقتها، ويمكن ان نجد عددا من العماء ساروا على الترتيب الذي يناسب ما سبق بيانه حول ترتيب الحروف الّتي من مخرج واحد، وهو (ص ز س).(١٠٢)

(د) الظاء والذال والثاء:

قال سيبويه: «ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء».(١٠٣) وقد ذهب أكثر علماء التجويد في تخصيص الثنايا (بالعليا).(١٠٤) وقال بعضهم «أطراف الثنايا علياها وسفلاها».(١٠٥) وقال آخر: «من طرف اللسان وأطراف الأسنان».(١٠٦) وكل ذلك صحيح، فالمخرج بين طرف اللسان وبين أطراف الثنيتين العليين، ويستند طرف اللسان في الوقت نفسه على أطراف الثنيتين السفليين.

ولم يبتعد دارسو الأصوات العربية من المحدثين عن عبارات المتقدمين في تحديد مخرج الحروف الثلاثة فقالوا:

١ - «يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا» (١٠٧)

---

(١٠٢) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥٣. والداني: التحديد ١٦ظ. واحمد بن ابي عمر: الايضاح ٧٢ظ. وابن عصفور: المقرب ٢/٥. والاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٥٠ و٢٥٣. والمرعشي: بيان جهد المقل ١١ظ.

(١٠٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

(١٠٤) مكي: الرعاية ص ١٩٤، والداني: التحديد ١٦ظ، والاغام الكبير (له) ١١ظ. وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ. والفخر الموصلي: الدر الموصوف ١٦٩ظ. والمرعشي: جهد المقل ٩و.

(١٠٥) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩و. وقد نسبه أبو شامة في ابراز المعاني (باب مخارج الحروف ص ٥) الى مكي، لكني وجدت مكيا يذهب الى غير ذلك في كتابيه: الرعاية والكشف.

(١٠٦) احمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٢ظ.

(١٠٧) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٠.

٢ ـ «بين طرف اللسان واطراف الثنايا العليا».[١٠٨]

٣ ـ «وضـع طرف اللسـان بين الأسنان العليا والسفلى».[١٠٩] أو«بين أطراف الثنايا العليا والسفلى».[١١٠]

وناقش علماء التجويد مقدار تقدم طرف اللسان بين أطراف الثنايا، فأجمعوا على التحـذيـر من المبـالغة في خروج طرف اللسان، فقال ابن البناء: «وليحذر ان يخرج طرف لسانه بالذال والظاء والثاء إخراج ظهور، بل بطرف ويمضي لسانه».[١١١] وقال أحمد بن أبي عمر: «واحذر أن تخرج طرف لسانك بالذال والظاء والثاء».[١١٢] وقال محمـد المـرعشي: «وفي بعض الـرسائل أن رأس اللسان يجاوز رأسي الثنيتين قليلاً الى جهـة الخـارج في هذه الحـروف. أقول: ذلك غير ظاهر في الظاء».[١١٣] وإفراد المرعشي الظاء عن الذال والثاء مبني على أساس أن الظاء مطبق يتراجع اللسان في أثناء النطق به الى الوراء قليلاً. وهذه الظاهرة هي نفسها التي جعلت المرعشي يقدم الظـاء في ترتيب هذه الحـروف الثـلاثة، على نحو ما أشرنا الى ذلك في أثناء الكلام على مخارج حروف الحلق.

وكـان الخليـل بن أحمـد قد وصف هذه الحروف الثلاثة بأنها لثوية، حيث قال: «والظـاءوالـذال والثـاء لثـويـة، لأن مبدأها من اللثة».[١١٤] وقد أنكر بعض الدارسين

---

(١٠٨) ابـراهيم أنيس: الاصـوات اللغـويـة ص ٤٧، وانظر: أحمد مختارعمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩.

(١٠٩) جان كانتينو: دروس ص ٢٢.

(١١٠) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٥٢.

(١١١) بيان العيوب ١٧٦ظ ـ ١٧٧و.

(١١٢) الايضاح ٧٠ظ.

(١١٣) جهد المقل ٩ظ، وانظر: بيان جهد المقل ١١ظ.

(١١٤) العين ٥٨/١.

المحدثين هذه التسمية، لأن اللثة لا تقوم معها بأي دور [115] وكان المرعشي قد تشكك قبل ذلك في دقة وصف الأصوات الثلاثة بكونها (لثوية). فقال: «وفي الرعاية أن هذه الثلاثة تسمى لثوية لخروجهن من اللثة. قيل: فيه مسامحة» [116] ومعنى المسامحة عند المرعشي هي: «اختيار العبارة السهلة الموجزة، وان خفي معناها». [117]

ولا شك في أن مخارج حروف طرف اللسان متداخلة جدا لاسيما (ط د ت) و (ص ز س)، وقد حاول بعض علماء العربية والتجويد وضع حدود فاصلة بين مخارج هذه الاصوات. فقال ابن الحاجب في الزاي وأختيها: «وهي تفارق مخرج الطاء وأختيها، لانها بعد أصول الثنايا أو (بعدها) بعد أصولها. وتفارق الظاء واختيها، لانها قبل أطراف الثنايا. وقال غيره: هي متجافية قليلا من مخرج الظاء بحيث لا يلصق اللسان بالثنايا عند اخراجها». [118]

٦ ـ حروف الشفتين:

قال مكي: «وأما حروف الشفتين فأربعة: الفاء مفردة، ثم الباء والميم والواو أخوات» [119] وقال الداني: «وللشفة مخرجان وأربعة أحرف، وهي الفاء والباء والواو والميم» [120]

---

(١١٥) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٠٩.

(١١٦) جهد المقل ٩و.

(١١٧) بيان جهد المقل ٢و.

(١١٨) أبو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٥-٦، وابن الحاجب: الايضاح شرح المفصل ٢/٢٨١-٢٨٢. وكلمة (بعدها) ساقطة من الايضاح.

(١١٩) الكشف ١/١٣٩.

(١٢٠) التحديد ١٧و. وانظر: الادغام الكبير (له) ٢٣و. وابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩و.

(أ) الفاء:

قال سيبويه: «من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء».(١٢١) ولم تتغير عبارة سيبويه في تحديد مخرج الفاء لا عند علماء العربية،(١٢٢) ولا عند علماء التجويد،(١٢٣) ولا عند المحدثين من دارسي الأصوات العربية.(١٢٤)

وضم الفاء الى الباء والميم والواووالتعبير عنها باسم حروف الشفتين هومذهب كثيرمن علماء التجويد، لكن الفاء في الواقع لا تشترك الا الشفة السفلى في مخرجها. وقد لاحظ ذلك الحسيني (أبو الفضائل عباد بن أحمد بن اسماعيل، كان حياً سنة ٧٠٤هـ) واقترح أن تكون الفاء قسماً بذاتها فقال عن الفاء: انها «تحتمل أن تكون من حروف الفم وأن تكون من حروف الشفة، لأن مخرجها باشتراكهما. والأَوْلَىٰ أن تكون قسماً برأسها».(١٢٥) وعلى هذا الأساس وصف المحدثون الفاء بأنها صوت أسناني شفوي.(١٢٦)

(ب) الباء والميم والواو:

قال سيبويه: «ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو».(١٢٧)

---

(١٢١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(١٢٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥٣. وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٤ و١٢٥.

(١٢٣) مكي: الرعاية ص ٢٠١، والداني: التحديد ١٧و. وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ظ. وقال المرعشي (بيان جهد المقل ١١ظ): «الملابس لباطن الشفة السفلى في الفاء ليس رأسي الثنيتين فقط».

(١٢٤) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٦. وجان كانتينو: دروس ص ٢٢. ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٨٩. وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٥١. واحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩.

(١٢٥) كاشف المعاني ١٨٢و. وانظر: ابو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٦.

(١٢٦) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٩. وكمال محمد بشر: الاصرات ص ١٥١.

(١٢٧) الكتاب ٤/٤٣٣.

وقد ردد بعض علماء التجويد عبارة سيبويه من غير زيادة [١٢٨] وحاول بعضهم توضيح حالة الشفتين مع كل حرف من الحروف الثلاثة. فقال الداني: «غير أن الشفتين تنطبقان في الباء والميم، ولا تنطبقان في الواو بل تنفصلان». [١٢٩] وقال علي القارى: «الا أن الواو بانفتاح، والباء والميم بانطباق». [١٣٠] وعلق المرعشي على قول علي القارى فقال: «المراد من انفتاحهما في الواو انفتاحهما قليلاً، وإلا فهما ينضمان في الواو، ولكن لا يصل انضمامها الى حد الانطباق». [١٣١]

ونص بعض علماء التجويد على أن الواو المذكورة هنا يقصد بها غير المدية، بناء على مذهبهم في إفراء حروف المد بمخرج مستقل هو الجوف، وتخصيصهم حروف اللين بمخارج محددة، من الشفتين في الواو، ومن وسط اللسان في الياء. [١٣٢]

ورتب محمد المرعشي الحروف الثلاثة على هذا النسق (ب م و)، وعلل ذلك بقوله: «ولعل وجه الترتيب هنا أن لكل من الشفتين طرفين، طرف منه يلي داخل الفم، والآخر يلي البشرة. فالمنطبق في الباء طرفاهما اللذان يليان داخل الفم، والمنضم في الواو طرفاهما اللذان يليان البشرة. والمنطبق في الميم وسطهما». [١٣٣]

ولاحظ بعض علماء التجويد أن انطباق الشفتين مع الباء أقوى من انطباقهما مع الميم. [١٣٤] وعلل المرعشي ذلك بقوله: «والظاهر أن سببه عدم احتباس النَّفس في

---

(١٢٨) الداني: الادغام الكبير ٢٣و. واحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٢و، والمرادي: المفيد ١٠١و.

(١٢٩) التحديد ١٧و. وانظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩و.

(١٣٠) المنح الفكرية ص ١٣.

(١٣١) جهد المقل ٩ظ.

(١٣٢) انظر: ابن الجزري: النشر ١/٢٠١. وعلى القارى: : المنح الفكرية، ص ١٣، والمرعشي: جهد المقل ٩و.

(١٣٣) جهد المقل ٩ظ.

(١٣٤) علي القارى: المنح الفكرية ص ١٣.

الميم، بل جريانه في الخيشوم، بخلاف الباء، وعدم احتباس النَّفَس عند الاعتماد على مخرج الحرف يوهن الاعتماد» .(١٣٥)

وذكر أبو حيان الاندلسي أن المهدوي (أبا العباس أحمد بن عمارت بعد ٤٣٠ هـ) فصل الواو من الباء والميم، وجعل لها مخرجا على حدة، هو السادس عشر عنده، وقال: الواو تهوي حتى تنقطع الى مخرج الألف .(١٣٦)

ولاحظ دارسو الأصوات من المحدثين أن أقصى اللسان يقترب من أقصى الحنك عند النطق بالواو، ومن ثم ذهب بعضهم الى القول بأن الوصف الأدق أن يقال: ان الواو من أقصى الحنك،(١٣٧) أو أنه شفوي ـ حنكي قصي .(١٣٨) ومن المحتمل أن يكون قول المهدوي السابق (الواو تهوي) تعبيراً عن إحساسه بارتفاع أقصى اللسان عند النطق بها .

وتحديد سيبويه وغيره لمخرج الواو بأنه من الشفتين ليس خطأ، لأن للشفتين دخلاً كبيراً في نطق هذا الصوت .(١٣٩) ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو وكون اللسان لا يقترب من الحنك بصورة واضحة هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو الى الشفتين .(١٤٠) وهو الذي جعل بعض المحدثين يتخذون نفس الموقف من الواو أيضا .(١٤١)

---

(١٣٥) بيان جهد المقل ١١ظ.

(١٣٦) ارتشاف الضرب ص ٣. وانظر: المرادى: شرح التسهيل ٤٠٣و. والسيوطي: همع الهوامع ٦/٢٩٤ .

(١٣٧) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٣ . وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٢ .

(١٣٨) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٨ .

(١٣٩) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٢ .

(١٤٠) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٣، وحسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣١٠-٣١١ .

(١٤١) جان كانتينو: دروس ص ٢٢ .

٧ ـ الخياشيم :

قال سيبويه : «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة». [١٤٢]

كانت عبارة سيبويه هذه مثار نقاش بين العلماء، يدور حول المقصود بالنون الخفيفة، وحول تخصيص مخرج مستقل لهذه النون.

أما المقصود بالنون الخفيفة فقد قال أبو سعيد السيرافي : «يجب أن تكون الخفية لان التفسير يدل عليه». [١٤٣] ومن هنا وجدنا بعض علماء العربية يقول : «النون الخفية، ويقال الخفيفة». [١٤٤] ثم وجدنا من يقول : «ومن الخياشيم مخرج النون الخفية». [١٤٥]

وقد عدّ سيبويه هذه النون أحد الحروف الفرعية المستحسنة. [١٤٦] وتتضح حقيقة هذه النون من خلال معرفة مخرج النون الأصلية، التي ذكرنا مخرجها عند الكلام على مخارج حروف طرف اللسان، حيث يعتمد طرف اللسان على ما فويق الثنايا فيسد طريق الهواء من الفم، وينخفض الحنك اللين بما في ذلك اللهاة فيندفع الهواء من الخيشوم، فالنون يعتمد لها في الفم ويخرج الصوت (النَّفَس) من الأنف، وهذا الصوت الخارج من الخيشوم يسمى (غنة). [١٤٧] ومن هنا قال بعض علماء العربية وعلماء التجويد أن النون والميم لهما مخرجان : أحدهما في الفم وهو معتمد اللسان والشفتين، والآخر في الخيشوم وهو مجرى الغنة. [١٤٨]

---

(١٤٢) الكتاب ٤/٤٣٤

(١٤٣) شرح كتاب سيبويه ٦/٤٤٣، وانظر: القرطبي : الموضح ١٥٣ظ.

(١٤٤) ابن جني : سر صناعة الاعراب ١/٥١ و٥٣.

(١٤٥) ابن عصفور: المقرب ٢/٦.

(١٤٦) الكتاب ٤/٤٣٢.

(١٤٧) انظر: سيبويه : الكتاب ٤/٤٣٥، والمبردُ: المقتضب ١/١٩٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٤٤. وانظر: مكي : الرعاية ص ٢٤١، وعبد الوهاب القرطبي : الموضح ١٧١و.

(١٤٨) مكي : الكشف ١/١٤٦، وأحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٣و. والاسترابادي : شرح الشافية ٣/٢٧١، والمرعشي : بيان جهد المقل ١٢ظ.

وقد قال مكي في توضيح هذه النون: «ان النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، ومعها غنة تخرج من الخياشيم، فاذا أخفيتها عندما بعدها صار مخرجها من الخياشيم لا غير، فتذهب النون عند الاخفاء، وتبقى الغنة من الخياشيم ظاهرة... وتبين أن النون الخفية هي الغنة، والنون المدغمة والمظهرة هي غير الغنة، والغنة تابعة لها. فاذا قلت (عَنْكَ ومِنْكَ) فمخرج هذه النون من الخياشيم لا غير، لأنها مخفاة عند الكاف، باقية غنتها ظاهرة. واذا قلت: (مِنْهُ وعَنْهُ) فمخرج هذه النون من طرف اللسان، ومعها غنة تخرج من الخياشيم، لأنها غير مخفاة والغنة ظاهرة».(١٤٩)

وقال عبد الوهاب القرطبي في ذلك أيضا: «وانما تكون هذه النون من الخيشوم مع خمسة عشر حرفاً من حروف الفم: القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والفاء. فهي متى سكنت وجاء بعدها حرف من هذه الحروف فمخرجها الخيشوم، لا علاج على الفم في إخراجها».(١٥٠)

واذ قد اتضح المقصود بالنون الخفيفة (الخفية) فهل هي متميزة عن النون الأصلية الى الحد الذي يمكن معه إفرادها في مخرج مستقل على نحو ما فعله سيبويه وتابعه جمهور علماء العربية وعلماء التجويد عليه؟

أما من الناحية الصوتية المحضة فان هناك تبايناً بين النون الأصلية وبين الخفية (الفرعية) فتلك لها مخرجان، معتمد اللسان في الفم، ومجرى الصوت من الأنف، وهذه يزول معتمد اللسان معها ليلحق بمخرج الحرف الذي يليها، ولا يبقى معها الا صوت الخياشيم، وهو الغنة، وهذا هو السر في تخصيص مخرج مستقل لها.

---

(١٤٩) الرعاية ص ٢٤١-٢٤٢، وانظر: الكشف (له) ١/ ١٦٤ و١٦٧.

(١٥٠) الموضح ١٥٣ظ. وانظر: الداني: التحديد ١٧و.

وأمـا من ناحيـة الـوظيفة (الدلالة على تغيير المعاني) فان النون الخفية ما هي الا النـون الأصليـة، عرض لهـا بسبب المجـاورة للأصـوات الأخرى في التركيب ما أثَّرَ على بعض خصـائصهـا الصـوتيـة، ولكن دلالتهـا على المعنى لم تتغير، فان الفعل (كـان) لا تتغيـر دلالتـه عنـدمـا يكون في سياق مثل (كُنْتُ أوكُنْتُمْ) الا بقدر ما يجلبه الاسنـاد من معنى جديـد، على الرغم من أن النون هنا صارت خفية (مخفاة) وهي في أصل الفعل (كان) مظهرة. ومن هذه الوجهة لا نجد ضرورة لافراد النون الخفية بمخرج مستقل، كما أن كل الحروف الفرعية الاخرى لم تفرد بمخارج مستقلة.

وكان ابن الطحان (عبد العزيز بن علي ت حوالي ٥٦٠هـ) قد أهمل الاشارة الى هذا المخـرج، وعـد المخـارج خمسـة عشـر مخرجا.(١٥١) بينما سمى بعض علماء التجـويـد صوت هذا المخـرج (الغنـة) بدل (النـون الخفية)، قال ابن الجزري في النشر: «المخرج السابع عشر: الخيشوم، وهو للغنة».(١٥٢) وقال في المقدمة: (وغنة مخرجها الخيشوم).(١٥٣) والغنة صفة لازمة للنون والميم تحركتا او سكنتا، ظاهرتين أو مخـافتين أو مدغمتين.(١٥٤) ومن ثَمَّ قيـل «كـان ينبغي له أن يذكـر عوضهـا مخرج النون المخفاة، فان مخرجها من الخيشوم، وهي بخلاف الغنة».(١٥٥)

وكان البقرى (محمد بن القاسم بن اسماعيل ت ١١١١هـ) قد تابع ابن الجزري فذكـر في المخـرج الأخيـر الخيشوم وقال: «تخرج منه الغنة»، وأضاف: «وبعضهم أنكر هذا المخرج الأخير وجعله صفة من الصفات، والجمهور يعدونه من المخارج، ولا ينظرون الى ذلك القائل».(١٥٦) والحق أنه لا مكان لذكر الغنة هنا الا اذا أريد بها النون المخفاة.

(١٥١) مرشد القارئ ١٢٨ظ.

(١٥٢) النشر ١/٢٠١.

(١٥٣) متن الجزرية ص ١١.

(١٥٤) احمـد بن الجـزرى: الحـواشي المفهمـة ٤٧ظ، وعبـد الـدائم الازهـري: الطـرازات المعلمة ٤٣و.

(١٥٥) احمد بن الجزرى: الحواشي المفهمة ١٦ظ.

(١٥٦) غنية الطالبين ص ٩.

وقـال بعض المحـدثين مُعَلِّقاً على ذكر ابن جني لمخرج النون المخفاة: «وهذا مخـرج اضـافي ذكـره ابن جني (وغيـره) لنـوع من النون، ويمكن الاستغناء عنْ هذا المخرج والاكتفاء بالمخرج رقم (٩) في تقسيم ابن جني، فهذا بالمخرج الاخير يعد مخرج النوع الرئيسي للنون».(١٥٧)

٨ ـ حروف الجوف:

أفـرد علمـاء التجـويـد المتأخـرون مخرج الجوف، وجعلوه خاصاً بحروف المد الثلاثة، الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسورة ما قبلهـا.(١٥٨) أمـا علمـاء التجـويد المتقدمون فانهم سلكوا مسلك سيبويه الذي جعل الألف من مخرج الهمزة، والواو والياء المديين من مخرجيهما غير مديين.(١٥٩)

وقـال علمـاء التجـويـد ان مخـرج حروف المـد، وهـو الجوف، مخرج مُقَدَّرٌ لا مُحَقَّقٌ، قال المرعشي: «وبالجملة ان حروف المد لَمَّا لم تنقطع أصواتها في موضع لم يكن لها مخرج محقق... بل قدروا لها جوف الحلق والفم مخرجاً».(١٦٠)

وأصل فكرة تخصيص مخرج مستقل لحروف المد ترجع الى ما ذكره الخليل بن أحمد من وصفه لهذه الحروف بأنها هوائية.(١٦١) لكن علماء التجويد أخرجوا الهمزة من الحروف الهوائية لأنهن أصوات لايعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة.(١٦٢) فحروف المد حروف ذائبة والهمزة من الحروف الجامدة.

---

(١٥٧) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٧. وانظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ٥٣/١.

(١٥٨) انظـر: ابن الجـزرى: النشـر ١٩٩/١. وعلي القـارى: المنح الفكـريـة ص ١١، والمرعشي: جهد المقل ١٠و.

(١٥٩) الداني: التحديد ١٦ظ، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢و. والمرادى: المفيد ١٠١و.

(١٦٠) جهد المقل ٦ظ.

(١٦١) العين ٥٨/١.

(١٦٢) ابن الجزري: النشر ١٩٩/١.

ومع أن علماء التجويد جمعوا حروف المد الثلاثة في مخرج مقدر واحد الا أنهم كانوا مدركين للصفات الدقيقة التي يتميز بها كل صوت، فقالوا ان الذي مَيَّز بين الثلاثة هو تصعد الألف وتسفل الياء واعتراض الواو.(١٦٣)

ويتميز هذا المخرج عن جميع المخارج السابقة بأنه خاص بالحروف التي سماها بعض علماء التجويد بالذوائب، بينما بقية المخارج خاصة بالجوامد، وسوف نقف وقفة أطول عند هذا المخرج وكل ما يتعلق بمخارج الحروف الذوائب (حروف المد الثلاثة والحركات الضمة والفتحة والكسرة) في مبحث لاحق ان شاء الله.

* * *

وغاية القول في مخارج الحروف عند علماء التجويد أن كلامهم عنها جاء مؤكدا لما قرره سيبويه من قبل، وتابعه عليه علماء العربية. وقد استطاع علماء التجويد تحقيق بعض النتائج الجديدة وتوضيح بعض الحقائق السابقة في دراسة مخارج الحروف.

وقد عني بعض علماء التجويد بترتيب الحروف ترتيبا صوتيا بحسب تدرج المخارج، وقد ذكر محمد المرعشي الاتجاهات المعروفة لترتيب الحروف العربية فقال: «وللحروف العربية ثلاثة ترتيبات:

الأول: ترتيب أهل اللغة، وهو أ ب ت ث ج ح خ د ذ رينتهي الى ي. وهذا هو الذي يعلم به الصبيان.

والثاني: ترتيب أهل الأداء، وهو الترتيب بحسب المخارج، كما سيأتي.

والثالث: ترتيب أهل الحساب، وهو الترتيب بحسب جعل الحروف اشارة الى الاعداد، وهو ترتيب أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ».(١٦٤)

وقول المرعشي (ترتيب أهل الاداء) وهو الترتيب الصوتي بحسب المخارج لايعني أن أهل الاداء، وهم علماء التجويد، هم أول من وضعه، فهذا الترتيب قديم يرجع

---

(١٦٣) انظر: علي القارى: المنح الفكرية ص ٩.

(١٦٤) بيان جهد المقل ٦ظ.

الى كتاب العين للخليل بن أحمد، الذي رتب معجمه على أساس ترتيب الحروف تبعا لترتيبها الصوتي.(١٦٥) وكذلك فعل سيبويه في باب الادغام حيث أورد الحروف العربية مرتبة ترتيبا صوتيا مخرجيا.(١٦٦)

وسار علماء التجويد على ترتيب سيبويه للحروف. وردد بعضهم مقالة ابن جني في ترتيب الحروف الوارد في كتاب العين حيث قال بعد ان ذكر ترتيب سيبويه: «فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح. فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفا، مما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته».(١٦٧)

وقول ابن جني عن ترتيب كتاب العين (فيه خطل واضطراب) لا يخلو من مبالغة، فالواقع ان ذلك الترتيب يوافق ترتيب سيبويه في الكثير، ويخالفه في القليل، وبعض تلك المخالفات مبني على وجهات نظر معينة، لا أنه خطأ محض، وليس من غرضنا الدخول في تفصيلات هذا الموضوع، لأن ذلك يخرج بنا عن غرضنا في تتبع آراء علماء التجويد خاصة.

وهناك قضية تتعلق بترتيب سيبويه للحروف فقد ورد ذكر الضاد قبل حروف وسط اللسان (ج ش ي) ويبدولي أن الأمر لا يخلو من احتمال تصحيف النساخ لان سيبويه حين ذكر المخارج أورد الضاد بعد الياء.(١٦٨) كما ان الذين نقلوا ترتيبه للحروف من علماء العربية وعلماء التجويد جعلوا ترتيب هذه الحروف على هذا النسق (ج ش ي ض).(١٦٩)

والمخارج الاساسية عند علماء التجويد خمسة عشر مخرجا وهناك مخرج اضافي للنون الخفية، وهو يرتبط على نحو وثيق بمخرج النون الأصلية. وكل هذه

(١٦٥) العين ١/٥٨. وانظر: الازهري: تهذيب اللغة ١/٤١.

(١٦٦) الكتاب ٤/٤٣١.

(١٦٧) سر صناعة الاعراب ١/٥٠-٥١. وانظر: القرطبي: الموضح ١٥٣و.

(١٦٨) انظر: الكتاب ٤/٤٣١ و٤٣٣.

(١٦٩) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٥٠، والقرطبي: الموضح ١٥٢و.

المخارج خاص بالأصوات الجامدة. أما الأصوات الذائبة فقد أفرد لها بعض علماء التجويد وعلماء العربية مخرجا مستقلاً وهو الجوف.

ولا يزال هذا التوزيع لمخارج الحروف العربية هو الطريق الأمثل، فيما نرى، الذي يناسب الدرس الصوتي العربي، ولا نجد ضرورة علمية تقتضي اعادة توزيع الحروف العربية بحيث ينخفض عدد المخارج الى تسعة،(١٧٠) أو عشرة،(١٧١) أو أحد عشر مخرجاً.(١٧٢) كما ذهب الى ذلك بعض المحدثين مقلدين فيما يبدو وجهات نظر الدرس الصوتي الأوربي.

ولا يعدو ما نجده من اختلاف بين عبارة المحدثين وعبارة علماء التجويد في تحديد مخارج الحروف أن يكون اختلافاً في الاصطلاح وطريقة التعبير أكثر من كونه اختلافاً في حقيقة الموضوع، فاذا وصف المحدثون الهمزة بأنها صوت (حنجري)،(١٧٣) فان ذلك لا ينقاض قول علماء التجويد ان الهمزة من أقصى الحلق، وذلك لأنهم يعبرون عن الحنجرة بأقصى الحلق. «وعلى هذا فلا خلاف في وصف مخرج الهمزة».(١٧٤)

ومن ذلك أن بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين ينسبون مخرج الصوت الى نقطة معينة من الحنك الأعلى (سقف الفم)، بينا ينسبه علماء التجويد الى جزء اللسان الذي يشترك في انتاج الصوت، فاذا قال علماء التجويد ان مخرج الكاف من أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى، وقال بعض الدارسين المحدثين ان الكاف (حنكي قصي)،(١٧٥) فان ذلك لا يمثل اختلافاً جوهرياً بين علماء التجويد ودارسي الأصوات من المحدثين، وانما هو اختلاف في المصطلح

---

(١٧٠) جان كانتينو: دروس ص ٢٢-٢٣.

(١٧١) تمام حسان: مناهج البحث في للغة ص ٨٤-٨٥.

(١٧٢) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٩-٢٠٠، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١١٢-١١٣، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩-٢٧٣.

(١٧٣) محمود السعران: علم اللغة ص ١٧١.

(١٧٤) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٠٤.

(١٧٥) محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٩ و٢٠٠. وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٣٨.

وطريقة التعبير. فهو اذن اختلاف لفظي ليس له تعلق باختلاف المعنى أو الفكرة التي يراد التعبير عنها، لأن مخرج الصوت يشترك فيه غالباً عضوان، وتكون نسبته الى أحدهما كنسبته الى الاخر.

ومن ذلك أيضا أن بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين يقسمون الحنك الأعلى أقساماً ويطلقون على كل قسم اسماً معينا، بدلا من تقسيمه الى مقدم الحنك ووسطه وأقصاه، فيسمون الجزء الصلب الذي يلي اللثة باسم (الغار). ويسمون الجزء الرخو الذي في مؤخرة سقف الفم باسم (الطبق). (١٧٦) فاذا وصف هؤلاء مخرج صوت الكاف مثلا قالوا بأنه (طبقي). (١٧٧) وهذا الوصف يطابق قول الفريق السابق من المحدثين من قوله ان الكاف (حنك قصي)، وكذلك هو يطابق قول علماء التجويد: ان الكاف من أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك. وهذا مثال يوضح لنا حقيقة الاختلاف بين القدماء والمحدثين، وكذلك يكشف لنا عن أن المحدثين لم يتفقوا على صيغة معينة للتعبير عن المخارج. وهو أمر لا يغض من قيمة جهود هؤلاء كما أنه لا يغض من قيمة جهود أولئك. فلكلٍ الأساس الذي اعتمد عليه في وجهته.

ونحن لا نجد في ختام كلامنا عن مخارج الاصوات كلمة تعبر عن تقديرنا لجهود علماء التجويد في دراسة الموضوع مثل كلمة الدكتور كمال محمد بشر التي قالها في تقدير جهود ابن جني في دراسه مخارج الحروف، مع العلم أن ابن جني اعتمد على سيبويه بشكل يكاد يكون تاما، بينما استطاع علماء التجويد أن يضيفوا شيئاً الى ما قاله سيبويه، يقول: «والحق ان النتائج التي وصل اليها هذا العالم في هذا الوقت الذي كان يعيش فيه لتعد مفخرة له ولمفكري العرب في هذا الموضوع. ومما يؤكد

---

(١٧٦) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٨٥، احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٤-٨٥.

(١٧٧) انظر المصدرين السابقين ص ٩٥ وص ٢٧١ على التوالي السابق.

براعتهم ونبوغهم في هذا العلم أنهم قد توصلوا الى ما توصلوا اليه من حقائق مدهشة دون الاستعانة بأي أجهزة أو آلات تعينهم على البحث والدراسة كما نفعل نحن اليوم ». (١٧٨)

(١٧٨) الاصوات ص ١٢٠.

المبحث الخامس
تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات

إنَّ تحديد مخارج الحروف وحده ليس كافياً في توضيح الخضائص الصوتية التي يتميز بها كل صوت بما يجعل جرسه متميزاً في السمع عن غيره. فقد لاحظنا في المبحث السابق أن كثيراً من الحروف تشارك غيرها في المخرج، فنجد الحرفين والثلاثة تخرج من مخرج واحد. ولولا الكيفيات التي تصاحب انتاج كل صوت لما تميزت تلك الحروف المشتركة في مخرج واحد. وهذه الكيفيات التي تصاحب حدوث الحرف في مخرجه هي التي سَمَّاها علماء العربية وعلماء التجويد بصفات الحروف.

ان تحديد مخارج الأصوات جانب واحد من عملية مركبة لها جوانب أخرى يتشكل منها الصوت اللغوي، وذلك أن انتاج أي صوت من الأصوات يعتمد على ثلاثة أمور: «اولها: الأعضاء التي تتدخل معترضة الهواء الخارج من الرئتين، وثانيها: الطريقة التي تتدخل بها هذه الأعضاء، وثالثها الجهر أو الهمس». [1] والامر الأول من هذه الأمور الثلاثة هو الذي يعبر عنه علماء العربية وعلماء التجويد باسم (مخارج الحروف)، ويعبرون عن الأمرين الآخرين باسم صفات الحروف. وقد تحدثنا في المبحث السابق عن وجهة نظر علماء التجويد من تحديد مخارج الحروف.

وقد بيّن بعض علماء التجويد المقصود بصفات الحروف، فقال: «وصفة الحروف كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض». [2] وكان علماء التجويد مدركين أن صفة الصوت ليست شيئاً منفصلا عن الصوت بل هي شيء أساسي لا ينفصل عن عملية تكونه في

---

(١) عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة ص ٩٤ و١٢٣. وانظر: جان كانتينو: دروس ص ٢٢.

(٢) طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ١١و.

المخرج، فقد قال الداني: «اعلموا ان أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيناها ستة عشر صنفا. . .».[3] فولا هذه الصفات اذن لم تتميز الحروف بعضها من بعض، لاسيما تلك التي تخرج من مخرج واحد.

وهناك قضيتان يلزم بيانهما في بداية الحديث عن صفات الحروف لدى علماء التجويد، الاولى: بيان عدد الصفات التي وضحها علماء التجويد، والثانية: توضيح الأسس التي يتم بموجبها تصنيف تلك الصفات.

١ ـ عدد الصفات التي وضحها علماء التجويد:

أما الصفات التي تحدث عنها علماء التجويد فقد كان لهم فيها اتجاهان أرساهما اثنان من كبار علماء التجويد من الرواد الأوائل الذين عاشوا في أواخر القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس، وهما مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) وأبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ).

أما مكي فانه وصل بصفات الحروف وألقابها الى أربعة وأربعين لقباً، حيث قال: «لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقبا صفات لها، وصفت بذلك على معان وعلل ظاهرة نذكرها مع كل قسم ان شاء الله تعالى، في أربعة وأربعين باباً».[4]

وليست جميع تلك الصفات والألقاب تمثل كيفيات نطقية تصاحب تَكَوُّن الأصوات في مخارجها. فمن تلك الألقاب ما يشير الى مخرج الحرف، مثل الألقاب التي لقب الخليل بها الحروف وهي: الحلقية واللهوية الشجرية والأسلية والنطعية واللثوية والذلقية والشفوية والجوفية والهوائية. ومن تلك الألقاب أيضا ما يعبر عن معنى صرفي يتعلق بالحرف، مثل: الحروف الزوائد، والحروف الاصلية وحروف الابدال وحروف العلة، فهذه الألقاب لا تمثل صفة صوتية، انما تشير الى خاصة صرفية.

(٣) التحديد ١٧ظ. وانظر: احمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٣و-٧٣ظ.

(٤) الرعاية ص ٩١. وقد استغرق ذكر تلك الصفات من كتاب الرعاية الصفحات ٩٢-١١٦

ولم يتابع مكياً في مذهبه السابق في عدد صفات الحروف الا قليل من العلماء. [(٥)] بينما وجه بعضهم النقد اليه، فقال الفخر الموصلي (ت ٦٢١هـ) بعد أن نقل في كتاب (الدر المرصوف) خمسة وعشرين لقباً من الالقاب التي ذكرها مكي. «وقد أعرضنا عن ذكر بقية الألقاب اذ ليس فيها كبير فائدة». [(٦)] وقال أبو عبد الله محمد ابن الحسن الفاسي (ت ٦٥٦هـ) بعد أن أشار الى صفات الحروف: «وقد بالغ في ذلك أبو محمد مكي رحمه الله في كتاب الرعاية». [(٧)] وقال محمد المرعشي: «اعلم أني لا أذكر في هذه الرسالة من الصفات المذكورة في الرعاية الا ما اشتدت اليها حاجة التالي». [(٨)] فكان مجموع ما ذكره ثماني عشرة صفة. [(٩)]

وأما أبو عمرو الداني فانه اقتصر من صفات الحروف على ستة عشر صفة. وذلك حيث قال: «اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيناها ستة عشر صنفا: المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمطبقة، والمنفتحة، والمستعلية، والمستفلة، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والمتفشي، والمستطيل، والمتكرر، والمنحرف، والهاوي، وحرفا الغنة.» [(١٠)]

والتزم معظم علماء التجويد في بحث صفات الحروف بما قرره الداني، ولم يخرجوا على ماذكره إلا في قضايا جزئية. فنجد أبا العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) يذهب الى أن صفات الحروف ستة عشر صفة، ويسميها أجناس الحروف، فيذكر الصفات التي اوردها الداني، لكنه يضيف صفتين ويحذف صفتين، فأضاف: ما بين الشديد والرخو، وحروف القلقلة، وحذف: المنفتحة

(٥) نقل ابن الجزري في كتاب التمهيد في علم التجويد (ص ٢٢-٣٠) نص كلام مكي. لكنه في كتابه النشر (١/٢٠٢-٢٠٥) والمقدمة (ص ١١-١٤) لم يتابع مكيا في بيان الصفات.

(٦) الدر المرصوف ٧١ظ.

(٧) اللالئ الفريدة ٢١١و.

(٨) جهد المقل ١١و.

(٩) بيان جهد المقل ١٤و.

(١٠) التحديد ١٧ظ.

والمستفلة.[11] واذا كان الداني قد أهمل ذكر ما بين الشديد والرخو وحروف القلقلة في قوله السابق فانه تحدث عنها في أثناء الباب الذي بيّن فيه صفات الحروف.[12]

وجعل أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) صفات الحروف ثماني عشرة صفة، فذكر الصفات التي ذكرها الداني وأضاف اليها صفتين هما: ما بين الشديدة والرخوة، والحروف الذائبة.[13] وتابع ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ) الداني أيضا لكنه حذف (الهاوي) وأضاف (النفخ والقلقلة).[14] وذكر ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في مقدمته سبع عشرة صفة.[15]

٢ ـ أسس تصنيف الصفات:

الصفات المذكورة تعبر عن معان تخص الأصوات، وذلك بالنظر اليها من جوانب متعددة. قال ابو عمرو بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ): «وليست هذه الأقسام باعتبار تقسيم واحد، انما هي باعتبار تقسيمات متعددة. فالمجهورة والمهموسة تقسيم. ومعنى التقسيم المستقل أن تكون الأنواع منحصرة بالنفي والاثبات في التحقيق لا في صورة إيرادها، فاذا علمت أن المجهورة هي الحروف التي [لا][16] يجري النفس معها عند النطق بها، والمهموسة هي التي يجري النفس معها عند ذلك علمت انحصار التقسيم بالنفي والاثبات.

وكذلك الشديدة والرخوة، وما بين الشديدة والرخوة تقسيم، والمطبقة والمنفتحة تقسيم. والمستعلية والمخفضة تقسيم.

---

(١١) التمهيد ١٤٥ظ.

(١٢) التحديد ١٨و، ١٩ظ.

(١٣) الايضاح ٧٣و-٧٣ظ. وانظر ٦٧ظ.

(١٤) مرشد القارئ ١٢٩و.

(١٥) متن الجزرية ص ١١-١٤. وقد نص على ذلك بعض شراح المقدمة مثل الوفائي (الجواهر المضية ٢٦و) وعلي القارى (المنح الفكرية ص ١٤). والواقع أن الصفات التي ذكرها ابن الجزري تبلغ ثماني عشرة صفة. ولكن الشراح اسقطوا المتوسطة (بين الشديدة والرخوة) من الحساب فاصبحت سبع عشرة صفة.

(١٦) ساقطة من الأصل المطبوع، وهي لازمة لصحة المعنى.

وما بعد ذلك لم يقصد فيه الا ذكر القسيم مع قسيمه اذ(١٧) لم يسم قسيمه باسم باعتبار مخالفته. فاذا قصد وصفه بذلك ذكر منفياً عنه ذلك الوصف، كما تقول: ما عدا الراء من الحروف ليس بمكرر، وليس لها لقب باعتبار نفي التكرار». (١٨)

وقد نظر علماء التجويد الى صفات الحروف نظرة أشمل من ذلك. فلم يكتفوا بذكر الصفة وقسيمتها، بل حاولوا تقديم أسس شاملة لتصنيف الحروف، تنطوي تحتها التقسيمات الفرعية. ولعل أدق الاتجاهات في تقسيم الصفات هو الاتجاه الذي يصنفها الى صفات مميِّزة وصفات محسِّنة، وكان الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ) أول من ذهب هذا المذهب، فيما اطلعت عليه من المصادر ثم تابعه في هذا الاتجاه أبو الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠هـ).

قال المرادي في كتابه (المفيد في شرح عمدة المجيد): «الفصل الخامس: في انقسام هذه الصفات الى مميز ومحسن، وذي قوة وذي ضعف: اعلم وفقك الله ان هذه الصفات المذكورة [لها فائدتان، الأولى]: (١٩) تمييز الحروف المشاركة، ولولاها لاتحدث أصواتها ولم تتميز ذواتها. قال المازني: الذي فصل بين الحروف التي ائتلف منها الكلام سبعة أشياء: الجهر والهمس، والشدة والارخاء، والاطباق، والمد، واللين، قال: فاذا همست أو جهرت أو أطبقت أو شددت، أو مددت أو لينت ختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد. ولذلك قال الرماني وغيره: لولا الاطباق لصارت الطاء دالا، لانه ليس بينهما فرق الا الاطباق. ولصارت الظاء ذالا ولصارت الصاد سينا، ولخرجت الضاد من كلام العرب لانه ليس من موضعها شيء غيرها.

فهذه إحدى فائدتي الصفات، وهي تمييز الحروف المشتركة في المخرج والفرق بين ذواتها.

---

(١٧) في الأصل المطبوع (اذا).

(١٨) الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٥.

(١٩) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل، كملته من الجواهر المضية للوفائي ٢٥ظ.

ولها فائدة أُخرىٰ وهي تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج فقد اتضح بهذا أن صفات الحروف قسمان: مُمَيِّزٌ ومُحَسِّنٌ». [٢٠]

ونقل أبو الفتوح الوفائي كلام المرادي في تقسيم الصفات الى مميزة ومحسنة، ولكنه أضاف بعض الأفكار الجديدة حيث قال: «الصفات جمع صفة، وهي لفظ يدل على معنى في موصوفه، إما باعتبار محله أوباعتبار ذاته. فالأول الحلقية واللثوية وشبه ذلك. والثاني كالجهر والهمس. ولهذه [الصفات][٢١] فائدتان:

الأُولى: تمييز الحروف المشتركة في المخرج لأن المخرج للحرف كالميزان تعرف به كميته والصفة له كالناقد يعرف بها كيفيته ولولا ذلك لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة فلا تفهم. وهذا معنى قول المازني: اذا همست وجهرت. . .

والاخرى: تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج، فقد اتضح لك بهذا ان صفات الحروف قسمان مميز ومحسن». [٢٢] ويفهم من قولهم (محسنة) ان الصفة تعطي الصوت جرسا خاصا، دون أن يكون ذلك سبباً للتمييز بينه وبين الأصوات الأُخرىٰ.

وتكاد نظرية تقسيم صفات الحروف الى مميزة ومحسنة تكون أفضل ما أتى به دارسو الأصوات العربية المتقدمون في مجال تصنيف صفات الحروف، لأن هذه النظرية تنبني على ادراك عميق لخصائص الأصوات وصفاتها والعلاقة بينها.

وكان علماء التجويد مدركين لظاهرة التقابل بين الأصوات، ودور الصفات في التمييز بينها، خاصة الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاطباق الانفتاح. قال مكي بن أبي طالب: «ولولا الهمس الذي في السين لكانت زاياً، وكذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سيناً، اذ قد اشتركا في المخرج والصفير والرخاوة والانفتاح

(٢٠) المفيد ١٠٢و-١٠٢ظ.

(٢١) ليست في الاصل، ونقلتها من نص المرادي في المفيد ١٠٢و.

(٢٢) الجواهر المضية ٢٥ظ-٢٦و.

والتسفل، وانما اختلفا في الجهر والهمس لا غير، فباختلاف هاتين الصفتين افترقا في السمع فاعرف ذلك. فيجب أن تعلم أيضاً أن السين حرفٌ مؤاخٍ للصاد، لاشتراكهما في المخرج والصفير والهمس والرخاوة، ولولا الاطباق والاستعلاء اللذان في الصاد ـ ليسا في السين ـ لكانت الصاد سيناً، وكذلك لولا التسفل والانفتاح. اللذان في السين ـ ليسا في الصاد ـ لكانت السين صاداً. فاعرف من أين اختلف السمع في هذه الحروف والمخرج واحد والصفات متفقة». [٢٣]

وعلى هذا النحو ناقش مكي العلاقة بين عدد من المجموعات الصوتية، مثل (ط د ت). [٢٤] و(ظ ذ ث). [٢٥] وقال: «واعلم انه لولا اختلاف الصفات في الحروف لم يفرق في السمع بين أحرف من مخرج واحد، ولولا اختلاف المخارج لم يفرق في السمع بين حرفين أو حروف على صفة واحدة». [٢٦]

وكذلك قال عبد الوهاب القرطبي: «وحال الصاد والسين والزاي، كحال الطاء والدال والتاء، والظاء والذال والثاء، لأن الصاد امتازت عن السين بالاطباق، ولولاه لكانت الصاد سيناً، وكذلك السين امتازت عن الزاي بالهمس، ولولاه لكانت زاياً». [٢٧] ثم بَيَّنَ العلاقة بين (ط د ت)، وكذلك (ظ ذ ث) على نحو ما وضحها في (ص ز س). [٢٨]

وتظهر عناية علماء التجويد بظاهرة التمييز بين الأصوات عن طريق الصفات المتقابلة في مجال الأبنية، وليس في نطاق الأصوات المفردة، فكثيرا ما نجدهم ينصون على أن معنى الكلمة يتغير اذا أزيلت صفة صوتية معينة عن أحد حروف الكلمة، قال مكي: «واذا وقعت الظاء في كلمة تشبه كلمة أخرى بالذال بمعنى آخر

---

(٢٣) الرعاية ص ١٨٥.
(٢٤) الرعاية ص ١٧٥ و١٧٨ و١٩٠ـ١٩١.
(٢٥) الرعاية ص ١٩٥ و١٩٨.
(٢٦) الرعاية ١٩١ـ١٩٢.
(٢٧) الموضح ١٦٢ظ.
(٢٨) الموضح ١٦٣و ـ١٦٣ظ.

وجب البيان للظاء لئلا ينتقل الى معنى آخر. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وما كان عطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[٢٩] أي ممنوعا، فهو بالظاء، فَبَيِّنْهُ لئلا يشتبه في اللفظ بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً﴾[٣٠] فهذا بالذال من الحذر»[٣١]. وكذلك عقد مكي مقابلة بين (أَسَرُّوا) و(أَصرّوا)[٣٢] و(يُسْحَبُونَ) و(يُصْحَبُونَ)[٣٣] و(قَسَمْنَا) و(قَصَمْنَا)[٣٤] ووضح دور الصفات في التمييز بين هذه الألفاظ.[٣٥]

وكان الداني مدركا لتلك الظاهرة أيضاً، وذلك حيث قال: «وكذلك يلزم أن يُتَعَمَّل تلخيص الصاد من السين فيما يتفق لفظه ويختلف معناه، بما تقدم، وذلك في نحو قوله: ﴿وكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ (الانبياء ١١) و﴿نحْنُ قَسَمْنَا بيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ (الزخرف ٣٢). و﴿ولا هم منا يُصْحَبُونَ﴾ (الانبياء ٤٣) و﴿يُسْحَبُونَ في الْحَمِيمِ﴾ (غافر ٧١-٧٢). . وما أشبهه».[٣٦]

ومثل ذلك في قوله عن القاف: «ألا ترى أنه متى لم يُنْعَمْ بيانه في قوله تعالى: ﴿فالموريات قَدْحاً﴾ (العاديات ٢) صار اللفظ بها كاللفظ بقوله تعالى: ﴿الى ربِّكَ كَدْحاً﴾ (الانشقاق ٦). . . و﴿كتابٌ مرقومٌ﴾ ﴿المطففين ٩) و﴿سحابٌ مركومٌ﴾ (الطور ٤٤)، وشبهه، فتغير اللفظ، وانقلب المعنى».[٣٧] وتحدث عن نفس الفكرة في مواضع أخرى من كتابه (التحديد).[٣٨]

---

(٢٩) الاسراء ٢٠.

(٣٠) الاسراء ٥٧.

(٣١) الرعاية ص ١٩٥.

(٣٢) (أسروا) في المائدة ٥٢ (أصروا) في سورة نوح ٧.

(٣٣) (ينسحبون) في غافر ٧١ (يصحبون) في الانبياء ٤٣.

(٣٤) (قسمنا) في الزخرف ٣٢ (قصمنا) في الانبياء ١١.

(٣٥) الرعاية ص ١٨٨.

(٣٦) التحديد ٣٤و-٣٤ظ.

(٣٧) التحديد ٢٧ظ.

(٣٨) انظر: التحديد ٣٣ظ، ٣٩ظ.

وكذلك كان عبد الوهاب القرطبي مدركا لتلك الظاهرة فتحدث عنها في أكثر من موضع في كتابه (الموضح في التجويد).[39]

وناقش الدركزلي الأسس التي بموجبها يتم تصيف الصوت الى حرف أصلي وحرف فرعي. فنقل عن الفخر الرازي: «لقائل أن يقول: ان نسبة [illegible] الغليظة كنسبة الذال الى الظاء، وكنسبة السين الى الصاد، [illegible] اللسان والظاء يذكر بكل اللسان، وكذلك السين يذكر بطرف اللسان [illegible] بكل اللسان، فثبت أن نسبة اللام الرقيقة الى اللام الغليظة كنسبة الذال الى الظاء، وكنسبة السين الى الصاد. قال: ثم رأينا أن القوم قالوا: الذال حرف والظاء حرف آخر، وكان الواجب أيضا أن يقولوا اللام الرقيقة حرف واللام الغليظة حرف آخر، وانهم ما فعلوا ذلك ولابد من الفرق انتهى.

قلت (الدركزلي): قد مر أنهم جعلوا الحروف الى أصول وفروع، وعدوا من الفروع اللام المفخمة كلام الطلاق والصلاة، بل صرحوا بلام الجلالة نفسها أنها منها. وفرقوا بين الأصل والفرع بازالته عن مخرجه الأصلي».[40] ولاشك في أن أساس اعتبار الذال حرفا والظاء حرفاً آخر، وعدم اعتبار اللام الرقيقة واللام الغليظة حرفين هو قدرة الذال والظاء على التبادل في الموقع، مع تغيير المعنى، على نحو ما لاحظنا في الأمثلة السابقة مثل (محذورا ومحظورا) فالفرق الصوتي بين الكلمتين الذي أدى الى اختلاف المعنى هو وجود الذال في الكلمة الاولى ووجود الظاء في الكلمة الثانية. أما اللام الرقيقة واللام الغليظة فليس لهما هذه القدرة على تبادل المواقع وتغيير المعنى، فهما في الواقع تنوع صوتي لحرف واحد هو اللام. ومع ذلك نجد بعض الدارسين المحدثين يرى امكانية اعتبار اللام المفخمة حرفاً مستقلا، لكن جمهور الدارسين يعتبرونها تنوعاً للام الأصلية.[41]

---

(٣٩) انظر: الموضح ١٦٠ظ، ١٦٢ظ، ١٦٣و، ١٦٣ظ.

(٤٠) خلاصة العجالة ١٧٨و-١٧٨ظ.

(٤١) انظر: احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٨٤-٢٨٧.

وكان بعض علماء التجويد قد عبروا عن فكرة تقسيم صفات الحروف الى مميزة ومحسنة عن طريق تقسيمها الى ما له ضد وما ليس له ضد.[٤٢] قال عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ): «وصفات الحروف تنقسم الى قسمين: صفات لها أضداد، وصفات لا أضداد لها تضادها... الفصل الأول: الصفات التي لها أضداد تضادها وهي خمس صفات»[٤٣] ثم ذكر: الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والاستعلاء والاستفال، والانطباق والانفتاح، والانذلاق والانصمات. ثم ذكر في الفصل الثاني: الصفات التي لا أضداد لها تضادها، وهي ثماني صفات: الصفير والقلقلة، واللين، والانحراف، والتكرار، والتفشي، والاستطالة، والغنة.[٤٤]

وسلك بعض علماء التجويد طرقا اخرى في تصنيف الصفات، وذلك بتقسيمها الى قسمين ذاتي وعارضي، فالصفات الذاتية مثل الجهر والهمس والشدة والرخاوة والانحراف والتكرير والصفير والتفشي والغنة، والعارضية هي الأحكام التي تلحق الأصوات من جراء التركيب مثل الترقيق والتفخيم والادغام والاظهار والمد والقصر ونحو ذلك.[٤٥]

وكان ابن الجزري قد قال في (المقدمة) في تعريف التجويد:[٤٦]

وهو إعطاءُ الحروفِ حَقَّهَا مِنْ صفةٍ لَهَا ومُسْتَحَقَّهَا

وقد فسر شراح المقدمة قول ابن الجزري (حقها ومستحقها) تفسيرا يطابق تقسيم الصفات السابق الى ذاتي وعارضي، فقال أحمد بن الجزري، وهو ابن الناظم: «والفرق بين حق الحرف ومستحقه أن حق الحرف صفته اللازمة له من همس وجهر وتشديد ورخاوة، وغير ذلك من الصفات الماضية. ومستحقه: ما ينشأ عن هذه

(٤٢) انظر: المرادى: المفيد في شرح عمدة المجيد ١٠١ظ، والتوني: المفيد في علم التجويد ٣ظ.

(٤٣) كفاية المستفيد ٥ظ.

(٤٤) كفاية المستفيد ٦و-٨و.

(٤٥) السمرقندي: روح المريد ١٢٤ظ، وانظر: المرادى: المفيد ١٠١ظ، والقسطلاني: لطائف الاشارات ١/١٩٦.

(٤٦) متن الجزرية ص ١٥.

الصفات كترقيق المستفل وتفخيم المستعلي، ونحو ذلك». [47] وردد شراح المقدمة الآخرون وغيرهم مقالة أحمد بن الجزري السابقة. [48]

وقسم كثير من علماء التجويد صفات الحروف الى صفات قوية وصفات ضعيفة وأخرى متوسطة بينهما، ويقسمون الحروف بعد ذلك بقدر ما فيها من صفات القوة والضعف الى قوية وضعيفة ومتوسطة. [49]

وسوف نسير في تتبع صفات الحروف على نهج من ذهب من علماء التجويد الى تقسيمها الى صفات محسنة وصفات مميزة، لأن هذا الاتجاه يتميز على غيره بادراك أعمق لخصائص الأصوات، ويقدم أساساً أشمل للتقسيم يناسب مرحلة البحث التي نحن فيها الآن بخلاف تقسيمها الى ذاتية وعارضية، فان الحديث عن الصفات العارضية ينقلنا الى مرحلة من البحث لم نبلغها بعد، وهي الحديث عن أحكام الحروف التركيبية التي نرجو أن نستوفي الكلام عنها في الفصل اللاحق، ان شاء الله تعالى.

وبناء على ذلك سوف ندرس أولاً الصفات المميزة التي تنحصر في الصفات التي لها أضداد، وهي الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاطباق والانفتاح. ثم نعرض بعد ذلك للصفات المحسنة التي منها ما يخص صوتاً واحداً ومنها ما يتعلق بمجموعة من الأصوات، ونختم المبحث ببيان كيفية وصف علماء التجويد للأصوات.

أولا ـ صفات الأصوات المميزة:

وهي تنحصر في الجهر والهمس، والشدة والرخاوة والتوسط بينهما، والاطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفلال، والذلاقة والاصمات. وسوف نوضح هنا وجهة

---

(٤٧) الحواشي المفهمة ٢٦ظ.

(٤٨) انظر: عبد الدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٢٣و. وعلى القارى: المنح الفكرية ص ١٨. وأحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ٥و.

(٤٩) انظر: مكي: الكشف ١/١٣٧، والمرادى: المفيد ١٠٢ظ، والنابلسي: كفاية المستفيد ٨ظ.

علماء التجويد في دراسة هذه المجموعة من الصفات، والمشكلات الصوتية التي تتصل بها.

١ ـ الجهر والهمس :

الصوت المجهور هو الذي يهتز (او يتذبذب) الوتران الصوتيان حال النطق به، والصوت المهموس بعكس المجهور هو الذي لا يهتز (أو لا يتذبذب) الوتران الصوتيان حال النطق به. وقد أوضحنا ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل عند الحديث عن إنتاج الأصوات اللغوية، وبيّنا موقف علماء التجويد من تحديد المجهور والمهموس وانتهينا هناك الى أن علماء التجويد وعلماء العربية أدركوا ظاهرة الجهر والهمس كما يتصورها المحدثون، ولم يبق إلا أن نقف عند الحروف التي وصفها علماء التجويد بأنها مجهورة والحروف التي وصفوها بأنها مهموسة.

وكان لتحديد سيبويه للحروف المجهورة والمهموسة سلطان مستمر على دارسي الاصوات العربية، كما كان له ذلك في الموضوعات الاخرى، فسلك علماء التجويد طريق سيبويه في تحديد الحروف المجهورة والمهموسة. فاذا كان سيبويه قد قال ان الحروف المهموسة عشرة، وهي : الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء، وأن المجهورة تسعة عشر حرفا هي : الهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو.[٥٠] فان علماء التجويد لم يخرجوا عن ذلك التحديد.[٥١]

---

(٥٠) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٥١) انظر: مكي: الرعاية ص ٩٢-٩٣، والداني: التحديد ١٧ظ، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦و.

وكـانت قد برزت ظاهـرة جديـدة وهي محاولـة جمـع أنـواع الحروف في بعض الكلمات سواء كان معناهاواضحاً أم لا . وهذه الظاهرة وإن كانت شكلية الا انها كان لهـا تأثيـر في ترديـد تلك الأنـواع من غير أن تكون هناك محاولة من أجل اعادة توزيع الحروف في نطاقها . وكانت بدايات هذه الظاهرة موجودة عند علماء العربية ، فنجد ابن جني بعـد أن ذكـر الحـروف المهمـوسـة قال : «ويجمعهـا في اللفـظ قولـك : ستشحثـك خصفـه» . (٥٢) وبـالغ بعض علماء التجويد في ذلك ، فنجد مكي يقول : «الحـروف المهمـوسة ، وهي عشرة أحرف يجمعها هجاء قولك : ستشحثك خصفه ، أو هجـاء قولـك : سكت فحثه شخص ، أو هجاء قولك : سكت شخصه فحث» . (٥٣) ولم يكتف بعضهم بحصـر الحـروف المهموسة وانما جمع الحروف المجهورة ببضع كلمـات أيضـا ، قال أبـو العـلاء الهمـذاني العطـار . وهـو يتحـدث عن الحـروف المجهورة : «وجمعها بعضهم في قوله : زاد ظبي غَنِج نِي ضموراً إذ قطع» . (٥٤)

وكـان علمـاء التجـويـد قد لاحظـوا على نحـو واسع التقابل بين بعض الأصوات المجهـورة والمهمـوسة ، وأدركوا دور ظاهرة الجهر وعدمها في التمييز بين الاصوات : قال مكي : «لـولا الجهـر الـذي في العين لكـانت حاء» . (٥٥) وقـال «لولا ما بينهما من الجهـر والهمس لكـانت الخاء غيناً اذ المخرج واحد» . (٥٦) وقال : «كذلك الدال لولا الجهـر الـذي فيـه لكـان تاء ، اذ المخرج واحد» . (٥٧) وقال : «ولولا الهمس الذي في السين لكانت زاياً ، كذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سيناً ، اذ قد اشتركا في

(٥٢) سر صناعة الاعراب ١/ ٦٩.

(٥٣) الرعاية ص ٩٢.

(٥٤) التمهيد ١٤٥ظ ، وانظر: السمرقندي : روح المريد ١٢٦و. وكذلك الداني : التحديد ١٧ظ.

(٥٥) الرعاية ص ١٣٨ .

(٥٦) الرعاية ص ١٤٣ .

(٥٧) الرعاية ص ١٧٨ .

المخرج والصفير والرخاوة والانفتاح والتسفل، وانما اختلفا في الجهر والهمس لا غير». (٥٨)

وقال عبد الوهاب القرطبي: «السين امتازت عن الزاي بالهمس، ولولاه لكانت زاياً». (٥٩) وقال: «لولا الجهر الذي في الدال لصارت تاء». (٦٠) وقال: «ولولا الجهر الذي في الذال صار ثاء». (٦١) وهذه أمثلة قليلة يمكن أن يصادف المتتبع عشرات مثلها في كتب علم التجويد، ويكفي الدارس أن يعرف أن الفخر الموصلي تحدث في كتابه (الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف) عن «علل اختلاف الحروف مع اتحاد المخرج» وقد استغرق ذلك ثلث الكتاب تقريبا وكان لظاهرتي الهمس والجهر النصيب الاكبر في ذلك. (٦٢) وكذلك فعل محمد المرعشي حيث عقد مبحثاً في كتابه (جهد المقل) (في بيان الفرق بين بعض الحروف المتشابهة) نحا فيه نحو الفخر الموصلي. (٦٣)

وكلام علماء العربية وعلماء التجويد عن الحروف المجهورة والحروف المهموسة يثير بعض القضايا التي تحتمل المناقشة، ويتلخص ذلك في أنهم وصفوا الهمزة والقاف والطاء بأنها مجهورة، وهي ليست كذلك في النطق العربي اليوم، كما يقرر علماء الاصوات المحدثون، وكما يشهد الواقع بذلك. (٦٤)

ونحن أمام هذه القضية بين ثلاثة احتمالات:

١ ـ احتمال أنهم اخطأوا في وصف هذه الاصوات، فعدوها مجهورة وهي مهموسة.

---

(٥٨) الرعاية ص ١٨٥.

(٥٩) الموضح ١٦٢ظ.

(٦٠) الموضح ١٦٣و.

(٦١) الموضح ١٦٣و.

(٦٢) الدر المرصوف ١٧١ظ ـ ١٧٣ظ.

(٦٣) جهد المقل ١٩ظ.

(٦٤) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٨ و١٧٠.

٢ ـ احتمال أنهم حين وصفوا هذه الأصوات كانت مجهورة ثم تغيرت بعد ذلك حتى صارت مهموسة.

٣ ـ احتمال أنهم وصفوا نوعاً مجهوراً من تلك الأصوات كان سائداً في نطق بعض العرب، لاسيما الطاء والقاف.

وكان عدد من دارسي الأصوات اللغوية من المحدثين قد ناقشوا قضية الأصوات الثلاثة في اطار تلك الاحتمالات.(٦٥) ولسنا بصدد تقصي كل ما قالوه، ولكننا سوف نركز على ملامح هذه القضية عند علماء التجويد وما يعتبر اضافة جديدة في كلامهم، مما يساعد في تفسير وصف الأصوات الثلاثة بأنها مجهورة.

(أ) مشكلة الهمزة:

أما الهمزة فقد ذهب سيبويه وغيره من علماء العربية، وعلماء التجويد، الى أنها صوت مجهور.(٦٦) وهي عند المحدثين ليست مجهورة، وقد اختلفوا، فبعضهم قال: انها مهموسة، وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أن اقفال الوترين الصوتيين معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق.(٦٧) وقال آخرون الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، لأن وضع الوترين حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو الهمس.(٦٨)

وفسر بعض المحدثين عد الهمزة من الحروف المجهورة لدى علماء العربية

---

(٦٥) أنظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٣ و٨٥، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٣٠ و١٤١ و١٤٦، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٩٤ و٢٩٥.

(٦٦) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٩، ومكي: الرعاية ص ١١٩، والداني: التحديد ٢٣ظ، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٦٥و.

(٦٧) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٧، وجان كانتينو: دروس ص ١٢٣، وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ١٨٣، وهنري فليش: العربية الفصحى ص ٣٨.

(٦٨) محمود السعران: علم اللغة ص ١٧١، وابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٩١، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٤٢.

وعلمـاء التجـويد على أساس أنهم لم يوفقوا في نطق الهمزة مجردة، فكانوا ينطقونها متلوة بحركة، والحركة مجهورة، فأثر جهر الحركة على نطق الهمزة حتى عزوا جهرها للهمـزة نفسهـا.[٦٩] وحمل بعضهم ذلك على أنهم وصفوا همزة مسهلة، وهي حينئذ أشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة.[٧٠]

ونحن اذا حاولنا اختبار موضع الهمزة على حسب طريقة علماء العربية في ادخال همزة الوصل على الحرف والنطق به ساكناً فاننا نجد حينئذ سلسلة صوتية تتكون من (همـزة+حـركـة+همزة)=(إِءْ)، وهذه السلسلة الصوتية حين ننطق بها مستقلة ستبدأ عمليـة التصـويت بهـا بفتـح الـوترين بعد ضغط الهواء خلفهما، ثم تذبذب الوترين لانتـاج صوت الحـركـة، سواء أكـانت فتحـة أم كسرة أم ضمة، ثم يعقب ذلك تضام الـوتـرين مرة اخـرى ثم انفـراجهمـا بعـد ذلـك بهدوء. ومن هنا نلاحظ طغيان ذبذبة الـوتـرين الصوتيين على الأحداث الصوتية الاخرى في عملية الاختبار، وربما كانت مثل هذه الحالة مصدر وصف الهمزة بأنها صوت مجهور. ولكن الهمزة المجردة غير المسهلة نفتقـد معهـا ذبـذبـة الـوتـرين التي هي مصدر الجهر، لأن الهمزة ما هي الا انطباق الوترين ثم انفراجهما.

(ب) مشكلة الطاء:

الطـاء حرف مجهـور أيضا عند علماء العربية وعلماء التجويد.[٧١] لكنه مهموس في النطق العربي اليوم.[٧٢] وهنا يترجح لدى بعض المحدثين أن صوت الطاء الذي وصفه القدماء بأنه صوت مجهور يشبه صوت الضاد الذي ينطقه أهل مصر اليوم، أي انه الصوت المطبق للدال.[٧٣]

---

(٦٩) أ. شاده: علم الاصوات عند سيبويه وعندنا ع ٥ ص ١٤.

(٧٠) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٧.

(٧١) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٤. ومكي: الرعاية ص ١٧٢. والداني: التحديد ٣١ظ.

(٧٢) ابـراهيم أنيس: الأصـوات اللغـويـة ص ٦٢، ومحمـود السعـران: علم اللغة ص ١٦٨، وكمال محمد بشر: الأصوات ص ١٣١.

(٧٣) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٣.

ومما يؤيد ذلك قول سيبويه وهو يتحدث عن حروف الاطباق الأربعة: «ولولا الاطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها».(٧٤) فهذا النص صريح في كون الطاء العربية هي النظير المطبق للدال، وأنه اذا أزيل الاطباق عنها صارت دالاً. وهذا الوصف ينطبق على الضاد التي ينطقها الناس في مصر. فهي النظير المطبق للدال، وهذا يعني أن تحولاً حصل في نطق الطاء والضاد معا، لأن الطاء اليوم اذا أزيل عنها الاطباق صارت تاء لأنها مهموسة، وليس بينها وبين التاء من فرق سوى الاطباق. وكانت الضاد العربية اذا أزيل اطباقها تختل ولا تتحول الى صوت آخر من الاصوات العربية، بينما هي اليوم - في نطق أهل مصر خاصة، لا في نطق أهل العراق - اذا أزيل عنها الاطباق صارت دالا. ويمكن أن نعبر عن التطور الذي حصل في صوتي الطاء والضاد في الجدولين الآتيين:

	مطبق	منفتح
مجهور	ط	د
مهموس	×	ت

النطق القديم

	مطبق	منفتح
مجهور	ض	د
مهموس	ط	ت

النطق الحديث

فالضاد القديمة كانت من مخرج مستقل ليس له علاقة بمخرج (ط د ت)، وكانت رخوة كما سنشير في الفقرة الاتية من هذا المبحث، ولم يكن في العربية

(٧٤) الكتاب ٤/٤٣٦.

صوت منفتح مقابل لها، لانها كما يقول سيبويه اذا أزيل عنها الاطباق خرجت من الكلام .

ومما يدل على أن الطاء العربية القديمة المجهورة كانت صوتاً يشبه صوت الضاد في نطق أهل مصر اليوم أن بعض العلماء المتأخرين مثل علي بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ)، ومحمد المرعشي الملقب ساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ) وصفوا نطق أهل مصر للضاد في زمانهم أنه يشبه الطاء قال المقدسي : «لما رأيت بمحروسة القاهرة التي هي زين البلاد كثيراً من أفاضل الناس فضلاً عن الاوغاد يخرجون عن مقتضى العقل والنقل في نطق الضاد. . . فَلْيُعْلَمْ أن أصل هذه المسألة أنهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالدال المفخمة والطاء المهملة» . (٧٥) وقال أيضا : «أما هذا الحرف الذي يشبه الدال المفخمة والطاء المهملة الذي ينطق به أكثر المصريين وَلْنُسَمِّهِ بالضاد الطائية . . . » . (٧٦) وقال المرعشي : «فما اشتهر في زماننا هذا من قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فهو عجب لا يعرف له سبب. . . ومنهم من يُخْرِجُ الضاد المعجمة طاء مهملة كالمصريين. . . أقول: قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فيها مفاسد. . . » . (٧٧)

ومما يدل أيضا على أن صوت الطاء العربية القديمة المجهورة كانت دالا مطبقة مثل صوت الضاد في نطق أهل مصر اليوم ، أن بعض المحدثين ذكر ان الطاء العربية القديمة (الدال المطبقة) لا تزال تسمع في بعض البلدان، مثل جنوبي الجزيرة العربية، حيث يقولون (مضر) يريدون مَطَر) و(قضعت ورقة) يريدون (قَطَعْتُ ورقةً) . (٧٨) ينطقون بالطاء ضادا مثل التي تنطق في مصر اليوم .

---

(٧٥) بغية المرتاد ١ظ.

(٧٦) بغية المرتاد ٤و.

(٧٧) جهد المقل ٢٠ظ -٢١و.

(٧٨) أ. شاده: علم الاصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١ العدد الخامس ص ١٣، وابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٣، وجان كانتينو: دروس ص ٥٠-٥١.

ولكنْ متى تم ذلـك التحـول في نطق الطـاء؟ هذا الموضوع يحيط به الغموض، فليس لدينا نصوص تؤكد لنا ذلك التحول أولا، وتوضح لنا مراحله ثانيا. فكان سيبويه قد ذكـر من بين الحـروف غيـر المستحسنـة (الطاء التي كالتاء). [٧٩] وقد وضح بعض علمـاء التجـويد قول سيبويه هذا بقوله: «وأما الطاء التي كالتاء فانها تسمع من عجم أهل المشرق، لأن الطاء في أصل لغتهم معدومة، فاذا احتاجوا الى النطق بشيء من العربية فيه طاء تكلفوا ما ليس في لغتهم، فضعف نطقهم بها». [٨٠]

ومن غير المحتمل أن يكون قول سيبويه (الطاء التي كالتاء) كافياً في رد قول من يقـول ان الطـاء العـربيـة القـديمـة كانت مجهورة وانها كانت النظير المفخم للدال، لاسيما أن سيبويه أكد على ذلك بشكل واضح في قوله السابق (لولا الاطباق...)، ومن ثم يكـون هذا الصـوت (الطـاء التي كالتـاء) تحـريفـاً لنطق الطاء الأصلية على مرحلتين: الأولىٰ إذهاب الجهر، والثانية إذهاب الاطباق فتقرب الطاء حينئذ من التاء ان لم تكن تاء مثلها.

ويفهم من قول طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): «ان مخرج الطاء والتاء لما اتحدا وانحصر الفرق بينهما في صفة الاستعلاء والاطباق الحاصلتين في الطاء...» [٨١] ان الطاء كانت في زمانه صوتاً مهموساً، لأنه لم يشر الى أن الجهر أحد الفروق بين الطاء والتاء.

ولم يكن من اليسير لدى العلماء المتأخرين التصريح بأن الطاء صوت مهموس، وبين أيديهم عشرات النصوص التي تؤكد أن الطاء صوت مجهور، ولم تكن وسائلهم تتجـاوز المـلاحظـة الذاتية التي يتردد صاحبها في التصريح بنقض إجماع أجيال من العلمـاء على أسـاس ملاحظته الذاتية. ولعل هذا يفسر لنا ما نجده من اضطراب في أحد النصوص الواردة في كتاب (بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد) لمـلا حسيـن بن اسكنـدر الحنفي الـرومي (ت ١٠٨٤هـ)، فقـد ورد في بعض مخطـوطـات الكتـاب: «فـان قيل ما فائدة الصفات؟ أُجيب: فائدتها تمييز الحروف

---

(٧٩) الكتاب ٤/٤٣٢.

(٨٠) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٥و.

(٨١) شرح المقدمة الجزرية ٢٢ظ.

المتشاركة في المخرج، ولولاها لا تحدث أصواتها، ولم تتميز ذواتها. ولولا الاطباق لصارت الطاء تاء، لانهما ليس بينهما فرق الا الاطباق، وكذا لصارت الظاء ذالاً والصاد سيناً، ولخرجت الضاد المعجمة من كلام العرب لأنها ليس من موضعها شيء غيرها». (٨٢) الذي يعنينا بالتحديد قوله: «ولولا الاطباق لصارت الطاء تاء». وهذا يعني ان الطاء لديه صوت مهموس، وليس بينه وبين التاء من فرق سوى الاطباق.

لكننا نجد النص نفسه في نسخ أخرى من مخطوطات الكتاب على هذا النحو (ولولا الاطباق لصارت الطاء دالًا). (٨٣) بينما حذف هذا النص أصلاً من مخطوطات اخرى وحل محله (ولولا الاطباق لصارت الظاء ذالاً والصاد سيناً). (٨٤)

ولا يمكن أن يكون جميع ذلك الاضطراب في النص من النُّسَّاخ، فما ورد في نسخ الكتاب يشير الى أن المؤلف لاحظ ان الطاء لا تختلف عن التاء الا بالاطباق، ومن ثم قال (ولولا الاطباق لصارت الطاء تاء). وربما لاحظ هو أو غيره أن علماء التجويد ينصون على أنه (لولا الاطباق لصارت الطاء دالًا) فقام المؤلف أو بعض النساخ بتصحيح العبارة على وفق الوارد في كتب علم التجويد حيناً، وقام بحذفها حيناً آخر. وقد وردت عبارة (لصارت الطاء دالا) في بعض النسخ مكتوبة في الهامش. (٨٥)

ونجد محمد المرعشي يُحَذِّرُ من أن يَقِلَّ جهر الطاء فتتحول الى تاء مطبقة، وفي رأيه أن هذا الحرف ليس من حروف العربية، وهو في الواقع الطاء العربية المهموسة التي ننطقها اليوم، قال: «ان الطاء والتاء من مخرج واحد، ومتحدتان في الصفات الا الاطباق والاستعلاء والجهر، فانها صفات الطاء وأضدادها وهي الانفتاح والاستفالة والهمس صفات التاء. ومتى أعدمت تلك الصفات للطاء يصير تاء. واذا لم تعدم إطباق الطاء واستعلاءها لكن أعدمت جهرها فأعطيت لها همساً كما يفعله بعض المبتدئين في مثل ﴿الصراط المستقيم، صراط الذين﴾، فلا يكون المُغيَّر اليه

(٨٢) بيان المشكلات: المخطوطات المرقمة: ١٥٥٧ و١٨٣٩٨و ٧١٠٥ في مكتبة المتحف ببغداد، وأوراقها غير مرقمة.

(٨٣) المخطوطات المرقمة ٢٤٥٠٩ و٢١٨١٩ في مكتبة المتحف ببغداد.

(٨٤) المخطوطات المرقمة ٢٤٣٨٠ و٢٥٢٣٤ و١٢٦٨٦ في مكتبة المتحف ببغداد.

(٨٥) النسخة المرقمة ٢١٨١٩ في مكتبة المتحف ببغداد.

حرفاً من حروف التسعة والعشرين، لكن لك ان تسمي المغير اليه طاء مهموسة، أو تاء مطبقة، أو تاء مفخمة». [٨٦]

ولاحظ المرعشي أنه بينما يجب بحسب الوصف الوارد في الكتاب للطاء أن تتحول الى الدال اذا أزيل اطباقها وجدها يغلب عليها لفظ التاء، وهو أمر يشير الى ان الطاء في زمانه قد غلب عليها الهمس، يقول: «واحذر عن اعطاء الطاء همساً كما يفعله بعض الناس، حتى اذا أزلت اطباقه وتفخيمه على ما لفظوا به يصير تاء. وحق الطاء ان يكون بحيث اذا أزلت اطباقه وتفخيمه يصير دالاً». [٨٧]

يمكن أن نستخلص من هذا العرض أن وصف علماء العربية وعلماء التجويد للطاء بأنه صوت مجهور وصف صحيح، وهذا الوصف يمثل الطاء العربية القديمة التي لم تحافظ على خصائصها الصوتية، فلحقها الهمس وصارت تنطق اليوم تاء مطبقة، بينما صارت الطاء العربية القديمة المجهورة حرفاً آخر في بعض البلدان، فصارت تمثل الضاد في نطق أهل مضر ومن سار على منوالهم، بعد أن اختفت الضاد العربية القديمة من الاستخدام. وقد لاحظ بعض علماء التجويد المتأخرين ان الهمس أخذ يغلب على صوت الطاء. هذه خلاصة ما نرجحه الآن بالنسبة لصوت الطاء وهو ترجيح مبني على النصوص السابقة، لكن على الدارس ألّا يغيب عن نظره ذلك الاجماع على نطق الطاء المهموسة اليوم من قبل ناطقي العربية في المستوى الفصيح والدارج، ومنهم قراء القرآن الكريم الذين يحرصون على ضبط نطقهم والمحافظة على صورته الموروثة. ولم يلاحظ أحد من العلماء المتقدمين تحول الطاء من الجهر الى الهمس، كما لاحظ كثير منهم التحول الذي أصاب نطق الضاد. وهذه الحالة تضع قضية الطاء في اطار آخر، هو احتمال الخطأ في وصف صوت الطاء بالجهر، لكن النصوص السابقة لاسيما قول سيبويه (لولا الاطباق لصارت الظاء دالا) تقف في وجه هذا الاحتمال بقوة تجعل الدارس يحس بالحاجة الى كثير من البحث قبل أن يعطي رأيا قاطعاً في قضية الطاء.

---

(٨٦) بيان جهد المقل ٤ظ.

(٨٧) جهد المقل ٦٣ظ، وانظر أيضا ٦٠ظ.

(جـ) مشكلة القاف:

القاف العربية الفصيحة التي ينطقها متكلمو العربية اليوم صوت مهموس.[٨٨] لكن علماء العربية وعلماء التجويد وصفوا القاف بأنها صوت مجهور.[٨٩] وقد سارع بعض المحدثين الى القول: «ان النحاة والقراء قد أخطأوا في اعتباره مجهوراً».[٩٠] لكن المحققين من بعض المحدثين حاولوا أن يجدوا تفسيراً للسبب الذي حمل المتقدمين على وصف القاف بالجهر خارج احتمال وقوعهم في الغلط.

فذهب بعضهم الى احتمال أن يكونوا قد وصفوا نطقاً لهجياً للقاف يشبه الى حد كبير صوت الغين، وهو نطق للقاف شائع في السودان وبعض أنحاء العراق.[٩١] وذهب آخرون الى احتمال أن علماء العربية وعلماء التجويد وصفوا نطقاً للقاف يشبه (الجيم القاهرية) اليوم، وهو صوت يمثل مجهور الكاف.[٩٢] وهو نطق شائع جداً في العربية الدارجة في العراق، عدا بعض المدن التي ينطق أهلها القاف مثلما ينطق في الفصحى صوتاً لهوياً شديداً (انفجارياً) مهموساً.[٩٣]

ويتلخص من ذلك أن في اللهجات العربية الحديثة نطقين للقاف، يتصف فيهما بالجهر، وهما:

---

(٨٨) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٨٥، وجان كانتينو: دروس ص ١٠٧، ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٧٠، ويوسف الخليفة أبوبكر: أصوات القرآن ص ٨٢.

(٨٩) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٤، ومكي: الرعاية ص ١٤٥، والداني: التحديد ٢٧ظ.

(٩٠) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٦.

(٩١) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٨٥-٨٦. وقد قال الاستاذ يوسف الخليفة أبوبكر، وهو من أهل السودان: «والسودانيون يبدلونها في قراءتهم للقرآن غينا أو شيئا قريبا من الغين» (انظر: أصوات القرآن ص ٨٢). ونطق القاف غينا موجود بين بعض أهل القرى في العراق، مثل بعض القرى القريبة من مدينة بيجي، في النطق الدارج.

(٩٢) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٤١. وعبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة ص ١٢٩.

(٩٣) مثل مدينة تكريت والموصل. فالناس يقولون في مدينة تكريت مثلا قَالْ، قُلْتُ.

١ ـ نطقها غينا أو قريبة من صوت الغين.
٢ ـ نطقها جيما قاهرية (مجهور الكاف).[٩٤]

اذا كان الأمر كذلك بالنسبة للقاف اليوم، فما تصور علماء التجويد قديماً للحالة التي كان عليها صوت القاف، وما تفسير وصفهم للقاف بأنه صوت مجهور؟ هل أخطأوا أو وصفوا صوتا آخر مجهورا يمثل أحد صور القاف العربية القديمة، التي كانت غالبة على النطق انذاك، ثم غلبت القاف المهموسة بعد ذلك حتى صارت تمثل القاف الفصحى؟

ان الأمر لا يزال بحاجة الى كثير من النصوص لكي يتمكن الدارس من ترجيح أحد الاحتمالين السابقين، ولكن ذلك لا يمنع من أن نذكر بعض الملاحظات التي يقدمها علماء التجويد وان كانت ليست كافية من أجل تقديم رأي قاطع حول الموضوع.

اذا رجعنا الى كلام سيبويه عن الحروف الفرعية لا نجد ذكراً للقاف لا في الحروف المستحسنة ولا في غيرها، لكن السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ذكر صوتاً متفرعا عن القاف، ينطق بين القاف والكاف، وقال عنه: «هو مثل الكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف».[٩٥] وقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «ونرى اليوم من يتكلم بالقاف بين القاف والكاف، فيأتي بمثل لفظ الكاف التي بين الجيم والكاف».[٩٦]

وكان سيبويه قد ذكر في الحروف الفرعية غير المستحسنة «الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف».[٩٧] وقد قال عبد الوهاب القرطبي عن هذين الصوتين: «وأما الكاف التي بين الجيم والكاف، فذكر أبو بكر بن دريد انها لغة في

(٩٤) احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٩٥.
(٩٥) شرح الكتاب ٤٥١/٦، وانظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٧/٣.
(٩٦) الموضح ١٥٥ظ.
(٩٧) الكتاب ٤٣٢/٤.

اليمـن: يقـولـون في جَمَـل: گمل.[98] وهي كثيرة. وقد يسمع من العوام من يقول: گمـل ورگـل في جَمَـل ورَجُـل، وهي عند أهـل المعرفة معيبة مرذولة. والجيم التي كالكـاف مثـل هذه، وهمـا جميعـا شيء واحـد، الا أن أصل احداهما الجيم وأصل الاخرى الكاف». [99]

وقـول السيـرافي إنَّ نطق القـاف التي بين القـاف والكـاف هومثـل الكاف التي كالجيم، والجيم التي كالكـاف، وقـول عبـد الـوهاب القرطبي عنها انها مثل الكاف التي بين الجيم والكـاف ـ يؤكـدان ان سيبـويـه أراد بقـولـه «الكـاف التي بين الجيم والكـاف، والجيم التي كالكـاف» صوتاً هو الكاف المجهورة التي تتمثل اليوم بالجيم التي ينطقهـا أهـل القـاهـرة. وأنـه لم يرد الصـوت المتمثـل بمهموس الجيم العربية الفصحى، التي تظهـر في صوت الكشكشـة الشـائـع في نطق بني تميم لكـاف المخاطبة المؤنثة في حال الوقف. كما يذهب الى ذلك بعض المحدثين. [100]

يؤيد ذلك قول ابن دريد (ت ٣٢١هـ) هويتحدث عن الحروف التي تزيد على التسعـة والعشـرين: «ومثـل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم والكاف، وهي لغـة سائـرة في اليـمن مثل جمل، اذا اضطروا قالوا: گمل، بين الجيم والكاف. . .

فأمـا بنـو تميم فانهم يلحقـون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون: الگوم يريدون: : القَوْم، فتكون القاف بين الكاف والقاف. . .». [101]

ومثـل ذلـك أيضـا قول أحمـد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم. وهي لغة سائرة في اليمن، مثل: جمل، اذا اضطروا قالوا گمـل». [102] ويـلاحـظ القارئ هذا الفرق بين قول ابن دريد، وقول ابن فارس الذي أخذه عن ابن دريد، فاما أن نقول ان ابن دريد أراد أن يقول بين القاف والكاف وبين

---

(٩٨) انظر: ابن دريد: جمهرة اللغة ١/٥.

(٩٩) الموضح ١٥٥و. وانظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٧/٣.

(١٠٠) عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص ٢١٨.

(١٠١) جمهرة اللغة ١/٥.

(١٠٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ٣٦.

الجيم والكاف، وأن ابن فارس اختصر عبارة ابن دريد فحذف (الكاف) الثانية، واما ان نقول ان هذه الكلمة زيدت على النص الأصلي عند ابن دريد.

خلاصة ذلك أن علماء العربية وعلماء التجويد لاحظوا وجود نطق للقاف في اللهجات العربية يشبه (الكاف المجهورة) التي تغلب على نطقنا للقاف اليوم في العربية الدارجة، والتي يشار اليها على أنها تمثل نطق أهل القاهرة اليوم للجيم. فهي في عاميتنا تمثل القاف، وفي عامية أهل القاهرة تمثل الجيم، فهل كان سيبويه وعلماء العربية والتجويد من بعده يصفون هذا الصوت المجهور الذي يمثل نطق القاف في بعض اللهجات العربية القديمة والحديثة معا؟

النصوص المتيسرة تنفي أن يكون سيبويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور قد أراد بذلك (الكاف المجهورة)، لانه كان قد حدد مخرج القاف من نقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها الكاف.[١٠٣] ومن غير المحتمل أن يغيب عن سيبويه ان (الكاف المجهورة) تخرج من موضع الكاف العربية المهموسة نفسه، ولو أنه أراد بالقاف حين وصفها بالجهر (الكاف المجهورة) لجعلهما من مخرج واحد على نحوما فعل بعدد من الأصوات مثل: ع ح، غ خ، ط د ت، ص ز س، ظ ذ ث. فكونه فرق بين مخرج القاف ومخرج الكاف ينفي هذا الاحتمال.

والنصوص التي ذكرناها من قبل عن ابن دريد والسيرافي وعبد الوهاب القرطبي تشير الى أن العلماء قد ميزوا منذ وقت مبكر بين القاف الفصيحة والقاف العامية التي هي (الكاف المجهورة). ومثل ذلك قول ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في شرح المفصل: «وبقي حرف لم يتعرض له، وان كان ظاهر الأمر أن العرب تتكلم به، وهي القاف التي كالكاف، كما يتكلم بها أكثر العرب اليوم، حتى توهم بعض المتأخرين أن القاف كذلك كانوا ينطقون بها، حتى توهم أنهم كذلك يقرؤون بها. والظاهر أنها في كلامهم، وأن القاف الخالصة أيضا في كلامهم وأن القرآن لم يقرأ إلا بالقاف

---

(١٠٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

الخالصة على ما نقله الأثبات متواتراً، ولوكانت تلك قرئ بها لنقلت كما نقل غيرها، ولما لم تنقل دل على أنها لم يقرأ بها، أو قرأ بها من لم يعتد بنقل عنه». [١٠٤]

وجرى أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) على تسمية القاف الفصيحة بالقاف الخالصة، وسمى القاف التي كالكاف (= الكاف المجهورة) باسم القاف المعقودة، فقال في كتابه (ارتشاف الضرب): «واما القاف المعقودة، فقال السيرافي: رأينا من يتكلم بالقاف بينها وبين الكاف، انتهى. وهي الآن غالبة في لسان من يوجد في البوادي، حتى لا يكاد عربي ينطق الا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين والمنقولة عن وصفها الخالص على ألسنة أهل الاداء من أهل القرآن». [١٠٥]

وجمع القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في كتابه (لطائف الاشارات) بين قول ابن الحاجب وقول أبي حيان السابقين، فقال وهو يتحدث عن الأصوات الفرعية المستقبحة: «والقاف كالكاف، فرع عن القاف الخالصة، وهي الآن غالبة في لسان مَنْ يوجد في البوادي من العرب، حتى لا يكاد عربي ينطق بها الا معقودة، أي كالكاف، حتى توهم بعضهم أن العرب كانوا يقرؤون بها، لكن الظاهر أن القرآن لم يقرأ الا بالقاف الخالصة، على ما نقله الأثبات متواتراً. ولو قرئ بالمعقودة لنقل ذلك كما نقل غيره، ولما لم ينقل دلّ على أنه لم يقرأ بها». [١٠٦]

ويبدو أن ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) أراد بقوله (الكاف الصماء) الكاف المجهورة التي سماها أبو حيان (القاف المعقودة)، وذلك حين قال: «والكاف فَلْيُعْنَ بما فيها من الشدة والهمس لئلا يذهب بها الى الكاف الصماء الثابتة في بعض لغات العجم فان تلك الكاف غير جائزة في لغة العرب». [١٠٧] وحذر ابن الجزري حين تحدث عن القاف من النطق بها كالكاف الصماء فقال: «وليتحفظ مما يأتي به بعض

(١٠٤) الايضاح في شرح المفصل ٢/٢٨٤.

(١٠٥) ارتشاف الضرب ص ٤.

(١٠٦) لطائف الاشارات ١/١٨٥.

(١٠٧) النشر ١/٢٢١.

الأعراب وبعض المغاربة في اذهاب صفة الاستعلاء منها، حتى تصير كالكاف الصماء»[١٠٨].

ويفهم من النصوص السابقة ان القاف المعقودة (=الكاف المجهورة) كانت تجري على ألسنة كثير من العرب منذ أوائل القرن الرابع الهجري. وهي لا تزال طاغية على ألسنة كثير من متكلمي العربية في اللغة الدارجة، وعلى الرغم من ذلك فان أقوال العلماء تؤكد على أن هذا النطق للقاف لا يمثل القاف الفصحى التي يقرأ بها القرآن ويتكلم بها الفصحاء، فقول سيبويه بأن القاف مجهورة لا يمكن أن يحمل اذن على (القاف المعقودة = الكاف المجهورة) التي يسميها بعض المحدثين بالجيم القاهريه. ولابد من البحث عن تفسير آخر لقوله.

ويبدو أننا لن نجد ذلك التفسير في نطق القاف غينا أو قريباً جداً من الغين، كما هو الغالب على ألسنة بعض العرب اليوم، كما ذكرنا قبل قليل، لان من غير المعقول أن يغيب عن نظر علماء العربية وعلماء التجويد ذلك القرب الشديد حينئذ بين نطق القاف ونطق الغين، ولو أن سيبويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور أراد صوتاً يشبه الغين لما وصف القاف بأنها صوت شديد، فمن غير المعقول ألا يفطن سيبويه الى رخاوة ذلك الصوت، وهو فعلاً قد وصف الغين وأختها الخاء بأنها أصوات رخوة، فهذا المذهب في تفسير كلام سيبويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور أبعد عن الواقع من المذهب السابق، لاسيما ان علماء العربية وعلماء التجويد لم يشيروا الى هذا الاتجاه في نطق القاف، وهو اليوم أقل شيوعاً فيما يبدو من نطق القاف المعقودة (اي الكاف المجهورة).

ولم يبق أمامنا إلا أن ننعم النظر في صوت القاف العربية الفصحى المهموسة التي يقرأ بها القُرَّاءُ القرآن اليوم وينطقها المثقفون حين يتحدثون بالعربية الفصحى، لنرى هل لها أصل في الجهر، وهل غَمَضَ أمرها حتى وَهِمَ سيبويه وغيره في عدها صوتاً مجهوراً؟

(١٠٨) النشر ٢٢١/١

ان من الامور التي يقررها علماء الأصوات المحدثون أن الفراغ الحلقي الممتد من الحنجـرة الى ما يقـارب أقصى اللسـان واللهـاة يصعب انتـاج أصـوات شديـدة (انفجارية) فيه. أما الصوت الرخو (الاحتكاكي) فكثير الوقوع، ويمثل ذلك الصوتان العربيان الحاء والعين.(١٠٩) ويبدو أن الجزء الذي يخرج منه الغين والخاء، وهو أدنى الحلق من الفم، يشكـل الحـد الفـاصل بين مايمكن أن ينتج فيه صوت شديد وما لا يمكن ذلك فيه. فالقاف تخرج من منطقة قريبة جداً من مخرج الغين والخاء، وهي صوت شديد (انفجاري).

والـذي يهمنـا من المـلاحظـة السـابقـة في الموضوع الذي نبحث فيه هنا هو أن الـدارس اذا حاول أن ينطق بالصـوت المجهـور الذي يقابل القاف العربية الفصحى التي ننطقهـا اليـوم مهمـوسـة استعصى عليـه ذلـك الى حد الاستحـالة اذا هو حاول الاحتفاظ بهذا الصوت شديداً مع اعطائه صفة الجهر، ولهذا نجد دارسي الأصوات العـربيـة المحـدثين يشيرون الى أن مجهور القاف هو صوت يشبه الغين، وان كانت تلك الاشـارة تفتقـر الى الوضوح في بعض جوانبها. يقول الدكتور محمود السعران: «أما النظير المجهور للقاف، الذي يحدث في نفس الموضع وبنفس الكيفية، ولكن يتـذبـذب معـه الوتران الصوتيان، فليس من جملة الأصوات العربية الفصحى الآن، الا أنه يسمع في بعض العاميات» (١١٠) وقد أشار السعران الى أنه اقتبس هذه الفكرة من كتاب (الأصوات اللغوية) للدكتور ابراهيم أنيس.

وحين نرجـع الى كتـاب (الأصـوات اللغـويـة) للدكتـور ابـراهيم أنيس نجد فرقا جوهرياً بين تصور الدكتور السعران لمجهور القاف وماهو مذكور في كتاب (الأصوات اللغـويـة). فالمثـال المقـدم على أسـاس انـه يمثـل مجهور القاف لا يحدث بنفس الكيفيـة التي يحـدث بهـا صوت القـاف المهـوس، وأن الفـرق بينهمـا يتعدى ذبذبة الـوتـرين الصـوتيين، الى صفة الشدة والرخاوة. فالدكتور ابراهيم انيس يقدم لنا نطق

(١٠٩) احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٤.

(١١٠) علم اللغة ص ١٧٠ وانظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٢١٤.

بعض القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق لصوت القاف على أنه القاف المجهورة التي ذكرها سيبويه ويقول «نسمعها منهم نوعاً من الغين». [111] ولكنه يلاحظ فرقا بين القاف الفصحى المهموسة وبين ذلك الصوت الذي يرجح أنه يمثل القاف العربية التي وصفها سيبويه بأنها صوت مجهور، يقول: «لهذا نفترض هنا أن القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذي نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية، ثم هُمِس مع توالي الزمن وأصابته صفة الشدة فأدى هذا الى ما نعهده في قراءتنا. اذ لا فرق بين نطق السودانيين للقاف وبين نطق المجيدين للقراءة من المصريين لها إلا في أنها مجهورة وأميل الى الرخاوة عند السودانيين، مهموسة شديدة عند المصريين». [112] ونحتاج الى التأكيد على عبارة واحدة من هذا النص وهي (وأميل الى الرخاوة). بل اننا حين نتأمل نطق بعض القرويين للقاف صوتاً مجهوراً مثل الغين نلاحظ انه رخو الى درجة لا يختلف عن الغين في شيء.

اذا صح اننا لا نستطيع أن ننطق صوتا مجهوراً يقابل في خصائصه القاف العربية المهموسة التي ننطقها اليوم ولا يختلف عنه الا بالجهر فان ذلك يعني أن القاف العربية الفصحى التي ننطق بها اليوم صوت فذ كالضاد العربية القديمة التي قال عنها سيبويه انها اذا أزيل عنها الاطباق خرجت من الكلام لأنه ليس من موضعها حرف غيرها. وكذلك هذه القاف اذا أزيل همسها ولحقها الجهر خرجت الى صوت آخر يخالفه في عدة خصائص، وهو صوت الغين.

ولعل من الممكن هنا أن نقدم تفسيراً لامكانية انتاج القاف مهموسة وصعوبة انتاجها مجهورة من نفس الموضع مع المحافظة على شدتها، يتمثل في أن الموضع الذي يخرج منه القاف يضعف تحكم الناطق به، فهو ليس مثل طرف اللسان حين ننطق التاء المهموسة ثم الدال المجهورة، أو الطاء المهموسة ثم الضاد المجهورة حسب النطق المعاصر، ويبدو أن قوة تيار النَّفَس مع الصوت المهموس تساعد على

---

(111) الاصوات اللغوية ص ٨٥.

(112) الاصوات اللغوية ص ٨٦.

إحكـام الضغـط حين النطق بالقـاف المهمـوسـة، وأن الجهـر يؤدي الى ضعف تيار النَّفَس لأن اعتـراض الـوتـرين الصـوتيين يضعف أثـر الخفقـة التي يحـدثهـا ضغـط الحجاب الحاجز على الرئتين ومن ثم يؤدي ضعف تيار النَّفس مع ما فيه من أثر تردد وذبـذبـة الـوترين الصوتيين الى صعوبة التحكم في مخرج القاف بحيث تظل شديدة ومجهـورة في وقت واحـد. على أننـا اذا تقـدمنـا شيئـاً يسيراً باتجاه طرف اللسان من مخرج القاف أمكننا أن ننطق بالكاف مهموسة، وان ننطق بالكاف مجهورة، من غير أن يغير الجهر الذي يلحق الكاف شيئاً من خصائصها الصوتية الاخرى.

ان النتيجـة السـابقـة تجعلنـا أمـام احتمال أخير حول وصف سيبويه للقاف بأنها صوت مجهـور، فاذا كنـا لا نستطيـع أن نحمـل قول سيبـويـه على أنه وصف للكاف المجهـورة التي سمـاهـا أبـو حيـان القـاف المعقـودة، وهي التي يسميها المحدثون بالجيم القاهرية كما اننا لا نستطيع أن نحمله على أنه وصف لنطق السودانيين للقاف الذي هو أشبه بالغين ـ فانه لم يبق أمامنا إلا أن نقول ان سيبويه وهم في نسبة الجهر الى القـاف. وهـو أمـر لا نستطيع أن نقطع به، وكل ما يمكن ان نقوله باطمئنان هو ان القـاف في نطقنـا الفصيـح اليـوم صوت مهمـوس وان سيبـويه وعلماء العربية وعلماء التجـويـد وصفـوا القـاف بأنها صوت مجهور، وان وسائلنا الآن عاجزة عن تفسير هذا الوصف على نحو أكيد.

٢ ـ الشدة والرخاوة والتوسط بينهما:

يعتمد هذا التصنيف على كيفية مرور الهواء في مخرج الحرف، فاذا حُبِس النَّفَسُ في مخرج الحرف حبساً تاماً ثم أُطْلِقَ بعد ضغطه لحظة كان الصوت شديداً (انفجارياً)، واذا حصل تضييق لمجرى النَّفَس في مخرج الحرف دون أن يحتبس كان الصوت رخواً (احتكاكياً). وبعض الأصوات يحصل في أثناء النطق به اعتراض لمجرى النَّفَس في مخرجه، ولكن من غير أن يحصل حبس تام، لأن النَّفَس يجد له منفذاً يتسرب منه، ويسمى الصوت حينئذ متوسطاً. وسبق أن بيّنا ذلك عند الحديث عن انتاج الأصوات اللغوية.[1] والذي نريد أن نقف عنده هنا هو كيفية تحديد الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة لدى علماء التجويد.

كان سيبويه قد حصر الحروف الشديدة في: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء. والحروف الرخوة في: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء. ثم قال: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل الى الترديد فيها لشبهها بالحاء». ثم ذكر سيبويه الحرف المنحرف، وهو اللام، وحرفي الغنة وهما النون والميم، والمكرر وهو الراء، واللينة وهي الواو والياء، ثم الهاوي وهو الألف. واستغرق بذلك جميع حروف العربية ورتبها على وفق كيفية مرور الهواء في مخارجها.[2]

وسار علماء العربية على نهج سيبويه في تصنيف الحروف العربية الى شديدة ورخوة، وعدوا كل ما عداها قسماً ثالثاً، سموه الحروف التي بين الشديدة والرخوة، وهو ما سمي في وقت متأخر بالحروف البينية والمتوسطة، وان كان سيبويه لم يصرح بالبينية الا في صوت العين. وقال ابن جني: «وللحروف انقسام آخر الى الشدة والرخاوة وما بينهما. فالشديدة ثمانية أحرف... ويجمعها في اللفظ (أجدت

---

(١) انظر ص ١٣٩ من هذا البحث.

(٢) انظر: الكتاب ٤/ ٤٣٤ـ٤٣٥.

طبقـك) و(أجـدك طبقت). والحـروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا. وهي الألف والعين والياء والـلام والنـون والـراء والميم والـواو، ويجمعهـا في اللفـظ (لم يَرْوِعَنَّا)، وان شئت قلت: (لم يُرَوِّعْنَا) وان شئت قلت: (لم يَرْعَوْنَا)، وما سوى هذه الحروف والتي قبلها، هي الرخوة». [٣]

وقـد تابـع علمـاء التجويد سيبويه وغيره من علماء العربية المتقدمين في تصنيف الحـروف الى شديـدة ورخـوة ومتـوسطـة. وكـانت لهم في هذا الميـدان إضـافـات وتفسيرات ذات شأن، فعالجوا المشكلات التي تتعلق بهذا الموضوع. وهي تتلخص في حصـر الحـروف المتـوسطـة، وفي وصف الضاد بأنها رخوة، وهي في نطق بعض العـرب اليـوم شديـدة، ونضم الى ذلـك بحث وصف بعض المحـدثين للجيم بأنـه صوت مركب.

(أ) الحروف المتوسطة:

أمـا عدد الحـروف التي بين الشـديـدة والـرخوة (اي المتوسطة) فان بعض علماء التجـويـد تابـع علمـاء العـربية في عدها ثمانية يجمعها (لم يروعنا). [٤] بينما أخرج بعضهم الواو والياء والألف من الحروف المتوسطة. قال أبو عمرو الداني: «والشديد ثمـانيـة أحـرف... ومـا عدا هذه الشديدة على نوعين: شديد يجري فيه الصوت، ورخو. أما الشديد الذي يجري فيه الصوت فخمسة أحرف يجمعها قولك (لم نرع): العين والنـون واللام والراء والميم، اشتد لزومها لموضعها، ثم تجافى بها اللسان عن موضعها، فجرى فيها الصوت لتجافيها.

أما العين: فتجافى بها اللسان فجرى فيها الصوت لشبهها بالحاء.

وأما الراء: فتجافى بها اللسان عن موضعها للتكرير الذي فيها، فجرى الصوت.

وأما اللام: فتجافى ما فوق حافة اللسان بها عن موضعها لانحرافها، فجرى فيه الصوت لا من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك.

---

(٣) سر صناعة الاعراب ١/٦٩ـ٧٠.

(٤) مكي الرعاية ص ٩٤. وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦و.

واما النون والميم فتجافى اللسان بهما الى موضع الغنة، وهو الأنف، فجرى فيها الصوت...». [٥]

وتابع المرعشي القائلين بأن الحروف المتوسطة خمسة. [٦] ثم ناقش مذهب القائلين بأنها ثمانية وقال: «وزاد في الرعاية الواو والياء والالف في البينية وأتى في جمعها بقوله: لم يروعنا. وصرح بأن حروف الرخو ثلاثة عشر، فظهر أن في هذه الحروف الثلاثة اختلافا في أنها من الحروف الرخو أو من الحروف البينية. والظاهر أن المراد من الواو والياء ما ليسا بمديين كما يشهد به وقوعهما في: لم يروعنا، لكن أقول: كيف يكون الألف المدية من البينية مع أن الظاهر أنها أكمل حروف الرخو رخاوة، اذ معنى الرخاوة اللين وجريان الصوت؟!». [٧]

ونقل أبو شامة في شرح الشاطبية أن مكياً عد المتوسطة سبعة، وهذا شيء يخالف ما نقلناه عن كتاب الرعاية، ولكنه مذهب يوافق ما يراه المرعشي من اخراج الالف منها، واعتبار الواو والياء غير مديتين، قال أبو شامة: «قال مكي في بعض تصانيفه: الرخاوة فيما عدا الشديدة إلّا سبعة أحرف يجمعها قولك (نولي عمر)، فانها بين الرخاوة والشدة، فأدخل فيها الواو والياء ولم يدخل الألف». [٨] ولا نستطيع أن نحدد الآن المصدر الذي نقل عنه أبو شامة هذا النص.

فالحروف الشديدة إذن ثمانية، والرخوة ثلاثة عشر، والمتوسطة ثمانية على رأي بعض العلماء، وخمسة على رأي آخرين، والخلاف في الحروف الثلاثة: الالف والواو والياء. ويبدو أن الذين يعدون الحروف المتوسطة خمسة هي (لم نرع)، ويعدون الرخوة ثلاثة عشر حرفا ـ يعتبرون الالف والواو والياء قسماً رابعاً لا يدخل في أي من الأقسام الثلاثة. وهو الظاهر من كلام الداني السابق.

---

(٥) التحديد ١٨و. وانظر: العطار: التمهيد ١٤٥ظ، وأبو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٠.

(٦) جهد المقل ١٢و.

(٧) بيان جهد المقل ١٦و.

(٨) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص١٠.

وصرح المرعشي في كتابه (جهد المقل) ان الحروف الرخوة ستة عشر حرفا بضمنها الواو والياء مديين أولا والألف. [9] لكنه فصل في كتابه (بيان جهد المقل) وفرق بين الياء والواو فاذا كانا غير مديين ألحقهما بالمتوسطة، واذا كان مديين ألحقهما مع الألف بالرخوة، بناء على مذهبه في كون حروف العربية واحداً وثلاثين حرفاً وعلى هذا تكون الحروف المتوسطة لديه سبعة. [10]

ويترجح لديَّ مذهب الداني في عد المتوسطة خمسة هي (لم نرع)، على اعتبار أن الحروف المتوسطة هي التي يقوم في طريقها عائق كالشديدة، لكن النَّفَس لا ينحصر في مخرجها انحصاره في الشديدة، انما يجد له منفذاً يجري فيه جريانه في الرخوة. وكذلك يترجح لديّ تفريق المرعشي بين حالتين للواو والياء، وذلك باعتبارهما حرفي مَدٍّ مرة، وباعتبارهما ليسا حرفي مد أخرى. ولكني لا أرى أن يجعلا وهما حرفا مد من الحروف الرخوة، وانما تعامل حروف المد الثلاثة (الالف والواو والياء) معاملة خاصة، لأنها تعد قسماً قائماً بذاته في مقابل جميع الحروف الأخرى، وسبق أن بيّنا تسميتها بالحروف الذوائب، في مقابل الحروف الجوامد. وتقسيم الحروف الى شديدة ومتوسطة ورخوة شيء خاص بالحروف الجوامد. أما الحروف الذائبة (حروف المد الثلاثة) فهي أصوات بائنة من جميع الحروف، وذلك بجريان النفس معها حراً طليقاً من غير أن يعترضه تضييق لمجراه كالذي يحدث في الحروف الرخوة.

يبقى بعد ذلك الواو والياء اذا لم يكونا حرفي مد، وكانا من الحروف الجامدة، أنعدهما من الحروف الرخوة أم المتوسطة؟ اذا أخذنا بالمفهوم السابق للحروف المتوسطة، وهو قيام عائق في مجرى النَّفَس لا يحول دون جريانه، فان الواو والياء من هذه الناحية من الحروف الرخوة، واذا قلنا ان الحروف المتوسطة هي ما ليس بشديدة ولا رخوة وراعينا ما في الواو والياء من اللين، أمكن عدهما من الحروف

(٩) جهد المقل ١٢و.

(١٠) بيان جهد المقل ١٦و. وانظر: كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٧٠.

المتوسطة. وأنا أميل الى الرأي الأول لانه يقوم على أساسا واضح في تحديد معنى المتوسطة.

واذ بلغنا هذا الشوط في مناقشة هذا التصنيف فلنا أن نسأل عن موقف الدرس الصوتي الحديث منه، هل يقره أويرفضه أويعدله؟ قال المستشرق الالماني برجستراسر: «انهم أثبتوا صفة ثالثة بين الشدة والرخوة، وهي التوسط. والحروف المتوسطة كلها مجهورة عندهم وهي: ع ل ن ر م. فنقول: انه وان كانت هذه الحروف، الا العين، متمادية بدون شك، فلهم مع ذلك حق في تمييزها عن الرخوة والمجهورة...»(١١)

وقال أ. شاده، وهو مستشرق ألماني أيضا، متحدثاً عن بعض آراء سيبويه الصوتية: «وأصاب سيبويه أيضا في أنه هناك حروف هي شديدة من جهة ورخوة من جهة أخرى. وعد من هذا النوع المشترك: العين واللام والنون والميم والراء». (١٢)

وقال المستشرق الفرنسي جان كانتينو، وهويتحدث عن هذا التقسيم: «فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب إلا في ما يتعلق بحرف العين. وما عدا ذلك فان الترتيب مطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين». (١٣)

واذا نظرنا في موقف دارسي الأصوات اللغوية من العرب في هذا التقسيم وجدنا من ينتقد هذا التقسيم ويعترض عليه، ولا يرى مجالاً لقبوله الا اذا حملناه على معنى معين، فقال بعد مناقشته للموضوع: «ومهما يكن من أمر، فالواجب تفسير المصطلح (أصوات متوسطة) بأن المقصود أنها أصوات متوسطة بين الصامتة بعامة (يعني الجامدة) والحركات (يعني الذائبة)، لا بين الأصوات الشديدة والاحتكاكية (أي الرخوة). ويبدو أن من سماها كذلك من العرب قد خانه التوفيق في التعبير». (١٤)

---

(١١) التطور النحوي ص ٨.

(١٢) علم الاصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١ العدد الخامس ص ١٠.

(١٣) دروس ص ٣٦.

(١٤) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٧٠.

ونحن لا ننكر أن هناك شبها بين الحروف المتوسطة وبين الحركات (أي الحروف الذائبة) لاسيما (ل م ن)، وذلك من حيث كيفية مرور الهواء في مخارجها، وعلماء التجويد أنفسهم يصرحون بذلك الشبه، قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «وأيضا فان المد الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم». (١٥) وقال: «أما النون الخفيفة فانها النون الساكنة التي مخرجها من الخيشوم، نحو النون في منك وعنك ومن زيد. وهي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد واللين في مواضعها». (١٦) وقال ناصر الدين الطبلاوي (ت ٩٦٦هـ): «ان النون الساكنة والتنوين حرفا غنة، ولابد لهما من شبه مد، فشاركا الواو والياء في المد في الجملة». (١٧)

ولكن لا يعني وجود شبه بين الحروف المتوسطة وبين الحروف الذائبة أننا يجب أن نلغي تقسيم علماء العربية وعلماء التجويد المبني على مفهوم واضح وهو أن هذه الاصوات لا تتحقق في انتاجها صفة الأصوات الشديدة بشكل كامل، وكذلك هي لا تتحقق فيها صفة الأصوات الرخوة بشكل كامل. فهي تبدأ بحبس للنَّفَس يشبه ما يحصل في الحروف الشديدة، ولكن النَّفَس يجد له منفذاً من غير موضع ذلك الاحتباس فيجري جريانه في الحروف الرخوة، وهذه هي صفة هذه الأصوات بشكل عام.

وحين نمعن النظر في كلام هذا المعترض نجد أنه لا يعدو أن يكون جدلاً لفظياً والا ماذا يمكن أن يقول الدارس المدقق عن مثل قوله: «وهي في رأيهم متوسطة بين الشدة والرخاوة (=بين الانفجار والاحتكاك). وهذا في نظرنا تقدير غير دقيق، الا اذا قصد بها انها ليست انفجارية، ولا احتكاكية، وانما هي نوع مستقل. وكان الأَوْلَىٰ بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات (لا بين الانفجارية والاحتكاكية) فهي كما رأيت تتسم بخواص الأصوات الصامتة ولكنها في

(١٥) الموضح ١٧٠ظ.

(١٦) الموضح ١٥٣ظ.

(١٧) مرشدة المشتغلين ٣ظ.

الوقت نفسه تبدى شبهاً معيناً بالحركات، ومن ثم أطلقنا عليها نحن أشباه الحركات.[١٨]

ونحن لا نعترض على اطلاقه مصطلح (أشباه الحركات)، وهو مصطلح لا نستبعد أنه اقتبسه من مصادر دراسته الاجنبية.[١٩] وان كنت أتعجب من قوله: «اما الراء فهو شبيه بالحركات، لما يوجد عند النطق به من نوع من حرية للهواء بسبب الاتصال والانفصال المتكررين».[٢٠] فاذا كانت الراء التي هي عبارة عن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً،[٢١] وهي طرقات تتضمن قفلاً لمجرى الهواء وان كان سريعاً جداً، تعتبر حرفاً شبيهاً بالحركات، فان اعتبار جميع الحروف الرخوة شبيهة بالحركات يعد أمراً مقبولاً حينئذ وهو ما لا يقول به أحد.

اننا لا نجد في مذهب علماء العربية وعلماء التجويد في تقسيم الحروف الى: شديدة ورخوة ومتوسطة ما يحمل على القول بأن عملهم هذا غير دقيق، لاسيما ان علماء الأصوات المحدثين يقرون ذلك التقسيم ويعدونه صحيحاً. وما كان يمنع هذا المعترض من قبول هذا التقسيم على اعتبار أن المتوسطة قسم ثالث يخالف الشديدة ويخالف الرخوة أو (هي من نوع مستقل) كما يقول هو. ثم له أن يقول بعد ذلك هي متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات. فهذا التقسيم الثلاثي: شديدة ورخوة ومتوسطة خاص بالأصوات الجامدة، وهو مبني على كيفية مرور الهواء في المخرج، واذا أراد الدارس ان يوازن بين مجموع الأصوات الجامدة وبين الأصوات الذائبة فلاشك انه سيجد بعض الأصوات الجامدة تقترب من الأصوات الذائبة في كيفية مرور الهواء في مخارجها، وهنا يكون مقبولاً أن نعبر عنها بأنها (أشباه الحركات) أو (أشباه الذوائب). ومن غير المقبول ان نعمد الى مصطلح (المتوسطة) الذي صارت له دلالة محددة في تراث العرب الصوتي ونجرده من تلك الدلالة لنستخدمه في الدلالة على ما يسمى بأشباه الحركات.

---

(١٨) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٩.

(١٩) انظر للتأكد من ذلك: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي هامش (١) ص ١٠١.

(٢٠) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٨.

(٢١) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٧.

ويلاحظ أن بعض دارسي الاصوات العربية من المحدثين يتوقفون عند عد العين صوتاً متوسطاً، ونجدهم متحيرين في فهم الأساس الذي اعتمد عليه سيبويه ومن تابعه في عد العين كذلك، ومن ثم مال بعضهم الى اخراج العين من الحروف المتوسطة وعدّها صوتاً رخواً (احتكاكياً). (٢٢) وصرح آخرون بقبولهم عد العين حرفاً متوسطاً. (٢٣)

وكان محمد المرعشي قد توقف عند هذاالموضوع وقدّم تفسيراً لعد العين حرفاً بينياً أي متوسطاً. قال: «ويجب أن يتحرز عن حصر صوت العين بالكلية اذا شدد، نحو (يَدُعُّ اليتيمَ)(٢٤) و﴿يومَ يُدَعُّونَ الى نارِ جهنمَ دعّاً﴾(٢٥) لئلا يصير من الحروف الشديدة قال الرضي: ينسل صوت العين قليلاً. (٢٦) أقول: ولذا عد من الحروف البينية». (٢٧) وما قاله المرعشي صحيح، حسب ما نلاحظ، فإن العين المشددة تكاد تكون صوتا (شديداً) كما في (يدعّ)، ومهما حاول الناطق إجراء النَّفس مع العين وتمديد النطق بها، وهذا من خواص الحروف الرخوة، فانه لن يصل الى ذلك الا بمشقة، وعلى نحو محدود. بينما يمكن للناطق أن يمد صوته بالحاء ساكنة كانت أو مشددة، وربما أثرت صفة الجهر على العين، وما يصاحب ذلك من اضطراب عمود الهواء بالنغمة المتولدة من اهتزاز الوترين الصوتيين، فاختلف حالها من ثم عن حال الحاء.

وحاول الدكتور حسام النعيمي أن يقيم الدليل على صحة وصف العين بأنها متوسطة من خلال الموازنة بينها وبين الهمزة والحاء أثناء الوقف، فقال «ويمكن معرفة

---

(٢٢) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٠٢، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٥٦، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٠٢.

(٢٣) برجستراسر: التطور النحوي ص ٨. وأ. شاده: علم الاصوات عند سيبويه وعندنا. صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٠.

(٢٤) الماعون ٢.

(٢٥) الطور ١٣.

(٢٦) انظر: شرح الشافية ٣/٢٦٠.

(٢٧) جهد المقل ٥٨ظ.

ذلك بنطقها في كلمة (ارجع) مثلا ومقارنتها بصوتي الهمزة والحاء في كلمتي (أرجئْ) و(أرجح)، اذ يمكن أن نحس بوقفة الهمزة الاخيرة في (أرجئْ) أو شدتها أو انفجارها، كما عبروا، ولا يمكن اجراء الصوت بها، ونحس بسهولة جريان الصوت في حاء (أرجح) الاحتكاكية أو الرخوة. أما عين (ارجع) فيمكن أن يجري النفس بها ولكن ليس بسهولة جريه في الحاء، فهي بين الهمزة الشديدة والحاء الرخوة، ولذا عبروا عنها بأنها بين الشدة والرخاوة». (٢٨)

وكان الاستاذ أ. شاده قد قال: «وأما الراء والعين فهما من هذا النوع لأن العارض فيهما ليس بمتصل بل هو متفتر». (٢٩) ولعلنا نجد في هذه النصوص تفسيراً لقول سيبويه: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل الى الترديد فيها لشبهها بالحاء». (٣٠) وتصح بذلك نظرية علماء العربية وعلماء التجويد في تقسيم الأصوات الى: شديدة ورخوة ومتوسطة تبعاً لكيفية مرور الهواء في المخرج. مع ملاحظة أن المتوسطة تمثل قسماً يضم عدداً من الأنواع فالنون والميم أنفية، واللام جانبية (منحرفة)، والراء مكررة، ومعها العين التي يمكن ان نشتق لها وصفا من عبارة سيبويه السابقة فنقول: والعين مترددة. دون أن يكون من اليسير تقديم تفسير محدد لها، سوى انها متوسطة بين الشديد والرخوة.

(ب) مشكلة الضاد العربية:

أما صوت الضاد فانه من الأصوات الرخوة عند علماء العربية وعلماء التجويد، وهو يخرج عندهم من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس. والضاد بهذه الصفات الى جانب ما وصفوه به من كونه مجهوراً مستطيلاً مطبقاً، (٣١) يعد صوتاً غريباً

(٢٨) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣١٧.

(٢٩) علم الاصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١ العدد الخامس ص ١٠.

(٣٠) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٣١) مكي: الرعاية ص ١٥٨. والداني: ٤ التحديد ٣٩و.

عند بعض المحدثين لأنه لا يوجد الا في العربية . [٣٢] كما انه اختفى في النطق، ولم يعد يسمع من الناطقين بالعربية اليوم على تلك الصفة التي حددها علماء العربية وعلماء التجويد. بل صار على ألسنة بعضهم دالا مفخمة، كما في مصر، وصار على ألسنة آخرين صوتا لا يختلف عن الظاء في شيء كما في العراق . [٣٣]

اذا كان الامر كذلك بالنسبة لصوت الضاد، فكيف كان ادراك علماء التجويد لمشكلة الضاد، وهل أبدوا فيها رأياً أوسجلوا حولها ملاحظة تعين في تتبع تطور هذا الصوت حتى اختفى شكله القديم وآل الى صور متعددة؟

ان مشكلة الضاد قديمة في العربية، فقد ذكر سيبويه من الحروف غير المستحسنة (الضاد الضعيفة). [٣٤] ويبدو أن المشكلة أقدم من ذلك فقد وردت أخبار تشير الى الخلط بين الضاد والظاء ترجع الى عصر صدر الاسلام . [٣٥] ونقل ابن الجزري في كتابه التمهيد: «أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقا في جميع كلامهم». [٣٦]

ويمكن للدارس أن يلاحظ اتجاهين في معالجة مشكلة الضاد، الأول يتمثل في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء، والاشتغال بحصرها وتأليف الرسائل في ذلك، وهي مؤلفات تشبه المعاجم الصغيرة التي تعنى بقسم من ألفاظ اللغة، وهذا الاتجاه هو الذي استأثر بجهود اللغويين والنحاة. وتركوا في ذلك مؤلفات كثيرة تهتم

---

(٣٢) برجستراسر: التطور النحوي ص ١٠ .

(٣٣) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٨-٤٩، وجان كانتينو: دروس ص ٨٧. وهنري فليش: العربية الفصحى ص ٣٧. ويوسف الخليفة أبوبكر: أصوات القرآن ص ٦٩. وحسام النعيمي الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٠٦.

(٣٤) الكتاب ٤/٤٣٢.

(٣٥) ذكر أبو العلاء الهمذاني العطار (التمهيد ٩٩ظ) أن أعرابيا خلط بين الضاد والظاء عند عمر ابن الخطاب حين نطق (الظبي) بالضاد فاعترض عليه عمر، رضي الله عنه.

(٣٦) التمهيد في علم التجويد ص ٤٣ .

بالتمييز الكتابي بين الضاد والظاء، ولا تتعرض للتمييز النطقي بينهما.[37]

والاتجاه الثاني في معالجة مشكلة الضاد يتمثل بدراسة الخصائص النطقية لصوت الضاد، والانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين، وتوضيح الصورة الصحيحة لنطقه. وكان لعلماء التجويد القسط الأكبر في هذا المجال، حتى أنهم ألفوا في ذلك المؤلفات المستقلة التي تهتم بنواحي النطق من غير أن تتعرض لحصر الألفاظ التي تكتب بالضاد أو الظاء، وهذه المؤلفات لم تحظ بعناية الباحثين كما حظيت المجموعة الأولىٰ التي حقق عدد من كتبها، وأحصيت مخطوطاتها.[38]

وقد سجل علماء التجويد في كتبهم كثيراً من الظواهر المتعلقة بنطق الضاد عبر قرون كثيرة، فنجد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) يؤكد في كتابه (الرعاية) على قضيتين الأولى: صعوبة نطق الضاد، والثانية اختلاطها بالظاء. وذلك حيث يقول: «والضاد يشبه لفظها لفظ الظاء. لأنها من حروف الاطباق ومن الحروف المستعلية، ومن الحروف المجهورة. ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظهما واحداً، ولم يختلفا في السمع. . . ولابد له (للقارئ) من التحفظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهو أمر يقصر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة، لصعوبة من لم يدرب فيه. فلابد للقارئ المجوّد أن يلفظ بالضاد مفخمة مستعلية منطبقة مستطيلة، فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس. عند اللفظ بها. ومتى فرط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فيكون مبدلاً ومُغَيِّراً. والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها، وأخل بقراءته، ومن

(٣٧) أحصى الدكتور حاتم الضامن في مقدمة تحقيقه لكتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ـ لابن مالك) الكتب المؤلفة في ذلك، حتى بلغت أكثر من أربعين كتابا. (انظر: الاعتماد ص ٢ـ٨، منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣ مج ٣١).

(٣٨) انظر أسماء بعض تلك الكتب في المبحث الثاني من الفصل الاول من هذا البحث رقم (٣٤) من قائمة مصادر علم التجويد.

تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعاً وسجية». (٣٩)

وقال الداني (ت ٤٤٤هـ): «ومن آكد ما على القراء أن يخلصوه من حرف الظاء باخراجه من موضعه، وإيفائه حقه من الاستطالة، ولا سيما فيما يفترق معناه من الكلام، فينبغي أن ينعم بيانه ليتميز بذلك». (٤٠)

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «وأكثر القراء اليوم على إخراج الضاد من مخرج الظاء، ويجب أن تكون العناية بتحقيقها تامة». (٤١)

وقال ابن وثيق (ت ٦٥٤هـ): «وقل من يحكمها في الناس». (٤٢)

وقال الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ): «والضاد حرف قوي صعب يعسر بيانه على كثير من الناس. . . وتصحيح نطق الضاد وتجويده لابد للقارئ منه ولا غنى له عنه. وذلك متوقف على ثلاثة أمور: الأول معرفة مخرجه، والثاني معرفة صفاته، والثالث معرفة ما يشبه لفظه بلفظ غيره من الحروف». ووضح المرادي مخرج الضاد وصفاته ثم قال: «وأما ما يشبه لفظه بلفظ الضاد من الحروف فحرفان، وهو الظاء واللام، وذلك لان الظاء يشارك الضاد في أوصافه المذكورة غير الاستطالة، فلذلك اشتد شبهه به وعسر التمييز بينهما، واحتاج القارئ في ذلك الى الرياضة التامة، ولكن مخرج الظاء متميز عن مخرج الضاد، لا اتصال بين مخرجيهما، ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لاتحدا في السمع».

«واللام يشارك الضاد في المخرج لان الضاد من أقصى الحافة واللام من أدنى الحافة. والضاد حرف مستطيل استطال في مخرجه وامتد صوته حتى اتصل بمخرج اللام، فكذلك شابه لفظه لفظ اللام المفخمة، وربما أخرجه بعض الناس لاماً مفخمة، واللام تشارك الضاد في مخرجه لا في أوصافه، اذ ليس فيها شيء من صفات الضاد المذكورة، الا أنها بين الرخوة والشديدة، فتوافقه في شيء من

(٣٩) الرعاية ص ١٥٨-١٥٩، وانظر في المعنى نفسه أيضا ص ١٩٤.

(٤٠) التحديد ٣٩ظ.

(٤١) الموضح ١٦٣و.

(٤٢) كتاب في تجويد القراءة ٧٩و.

الرخاوة، فهي بعكس الظاء، لأن الظاء تشارك الضاد في أوصافه لا في مخرجه.

اذا تقررت هذه الأمور فاعلم أن الضاد أشد الحروف صعوبة على اللافظ، فلذلك مال لفظها الى صوت الظاء تارة والى صوت اللام المفخمة تارة لمناسبة هذين الحرفين للضاد». [٤٣]

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في كتاب (النشر): «والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله. فان ألسنة الناس فيه مختلفة. وقَلَّ مَنْ يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مفخمة، ومنهم من يشمه الزاي. وكل ذلك لا يجوز والحديث المشهور على الألسنة (أنا أفصح من نطق بالضاد) لا أصل له ولا يصح». [٤٤]

وقال ابن الجزري أيضا في كتابه (التمهيد في علم التجويد): «اعلم أن هذا الحرف ليس في الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون في النطق به:

فمنهم من يجعله ظاء مطلقاً... وهم أكثر الشاميين وبعض أهل الشرق...

ومنهم من لا يوصلها الى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل الغرب.

ومنهم يخرجها لاماً مفخمة وهم الزيالع، [٤٥] ومن ضاهاهم.

واعلم ان هذا الحرف خاصة اذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر عليه بكلفة ولا بتعليم». [٤٦]

---

(٤٣) المفيد ١٠٨و، وانظر شرح الواضحة (له) ص ٦٢.

(٤٤) النشر ١/٢١٩-٢٢٠.

(٤٥) زيلع: قرية أو جزيرة في جهة اليمين وأطراف بلاد الحبشة (انظر: ياقوت: معجم البلدان ٢/٩٦٦ ط الاوربية ليبزج ١٨٦٧م).

(٤٦) التمهيد ص ٤٢-٤٣.

يمكن ان نلخص الافكار الرئيسية للنصوص السابقة في ما يأتي :

(١) الضاد صوت صعب الأداء، ومن ثم أخذت ألسنة الناس تنحرف في نطقه الى أصوات أخرى، ويبدو أن ذلك ظهر في القرون المتقدمة، حتى وجدنا عبد الوهاب القرطبي يصرح، في القرن الخامس، أن أكثر القراء ينطقونها ظاء. ثم يأتي ابن وثيق بعد قرن من ذلك ليقول: «وقلَّ مَنْ يحكمها في الناس». ثم يقول ابن الجزري في أواخر القرن الثامن: «ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه».

(٢) لم يتحول الضاد الى صوت واحد، بل نجد أن الناس نطقوا الضاد على أشكال مختلفة، وتتلخص في الأصوات الآتية:

أ ـ الظاء.

ب ـ اللام المفخمة.

جـ ـ الطاء (= الدال المفخمة في النطق المعاصر).

د ـ مزجها بالذال.

هـ ـ إشمامها الزاي.

وبعد هذه المرحلة تتخذ المناقشات التي تدور حول قضية الضاد اتجاهاً جديداً، وذلك حين بدأت تظهر مؤلفات مستقلة في الموضوع، أشرنا الى بعضها من قبل. وبين أيدينا كتابان من هذه المؤلفات وهما:

١ ـ بغية المرتاد لتصحيح الضاد ـ لعلي بن محمد المعروف بابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ).

٢ ـ كيفية أداء الضاد ـ لمحمد المرعشي الملقب ساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ).

ومن المناسب هنا تلخيص منهج هذين الكتابين، وتقديم فكرة موجزة عن مادتهما وتوضيح فكرة المؤلفَيْن عن نطق الناس للضاد في زمانهما ومدى علاقة ذلك النطق بالضاد العربية القديمة التي وصفها سيبويه.

أما (بغية المرتاد) فان المقدسي أوضح سبب تأليفه الكتاب وَبَيَّنَ منهجه فيه وذلك حين قال في المقدمة بعد الافتتاح: «لما رأيت بمحروسة القاهرة التي هي زين البلاد كثيراً من أفاضل الناس فضلاً عن الأوغاد يخرجون عن مقتضى العقل والنقل في النطق بالضاد... ثم شاع الانكار منهم علينا في كل ناد بين حاضرة وباد، فأردت مع طلب جمع[47] من الاخوان واشارة من بعض الأعيان أن أزيل الغين عن عين[48] الرشاد... وسميته بغية المرتاد لتصحيح الضاد.

وقبل الخوض في المرام لابد من تقرير الكلام وتحرير المقام، فَلْيُعْلَمْ أَنَّ أصل هذه المسألة أنهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالدال المفخمة والطاء المهملة، وينكرون على من ينطقون بها قريبة من الظاء المعجمة بحيث يتوهم بعضهم أنها هي، وليس كما توهمه. فنقول الكلام في اثبات ماانكروه منحصر في مقدمة فيما يجب أن نقدمه، وفصلين محيطين من الدلائل بنوعين وخاتمة لتنبيهات ودفع تمويهات».[49]

أما المقدمة فهي في بيان مخرج الضاد وما لها من الصفات.

وأما الفصل الأول فذكر فيه ما يدل بالمعقول على أن اللفظ بالضاد كالظاء المعجمة هو المقبول، وهي أدلة متعددة لاحت له بالنظر في المعقول. فذكر اثني عشر دليلا، تعطي مثالاً للبحث الصوتي الأصيل، ومن ثم رأيت من المفيد نقل زبد تلك الأدلة مختصرة مع المحافظة على عبارة المؤلف.[50]

---

(٤٧) في النسخة التي نعتمد عليها (مع جمع طلب) وما أثبته من نسخة مكتبة الأوقاف العامة في الموصل المرقمة (١٩/٣ مخطوطات جامع النبي شيت) ورقة ١١١ظ.

(٤٨) في النسخة التي نعتمد عيها (الغبن من غير) وما أثبته من نسخة مكتبة الاوقاف في الموصل المرقمة ٩/٣ مخطوطات جامع النبي شيت) ورقة ١١١ظ، وذلك لانه أوضح معنى.

(٤٩) بغية المرتاد ١ظ-٢ظ.

(٥٠) بغية المرتاد ٣ظ-٦ظ.

«الأول: أن علماء هذا الفن وغيرهم تعرضوا للفرق بينهما وبينوا الألفاظ التي تقرأ بالظاء والتي تقرأ بالضاد في مؤلفات مستقلة وغير مستقلة نظماً ونثراً. . . فياليت شعري لولا التشابه بينهما لفظاً والالتباس حتى خفي الفرق بينهما على كثير من الناس لِمَ كان هذا الجم الغفير يتعبون القلم ويسودون القرطاس؟!.

الثاني: ان الضاد ليست في لغة الترك بل مخصوصة باللغة العربية. . . دل عليه قول الاستاذ أبي حيان في كتاب له في اللغة التركية. . . اذا علم ذلك فليس مفقوداً في لغة الترك الا الضاد الشبيه بالظاء المعجمة. أما هذا الحرف الذي يشبه الدال المفخمة والطاء المهملة، الذي ينطق به أكثر المصريين ولنسمه[٥١] بالضاد الطائية[٥٢] فموجود في لغة الترك في أكثر ألفاظهم، كما يشهد به العارف في لغتهم بل السامع لكلامهم، والموجود غير المفقود، وبذلك يتم المقصود.

الثالث: أن الفقهاء ذكروا أحكام من يبدل الضاد ظاء. . . ولم يتعرضوا لأحكام من يبدلها بحرف غير الظاء، كما تعرضوا لأحكام من يبدلها به، فلولا التشابه بينهما لما كانوا يفعلون ذلك. . .

الرابع: أن بعض العلماء وصفها بالتفشي، ولا تفشي فيه. . .

الخامس: أنهم ذكروا أن من صفاتها النفخ. ويشاركها فيه الظاء والذال والزاي.[٥٣] ولا يتحقق ذلك الا بالضاد الشبيهة بالظاء. اما الضاد الطائية فلا توجد فيها هذه الصفة كما يشهد به من أحاط بالمقدمة[٥٤] معرفة. . .

السادس: أنهم ذكروا من صفاتها الاستطالة، كما مر ذكرها ومعناها (في المقدمة)، وهي المميزة لها عن الظاء، ولا يوجد في الضاد الطائية الاستطالة.

---

(٥١) في الاصل (ولنسميه).

(٥٢) (الطائية) نسبة الى حرف الطاء، لا الى قبيلة طَيِّئ.

(٥٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٧٤.

(٥٤) يقصد مقدمة كتابه (بغية المرتاد) التي وضح فيها مخرج الضاد وصفاتها.

السابع : أنهم ذكروا من صفاتها الرخاوة، وهذا شديد، الدلالة عند من ليس عنده غباوة، فانه لا رخاوة فيها الا اذا أتت شبيهة بالظاء. اما الضاد الطائية فمشوبة بالدال والطاء المهملة، وكل منهما حرف شديد فكذا ما هو بينهما، بل من عرف معنى الشدة والرخاوة وقدمناهما في المقدمة يجد هذا الحرف متصفاً بالشدة قطعاً، مع قطع النظر عن الدال والطاء.

الثامن : أن هذا الحرف صعب على اللسان، نص على ذلك علماء هذا الشأن. . . فاذا كانت الضاد العربية بهذه المرتبة من الصعوبة، وانت ترى أن لا صعوبة في الضاد الطائية بل هي في غاية (السهولة)[55] على اللسان، يستوي في النطق العالم والجاهل، والفارس في هذا العلم والراجل، فانك تعلم بأن الضاد الطائية بعيدة عن الضاد العربية بمراحل.

التاسع : ان المخرج المنصوص عليه للضاد في الكتب المعروفة المتداولة ليس الا للضاد الشبيهة بالظاء المعجمة لا للطائية، فانهم قالوا في معرفة مخرج الحرف أن تسكنه وتدخل عليه همزة، وتنظر أين ينتهي الصوت، فحيث انتهى فثم مخرجه، مثلا نقول (إبْ) فتجد الشفتين قد أطبقت احداهما على الاخرى، وهو مخرج الباء، وانت اذا نطقت بالضاد الطائية وفعلت ما تقدم ذكره لا تجد الصوت ينتهي الا الى طرف اللسان وأعلى الحنك، وهو مخرج الدال والطاء والتاء. ولم نر أن أحداً ذكر أن مخرج الضاد من هذا المحل، بل ما ذكرناه لها من المخرج مذكور في كتب لا تحصى في علم القراءات وعلم النحو. . .

فان قيل : نحن نروي هذه الضاد الطائية بالمشافهة عن الشيوخ الراوين عن شيوخهم بالاسناد المتصل بأئمة القراء البالغ الى النبي - ﷺ - قلنا لا عبرة بالرواية المخالفة للدراية، اذ شرط قبول القراءة أن توافق العربية، وقد بينا مخالفتها لما تواتر في كتب العربية والقراءات. . .

(٥٥) في الاصل (الصعوبة). وفي نسخة مكتبة الاوقاف في الموصل (السهولة) وهو الذي يناسب السياق.

العاشر: أن من أوصافها (الشجرية) لقبها بها صاحب القدر الجليل امام النحو الخليل. (٥٦) ولا يتأتى ذلك الا اذا كانت شبيهة بالظاء، فان الضاد الطائية تخرج من طرف اللسان لا من شجر الفم. . .

الحادىعشر: قولهم في صفة الاطباق: ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، اذ لا يخرج من موضعها غيرها. وهذا نص كلام الاستاذ أبي حيان في شرح التسهيل، ومثله في شرح المفصل لابن يعيش. (٥٧) وهذا كما ترى يخص الضاد الشبيهة بالظاء، أما الطائية فتخرج من مخارج الحروف النطعية، كما يشهد به الحس والقاعدة المعروفة في معرفة مخرج الحرف، فلوكانت الطائية عربية لوصفت بالنطعية، كما وصفت أخواتها، ولقالوا: لولا الاطباق لصارت الضاد دالا، بدل قولهم لخرجت من الكلام، كما لا يخفى عن ذوى الافهام.

الثاني عشر: أن أهل مكة التي هي منشأ النبي ـ ﷺ ـ الذي هوسيد العرب، وما والاها من بلاد الحجاز التي هي محل العرب وموطنهم انما ينطقون بالضاد شبيهة بالظاء المعجمة، ولا يسمع من أحد منهم هذه الطائية، وهم نعم المقتدى لمن رام في هذا السبيل الاهتداء».

ثم «الفصل الثاني: فيما يدل بالتصريح على أن التلفظ بالضاد شبيهة بالظاء هو الصحيح، وهو المنقول من كلام العلماء الفحول المتلقى كلامهم بالقبول». (٥٨) وقد أورد المؤلف في هذا الفصل اثني عشر نصا، عن كبارعلماء العربية والتجويد، وهذه النصوص مهمة لانها منقولة عن كتب بعضها مفقود وبعضها لا يزال مخطوطاً، ولكني أعرضت عن تقصيها خشية الابتعاد عن أصل الموضوع.

---

(٥٦) انظر: العين ١/ ٥٨.

(٥٧) شرح المفصل ١٠/ ١٢٩ ولم نتمكن من الاطلاع على مخطوطة كتاب شرح التسهيل لابي حيان، وأصل القول لسيبويه في الكتاب ٤/ ٤٣٦.

(٥٨) بغية المرتاد ٦ظ.

«وأما الخاتمة ففيها تنبيهات رافعة لتمويهات. الاول: أنه ليس مرادى بكون الضاد شبيهة بالظاء وقريبة منها كونها ممزوجة بها غاية الامتزاج، بحيث يخفى الفرق بينهما على المجيد لفن التجويد...»[٥٩]. ثم ذكر في الثاني الرد على قول من فسر (الشجر) بمجمع اللحيين عند العنفقة، ورجح التفسير المنقول عن الخليل للشجر بأنه مفرج الفم.[٦٠] ثم ذكر في الثالث: الرد على قول من فسر صعوبة الضاد العربية بصعوبتها على العجم والترك ونحوهم ممن سوى العرب، أما على أمثاله من العرب فلا صعوبة فيها.

وختم هذه التنبيهات بقوله: «ان من ينطق بالضاد من مخرجها الخالص مع صفاتها المميزة لها حتى عن الظاء فهو في أعلى مراتب النطق بها ومن الفصاحة. ودونه من ينطق بها من مخرجها مشوبة بالظاء لكن من مخرجها وبينهما نوع فرق. ودونه من ينطق بها ظاء خالصة، ومن يشمها الذال، ومن يشمها الزاي، ومن يجعلها لاماً مفخمة، وكذا من ينطق بالضاد طائية، فهو من أسفل مراتب النطقية بالنسبة الى من سبق ذكره...»[٦١]. وختم المؤلف الكتاب بنبذة من أقوال الفقهاء في صلاة من يبدل حرف الضاد. وقد استغرق الكتاب عشر ورقات في نسخة مكتبة المتحف ببغداد.[٦٢]

يحتل هذا الكتاب مكانة خاصة في بحث مشكلة الضاد، فعمر هذا الكتاب اليوم أكثر من أربعمائة سَنة، ويتميز أسلوبه بالبعد عن الجدل المنطقي وإعتماد أسلوب النقاش العلمي، مع تعمق في فهم الظواهر الصوتية المتعلقة بالضاد، ويلزم التوكيد على بعض القضايا التي وردت في الكتاب مثل:

(١) سَجَّلَ المؤلف النطق الشائع في عصره لصوت الضاد، فأهل مصر ينطقون بها دالًا مفخمة ممزوجة بالطاء، وسماها المؤلف الضاد الطائية، وأهل مكة

---

(٥٩) بغية المرتاد ٧ظ ـ ٨و.

(٦٠) انظر: العين ١/٥٨.

(٦١) بغية المرتاد ٩و-٩ظ.

(٦٢) رقمها في المكتبة (١١٠٦٨/٧).

والحجاز ينطقون بالضاد شبيهة بالظاء. ويفهم من كلام المؤلف انه لا يزال هناك من ينطق بالضاد العربية في زمانه.

(٢) حدد المؤلف مخرج وصفات الضاد الطائية التي ينطق بها أهل مصر (راجع الدليل ٩ و١١). فقد أدرك أنها من مخرج الطاء والدال والتاء، وأدرك أنها الصوت المطبق المقابل للدال، حيث قال: «ولقالوا: لولا الاطباق لصارت الضاد دالا».

ولا يتضح من كلام المؤلف صفة الطاء في زمانه، فهو من جانب يسمي ضاد المصريين بالضاد الطائية. وهو من جانب آخر يقول: «لولا الاطباق لصارت الضاد دالا» يعني ضاد المصريين. وهو أمر قد يشير الى أن الطاء في زمانه فقدت صفة الجهر وصارت تمثل الصوت المطبق المقابل للتاء. والا فمن غير المعقول ان يتطابق صوت الطاء والضاد في نطق أهل مصر في زمن المؤلف. وذلك لان الضاد الجديدة تمثل صوت الطاء العربية القديمة، التي تركت موقعها لتحل في محل الصوت المطبق للتاء الذي كان مفقودا في العربية. ويمكن الرجوع الى حديثنا السابق عن موضوع وصف الطاء بالجهر، والنظر في الجدولين اللذين أثبتناهما هناك، وهما يمثلان النطق القديم والنطق الحديث لصوتي الطاء والضاد، وينطبقان على الموضوع الذي نتحدث عنه هنا تماما.

والواقع ان كلام المحدثين عن العلاقة الصوتية بين الضاد والطاء لم يتجاوز ما قرره المقدسي في كتابه (بغية المرتاد) الا ما يدخل في باب زيادة التوضيح والتفسير للقضايا الأساسية في الموضوع.[٦٣]

. أما كتاب محمد المرعشي (كيفية أداء الضاد) فانه يأتي بعد تأليف كتاب المقدسي بمائة وخمسين سنة تقريبا، اذا أخذنا تاريخ وفاة المؤلفين بنظر الاعتبار.

---

(٦٣) وازن بين كلام المؤلف وبين ما قاله الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه الاصوات اللغوية ص ٦٣-٦٤ والدكتور كمال محمد بشر في كتابه علم اللغة العام: قسم الاصوات ص ١٣١ و١٣٤.

وهـو أصغـر حجمـاً، اذ لا يتجـاوز أربع ورقات. [٦٤] وجاءت مادته مؤكدة لاتجاهات كتـاب (بغيـة المـرتاد) للمقدسي، وذلك بالنص على أن نطق الضاد شبيهة بالطاء لا يمثـل صوت الضـاد العربية القديمة التي وصفها العلماء في كتبهم. وأن نطق الضاد شبيه بالظاء أقرب الى النطق الصحيح من نطقها شبيهة بالطاء.

وتتكون الرسالة من مقدمة ومقصد وخاتمة. أما المقدمة فهي في توضيح صفات الضاد الصوتية وبيان علاقتها ببعض الأصوات. «وأما المقصد فهو أن ما شاع في أكثر الاقطـار من تلفـظ الضـاد المعجمـة كالطـاء المهملة في السمع بسبب اعطائها شدة وإطبـاقـا أقـوى كاطباق الطاء وتفخيماً بالغاً كتفخيمها خطأ بوجوه». [٦٥] ثم ذكر سبعة وجوه تتعلق بصفات الضاد القديمة، وما يؤدي اليه نطقها طاء من الاخلال بتلك الصفات.

وقال المرعشي بعد ذلك: «إنّ جعل الضاد المعجمة طاء مهملة مطلقاً أعني في المخـرج والصـفـات لحن جلي وخطأ محض وكـذا جعلهـا ظاء مطلقاً، لكن بعض الفقهاء قال بعدم فساد صلاة[٦٦] من جعلها ظاء معجمة مطلقا لتعسر التمييز بينهما، فهو أهون الخطأين». [٦٧]

أمـا الخـاتمـة ففي دفـع ما عسى ان يورد على المقصـد، ناقش فيها العلاقة بين الضـاد والظـاء والطـاء من حيث الجهـر والاطبـاق والاستعلاء، وقال: «وبالجملة ان الضاد أشبه بالظاء المعجمة». وبحث في الخاتمة موضوعات اخرى مثل اجابته على هذا السؤال «فـان قلت: فكيف شاع التقصيـر في أكثـر الاقطار؟ قلت: ألم تسمع ما قاله صاحب الرعاية: التحفظ بلفظ الضاد المعجمة أمر يقصر فيه أكثر من رأيت...

---

(٦٤) يتكون بالضبط من سبع صفحات حسب مخطوطة مكتبة المتحف ببغداد المرقمة (٦/١١٠٦٨).

(٦٥) كيفية أداء الضاد ٢و.

(٦٦) (صلاة) ساقطة من الاصل، وهي ضرورية لاقامة النص.

(٦٧) كيفية أداء الضاد ٢ظ.

وذلــك في تاريــخ أربعمـائـة وعشـرين، وزمـاننـا هذا أحق بالتقصيـر، فلعـل غلط المصريين قد شاع . . . »[٦٨]

ولم يكتف المرعشي بما أورده في رسالته عن موضوع الضاد، فعاد الى مناقشته مرة اخـرى في كتـابـه (جهد المقل) ولا نعلم مقدار ما أضافه الى الموضوع في كتابه (بيـان جهـد المقـل) لان نسختـه المخطـوطـة المحفوظة في مكتبة المتحف ببغداد ناقصة، ولم نحصل على غيرها.

وقـد ناقش المـرعشي موضـوع الضاد في المقالة الثانية من المقالتين اللتين ختم بهما بحث الصفات في كتابه (جهد المقل)، فقد بحث في تلك المقالة بيان الفرق بين بعض الحروف المتشابهة مثل (ط د ت) و(ص س ز) ثم (ض ظ ذ)، وختم هذه المقـالـة بفصلين وخـاتمـة، بحث في الفصل الاول العلاقة بين الضاد والطاء، وفي الفصـل الثـاني وضـح حقيقـة الضاد الضعيفة. وبحث في الخاتمة درجات الاطباق والتفخيم في (ض ط ظ).

قال المـرعشي في الفصـل الاول: «ليس بين الضـاد المعجمـة والطـاء المهملة تشـابـه في السمـع . . . فما اشتهر في زماننا هذا من قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فهو عجب لا يعرف له سبب». [٦٩] وقال: «قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فيها مفاسد:

الاول: أنه يلزم اعطاء الشدة للضاد، مع انه رخو.
والثاني: أن الاستطالة امتداد الصوت فتفوت حينئذ.
والثالث: أن في الضاد تفشياً قليلاً فيفوت حينئذ أيضا». [٧٠]

وقال المرعشي في آخر الخاتمة موضحاً تصوره لصفات الضاد العربية الأصيلة: «فـان لفظت بالضـاد بأن جعلت مخـرجهـا حافـة اللسان مع ما يليها من الأضراس،

---

(٦٨) المصدر نفسه ٣و.

(٦٩) جهد المقل ٢٠ظ.

(٧٠) جهد المقل ٢١و.

بدون إكمال حصر الصوت، وأعطيت لها الاطباق والتفخيم الوسطين، والرخاوة والجهر والاستطالة والتفشي القليل، فهذا هو الحق المؤيد بكلمات الأئمة في كتبهم، ويشبه صوتها حينئذ صوت الظاء المعجمة بالضرورة، وماذا بعد الحق الا الضلال. ولإشكال أمر الضاد أطنبت في الكلام، وقد أفردت لها رسالة». (٧١)

أما الضاد الضعيفة فهي نوع من انواع الضاد التي لم تستوف صفات الضاد العربية كاملة. وكان سيبويه أول من تحدث عن هذه الضاد، وذلك حيث قال: «وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين الا بالمشافهة. الا أن (الضاد الضعيفة) تتكلف من الجانب الأيمن، وان شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الاطباق مع إزالته عن موضعه. وانما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار الى الموضع الذي في اليمين. وهي أخف لأنها من حافة اللسان، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حيث تخالط حروف اللسان، فسهل تحويلها الى الأيسر لانها تصير في حافة اللسان في الأيسر الى مثل ماكانت في الأيمن، ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان، كما كانت كذلك في الأيمن». (٧٢)

وتحدث السيرافي عن الضاد الضعيفة، حيث يقول: «وأما الضاد الضعيفة فانها في لغة قوم ليس في لغتهم ضاد، فاذا احتاجوا الى التكلم بها في العربية اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء، (٧٣) لاخراجهم إياها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد فلم يتأت لهم، فخرجت بين الضاد والظاء. وفي كتاب ابي بكر مبرمان: الضاد الضعيفة: يقولون في (اثرد له): (اضرد له)، يقربون الثاء من الضاد». (٧٤)

---

(٧١) جهد المقل ٢١ظ. وهو يشير هنا الى رسالته (كيفية أداء الضاد).

(٧٢) الكتاب ٤٣٢/٤.

(٧٣) في شرح المفصل (١٢٧/١٠) لابن يعيش (طاء) بالمهملة، وهو تصحيف.

(٧٤) انظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٥ظ، والاستراباذي: شرح الشافية ٢٥٦/٣=

ونـاقش أبـو حيـان الأندلسي قضية الضاد الضعيفة في كتابه (ارتشاف الضرب). فقـال وهـو يتحدث عن الحروف الفرعية المستقبحة: «وضاد ضعيفة، قال الفارسي: اذا قلت: ضربـه، ولـم تشبـع مخـرجهـا ولا اعتمـدت عليـه ولكن تخفف وتختلس فيضعف إطباقها.

وقال ابن خروف: هي المحرفة من مخرجها يميناً وشمالاً، كما ذكر سيبويه.

وقال مبرمان: يقربون الثاء من الضاد، وذلك في لغة قوم ليس في أصل حروفهم الضـاد، فاذا تكلفـوهـا ضعف نطقهم بها، وكذا قال ابن عصفور،[75] ومثّل بقوله في اثرد ذلك: اضرد ذلك.

وفي تفسير الضاد الضعيفة بهذا، وفي تمثيله نظر، والذي يظهر أن الضاد الضعيفة هي التي تقرب من الثاء عكس ما قال مبرمان وابن عصفور. فنقول في اضرب زيدا: اثرب زيدا بين الضاد والثاء».[76]

فالضـاد الضعيفـة اذن هي الضـاد التي لـم تستـوفْ صفـات الضـاد العـربية التي وصفها سيبويه، ويبدو أن هذا المصطلح (الضاد الضعيفة) لم يعد يطلق على صوت محـدد، فاذا كان سيبـويـه قد أطلقـه على صوت محـدد فاننـا نجـد العلمـاء بعـده يستخدمونه للاشارة الى أكثر من صوت، وذلك على حسب ما تؤول اليه الضاد، سواء كان ذلك الصوت ظاء، أو بين الضاد والظاء، أو بين الضاد والثاء.

وخـلاصـة القـول في موضوع الضـاد هي أن الضـاد العربية القديمة التي وصفها سيبويه بأنها من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس، رخوة مجهورة مطبقة، لم تعـد تنطق منـذ أمـد بعيد، وأنها آلت منذ قرون الى عدة أشكال، كل شكل يستخدم في جهة من جهات البلدان التي تتكلم العربية. وان أشهر تلك الاشكال نطق الضاد

= وهذا النص موجود في شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٦/٤٤٩ لكنه كثير التصحيف فاثبته من المصادر الاخرى.

(٧٥) انظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف ٢/٦٦٦.

(٧٦) ارتشاف الضرب ص ٤.

ظاء كما في العراق، ونطقها دالا مفخمة كما في مصر،[٧٧] وان هذه الدال المفخمة تمثل الطاء العربية القديمة المجهورة، التي صارت منذ أمد مهموسة (= تاء مطبقة). فخرجت من اللغة العربية اذن الضاد القديمة، ودخلت الطاء الحديثة. وانتقلت الطاء القديمة لتمثل نطق الضاد في بعض البلاد العربية. وقد كان علماء التجويد مدركين بشكل عام لهذا التطور الذي تشير اليه النصوص المدونة في الكتب ويشهد له واقع الاستخدام اللغوي اليوم. ويمكن أن يثار ها هنا سؤال عن أسباب هذا التحول الفريد في أصوات اللغة العربية، ولكننا لا نملك وسائل الاجابة عن هذا السؤال الآن..

(جـ) قضية الجيم:

وصف علماء العربية وعلماء التجويد الجيم بأنه صوت شديد مجهور، يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.[٧٨] ونحن نعتقد أن هذا الوصف صحيح في جملته، ولا يزال ينطبق على الجيم التي ينطقها مجيدو قراءة القرآن الكريم ومن يتابعهم في نطقها.

وكان ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) قد بَيَّنَ الصور السائدة لنطق الجيم في زمانه، التي كانت تسمع من متكلمي العربية، وحدد الجيم الفصيحة التي ينبغي أن يلتزم القارئ بها في نطقه، وذلك حيث قال: «والجيم يجب أن يُتَحَفَّظَ باخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها، فينتشر بها اللسان، فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من أهل الشام ومصر. وربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس، وهو موجود كثيراً في بوادي اليمن».[٧٩]

وابن الجزري يريد بقوله (ممزوجة بالشين) الشين المجهورة، وهي التي تنطق

---

(٧٧) انظر: جان كانتينو: دروس ص ٨٧.

(٧٨) انظر سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣، والداني: التحديد ٢٨ظ، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٦٠ظ.

(٧٩) النشر ١/٢١٧.

في بلاد الشام في زماننا كما كانت تنطق في زمن ابن الجزري، وكذلك يريد بقوله (ممزوجة بالكاف) الكاف المجهورة التي تنطق في مصر وتعرف بالجيم القاهرية. ولا يزال هذا الوصف لنطق الجيم ينطبق على نطقها في عصرنا.(٨٠)

ولم نكن نريد أن نخص الجيم بكلمة مستقلة لولا أن بعض دارسي الاصوات العربية المحدثين أثار قضية (الصوت المركب) الذي يجمع بين الشدة والرخاوة في نطقه، وجعل الجيم العربية الفصيحة مثالا له. فقد لوحظ أن انفصال وسط اللسان عن الحنك الأعلى في أثناء النطق بهذا الصوت لا يحدث فجأة كما في نطق الأصوات الشديدة، بل يتم الانفصال ببطء، فيعطي الفرصة للنَّفَس بعد الانفجار ليحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكاً شبيهاً بما يحدث أثناء النطق بالجيم الشامية، ومن ثم سمي مركباً.(٨١)

وعدل بعض المحدثين عن استخدام مصطلح الصوت المركب، وسمى الجيم صوتا قليل الشدة، وذلك حيث يقول: «فاذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئاً سمع صوت يكاد يكون انفجارياً، هو الجيم العربية الفصيحة. فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلاً منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتاً قليل الشدة».(٨٢)

وذهب بعض المحدثين الى أن انتاج صوت كامل الشدة (الانفجار) بين وسط اللسان وما يقابله من سقف الحنك أمر صعب، إذ لابد أن يلحق ذلك الصوت أثارة من رخاوة، والمتوقع أن تكون تلك اللاحقة الصوتية بعد حدوث الانفجار كما يشهد الحس لذلك، وهو ما ذهب اليه جمع من المحدثين.(٨٣) لكن ذهب بعضهم الى عكس ذلك، وهو أمر لا نجد له من واقع النطق أو أقوال العلماء ما يؤيده. وإن كان

---

(٨٠) انظر: كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٥، وجان كانتيو: دروس ص ٨٩.

(٨١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٢، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٠٣-١٠٤، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٠-١٦١.

(٨٢) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٧٩.

(٨٣) محمود السعران: علم اللغة ١٨٢، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٠، وعبد الصبور شاهين: التطور اللغوي ص ٢١٦.

موقفه يفسر لنا عدّ المتقدمين للجيم العربية الفصيحة صوتاً شديداً (انفجارياً)، يقول: «وأنت اذا حاولت أن تنتج صوتاً انفجارياً من منطقة الغار (أي الحنك الصلب أو وسط الحنك) سواء كان مهموساً أو مجهوراً، ستسمع صُوَيْتاً اخر يسبقه مما يجعلك تسمع الصوت مركباً. والتركيب هنا ليس مقصوداً، وانما ينتج بصورة آلية حين يحاول المرء قفل المجرى باحكام في هذه المنطقة ثم تفجيره... فالقدماء حين نظروا الى قفل المجرى عدوا الصوت انفجارياً. والمحدثون حين نظروا الى الصويت الذي يسبق النطق عدوا الصوت مركباً».

«وهذا التفسير يؤدي بنا الى أن نلغي ما يسمى بالصوت المركب في اللغة العربية، ويجعلنا ننظر الى الجيم الفصحى القديمة والحديثة على أنها المقابل الانفجاري المجهور للشين... فعندنا اذن ثلاثة أنواع من الأصوات يمكن أن تسمى:

(أ) الشين الاحتكاكية المهموسة.

(ب) الشين الانفجارية المهموسة.

(جـ) الشين الانفجارية المجهورة.

وأولاها هي الشين العادية. وثانيتها هي التي تظهر في الكشكشة، وثالثتها هي الجيم الفصحى». (٨٤)

ولدينا ثلاث ملاحظات على هذا النص هي:

الاولى: يبدو أن الذي يناسب التحديد الذي قدمه علماء الاصوات المحدثون للجيم حين قالوا انها صوت مركب هو أن تستبدل كلمة (يسبقه) و(يسبق) الواردة في النص بكلمة (يتبعه) و(يتبع). ففي حدود الكلام عن الجيم العربية الفصيحة نجد أن الصويت الاحتكاكي الذي يحدث في أثناء نطق الجيم يتبع الانفجار وليس يسبقه.

---

(٨٤) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٩١-٢٩٢.

الثانية: ما ورد في النص من قولـه: (فعندنا ثلاثة أنواع من الاصوات) كان ينبغي أن يقـال (أربعـة أنواع) ويضاف الى الثلاثة (الشين الاحتكاكية المجهورة) وهي الجيم الشامية.

الثالثة: أجـد أن التعبيـر الأكثـر وضـوحـاً عن الأصـوات الثلاثة المذكورة في النص، والصوت الرابع المشار اليه في الملاحظة السابقة هو:

١ ـ الشين الاحتكاكية المهموسة (الشين العربية).

٢ ـ الشين الاحتكاكية المجهورة (الجيم الشامية).

٣ ـ الجيم الانفجارية المجهورة (الجيم العربية الفصيحة).

٤ ـ الجيم الانفجـاريـة المهموسة (صوت الكشكشة)[٨٥] الذي لا يزال يستخدم في العـربيــة الــدارجــة في العـراق بدل كاف التأنيث، وبـدل الكـاف في بعض الكلمـات، مثـل (كـان) في نطق بعض النواحي القروية، ويستخدم للتعبير عنه رمز الجيم المنقوطة من أسفل ثلاثا: (چ).

وصرح أحد علماء الأصوات الاوربيين المعاصرين بقوله: «ولعل من المهم هنا أن نشيـر الى أن عدداً من علمـاء الأصـوات يرفضـون الاعتـراف بالطبيعـة المـركبـة للأصوات المرموز اليها في الانكليزية بـ ch أو J ويفضلون أن ينظروا اليها باعتبارها المقـابـل الانفجـاري للغاري الاحتكاكي المرموز اليه في الانكليزية بـ SH و S في Measure»[٨٦]: والرموز اللاتينية في هذا النص تمثل الأصوات الاربعة المذكورة في الفقرة السابقة على هذا النحو ch =رقم ٤، J =رقم ٣، sh =رقم ١، S =رقم ٢.

واذا كان الأمـر كذلـك فلا يعـد اهمال علماء العربية وعلماء التجويد الاشارة الى الطبيعة المركبة لصوت الجيم أمراً خطيراً ولا نقصاً كبيراً، ما دام عدد كبير من علماء

---

(٨٥) هنـاك جدل بين علمـاء الأصـوات في تفسيـر صوت الكشكشـة، فذهب بعضهم إلى أنـه إلحـاق شين خالصـة بكـاف المؤنثـة (كِش). وذهب بعضهم الى أنه إبدال مهموس الجيم الفصيحـة (چ) بصـوت الكـاف (انظـر التفصيـل: حسـام النعيمي: الـدراسـات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ١٤٧ـ١٥١).

(٨٦) ماريو پاي: أسس علم اللغة ص ٨٥.

الأصوات المحدثين يرفضون الاعتراف بالطبيعة المركبة لذلك الصوت، وما دام بعضهم يميل الى إلغاء ما يسمى بالصوت المركب.

ومن ثم فلا داعي اذن لكد الذهن في اختراع التفسيرات لوصف علماء العربية وعلماء التجويد للجيم بأنه صوت شديد، كما فعل بعض المحدثين حتى ذهب الى حد ترجيح أن يكونوا وصفوا صوتاً آخر هو الجيم القاهرية التي تخرج من أقصى الحنك، وهي النظير المجهور لصوت الكاف العربية، واستراح الى هذا التفسير باعتبار أن الجيم القاهرية صوت شديد.(٨٧)

واذا كان هذا الباحث، حين رجح أن يكون علماء العربية وصفوا الجيم القاهرية اذ قالوا ان الجيم صوت شديد، قد حل عقدة الصوت المركب التي يذهب اليها في وصف الجيم العربية الفصيحة، وهو أمر كما لاحظنا موضع جدل بين علماء الأصوات ويمكن التغاضي عنه - فانه وقع في مشكلة أكبر من جراء ذلك الترجيح، لأن علماء العربية يقررون أن مخرج الجيم من وسط اللسان مع ما يليه من وسط الحنك، لكن الجيم القاهرية، التي يذهب الى أنهم وصفوها حين تحدثوا عن صوت الجيم، تخرج من أقصى اللسان، من موضع الكاف. ولم يكن علماء العربية وعلماء التجويد ليقولوا: ان الجيم تخرج من وسط اللسان وهم يريدون الجيم القاهرية التي تخرج من أقصى اللسان، فهذا الغلط لا يقع فيه المبتدئون بدراسة علم الاصوات، فكيف بعمالقة هذا العلم من علماء العربية وعلماء التجويد من أمثال سيبويه وعبد الوهاب القرطبي ومحمد المرعشي، وعشرات غيرهم.

وبعد أربع صفحات من النقاش حول الصوت المركب أجهد خلالها هذا الباحث المعاصر نفسه في جمع الادلة لتدعيم نظريته في أن الجيم القاهرية هي التي وصفها علماء العربية وعلماء التجويد في أبحاثهم، عاد في آخر الصفحة الخامسة ليعالج المشكلة التي وقع فيها من جراء نظريته المذكورة، وذلك من طريق سهل لكنه غير علمي، فقال ان هؤلاء العلماء اختلط عليهم الأمر، ثم يختم كلامه بأربعة أسطر يعود

(٨٧) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٢.

فيها الى النهج الصحيح، فيهدم كل ما أتى به لترجيح نظريته، اسمع اليه وهويقول، ونحن مضطرون لايراد نص كلامه حتى لا يُتَصَوَّرَ أننا نؤول كلامه لنصرفه الى غير جهته: «وبالرغم من أن وصف علماء العربية للجيم ينطبق أكثر ما ينطبق على الجيم القصية الانفجارية (الجيم القاهرية) نلاحظ أنهم نسبوها الى منطقة أخرى، هي تلك التي تخرج منها الشين والياء، وهي (وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى). وهذه المنطقة هي في الحقيقة منطقة الجيم القرشية لا الجيم القاهرية. ويكون معنى هذا أن هؤلاء العلماء اختلط عليهم الأمر فنسبوا خواص الصوتين (الجيم القاهرية والجيم القرشية) الى صوت واحد، هو ما تكلموا عنه ووصفوه بهذه الطريقة غير الدقيقة».

«على أنه اذا كان المقصود هو الجيم القرشية حقيقة فيكون نسبتهم لها الى هذه المنطقة سليماً ومقبولاً، اذ الجيم القرشية والشين لثويتان ـ حنكيتان، أوهما من وسط الحنك فعلاً، كما يرى بعض الدارسين، ومن ثم ضموا الياء اليهما، وهي من وسط الحنك بدون شك» (٨٨)

ولا يعنينا هنا البحث في الاصل القديم للجيم العربية هل هو الجيم القاهرية أو الجيم القرشية (الفصيحة) أو الجيم الشامية. (٨٩) لأننا على يقين كامل من أن الجيم التي كان يستخدمها جمهور العرب وقت نزول القرآن هي الجيم التي ينطقها قراء القرآن وكثير من الناطقين بالعربية اليوم، وهي التي تحدث عنها علماء العربية وعلماء التجويد، ووصفوها بأنها صوت شديد انفجاري يخرج من وسط اللسان مع ما يليه من الحنك الاعلى. (٩٠)

---

(٨٨) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٥-١٦٦.

(٨٩) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٨٠-٨٤، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٢-١٦٥.

(٩٠) يمكن الاطلاع على مزيد من تفصيلات هذا الموضوع في بحث (قضية الجيم في اللغة العربية) مجلة الاقلام العراقية، العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة ١٩٧٨، ص ١٨٢-١٨٧. وهو لكاتب هذا البحث.

٣ ـ الاطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال، والترقيق والتفخيم:

الاطباق والانفتاح صفتان متقابلتان، مثل الجهر والهمس، تميزان بين عدد من الأصوات المتحدة المخرج، ويرجع أساس هذا التقسيم الى ما ذكره سيبويه في الكتاب، وذلك حيث قال، وهو يتحدث عن صفات الحروف: «ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء. والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه الى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة اذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه الى الحنك، فاذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الى موضع الحروف. وأمّا الدال والزاي ونحوهما فانما ينحصر الصوت اذا وضعت لسانك في مواضعهن.

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان. وقد بُيِّنَ بحصر الصوت. ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لانه ليس شيء من موضعها غيرها». [١]

وقول سيبويه (ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا) مبني على أن الطاء كانت مجهورة في عصره. أما اليوم فان الذي يطابق النطق السائد للطاء هو القول: (ولولا الاطباق لصارت الطاء تاء). وكذا الأمر بالنسبة للضاد، فان سيبويه يتحدث هنا عن الضاد العربية القديمة أما الضاد التي تنطق في زماننا فهي اما النظير المطبق للدال، كما في نطق المصريين، واما النظير المطبق للذال، اي انها تماثل الظاء تماماً، كما في العراق. وقد فرغنا من الكلام عن هذه القضية من قبل عند الكلام عن الجهر والهمس والشدة والرخاوة.

وقد زعم جان كانتينو أن تحديد سيبويه للاطباق والانفتاح الذي تضمنه النص السابق (بعيد عن الوضوح). [٢] وهذا رأي مبالغ فيه جداً، فلو أنا وازنا بين كلام

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٢) دروس ص ٣٦. وانظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣١٨.

سيبويه عن المطبق والمنفتح وبين قول المحدثين في وصف ما يحدث للسان في أثناء النطق بالصوت المطبق: «يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه[٣] لوجدنا أن كلام سيبويه أقرب الى الوضوح. ولا أحسب أن المستشرق الالماني أ. شاده لم يكن جاداً حين قال عن كلام سيبويه السابق: «هذا التعريف من الوضوح بحيث يستغني عن التفسير. وما أصوب قول سيبويه: (ان هذه الاربعة لها موضعان من اللسان)، فان الناطق بالصاد مثلا لا يكتفي بوضع طرف لسانه على لثته كما يفعل في السين، ولكن في نفس الوقت يقرّب الجزء الأخير من لسانه الى ما يحاذيه من الحنك، وإن كان لا يمسه». [٤]

وتابع علماء التجويد سيبويه في تعريف الصوت المطبق والصوت المنفتح، فقال مكي (ت ٤٣٧هـ): «وانما سميت بحروف الاطباق لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح الى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم». [٥] وقال: «وانما سميت بالمنفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح الى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك». [٦]

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «والاطباق أن ترفع ظهر لسانك الى الحنك الاعلى مطبقا له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك الى مواضعهن... والانفتاح لا تطبق ظهر لسانك برفعه الى الحنك فلا ينحصر الصوت». [٧]

ويلاحظ هنا أن سيبويه وعلماء التجويد الذين اقتبسنا عنهم النصوص السابقة لم يذكروا بشكل صريح ما ذكره المحدثون من تقعر اللسان عند النطق بهذه الحروف

---

(٣) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٧، ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٦٨.

(٤) علم الاصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٤.

(٥) الرعاية ص ٩٨.

(٦) الرعاية ص ٩٨-٩٩.

(٧) الموضح ١٥٦ظ. وانظر: الداني: التحديد ١٨و.

وذلك باتصال طرف اللسان بمواضعهن مع تصعد أقصى اللسان نحو الحنك، وانما اكتفوا بالاشارة الى انطباق ظهر اللسان على الحنك الأعلى. الا أن هناك عالمين نصا على هذه الظاهرة، احدهما من علماء العربية والآخر من علماء التجويد. فقد قال الاستراباذي: «فيصير الحنك كالطبق على اللسان». [٨] وقال المرعشي: ان اللسان يكون (مقوساً) عند النطق بالصوت المطبق. [٩] وهذا يدل على ادراكهما حالة التقعر التي يكون عليها اللسان عند النطق بتلك الأصوات الاربعة.

وكان علماء التجويد على معرفة تامة بدور ظاهرة الاطباق في التمييز بين الأصوات، فرددوا ما قاله سيبويه: «ولولا الاطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام». [١٠] وحاولوا توضيح هذه الظاهرة، مثل قول مكي: «ويجب أن تعلم أن الظاء تشبه في لفظها أيضا الذال. فاذا أزلت لفظ الاطباق من الظاء صارت ذالاً، كذلك لو زدت لفظ الاطباق في الذال لصارت ظاء. وانما كان ذلك كذلك لأن الظاء والذال من مخرج واحد، وهما مجهوران، ولولا الاطباق والاستعلاء اللذان في الظاء لكانت ذالاً». [١١]

ويلاحظ الدارس أن علماء العربية وعلماء التجويد يتحدثون عن صفات صوتية أخرى لها صلة وثيقة بظاهرتي الاطباق والانفتاح، وهي ما عبروا عنه بالاستعلاء والتسفل، والتفخيم والترقيق. وهذه مصطلحات كانت تستخدم لديهم على نحو واضح ومحدد، كما أنهم أدركوا العلاقة الصوتية بينها.

أما الاستعلاء والتسفل فان كلام سيبويه عنهما كان مستند الدراسات الصوتية العربية أيضا، [١٢] لكن كلامه جاء في موضع من كتابه غير باب الادغام، حتى ظنّ

---

(٨) شرح الشافية ٣/٢٦٢.

(٩) بيان جهد المقل ١٨ظ.

(١٠) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ظ.

(١١) الرعاية ص ١٩٥. وانظر أيضا ص ١٧٥ و١٨٥ و١٩٠.

(١٢) ذكر الازهري (تهذيب اللغة ١/٥١) أن الخليل قال: «ان الحروف المصمتة تسعة عشر حرفا صحيحا «منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق. وهي ع ح هـ خ غ. ومنها أرابعة=

بعض المحدثين أن سيبويه لم يتحدث عنهما. [١٣] قال سيبويه في (باب ما يمتنع من الامالة من الألفات التي أملتها فيما مضى): «فالحروف التي تمنعها الامالة هذه السبعة: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء. . . وانما منعت هذه الحروف الامالة لأنها حروف مستعلية الى الحنك الأعلى». [١٤] ثم قال بعد ذلك: «فكان الانحدار أخف عليهم من الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل». [١٥] واستخدام سيبويه في مواضع اخرى كلمة (التصعد) مكان كلمة (الاستعلاء). [١٦]

ولم يقدم سيبويه تعريفاً محدداً للاستعلاء والتسفل، لكن علماء العربية الذي جاءوا من بعده استخلصوا من كلامه تعريفاً لهما، فقال المبرد (ت ٢٨٥هـ): «والحروف المستعلية: الصاد والضاد والطاء والظاء والخاء والغين والقاف. وانما قيل مستعلية لأنها حروف استعلت الى الحنك الأعلى، وهي الحروف التي تمنع الامالة». [١٧] وقال ابن جني (ت ٣٩٢هـ): «وللحروف انقسام آخر الى الاستعلاء والانخفاض، فالمستعلية سبعة وهي: . . . وما عدا هذه الحروف فمنخفض. ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها اطباق، وقد ذكرناها. وأما الخاء والغين والقاف فلا اطباق فيها مع استعلائها». [١٨]

واستفاد علماء التجويد من كلام علماء العربية عن الحروف المستعلية والمستفلة، وكان بعضهم يستخدم عبارة سيبويه (التسفل)، [١٩] وبعضهم يستخدم

=عشر حرفا مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أصله الى طرفه، منها خمس شواخص وهي ط ض ص ظ ق، وتسمى المستعلية، ومنها تسعة مختفضة، وهي ك ج ش ز س د ت ذ ث».

(١٣) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣١٩.

(١٤) الكتاب ٤/١٢٨-١٢٩.

(١٥) الكتاب ٤/١٣٠.

(١٦) الكتاب ٤/٤٧٩ و٤٨٠.

(١٧) المتقضب ١/٢٢٥.

(١٨) سر صناعة الاعراب ١/٧١.

(١٩) مكي: الرعاية ص ٩٩. والداني: التحديد ١٨ظ.

عبـارة ابـن جنـي (الانخفـاض). [٢٠] ويكـاد موقفهم يتلخص في قول الـداني: «والمستعليـة سبعـة أحـرف يجمعهـا قولك (ضغط خص قظ): الخاء والغين والقاف والصاد والضاد والطاء والظاء. سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها الى جهة الحنك، ولـذلـك تمنـع الامـالة، الا أنها على ضربين: منها ما يعلو اللسان به وينطبق، وهي حروف الاطباق الأربعة، ومنها ما يعلو ولا ينطبق وهي ثلاثة: الغين والخاء والقاف. والمستفلة ما عدا هذه المستعلية، سميت مستفلة لأن اللسان لا يعلو بها الى جهة الحنك». [٢١]

واستطـاع محمـد المـرعشي أن يدرك أن الـذي يعلو من اللسان الى جهة الحنك أثناء نطق الأصوات المستعلية هو أقصى اللسان، وذلك حيث قال: «فالاستعلاء أن يستعلي أقصى اللسـان عنـد النطق بالحـرف الى جهـة الحنك الأعلىٰ»، [٢٢] ومن ثم علل إخراج الكاف والجيم والشين والياء من الحروف المستعلية، فقال: «ان المعتبر في الاستعـلاء في اصطـلاحهم استعـلاء اقصى اللسـان، سواء استعلى معـه بقيـة اللسـان أولا، وحروف وسط اللسان وهي الجيم والشين والياء لايستعلي بها إلاّ وسط اللسـان، والكـاف لا يستعلي بهـا الا ما بين أقصى اللسـان ووسطـه، فلم تعـد هذه الأربعة من المستعلية، وإن وجد فيها استعلاء اللسان، لأن استعلاءه في هذه الأربعة ليس مثل استعلائه بالحرف المستعلي». [٢٣]

وأضـاف بعض العلمـاء الى الحـروف المستعلية العين والحاء، كما ورد في قول أحمد بن أبي عمر: «ومنهم من ألحق العين والحاء بالمستعلية من القراء دون النحـاة». [٢٤] وذكـر ذلـك أيضـا أبـو شامـة في قولـه: «وبعضهـم ألحق العيـن والحاء المهملتين بالحـروف المستعليـة». [٢٥] ولكن تعـريف الحـروف المستعلية لا ينطبق

(٢٠) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٧و. وانظر: المرعشي: جهد المقل ١٤ظ.

(٢١) التحديد ١٨ظ.

(٢٢) جهد المقل ١٤و.

(٢٣) جهد المقل ١٤ظ.

(٢٤) الايضاح ٧٤ظ.

(٢٥) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٠.

على العين والحاء اذ ليس للسان دور في انتاجهما.

ويبدو أن أصل هذا القول يرتبط بمذهب الكسائي في الوقوف على هاء التأنيث وما ضارعها في اللفظ بالامالة، وكان لا يميل اذا وقع قبل الهاء أحد الحروف المانعة للامالة. قال أبو علي الاهوازي (ت ٤٤٦هـ): «والحروف الموانع تسعة: الحاء والخاء والعين والغين والصاد والضاد والطاء والظاء والقاف». [٢٦] ولما كانت جميع حروف الاستعلاء من المانعة للامالة فربما ألحق بها بعضهم الحاء والعين لمشاركتها حروف الاستعلاء في أنها تمنع الامالة، ولكن ذلك وحده ليس كافياً لعدهما من الحروف المستعلية، لأن أقصى اللسان لا يستعلي معهما نحو الحنك، ولعل مشاركة العين والحاء الحروف المستعلية في منع الامالة يرجع الى أن حروف الحلق يناسبها من الحركات الفتحة فلا يسوغ أن ينحى بحركتها اذا كانت فتحة نحو الكسرة، ومن ثم منعت الامالة.

وهناك فرق بين صفة الاطباق وصفة الاستعلاء هو أن الأولى من الصفات المميزة، وأن الثانية من الصفات المحسنة، فعلى الرغم من التشابه والعلاقة بينهما الى جانب تخصيص مصطلح للصفات المقابلة لهما فان صفة الاطباق تميز بين الطاء والظاء والصاد وبين مشاركاتها في المخرج التاء والذال والسين، وكذلك الأمر بالنسبة للضاد التي تنطق في مصر اليوم ميزت صفة الأطباق بينها وبين الدال. بينما لا تقوم صفة الاستعلاء بأي دور تمييزي، انما هي تشير الى حالة اللسان في أثناء النطق بهذه الأصوات.

وهناك مع ذلك تداخل بين حروف الاطباق وحروف الاستعلاء، وهناك صفة مشتركة تجمع بينهما، ترتبت على الوضع الذي يتخذه اللسان في أثناء النطق بهذه المجموعة من الأصوات وهي صفة التفخيم. قال محمد المرعشي: «والتفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه. والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد. والترقيق عبارة عن نحول يدخل على.

---

(٢٦) الوجيز ٢٤ظ. وقد أضاف الداني اليهن الالف (التيسير ص ٥٤).

جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه. وحروف الاستعلاء كلها مفخمة، ولا يجوز تفخيم شيء من حروف الاستفالة الا الراء واللام في بعض أحوالهما. وسيجيء بيان ذلك، والا الألف المدية فانها تابعة لما قبلها... ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الاطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء.. وبالجملة ان قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والاطباق». (٢٧) ويذهب كثير من علماء التجويد الى اعتبار الترقيق والتفخيم من الاحكام التي تخص الأصوات في حالة التركيب، ولذلك سوف أكتفي هنا بتوضيح العلاقة بين الاطباق والاستعلاء والتفخيم، وأعود في الفصل القادم الى تفصيل أحوال الأصوات المفخمة ان شاء الله تعالى.

وكان بعض علماء التجويد قد أدركوا التداخل والعلاقة الوثيقة التي تربط الاطباق والاستعلاء والتفخيم، حتى قال عبد الوهاب القرطبي: «ان التفخيم والاطباق والاستعلاء من واد واحد». (٢٨) وكرر مرارا (أن التفخيم نظير الاطباق)(٢٩) و(أن الاستعلاء نظير الاطباق). (٣٠)

وقال عبد الوهاب القرطبي أيضا: «فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان والحنك نظير الاستعلاء والاطباق، ولهذا أثر الاستعلاء في الامالة والترقيق فمنعها لأنه ضد. والفرق بين الاستعلاء والاطباق وبين الترقيق والتفخيم أن الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها وكذلك الاطباق، بخلاف الترقيق والتفخيم فانهما يتعاقبان على الراء واللام كالامالة والتفخيم في الألف». (٣١) ويعني عبد الوهاب القرطبي بحروف الترقيق والتفخيم هنا اللام والراء، أما حروف الاستعلاء فانها ملازمة للتفخيم.

---

(٢٧) جهد المقل ١٥ظ-١٦و.

(٢٨) الموضح ١٨٠و.

(٢٩) الموضح ١٨٠ظ، ١٨١و.

(٣٠) الموضح ١٨٢و.

(٣١) الموضح ١٦٢و.

أما المحدثون من دارسي الأصوات العربية فلم يجاوزوا في كلامهم عن الاطباق والاستعلاء والتفخيم ما قاله علماء التجويد، لا بل ان بعضهم قصر عن بلوغ ما وصل اليه علماء التجويد في وصف تلك الصفات. وكان (جان كانتينو) أكثرهم عناية بالموضوع ولم يكن تأكيده على الاتصال بين هذه الصفات جديداً، كما انه لم يأت في أثناء تحليله لهذه الظواهر الصوتية بشيء متميز يستحق أن نطيل الوقوف عنده. وغاية ما يمكن أن نلاحظ في كلامه من عناصر الجدة هو ميله الى التعبير عن مجموع هذه الصفات بمصطلح واحد هو(التفخيم). (٣٢) وهذا أمر يشاركه فيه بعض الدارسين المحدثين. (٣٣)

وذهب الدكتور ابراهيم أنيس الى أن الراء واللام المغلظتين تعتبران من الناحية الصوتية مثل حروف الاطباق، فقال عن اللام: «أما الفرق بين اللام المرققة والمغلظة (يقصد المفخمة) فهو في وضع اللسان مع كل منهما، لأن اللسان مع المغلظة يتخذ شكلاً مقعراً، كما هو الحال مع أصوات الاطباق، فالفرق بين اللام المرققة والمغلظة هو نفس الفرق الصوتي بين الدال والضاد، أو التاء والطاء، ولكن الرسم العربي لم يرمز الى اللام المغلظة برمز خاص تختلف باختلافه الكلمة، ولهذا نعد نوعي اللام صوتاً واحداً أو فونيماً واحداً، ولكن التاء صوت مستقل عن الطاء تختلف الكلمة في معناها مع كل منهما، ولذا يعد كل منهما فونيماً مستقلاً». (٣٤)

وقال أيضا عن الراء: «والفرق بين الراء المرققة والمفخمة يشبه الفرق بين اللام المرققة والمغلظة، أي أن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الاطباق، ولكن الرسم العربي لم يرمز لها برمز خاص يتغير بتغيره معنى الكلمة. ولهذا نعد كلا النوعين صوتاً واحداً أو فونيماً واحداً». (٣٥)

---

(٣٢) انظر: دروس ص ٣٦-٣٧.

(٣٣) مثل الدكتور كمال محمد بشر. انظر: الاصوات ص ١٢٩ و١٥٣.

(٣٤) الاصوات اللغوية ص ٦٥-٦٦.

(٣٥) الاصوات اللغوية ص ٦٧.

ولم يكن الفـرق بين هذه الأصـوات غائبـاً عن نظـر علمـاء التجـويـد فنجـد عبد الـوهـاب القـرطبي يعبـر عن ذلـك بأدق عبارة حيث قال وهو يتحدث عن الراء: «فان كانت مكسـورة رقت، وكـان العمـل فيهـا برأس اللسـان، ومعتمدها أدخل الى جهة الحلق في الحنـك الأعلى يسيـراً، وأخـذ اللسـان من الحنـك أقـل ممـا يأخـذ مع المفخمـة، فينخفض اللسـان حينئـذ، فلا ينحصر الصوت بينه وبين الحنك فتجيء الـرقـة... فان كانت مضمـومة أو مفتوحة فخمت، وكان ما يأخذه طرف اللسان منها أكثـر ممـا يأخـذه مع التـرقيق، وكان معتمد اللسان أخرج في الحنك الاعلى يسيراً، فينبسـط حينئـذ اللسـان وينحصر الصوت بينه وبين الحنك، فيحدث التفخيم». [٣٦] وكـذلـك قال عن الـلام: «أما اسمانها (أي تفخيمها) فبأن يكون العمل فيها بوسط اللسان، وأدخل قليلا من مخرجها». [٣٧]

ونقـل الـدركـزلي عن الفخـر الرازي أنه قال: «ان نسبة اللام الرقيقة الى الغليظة كنسبة الذال الى الظاء، وكنسبة السين الى الصاد». [٣٨]

---

(٣٦) الموضح ١٦١و.

(٣٧) الموضح ١٦٤و.

(٣٨) خلاصة العجالة ١٧٨و.

٤ ـ الذلاقة والاصمات:

يرجع أصل هذين المصطلحين الى ما ذكره الخليل بن أحمد في مقدمة كتاب العين، ثم اعتنى بهما علماء العربية من اللغويين والنحاة، وكانت عناية علماء التجويد بهما قليلة، وقد أثير حول هذين المصطلحين بعض الجدل في القديم والحديث، ولعل منشأ ذلك الجدل يعود الى ما جاء في كتاب العين من مادة لا تخلو من بعض الغموض. ولابد لمن يريد أن يستوفي الكلام عن هذا الموضوع من أن يبدأ بكتاب العين، ثم ينظر في المصادر الاخرى.

قال الخليل: «اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة، وهي: ر ل ن، ف ب م، وانما سمّيت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق انما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مدرجة هذه الأحرف الستة. منها ثلاثة ذليقة: ر ل ن، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصة، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح الا في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللسان الا بالراء واللام والنون... فلما ذلقت الحروف الستة، ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها».

«قال الخليل: فان وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية الا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر». [١]

ويبدو أن الخليل لم يستخدم مصطلح (المصمتة) في مقدمة كتاب العين، لكنه ذكر مصطلح (الحروف الصُّتْم) على نحو لا تتضح معه دلالته على معنى مجدد. [٢]

---

(١) العين ١/٥١ـ٥٢.

(٢) العين ١/٥٤ و٥٥.

وقد ورد في مصادر اخرى أن الصتم يقصد بها المصمتة .[٣]

ان الدارس حين ينظر في كلام الخليل السابق يجد أن مصطلح الذلاقة لا يشمل الا ثلاثة أحرف هي (ر ل ن) وان الحروف الثلاثة الاخرى (ف ب م) اطلق عليها مصطلح الشفوية . ولعل الذي جعل الخليل يتحدث عن الحروف الستة المذكورة في مكان واحد هو اشتراكها في أن الكلمات الرباعية والخماسية لا تخلو من بعضها ، ويؤكد ذلك أنه حين وصف الحروف منسوبة الى مخارجها قال : «والراء واللام والنون ذلقية ، لأن مبدأها من ذلق اللسان ، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان . والفاء والباء والميم شفوية ، وقال مرة : شفهية ، لأن مبدأها من الشفة» .[٤]

وهناك رواية نقلها الأزهري في (تهذيب اللغة) عن الخليل بن أحمد لم تذكر في كتاب العين تضع القضية في إطار آخر ، بحيث يكون لمصطلح الذلاقة دلالة أوسع تشمل الحروف الستة ، وهي : «قال : والحروف على نحوين : منها مذلق ومنها مصمت . فأما المذلقة فانها ستة أحرف في حيّزين ، أحدهما حيز الفاء ، فيه ثلاثة أحرف كما ترى : ف ب م ، مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين لا عمل للسان في شيء منها . والحيز الآخر حيز اللام ، فيه ثلاثة أحرف كما ترى : ل ر ن ، مخارجها من مدرجة واحدة بين أسلة اللسان ومقدم الغار الأعلى . فهاتان المدرجتان هما موضعا الذلاقة ، وحروفهما أخف الحروف في المنطق ، وأكثرها في الكلام وأحسنها في البناء ، ولا يحسن بناء الرباعي المنبسط والخماسي التام الا بمخالطة بعضها . . . » .

«وقال : أما المصمتة ـ وهي الصتم أيضا ـ فانها تسعة عشر حرفا صحيحا . . . وانما سمين مصمتة لانها أُصْمِتَتْ فلم تدخل في الأبنية كلها ، واذا عريت من حروف الذلاقة قلّت في البناء ، فلست واجداً في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة ولا كلاماً رباعياً كذلك . . . » .[٥] ويؤيد رواية الأزهري هذه ما جاء

(٣) الازهري : تهذيب اللغة ١/٥١ .

(٤) العين ١/٥٨ .

(٥) تهذيب اللغة ١/٥٠ـ٥١ .

في كلام الخليل السابق: «فلما ذلقت الحروف الستة...».

ويبدو أن هذه الرواية هي التي حددت موقف علماء العربية من مصطلح الذلاقة، فاستقر لديهم على الحروف الستة (ل ر ن، ف ب م) ونجد ابن دريد يضيف حروف العلة الثلاثة الى المصمتة، فتصير اثنين وعشرين، بينما هي عند الخليل تسعة عشر باخراج المعتلة من هذا التقسيم، ويقصد ابن دريد بالمعتلة الواو والياء والهمزة.(٦) أما الألف فلم يعده من أي من القسمين، وقال: «أما الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف، يريد أنه ساكن لا يتصرف في الاعراب، وهو الألف الساكنة».(٧) وأصل هذه العبارة الأخيرة وارد في كلام الخليل الذي نقله الأزهري مما لم يرد في كتاب العين، وهو: «وروى غير ابن المظفر عن الخليل بن أحمد انه قال: الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً، لكل حرف منها صرف وجرس. أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف. وأما الصرف فهو حركة الحرف... فأما الألف اللينة فلا صرف لها، انما هي جرس مدة بعد فتحة...».(٨)

ونقل ابن دريد عن الأخفش تفسيراً للمذلق والمصمت، هو تلخيص لفكرة الخليل عنهما، قال ابن دريد: «وسمعت الأشنا نداني يقول: سمعت الأخفش يقول: سميت الحروف (مذلقة) لأن عملها في طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقه، وهي أخف الحروف وأحسنها امتزاجاً بغيرها. وسميت الأُخَر (مصمتة) لأنها أصمتت أن تختص بالبناء اذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان».(٩)

ولخص ابن جني في (سر صناعة الاعراب) قضية المصمت والمذلق من الحروف بقوله: «ومنها حروف الذلاقة، وهي ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه. ومنها الحروف المصمتة

(٦) جمهرة اللغة ١/ ٦ و٧.
(٧) جمهرة اللغة ١/ ٧.
(٨) تهذيب اللغة ١/ ٥٠-٥١.
(٩) جمهرة اللغة ١/ ٧.

وهي باقي الحروف» ثم افاض ابن جني في الكلام على دور حروف الذلاقة في بنية الكلمة العربية.[١٠]

ولم يتجاوز علماء التجويد في كلامهم عن الحروف المذلقة والمصمتة ما قاله علماء العربية في الموضوع. وقد أهمل كثير منهم ذكر هاتين الصفتين في أثناء حديثهم عن صفات الحروف.[١١] وكان مكي بن أبي طالب أكثر علماء التجويد عناية بهذا الموضوع، فقد ذكر الحروف المصمتة والحروف المذلقة ووضح المقصود منها.[١٢] كما أفرد (الحروف الصم أو الصتم)، وهي عنده غير المصمتة، فقد فسرها بأنها الحروف التي ليست من الحلق.[١٣]

وذكر عبد الوهاب القرطبي حروف الذلاقة على نحو موجز.[١٤] وذكرها أيضا ابن الجزري في (التمهيد في علم التجويد)،[١٥] وفي (المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعمله) المشهورة بالمقدمة الجزرية.[١٦]. ومن ثم اعتنى شراح المقدمة بالكلام عن الحروف المذلقة والحروف المصمتة.[١٧] وأهمل المرعشي في (جهد المقل) الكلام عنها، وقال في (بيان جهد المقل): «ومجموع ما ذكرته ثماني عشرة صفة، وتركت مما ذكره ابن الجزري في نظمه الذلاقة»، ثم وضح هنا حروف الذلاقة والاصمات.[١٨]

(١٠) سر صناعة الاعراب ١/٧٤-٧٥. وانظر أيضا: ابن السراج: كتاب الاشتقاق ص ٤٩، وابن عصفور: الممتع في التصريف ٢/٦٧٦.

(١١) انظر: الداني: التحديد ١٧ظ، وأحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٣و، وابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩ظ، والعطار: التمهيد ١٤٥و.

(١٢) الرعاية ص ١١٠-١١١.

(١٣) الرعاية ص ١١١-١١٢.

(١٤) الموضح ١٥٨و.

(١٥) التمهيد ص ٢٩.

(١٦) متن الجزرية ص ١٢.

(١٧) انظر: علي القارى: المنح الفكرية ص ١٥.

(١٨) بيان جهد المقل ١٤و.

ولا يتضح بشكل محدد الأساس الذي يستند اليه تصنيف الحروف الى مذلقة ومصمتة. فالمذلقة سميت مذلقة لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو طرفه، كما جاء في كلام الخليل في كتاب العين وهي على هذا المعنى ثلاثة (ل ر ن). [١٩] لكن المذلقة في مارواه الأزهري عن الخليل ستة هي الثلاثة المذكورة الى جانب حروف الشفة (ف ب م) وسميت مذلقة لأنها (اخف الحروف في المنطق). [٢٠]

ولا يتبين أيضا وجه التقابل بين المذلقة والمصمتة، فسواء سميت المذلقة بهذا الاسم لأنها تخرج من ذلق اللسان أم لأنها أخف الحروف في النطق فانها لا تقابل المصمتة التي سميت بذلك لأنها أُصمتت أن تختص بالبناء اذا كثرت حروفه. قال مكي: «فمعنى المصمتة: الممنوعة من أن تنفرد في كلمة طويلة». [٢١] ويلاحظ الى جانب ذلك ان اطلاق كلمة (المذلقة) على الحروف الستة وحملها على معنى انها تخرج من طرف اللسان، كما جاء في قول ابن جني ـ مذهب غير سديد، لأن حروف الشفة (ف ب م) لا صلة لطرف اللسان بمخرجها.

وكان بعض علماء العربية مدركا لهذا التعارض في تسمية هذه الحروف بالمذلقة والمصمتة، فنجد ابن الحاجب يقول وهو يشرح قول الزمخشري في المفصل (وحروف الذلاقة والمصمتة): «وحروف الذلاقة ما في قولك (مر بنفل) والذلاقة الاعتماد بها على ذلق اللسان وهو طرفه. وهذا التفصيل باعتبارها غير مستقيم من جهته في نفسه ومن جهة أمر مضاده من المصمتة.

اما من جهته فلأنها لا تعتمد على طرف اللسان إلا ببعضها، فالميم والباء والفاء منها لا مدخل لها في طرف اللسان، فكيف يصح تسميتها بذلك مع خروج نصفها عن ذلك المعنى.

وأما من جهة القسم الآخر المضاد لها فلأنه انما سمي مصمتا لأنه كالمسكوت عنه فلا ينبغي ان يكون ضد ذلك المنطوق بطرف اللسان.

---

(١٩) العين ٥٨/١.

(٢٠) تهذيب اللغة ٥٠/١.

(٢١) الرعاية ص ١١٠

وانمـا الأَوْلَى ان يقـال سميت حروف ذلاقـة أي سهولة، من قولهم لسان ذلق من الذلق الذي هو مجرى الحبل في البكرة لسهولة جريه فيه. فلما كانت كذلك التزموا أن لا يُخْلُوا رباعياً أو خماسياً عنها، فكأن هذا الحكم هو المعتبر في تسميتها إلا أنهم استغنـوا بسببـه، وهـو الـذلاقـة، فأضـافوها اليه. والمصمتة على هذا المعنى يكون ضدهـا. وهي الحـروف التي لا يتـركب منهـا على انفرادها رباعي أو خماسي لكونها ليست مثلهـا في الخفـة، فكأنـه قد صمت عنهـا، ولعله لـم يقصـد في تعبيره الا الى ذلـك. وانمـا وقـع الوهم من أخذ الذلاقة من الطرف وجعلها من طرف اللسان». [٢٢] وجرى أيضا جدل بين المحدثين حول هذين المصطلحين. [٢٣]

ولولا أن هذين المصطلحين، أعني المذلقة والمصمتة، قد تردد ذكرهما في كتب علم التجـويـد، وأفـاض في الحـديث عنهمـا علماء العربية، لما وقفنا عندهما هذه الـوقفـة الطـويلة، لأنهمـا ليست لهمـا دلالـة صوتيـة محـددة، وهما ألصق بالدراسة الصـرفيـة من بعض الجـوانب على أسـاس ما لاحظه الخليل من قبل، وعبر عنه عبد الـوهـاب القـرطبي بقـوله: «وفي حروف الذلاقة سر ينتفع به في اللغة، وهو أنك متى رأيت اسمـاً ربـاعيـاً أو خمـاسيـاً غيـر ذي زوائد فلابد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما كان ثلاثة...». [٢٤]

---

(٢٢) الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٨.

(٢٣) ابـراهيم أنيس: الاصـوات اللغـويـة ص ١١٠. وحسـام النعيمي: الـدراسـات اللهجيـة والصوتية عند ابن جني ص ٣٢٣.

(٢٤) الموضح ١٥٨و، وانظر: مكي: الرعاية ص ١١٥.

ثانيا ـ صفات الاصوات المُحَسِّنَة:

ان أشهر صفات الأصوات التي تحدث عنها علماء التجويد، من الداخلة في ما يعرف بالصفات المحسنة هي: القلقلة، والصفير، والغنة، والانحراف، والتكرير، والاستطالة والتفشي. وبعض هذه الصفات يشترك فيه عدد من الأصوات مثل الثلاثة الأُولى، وبعضها يخص صوتاً بعينه مثل الصفات الأربع الأخيرة، فالانحراف للام، والتكرير للراء، والاستطالة للضاد، والتفشي للشين.

١ ـ القلقلة:

يقرر علماء الأصوات أَنَّ الشديد (الانفجاري) يَتَكَوَّنُ من

١ ـ حبس

٢ ـ اطلاق

٣ ـ صوت يتبع الاطلاق.

فالحبس يتم باتصال عضوين ينتج عنه وقف المجرى الهوائي وقفاً كاملاً. والاطلاق يتم بانفصال العضوين انفصالاً سريعاً يحدث عنه انفجار الهواء، ويلاحظ أن اندفاع الهواء يستمر بالضرورة زمناً محسوساً بعد انفراج العضوين، ولذلك فالصوت الشديد (الانفجاري) لا يتأتى نطقه النطق الكامل من غير أن يُتْبَعَ بصوت آخر مستقل عنه، هو هذا الهواء المندفع. وهذا الصوت المستقل الذي يلي الصوت الشديد ضرورة إما أن يكون مهموساً وإما أن يكون مجهوراً. فاذا نطقنا صوتاً شديداً مهموساً مثل الكاف وحده فانه يتبعه عادة صوت مهموس قصير، واذا نطقنا صوتاً شديداً مجهوراً كالباء وحده فانه يتبعه عادة صوت مجهور قصير أشبه ما يكون بالفتحة المختلسة.[1]

وكان سيبويه قد لاحظ هذه الخاصية في الأصوات عند الوقف عليها، وذلك حيث قال: «واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فاذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة، وستبين

---

(١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٦ و١٧١-١٧٢.

أيضـا في الادغـام ان شاء الله . [٢] وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء . والدليل على ذلـك أنـك تقول : الحِذْقْ ، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت ، لشدة ضغط الحرف ، وبعض العرب أشد صوتاً ، كأنهم الذين يرومون الحركة» . [٣]

وكذلك تحدث سيبويه عن الوقف على الحروف المهموسة فقال : «وأماالحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر ، وانمـا تنسـل معـه ، وبعض العرب أشد نفخاً ، كأنهم الذين يرومون الحركة فلابد من النفخ ، لأن النفس تسمعه كالنفخ» . [٤]

وقـرر سيبـويـه أن ذلك الصوت وتلك النفخة لا تسمع من الحروف عند الوصل ، وذلـك حيث قال : «واعلم أن هذه الحـروف التي يُسْمَـعُ معهـا الصـوت والنفخة في الوقف لا يكونان فيهن في الوصل اذا سَكَنَّ ، لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك ، ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتاً . وكذلك المهموس ، لأنك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدئ صوتا» . [٥] وقال في مكان آخر : «ولا يكون شيء من هذه الاشياء في الوصل ، نحو أذْهِبْ زيدا» . [٦]

وكـان كلام سيبـويـه هذا عن حروف القلقلة قد حدد معالم الموضوع عند علماء العربية وكذلك عند علماء التجويد ، وكان ما أُضيفَ على كلام سيبويه يعد شيئاً يسيراً لا يغيـر جوهـر المـوضـوع . من ذلك أن المبرد عَدَّ الكاف من حروف القلقلة ، حيث قال : واعلم أن من الحـروف حروفـاً محصـورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحـرف منهـا نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة . واذا تفقدت ذلك وجدته . فمنها القاف والكـاف ، الا انهـا دون القـاف ، لأن حصـر القـاف أشـد ، وانما تظهر هذه النبرة في الـوقف ، فان وصلت لـم يكن ، لأنـك أخـرجت اللسان عنها الى صوت آخر ، فَحُلْتَ

(٢) لم يتحدث سيبويه عن حروف القلقلة في باب الادغام .
(٣) الكتاب ٤/١٧٤ .
(٤) الكتاب ٤/١٧٥ .
(٥) الكتاب ٤/١٧٥ .
(٦) الكتاب ٤/١٧٦ ، وانظر : ابن جني : سر صناعة الاعراب ١/٧٣ .

بينه وبين الاستقرار، وهذه المقلقلة بعضها أشد حصراً من بعض، كما ذكرت لك في القـاف والكـاف» . (٧) ومـذهب المبـرد في عد الكـاف من حروف القلقلة مبني على اساس ما يتبع الكاف من صوت مهموس بعد انفصال العضوين عند النطق به، ولكن ذلك الصوت دون الصوت الذي يسمع من حروف القلقلة المجهورة.

وقد دارت مناقشات علماء التجويد لموضوع القلقلة حول عدد من النقاط هي : عدد حروفهـا، ومـوضعهـا، وحقيقـة الصوت الذي يسمع عند الوقف على حروفها، وتخصيص بعضهم مصطلحاً مقابلاً لمصطلح القلقلة، يطلق على ما عدا حروفها.

أما عدد حروف القلقلة فان مذهب جمهور علماء التجويد أنها خمسة، تجمع في (قـد طبـج)، أو (طبق جد)، أو (جـد قطب)، أو (قطب جد). (٨) وأشار بعضهم الى مذهب المبـرد في عد الكـاف من حروف القلقلة. (٩) لكن المـرعشي علق على ذلك بقـولـه : «أقـول فكأنه لم يشترط قوة الصوت الزائد، وان شرط انحصار صوت الحرف قبله لكن يلزمه حينئذ أن يعد منها التاء المثناة الفوقية أيضا». (١٠) وهذا قول صحيح.

ويشتـرط علمـاء التجويد لحصول القلقلة في الحرف اجتماع الشدة والجهر فيه. «فالشدة تحصر صوت الحرف لشدة ضغطه في المخرج، والجهر يمنع جري النفس عند انفتاح المخرج، فيلتصق المخرج التصاقاً محكماً فيقوى الصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعة». (١١) ووضح ذلك أبوعمرو بن الحاجب، ونقل كلامه أبو شامة المقـدسي، وهـو قوله : «وانما حصل لها ذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة، فالجهر

---

(٧) المقتضب ١/١٩٦.

(٨) ابو شامة : ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٢، وانظر: مكي : الرعاية ص ١٠٠، والـداني : التحـديد ١٩ظ، وعبد الوهاب القرطبي : الموضح ١٥٧ظ، والسمرقندي : روح المريد ١٢٦ظ.

(٩) عبد الوهاب القرطبي : الموضح ١٥٧ظ، وابن الجزري : النشر ١/٢٠٣.

(١٠) جهد المقل ١٣ظ، وذكر ابن الجزري (النشر ١/٢٠٣) ان سيبويه ذكر معها التاء، وهو أمر غير مؤكد.

(١١) المرعشي : جهد المقل ١٣و.

يمنع النفس أن يجري معها، والشدة تمنع أن يجري صوتها، فلما اجتمع لها هذان الـوصفـان، وهـو امتناع (جري) النفس معها، (وامتناع) جري صوتها فاحتاجت الى التكلف في بيـانهـا، فلذلـك يحصـل ما يحصل من الضغط للمتكلم عند النطق بها ساكنة، حتى تكاد تخرج الى شبه تحركها لقصد بيانها، اذ لولا ذلك لم تتبين». [١٢]

ويعد الطاء والقاف من الأصوات المهموسة في نطق العربية الفصحى المعاصر، ومن ثم تخلف فيهمـا أحـد شرطي القلقلة، وهو الجهر، ولكن نلاحظ أن قراء القرآن وناطقي العربية يحرصون على اتباع هذين الصوتين عند الوقف بصويت القلقلة، وهو أمـر يسـوغـه كون الصوتين شديدين (انفجاريين)، فيتبعهما عند الوقف صوت، مثل صوت الكـاف، لكنـه معهما أشد، لفخامة الطاء بالاطباق، وشدة انفصال العضوين في نطق القاف، مع كونه صوتاً مستعلياً.

وتنطبق شروط القلقلة على الهمزة كما وصفها علماء العربية وعلماء التجويد من أنها صوت شديد مجهور، وهي في الواقع ليست مجهورة، وقد نص علماء التجويد على اخـراج الهمـزة من حروف القلقلة. [١٣] وعلل محمـد المرعشي إخراجها بقوله: «ثم اعلم أن الهمـزة وإن اجتمـع فيهـا الشـدة والجهـر، لكن الجمهـور أخرجوها من حروف القلقلة، كمـا في بعض الـرسـائل، ولعل سبب ذلك ما في الرعاية أن الهمزة كالتهـوع وكـالسعلة. فجـرت عادة العلمـاء باخـراجها بلطافة ورفق وعدم تكلف في ضغط مخرجها، لئلا يظهر صوت يشبه التهوع والسعلة، أقول: فيخفي حينئذ شدتها ويعـدم قلقلتهـا». [١٤] وهـذا التعليـل ـ عنـدي ـ أرجح مما علل به ابن الجزري حين قال: «وانمـا لم يذكـرهـا الجمهـور لِمَـا يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارقت أخواتها، ولِمَا يعتريها من الاعلال». [١٥]

---

(١٢) الايضـاح في شرح المفصـل ٤٤٨/٢. وانظـر: أبـوشامـة: ابـراز المعاني (باب مخارج الحـروف) ص ١٣. والكلمـات المـوضوعة بين معقوفين ساقطة من (الايضاح) وأثبتها من (ابراز المعاني).

(١٣) ابن الجزري: النشر ٢٠٣/١.

(١٤) جهد المقل ١٤و.

(١٥) النشر ٢٠٣/١. وانظر: أحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ١٢و.

وجاء في بعض المصادر أن من العلماء من يعد اللام من حروف القلقلة،[16] وقد ذكر ذلك المرعشي، وذكر أن بعضهم أضاف اليها الفاء، لكن ذلك كله لحن، حسب رأيه، وذلك حيث قال: «وهي لازمة لحروف قطب جد، وإحداثها في غيرها لحن، كما حذر في بعض الرسائل عن قلقلة الفاء واللام في (أَفْوَاجاً) و(جَعَلْنَا)، وانما يقلقلهما حرصاً على إظهارهما وحذراً عن إدغامهما فيما بعدهما».[17]

أما صوت القلقلة الذي يسمع عند الوقف على حروف (قطب جد) فقد استخدم بعض علماء التجويد كلمة (صويت) للتعبير عنه.[18] وهي الكلمة التي استخدمها سيبويه من قبل. ووصف مكي ذلك الصوت بأنه (صوت زائد) وأنه (يشبه النبرة).[19] ونقل أبو شامة في شرح الشاطبية أن ذلك الصوت كالحركة.[20] وهذه نظرة أكدها المرعشي كثيراً، فقال في كتابه (جهد المقل): «ثم اعلم أن إظهار القلقلة في الحرف الساكن يشبه تحريكه».[21] ووضح ذلك في (بيان جهد المقل) حيث قال: «قوله: (يشبه تحريكه) أقول: الظاهر من الامتحان أنه يشبه تحريكه بحركة ما قبله. ثم الظاهر من الامتحان أيضاً أن إظهار القلقلة يشبه التشديد».[22] وهذا أمر أكدته الدراسات الصوتية الحديثة، فقال الدكتور محمود السعران: «من هذا نرى أن الصوت الاضافي في حالة (حروف القلقلة) يشبه الحركة».[23]

ومثل ما أدرك محمد المرعشي أن صوت القلقلة يشبه الحركة كذلك أدرك أن ذلك الصوت مجهور، وأن الفرق بينه وبين الصوت الذي يتبع الكاف هو الجهر

---

(١٦) انظر: أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٤ظ.
(١٧) جهد المقل ١٤و.
(١٨) الداني: التحديد ١٩ظ.
(١٩) الرعاية ص ١٠٠.
(٢٠) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٣.
(٢١) جهد المقل ١٤و.
(٢٢) بيان جهد المقل ١٧ظ.
(٢٣) علم اللغة ص ١٧٦.

والهمس، وهـذا مبني على أساس أن جميع حروف القلقلة مجهورة بحسب الوصف القـديم لهـا. يقـول: «ويشتـرط عنـد الجمهـور في اطـلاق اسم القلقلة على ذلـك الصـوت الـزائـد كونـه جهـريـاً بسبب أنه حصل بفك للمخرج دفعة بعد لصقه لصقاً محكمـاً، ولـذا خصـوا القلقلة بحـروف اجتمـع فيها الشدة والجهر. . . وهي خمسة يجمعها (قطبجد)، فلم يعد الكاف والتاء من حروف القلقلة مع أن فيهما صوتاً زائداً حدث عنـد انفتـاح مخـرجيهمـا، لأن ذلـك الصـوت فيهما يلابس جري نَفَس، فهو صوت همس ضعيف ولذا عدا شديدين مهموسين، فلولم يلابس ذلك الصوت فيهما بجري نفَس لكان قلقلة، ولكان التاء دالاً». [٢٤]

امـا موضـع القلقلة فان لعلماء التجويد مذهبين في ذلك، فبعضهم يرى أنها (لا تكـون الا عنـد الـوقف). [٢٥] وهو الذي يفهم من كلام علماء العربية، لأن أخذك في صوت آخر عند الوصل يشغلك عن إتباع الحرف الأول صوتاً. [٢٦] وذهب أكثرهم الى أنه لا يشترط لحصول القلقلة سوى سكون الحروف المذكورة (سواء وقعت وسطاً أو متطرفة). [٢٧] الا أن ذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن. [٢٨]

وذكر ابن الجزري في كتابه (النشر) ذينك المذهبين، وهويرجح المذهب الثاني الذي يذهب أصحابه الى وجوب قلقلة الحروف الخمسة اذا كانت ساكنة في الوصل والوقف، واستدل بكلام أبي الحسن شريح (ت ٥٣٩هـ)، وذلك حيث قال: «وذهب متأخرو أئمتنا الى تخصيص القلقلة بالوقف تمسكاً بظاهر ما رأوه من عبارة المتقدمين أن القلقلة تظهـر في هذه الحـروف بالـوقف، فظنـوا أن المـراد بالوقف ضد الوصل، وليس المـراد سوى السكـون، فان المتقـدمين يطلقـون الـوقف على السكون وقوّى

---

(٢٤) جهد المقل ١٣ظ.

(٢٥) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٠ظ.

(٢٦) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٧٥. والمبرد: المقتضب ١/١٩٦، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٤٤٦، وابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٧٣.

(٢٧) احمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٤ظ.

(٢٨) مكي: الرعاية ص ١٠٠.

الشبهة في ذلك كون القلقلة في الوقف العرفي أبين، وحسبانهم أن القلقلة حركة، وليس كذلك، فقد قال الخليل: القلقلة شدة الصياح، واللقلقة شدة الصوت.

وقال الاستاذ أبو الحسن شريح بن الامام أبي عبد الله محمد ابن شريح، رحمه الله، في كتابه (نهاية الاتقان في تجويد القرآن) لما ذكر أحرف القلقلة الخمسة: فقال: وهي متوسطة كباء (الأَبْوَاب) (يوسف ٢٣)، وجيم (النَّجْدَيْن) (البلد ١٠)، ودال (مَدَدْنَا) (الحجر ١٩)، وقاف (خَلَقْنَا) (الاعراف ١٨١)، وطاء (أَطْوَاراً) (نوح ١٤). ومتطرفة كباء (لَمْ يَتُبْ) (الحجرات ١١)، وجيم (لَمْ يَخْرُجْ)، [٢٩] ودال (قَدْ)، وقاف (مَنْ يُشَاقِقْ) (النساء ١١٥) وطاء (لا تُشْطِطْ) (ص ٢٢). فالقلقلة هنا أبين في الوقف في المتطرفة من التوسط، انتهى». [٣٠]

ويبدو أن تسمية هذه الظاهرة بالقلقلة ترتبط بالمعنى اللغوي ارتباطاً وثيقاً. إذ يقال: قلقل الشيء قلقلة اذا حركه، [٣١] فحمل بعض علماء التجويد هذه التسمية على ذلك المعنى، مع احتمال ان يكون أصل التسمية من دلالة الكلمة على شدة الصوت، فقال: «سميت بذلك إما لأن صوتها صوت أشد الحروف، أخذاً من القلقلة التي هي صوت الأشياء اليابسة. واما لأن صوتها لا يكاد يتبين به سكونها مالم يخرج الى شبه التحريك لشدة أمرها، من قولهم قلقله اذا حركه». [٣٢]

وحاول بعض علماء التجويد المتأخرين وضع مصطلح يقابل مصطلح (القلقلة)، فاستخدم السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) مصطلح الساكنة، فقال: «وما سوى القلقلة فهي ساكنة». [٣٣] وقال الحسن بن شجاع التوني: «وضد القلقلة

---

(٢٩) (لم يخرج) لم ترد في القرآن، ويصح التمثيل بقوله تعالى (وَمَنْ يَخْرُجْ) (النساء ١٠٠).

(٣٠) النشر ١/٢٠٣-٢٠٤.

(٣١) ابن منظور: لسان العرب ١٤/٨٥ (قلقل).

(٣٢) أبو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٢، والحسيني كاشف المعاني ١٨٤و، وقد نقلا ذلك عن ابن الحاجب: الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٨.

(٣٣) روح المريد ١٢٦ظ.

السكـون» .[٣٤] وعلل الـدركزلي تسميتها بالساكنة بقوله : «أي انها ذات سكون وعدم اضطراب في مخارجها مطلقاً» .[٣٥] لكن جمهور علماء التجويد يعدون صفة القلقلة من الصفات التي لا ضد لها.

وذكر محمد بن القاسم البقري أن شيخه، ولم يسمه، كان له مذهب خاص في تفسير القلقلة فقال : «وكان شيخنا يتوقف فيها، ويميل أن القلقلة منع الشخص نَفَسه من تحـريـك الحـرف، وخـالفه جماعة من معاصريه، وقالوا : ان القلقلة نبرة لطيفـة يأتي بها القارئ في الحرف المقلقل. وشيخنا لا يمنعه، الا أنه يتوقف فيه، لما قاله الشمس ابن الجـزري في نشـره : وقال الخليل القلقلة شدة الصياح الى آخر ماقاله، وذلك لا يفهم ان القلقلة تحريك الحرف» .[٣٦]

وورد في بعض كتب علم التجويد المعاصرة تقسيم للقلقلة لم أجد له أي اشارة في كتب علم التجـويـد القـديمـة فاذا كان حرف القلقلة في آخر الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديـدة جداً، وسميت قلقلة كبـرى. واذا كان الحـرف ساكناً في وسط الكلمة، كانت أخف، وسميت قلقلة صغرى.[٣٧]

٢ ـ الغنة :

عَرَّفَ علمـاء التجـويـد الغنـة بأنهـا (صـوت يخـرج من الخيشــوم) .[٣٨] وقـال بعضهـم : الصوت الذي يخرج من الأنف.[٣٩] وقد ورد معنى هذا التعريف في كلام علماء العربية المتقدمين، عند سيبويه وغيره.[٤٠]

---

(٣٤) المفيد في علم التجويد ٥و، وانظر ٣ظ.

(٣٥) خلاصة العجالة ١٥٧ظ.

(٣٦) غنية الطالبين ص ١٤ .

(٣٧) انظر: فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة وعلم التجويد ص ٤٠ ، وجان كانتينو: دروس ص ٣٨.

(٣٨) مكي : الكشف ١٦٤/١ ، العطـار: التمهيـد ١٤٦ظ ، الفـاسي : اللالئ الفريدة ٢١٣ظ ، المرعشي : جهد المقل ١٨ظ.

(٣٩) أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧٤ظ.

(٤٠) سيبويه : الكتاب ٤٣٥/٤ ، والمبرد: المقتضب ١٩٤/١ ، وابن دريد : جمهرة اللغة ٧/١ ،=

وأدرك علماء التجويد طبيعة ذلك الصوت أعني الغنة، فقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «وهي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد واللين في موضعها». [٤١] وهذه حقيقة يؤيدها الدرس الصوتي الحديث، فكما أن حروف المد تتميز بجريان النَّفَس حراً طليقاً في مجراه خلال الحلق والفم كذلك الغنة يجري فيها النَّفَس خلال تجويف الأنف (الخيشوم) من غير عائق. ولو أوقف الناطق ذبذبة الوترين الصوتيين في أثناء نطق حروف المد والغنة لبطلت أصواتها وصارت نَفَساً، فليس لهذه الأصوات مقابل مهموس. [٤٢] ومن ثم قرر المرعشي (ت ١١٥٠هـ) أن مخرج بعض الأصوات «لا ينضغط فيه الصوت أصلاً، وهو مخرج الألف المدية ومخرج النون الخفية»، [٤٣] والنون الخفية هي الغنة.

وحرفا الغنة النون والميم. [٤٤] وقد سمّى أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٦٥٩هـ) كل واحد منهما بالحرف (الأغن) فقال: «والأغن النون والميم، سميا بذلك لأن فيهما غنة، وهو صوت يخرج من الخياشيم . . . وانما سمي هذا الصوت غنة لجريه مع النون والميم بعد لزوم اللسان موضعهما، يدلك على ذلك انك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لانحصر الصوت فيهما كالطنين، لأن الخيشوم مركب فوق الغار الأعلىٰ، واليه سُمُوُّ هذا الصوت». [٤٥] وذكر مكي (ت ٤٣٧هـ) أن الميم تسمى (الحرف الراجع)، لأنها ترجع الى الخياشيم لما فيها من الغنة، وقال يجب أن يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة. [٤٦]

=والسيرافي: شرح كتاب سيبويه ٥١٧/٦.

(٤١) الموضح ١٥٣ظ.

(٤٢) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٥ و١٠١.

(٤٣) بيان جهد المقل ٩و.

(٤٤) سيبويه: الكتاب ٤٣٥/٤، ومكي: الرعاية ص ١٠٦، والداني: التحديد ١٩و.

(٤٥) التمهيد ١٤٦ظ.

(٤٦) الرعاية ص ١١٢، وذكر عبد الوهاب القرطبي (الموضح ١٥٨ظ) أن النون والميم تسمى المستعينة، لانهما يستعان عليهما بصوت الخياشيم.

واشترط بعض علماء العربية وبعض علماء التجويد لوجود الغنة في النون والميم شروطا، منها أن تكون ساكنة مع عدم إظهارها قال أبو عبد الله الفاسي (ت ٦٥٦هـ) وهو يشرح قول الشاطبي:

وغـنـةَ تنـويـنٍ ونـونٍ ومـيـمٍ آن سَكَنَّ ولا اظهـارَ في الأنـف يُجتلَىٰ

«الغنة صوت يخرج من الخياشيم، لا عمل للسان فيه... ومحلها التنوين والنون والميم بشرط سكونهن وعدم إظهارهن، فان تحركت صار العمل فيه للسان، وكذلك إن ظهر التنوين أو النون عند حروف الحلق». [٤٧] ومع وضع هذين الشرطين لوجود الغنة في الميم والنون قال الفاسي بعد ذلك: «واذا نُطِقَ بهذه الحروف خالية من الشرطين المذكورين لم يكن بد فيها من صوت يخرج من الخياشيم أيضا، مخالط لما يخرج من اللسان لأن طبعها يقتضي ذلك دون غيرها من الحروف». [٤٨]

وقال السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) «وحروف الغنة الميم والنون والتنوين، ان سَكَنَّ... فاذا تحركت صار العمل فيها للسان والشفتين دون الأنف، لهذا لا يقدر على إخراجها المزكوم، وكذلك إن أُظهرت التنوين والنون عند حروف الحلق». [٤٩]

وقال ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في شرح المفصل: «فاذا لم يكن بعدها حرف البتة كانت من الفم، وبطلت الغنة، كقولك: مَنْ وعَنْ ونحوهما مما يوقف عليه». [٥٠]

وهذا المذهب الذي يضع شروطاً لوجود الغنة في النون والميم ناتج عن وَهْمٍ في تصور حقيقة الغنة، أو أنه مبني على فهم معين لها، كأن يراد بها إطالة الصوت

---

(٤٧) اللالئ الفريدة ٢١٣ظ. وانظر: مكي: الرعاية ص ٢١٤.

(٤٨) اللالئ الفريدة ٢١٣ظ.

(٤٩) روح المريد ١٢٨و.

(٥٠) شرح المفصل ١٠/١٢٧.

الخـــارج من الأنف أكثـــر ممـــا تحصـــل به ذات الميم والنـــون ، كمـــا فسـرهـــا بعض المحدثين بقوله : «وليست الغنة إلا إطالة لصوت النون ، مع تردد موسيقي محبب فيها» . (٥١) لكن الذي عليه جمهور العلماء هو أن الغنة يقصد بها مجرد خروج النفس المجهور من الأنف قليلاً كان ذلك النفس أم كثيراً ، طويلاً أم قصيراً .

وكـــان علمـــاء التجـــويـــد قد أكدوا على الترابط بين الغنة والنون والميم . فقال عبد الوهاب القرطبي : «والنون لها غنة في نفسها سواء كانت من الفم أو من الأنف ، لأن الغنـــة صوت من الخيشـــوم يتبـــع الحـــرف ، وإن كان خروجـــه من الفم» . (٥٢) وقال وهو يتحـــدث عن النـــون أيضـــا : «ولأجـــل جريـــان الغنـــة فيهـــا وفي الميم اذا طرأت على الخيشوم آفة تمنع الجريان رأيت النون أقرب الى التاء ، والميم أَمَسُّ بالباء» . (٥٣)

وكـــان الجعبـــري (ت ٧٣٢هـ) قد قال في ذلـــك كلمـــة جامعة هي : «والغنة صفة النـــون ، ولـــو تنويناً ، والميم ، تحركتا أم سكنتا ، ظاهرتين أو مخففتين أو مدغمتين ، لا تختص بمخرج بل كل راجع الى مخرجه . قال : وهذا معنى قول الداني : واما الميم والنون فيتجافى بهما اللسان الى موضع الغنة من غير قيد ، وبرهانه سد الأنف . وهي في الساكن أكمل من المتحرك ، وفي المخفى أزيد من المظهر ، وفي المدغم أوفى من المخفى» . (٥٤)

ولعـــل كلمـــة (مخففتين) مصحفة عن (مخفاتين) ، يدل على ذلك ما ورد في آخر النص من قوله (وفي المخفى أزيد من المظهر) وكذلك يدل عليه ان من نقلوا النص عن الجعبري ذكروا (مخافتين) .

وقد نقل كثير من علماء التجويد كلمة الجعبري السابقة ، مع بعض الزيادات مثل كلمـــة (لازمـــة) وتغييـــر كلمـــة (مخففتين) الى (مخفاتين) ، فقال احمد بن الجزري : «اعلم أن الغنـــة صفـــة لازمـــة للنـــون والميم تحركتا أو سكنتا ، ظاهرتين أو مخفاتين أو

---

(٥١) ابراهيم أنيس : الاصوات اللغوية ص ٧١ .

(٥٢) الموضح ١٧١و.

(٥٣) الموضح ١٦٤ظ.

(٥٤) انظر: القسطلاني : لطائف الاشارات ١ / ١٩٥ .

مدغمتين، وهي في الساكن أكمل من المتحرك. . . ». [55] وقال المرعشي: «قول الجعبري (المدغمتين) الاولى أن يقال بدله: أومشددتين، ليشمل المشددتين بلا ادغام نحو إنَّ وثُمَّ». [56] ولخص السمنودي (ت ١٠٨٤هـ) الامر بقوله: «وهي صفة لازمة للنون والتنوين والميم مطلقاً». [57]

وكان مكي قد قال: «الغنة حرف شديد مجهور، لا عمل للسانْ فيها». [58] وهذا يناقض ما قرره جميع علماء العربية وعلماء التجويد من اعتبار (النون) حرفاً متوسطاً، والغنة تابعة للنون. ومن ثم تصدى الجعبري لقول مكي السابق وأنكره، وذلك حيث قال: «جَعْلُهُ الغنة حرفاً غير سديد بالمهملة. وان أراد أنها ذات محل مغاير فلا يلزم منه حرفيتها. قال: والى هذا أشرنا في العقود[59] بقولنا:

والغنة أَبْطِلْ قولَ مكيٍّ بها ... في أنها حرفٌ وأُمَّ بَيَانِي
في أنها لا تَسْتَقِلُ بنَفْسِهَا ... وتَحلُّ حرفاً رَبَّةَ استعلانِ» [60]

وكان بعض علماء التجويد قد أطلق على (النون الخفية) كلمة (الغنة)، على نحو ما ذكرنا عند الكلام عن مخرج النون الخفية، وهما وان كانتا من الناحية الصوتية شيئاً واحداً، بينهما فرق، قال المرعشي: «ان قلت: ما الفرق بين النون المخفاة وبين الغنة قلت: هما متحدتان ذاتاً، لأن كُلًّا منهما صوت يخرج من الخيشوم، لكن ذلك الصوت صفة في الأصل للنون والميم الساكنتين، كما في عَنْ ولَمْ، ويسمى حينئذ غنة، وقد تخفى النون الساكنة، ومعناه أن يعدم ذاتها وتبقى صفتها التي هي

---

(٥٥) الحواشي المفهمة ٤٧ظ، وانظر: عبد الدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٤٣و، وأحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ص ١٣، والمرعشي: جهد المقل ١٨ظ.

(٥٦) جهد المقل ١٨ظ - ١٩و.

(٥٧) تحفة الطالبين ٤و.

(٥٨) الرعاية ص ٢١٤.

(٥٩) يريد كتابه (عقود الجمان في تجويد القرآن) (انظر رقم ٢٥ من مصادر علم التجويد في الفصل الاول).

(٦٠) القسطلاني: اللالئ السنية ٩ظ. وانظر: لطائف الاشارات (له) ١/١٩٥.

الغنـة كمـا في عَنْـكَ، وسميت النـون نونـاً مخفـاة. وبـالجملة ان الغنـة تطلق على الصـوت الخـارج من الخيشـوم سواء قام بالحـرفين المـذكـورين أو قام بنفسه، وفي اصطلاح أهل الأداء تختص بما قام بالحرفين المذكورين». (٦١)

وقد استخدم علماء الأصوات المحدثون لوصف النون والميم كلمة (الأنفية)، (٦٢) بينما استخدم بعضهم كلمة (الغنّاء) و(أغنّ). (٦٣) وهي كلمة سبق الى استخدامها بعض علماء التجويد. (٦٤)

وليس ثمة ما هو جديد في كلام المحدثين عن الغنة وحرفيها (النون والميم) سوى اشـارتهم الى انخفـاض الحنـك اللين واللهـاة في أثنـاء نطق الأصوات الأنفية حيث يقـولـون: «وتتكـون الأصوات الأنفية بأن يحبس الهواء حبساً تاماً في موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف». (٦٥) بينما كان علمـاء التجـويـد يقـولـون ان غنة النون والميم تجري في الخيشوم (الانف) دون أن يشيروا الى حركة أعضاء آلة النطق المصاحبة لذلك.

٣ ـ الصفير:

لم يذكر سيبـويـه هذه الصفـة، وكـذلك فعل ابن جني في (سر صناعة الأعراب)، وأقـدم من ذكـرهـا، ممـا اطلعت عليـه من المصـادر، هو المبـرد، فقـد قال في (المقتضب): «ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا حروف الصفير، وهي حروف تنسل انسلالاً، وهي السين والصاد والزاي». (٦٦)

وكـانت لعلمـاء التجـويد عناية خاصة بهذه الصفة، وحاولوا أن يوضحوا المقصود بكلمـة الصفيـر، فقـال مكي (ت ٤٣٧هـ): «وحقيقـة الصفير أنه اللفظ الذي يخرج

---

(٦١) المرعشي: جهد المقل ١٠و، وأنظر: ١٨ظ.

(٦٢) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٧، وماريوپاي: أسس علم اللغة ص ٨٦.

(٦٣) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٤.

(٦٤) الداني: التحديد ٣٥ظ، ٤٠ظ. والعطار: التمهيد ١٤٦ظ.

(٦٥) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٤. وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٧

(٦٦) المقتضب ١٩٣/١ وانظر أيضا: ٢٢٥/١ و٢٢٦.

بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حساً ظاهراً في السماء». (٦٧) وقال ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ): «والصفير حدة الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب». (٦٨) وقال المرادي (ت ٧٤٩هـ): «وهو صويت يصحب هذه الأحرف يشبه صفير الطائر». (٦٩)

وربط علماء التجويد بين تسمية هذه الأصوات الثلاثة بحروف الصفير وبين ظاهرة الصفير في أصوات الطبيعة، فقال مكي: «وانما سميت بحروف الصفير لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير». (٧٠) وقال الداني (ت ٤٤٤هـ): «سميت بذلك لأنك تسمع فيها شبيهاً بالصفير عند إخراجها من مواضعها». (٧١) وقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «وسميت بذلك لشبه أجراسها بالصفير». (٧٢)

والصفير صفة ذاتية في هذه الأصوات لا تنفك عنها، كما ان الغنة صفة ذاتية في النون والميم، وهي تخرج من مخرج واحد وانما فرّق بينها صفات مميزة هي الهمس في السين والجهر في الزاي والاطباق في الصاد. (٧٣)

والكلام عن صفة الصفير مع أنها لم تكن ذات أثر في التمييز بين الأصوات، يدل على إدراك للخصائص الدقيقة للأصوات، وهي صفة لاحظها علماء الأصوات المحدثون، فقالوا: «ويوصف الصوتان س ـ ز غالباً بأنهما صفيريان، لما يصحبهما من صفير أو أزيز، وهما في الحقيقة صوتان من النوع الاحتكاكي». (٧٤) وقالوا: «وسميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها. والسبب في قوة الاحتكاك هو أن نَفْس المقدار من الهواء مع الثاء يجب أن يمر مع السين خلال منفذ أضيق». (٧٥)

---

(٦٧) الرعاية ص ١٨٦.

(٦٨) مرشد القارئ ١٣٠ظ.

(٦٩) شرح الواضحة ص ٣٦.

(٧٠) الرعاية ص ١٠٠.

(٧١) التحديد ١٩و.

(٧٢) الموضح ١٥٨ ظ.

(٧٣) انظر: مكي: الرعاية ص ١٨٥.

(٧٤) ماريوپاي: اسس علم اللغة ص ٨٥.

(٧٥) احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٨.

٤ ـ التكرير:

التكـريـر، ويقـال له التكرار أيضا، [٧٦] «هو ارتعاد طرف اللسان بالراء»، [٧٧] أوهو «تضعيف يوجد في جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها». [٧٨] وكان سيبويه قد قرر هذه الصفـة للراء، فقـال وهـويتحـدث عن صفات الحروف: «ومنها المكرر، وهوحرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكـرر لم يجـر الصـوت فيـه، وهـو الـراء». [٧٩] وقال أيضا: «والراء اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحاً». [٨٠]

واختلف علمـاء التجـويـد في صفة التكرير أهي لازمة للراء أم لا؟ فكان مكي قد أكد اخفاء تكريرها كثيراً، فقال: «فواجب على القارئ أن يخفي تكريره ولا يظهره، ومتى ما أظهـره فقـد جعـل من الحـرف المشدد حروفاً، ومن المخفف حرفين». [٨١] وقال الفخر الموصلي (ت ٦٢١هـ): «فيجب على القارئ اخفاء التكرير والا كان لاحناً». [٨٢] وقال الجعبري (ت ٧٣٢هـ): «وتكريره لحن، فيجب التحفظ عنه . . . قال: وطـريق السـلامـة منه أن يلصق اللافظ به ظهر لسانه بأعلى حنكه لصقاً محكماً مرة واحدة، ومتى ارتعد حدث من كل مرة راء». [٨٣]

وذهب بعض علمـاء التجـويـد الى ان التكـريـر صفة ذاتية للراء وهوموافق لظاهر كلام سيبويه. [٨٤] قال أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني (ت ٥٣٩هـ): «واعلم أن

---

(٧٦) انظر: المبرد: المقتضب ١/٢١٢، والبقري: غنية الطالبين ص ١٦.

(٧٧) مكي: الرعاية ص ١٧٠.

(٧٨) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٠ظ.

(٧٩) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٨٠) الكتاب ٤/١٣٦.

(٨١) الرعاية ص ١٧٠ وانظر أيضا ص ٢٣٠.

(٨٢) الدر المرصوف ١٧١و.

(٨٣) انظـر: المـرادي: شرح الـواضحـة ص ٤٤، والمفيـد (له) ١١٣و. والقسطلاني: اللالئ السنية ١٢و.

(٨٤) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٥، وابن الجزري: النشر ١/٢٠٤.

الـراء متكـررة في جميـعْ أحـوالهـا ، وأبين مايكون ذلك عند الوقف عليها . وقد ذهب قوم من أهـل الأداء الى أنـه لا تكـرير فيها مع تشديدها ، وذلك لم يؤخذ علينا ، غير أنا لا نقول بالاسراف فيه ، وأما ذهاب التكرار جملة فلم نعلم أحدا من المحققين بالعربية ذكر أن تكريرها يسقط بحال» . (٨٥)

وذهب ابن الجـزري الى أنـه ليس المقصـود بتكـرير الراء ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة ، ولا باخفائها إعدام تكريرها ، بل المقصود بذلك الاعتدال بين الأمرين ، فقـال : «وقـد توهـم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللســان بها المرة بع المرة ، فأظهر ذلك حال تشديدها ، كما ذهب اليه بعض الأندلسيين ، والصواب التحفظ من ذلـك باخفـاء تكـريرها ، كما هو مذهب المحققين ، وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشـددة فيأتي بهـا محصـرمة شبيهة بالطاء ، وذلك خطأ لا يجوز ، فيجب أن يلفظ بها مشـددة تشـديـداً ينبـو به اللســان نبوة واحدة وارتفاعاً واحداً من غير مبالغة في الحصر والعسر نحو: (الرّحمن الرّحيم) (الفاتحة ١) ، و(خرّ موسى) (الاعراف ١٤٣) . . . » . (٨٦)

وقـال المـرعشي (ت ١١٥٠هـ) : «ليس معنى إخفـاء تكـريـره إعدام تكريره بالكلية باعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلية ، لأن ذلك لا يمكن الا بالمبالغة في لصق اللسان باللثـة بحيث ينحصـر الصـوت بينهمـا بالكلية كما في الطاء المهملة ، وذلك خطأ لا يجـوز كمـا صرح ابن الجـزري في النشـر ، لأن ذلـك يؤدي الى أن يكـون الـراء من الحروف الشديدة مع أنه من الحروف البينية» . (٨٧)

.وقد وصف علماء الأصوات المحدثون صوت الراء في العربية بأنه مكرر ، من غير أن يشيـروا الى قضيـة إخفـاء التكـرير . (٨٨) وقدر بعضهم أن طرف اللسان يطرق حافة

---

(٨٥) انظر: المرادي : شرح الواضحة ص ٤٣ ، والمفيد (له) ١٠٢و.

(٨٦) النشر ٢١٨/١-٢١٩ .

(٨٧) جهد المقل ١٦ظ.

(٨٨) ابـراهيم أنيس : الاصـوات اللغـويـة ص ٦٧ ، ومحمـود السعـران : علم اللغة ص ١٨٧ ، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٦ .

الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً في أثناء نطق الراء.[٨٩] وهوما يفهم من قول بعض علماء التجويد: «ان الراء فيها صفة التكرار، لأنها تكرر، اذا قلت: مُرْوُدْرُ، يتحرك طرف اللسان بها فتصير راءين وأكثر».[٩٠] وقد نقل المرعشي قول السيد الشريف في شرح المواقف: «الغالب على الظن أن الراء التي في آخر (الدار) مثلا راءات متوالية، كل واحد آني الوجود، إلا أن الحس لا يشعر بامتياز آناتها فظنها حرفاً واحداً زمانياً».[٩١]

وكان سيبويه قد ذكر أن الراء المفتوحة بمنزلة حرفين مفتوحين، وان الراء المكسورة كأنها حرفان مكسوران، لما فيها من التكرار.[٩٢] ونقل علماء التجويد هذه الفكرة عن سيبويه، وقالوا بأن «الحركة عليها مقام حركتين».[٩٣] ونصوا على أن الفتحة عليها مقام فتحتين، وان الكسرة عليها مقام كسرتين.[٩٤]

ومن غير اليسير تأكيد هذه الفكرة أو نفيها بالوسائل المتيسرة لهذا البحث. ولكن يمكن أن نتساءل ونقول: هل تتداخل الحركة التي تنطق بعد صوت الراء بين طرقات طرف اللسان على اللثة في أثناء نطق صوت الراء، أم أن الفم لا ينفتح بالحركة الا بعد تمام صوت الراء؟ أرجح ـ الآن ـ الاحتمال الثاني، من خلال التجربة الذاتية، ولكن من غير أن أنفي احتمال التأثر المتبادل بين صوت الراء وحركته.

٥ ـ التفشي:

استخدم سيبويه كلمة (التفشي) في وصف الشين،[٩٥] وكذلك فعل المبرد لكنه وصف الضاد أيضا بالتفشي.[٩٦]

---

(٨٩) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٧.

(٩٠) الفاسي: اللآلئ الفريدة ٢١٥و، والسمرقندي: روح المريد ١٢٧ظ.

(٩١) جهد المقل ٦ظ. وانظر: شرح المواقف ٥/٢٧٢.

(٩٢) الكتاب ٤/١٣٦.

(٩٣) مكي: الكشف ١/١٧١، والداني: التحديد ٣٦و.

(٩٤) مكي: الكشف ١/٢١٥.

(٩٥) الكتاب ٤/٤٤٨.

(٩٦) المقتضب ١/٢١١ و٢١٤.

وذكر علماء التجويد هذه الصفة وحاولوا تقديم تعريف لها، فقال مكي: «ومعنى التفشي هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها». (٩٧) وقد وصف بعض علماء التجويد الضاد والفاء والثاء بالتفشي اضافة الى الشين. (٩٨) وقال المرعشي: «وبالجملة ان الحروف المذكورة مشتركة في كثرة انتشار خروج الريح، لكن ذلك الانتشار في الشين أكثر، ولذا اتفق في تفشيه، وفي البواقي قليل بالنسبة اليه، ولذا لم يصفها أكثر العلماء بالتفشي». (٩٩)

ونقل أبو شامة في شرح الشاطبية أن ابن مريم الشيرازي(١٠٠) قال: «ومنها حروف التفشي، وهي أربعة مجموعة في قولك (مشفر) وهي حروف فيها غنة وتفش وتأفف وتكرار، وانما قيل لها حروف التفشي وان كان التفشي في الشين خاصة لأن الباقية مقاربة له، لأن الشين بما فيه من التفشي ينتشر الصوت فيه ويتفشى حتى يصل الى مخارج الباقية». (١٠١) واطلاق التفشي على الميم والراء فيه توسع لا يحتمله التصنيف الدقيق للأصوات.

وأهمل أكثر دارسي الأصوات العربية من المحدثين ذكر هذه الصفة. (١٠٢) وهي وان كانت من الصفات المحسنة التي لا شأن لها في تمييز الأصوات أكثر من توضيح خاصة صوتية معينة في الصوت الذي يوصف بها لها أهميتها في تتبع سلوك ذلك الصوت في التركيب، وفي تفسير الظواهر الصوتية التي تخصه، وبين أيدينا مثال يوضح أهمية معرفة الصفات المحسنة في تفسير بعض الظواهر الصوتية، وهو أن الدكتور ابراهيم أنيس ذكر أن الأمثلة القرآنية في الادغام قد خلت من ذكر الزاي

---

(٩٧) الرعاية ص ١٠٩، وانظر أيضا ص ١٤٩ و ٢٠١. وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٨ظ.

(٩٨) مكي: الرعاية ص ١١٠ و ٢٠١. والداني: التحديد ١٩و. والمرعشي: جهد المقل ١٧و.

(٩٩) جهد المقل ١٧و.

(١٠٠) لعله نصر بن علي بن محمد الذي قال عنه ابن الجزري (يعرف بابن أبي مريم) وهو صاحب كتاب (الموضح في القراءات الثمان) الذي فرغ منه سنة ٥٦٢هـ (انظر: غاية النهاية ٢/٣٣٧).

(١٠١) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١١.

(١٠٢) ذكرها جان كانتينو: دروس ص ٣٨.

والشين مدغمتين في غيرهما من الأصوات وقال: «وليس لهذا مايبرره من الناحية الصوتية سوى مجرد المصادفة». [١٠٣]

ونجد في ماقاله علماء العربية وعلماء التجويد تفسيراً صوتياً لتلك الظاهرة، بعيداً عن تكأة المصادفة، فقد قرروا أن «كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص صوتاً منه». [١٠٤] وقال الداني: «وجملة الحروف التي تمتنع من الادغام لزيادة صوتها ثمانية أحرف، وقد جمعتها في قولك: فزم ضرس شص: الشين والضاد والراء والصاد والسين والزاء والميم والفاء. أما الشين فمن أجل تفشيها، وأما الضاد فلاستطالتها، وأما الراء فلتكريرها، وأما الصاد والسين والزاء فلصفيرهن، وأما الميم فلغنتها، وأما الفاء فلتفشيها». [١٠٥]

٦ ـ الاستطالة:

وصف سيبويه الضاد بهذه الصفة، [١٠٦] وكذلك وصف الشين بالاستطالة في بعض المواضع، فقال: «الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء». [١٠٧] وقال بعض علماء التجويد ان الاستطالة هي «امتداد الصوت من أول حافة اللسان الى آخرها». [١٠٨]

وقد صرح بعض علماء التجويد أن الاستطالة لا يوصف بها الا الضاد فقالوا: «والمستطيل حرف واحد، وهو الضاد». [١٠٩] ولكن بعض المتأخرين من علماء التجويد قال: ان الاستطالة لا تختص بالضاد، بل الشين مستطيلة أيضا للتفشي. [١١٠]

---

(١٠٣) الاصوات اللغوية ص ١٩٠.

(١٠٤) ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٣٣.

(١٠٥) الادغام الكبير ٦ظ.

(١٠٦) الكتاب ٤/٤٣٢ و٤٤٦ و٤٧٠.

(١٠٧) الكتاب ٤/٤٥٧ و٤٦٦.

(١٠٨) المرعشي: جهد المقل ١٧و.

(١٠٩) الداني: التحديد ١٩و، وانظر: مكي: الرعاية ص ١٠٩.

(١١٠) المرعشي: جهد المقل ١٧ظ.

ولاحظ علماء التجويد أن هناك صلة بين مصطلح المستطيل ومصطلح الممدود، وحاولوا التفريق بينهما، فقال الجعبري: «والفرق بين المستطيل والممدود ان المستطيل جرىٰ في مخرجه، والممدود جرى في نَفْسه». [111] وقال المرعشي معلقا على ذلك: «توضيح هذا الفرق أن للمستطيل مخرجاً له طول في جهة جريان الصوت، فجرى في مخرجه بقدر طوله ولم يتجاوزه، لما عرفت أن الحرف لا يتجاوز مخرجه المحقق، وليس للممدود مخرج، فلم يجر الا في ذاته لا في مخرج، اذ المخرج المقدر ليس بمخرج حقيقة، فلا ينقطع الا بانقطاع الهواء، ولأجل هذا الفرق اختلفت تسمياتها، ولو انعكست لصح لكنهم اختاروا ذلك». [112]

ولاحظ المرعشي وجود علاقة بين صفة الاستطالة وصفة التفشي، ويتضح من كلامه أن الصوت المتفشي والصوت المستطيل يحتاجان الى زمن لنطقهما أكثر من بقية الحروف الجامدة الرخوة، ولكن لا يبلغان زمن الصوت الممدود، يقول: «ان التفشي يوجب استطالة الصوت فكل متفش مستطيل. وقد عرفت حروف التفشي في بابه، وبالجملة ان الحروف على أربعة مراتب:

آنِيّ لا يمتد أصلاً وهي الحروف الشديدة.

وزمانيّ يمتد قدر ألف وهي حروف المد.

وزمانيّ يقرب من قدر ألف وهي الضاد المعجمة وحروف التفشي.

وزمانيّ يقرب من الآنيّ، وهي بواقي الحروف». [113]

ولما كانت الضاد القديمة الموصوفة بالاستطالة غير متحققة في النطق اليوم، وهي الأصل في هذه الصفة فان تصور تلك الصفة في الضاد لا يصل الى الوضوح التام، ويمكن أن نستنتج أن المقصود بالاستطالة هو اتساع مخرج الحرف، أي أن ما يأخذه الحرف المستطيل من العضوين الذين يشتركان في مخرجه أكبر مما يأخذه الحرف غير المستطيل من ذينك العضوين.

---

(111) انظر: علي القارى: المنح الفكرية ص ١٧.

(112) جهد المقل ١٧ظ.

(113) جهد المقل ١٧ظ.

٧ ـ الانحراف:

وصف سيبويه اللام بأنه حرف منحرف، فقال وهو يتحدث عن صفات الحروف: «ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام... وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك». (١١٤)

وكذلك وصف علماء التجويد اللام بأنه منحرف، فقال عبد الوهاب القرطبي: «ومن الحروف المنحرف، وهو اللام، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما». (١١٥)

ووصف بعض علماء التجويد الراء بأنه صوت منحرف أيضا، كما فعل مكي حين قال «حرفا الانحراف، وهما اللام والراء، وانما سيما بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما، وعن صفتهما الى صفة غيرهما»، ونلمح من كلامه أنه يحمل صفة الانحراف على معنى خاص، فهو يقول عن اللام: «فسمي منحرفاً لانحرافه عن حكم الشديدة وعن حكم الرخوة فهو بين صفتين» ويقول عن الراء: «وقيل إنما سميت الراء منحرفة لأنها في الأصل من الحروف الشديدة، لكنها انحرفت عن الشدة الى الرخاوة، حتى جرى معها الصوت...». (١١٦) ونسب الداني الى الكوفيين القول بأن الراء منحرف «لانه ينحرف عن مخرج النون الى مخرج اللام...». (١١٧)

ووَصْفُ الراء بالانحراف غير سديد، كما يبدو لي، وذلك لان الانحراف وصف لطبيعة مرور الهواء في مخرج اللام، وهو لا ينطبق على الراء الذي يوصف بأنه مكرر لأن مرور الهواء في مخرجه له صفة خاصة، وقد قال المرادي: «وأكثر البصريين لا يصف بالانحراف الا اللام وحدها. وذهب الكوفيون ومكي الى أن الراء منحرف.

(١١٤) الكتاب ٤/٤٣٥، وانظر: المبرد: المقتضب ١/١٩٣ و٢١٣.

(١١٥) الموضح ١٥٧و.

(١١٦) انظر في ذلك كله: الرعاية ص ١٠٧ـ١٠٨.

(١١٧) التحديد ١٩و.

قال بعض النحويين: وهو مذهب سيبويه. قلت: وهو ظاهر كلامه قال: [118] ومنها المكرر وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام». [119]

ولا يكفي قول سيبويه ان الراء انحرف الى اللام ليعد صوتا منحرفا، فالمنحرف صار مصطلحاً له دلالة معينة، لا مجرد كلمة تدل على معنى لغوي ينطبق على أي نوع من أنواع الانحراف. فالأصوات المنحرفة تتكون «بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء عن طريق أحد جانبي العقبة، أوعن جانبيها، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرف (أو الجانبية). . . ». [120] وهذا الوصف لا ينطبق على الراء، ولذلك لم يصف المحدثون الراء بالانحراف.

٨ ـ صفات أخرى:

هناك صفات أخرى للأصوات يذكرها بعض علماء التجويد، ولم تشتهر شهرة الصفات التي تحدثنا عنها، وكان مكي بن أبي طالب أكثر علماء التجويد حرصاً على تقصي كل ما له صلة بالحروف العربية وادراجه في قائمة صفات الحروف، حتى بلغ ما أحصاه أربعة وأربيعن لقبا وصفة، ولم يبلغ أحد من علماء التجويد في إحصاء الصفات ما بلغه مكي، ولا أجد هنا ضرورة للحديث عن جميع تلك الصفات، وأكتفي بالاشارة اليه فقط، والتوقف عند أكثرها لصوقاً بالدرس الصوتي.

ان مجموعة من تلك الصفات تتعلق بحروف المد واللين، مثل الهاوي، والهوائية، والإمالة، والمد، واللين، وسوف نتحدث عنها في مبحث الأصوات الذائبة. ومجموعة أخرى من تلك الصفات تتعلق بالدراسة الصرفية مثل: الحروف الأصلية، والزائدة، وحروف العلة، وحروف الابدال، ومجموعة ثالثة تمثل ألقاب الحروف التي لقب الخليل بن أحمد بها الحروف، تبعاً لمخارجها، وهي عشرة: الحلقية واللهوية. . . الخ. [121]

---

(١١٨) الكتاب ٤/٤٣٥.

(١١٩) المفيد ١١٢ظ.

(١٢٠) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٥. ويلاحظ هنا ان بعض المؤلفين المحدثين يستخدمون كلمة (الجانبي) بدل (المنحرف) وبعضهم حافظ على المصطلح القديم.

(١٢١) انظر: الرعاية ص ٩٢ـ١١٦.

وذكر السمرقندي عدداً من الصفات الجديدة للحروف مثل (النبر والبحة والنفث). [١٢٢] وقد ذكر الحسن بن شجاع التوني أن الحروف النافثة الفاء والثاء، والنابرة الهمزة، وفسر النبر بالحدة[١٢٣] ولعل السمرقندي يريد بالبحة صوت الحاء الذي قال عنه الخليل: «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين». [١٢٤]

وهناك بعض الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي توصف بها، فذكر مكي (الحرف المهتوف) وفسره بالهمزة، وقال: «سميت بذلك لخروجها من الصدر، كالتهوع، فتحتاج الى ظهور صوت قوي شديد، والهتف الصوت الشديد». ثم قال: ان بعض العلماء ذكر موضع المهتوف: المهتوت بتاءين. [١٢٥] ويبدو أن أصل التسمية يرجع الى ما قاله الخليل عن الهمزة: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فاذا رُفِّهَ عنها لانت. . .». [١٢٦]

وكان ابن جني قد قال: «ومن الحروف المهتوت، وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء». [١٢٧] وتابع بعض علماء التجويد ابن جني في أن المهتوت هو الهاء. [١٢٨] وتردد بعضهم بين قول مكي وقول ابن جني، فقال عبد الوهاب القرطبي: «ومن الحروف المهتوتة وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء. وقال بعضهم المهتوت الهمزة». [١٢٩]

وذكر الزمخشري في المفصل ان المهتوت هو التاء، وتابعة على ذلك شراح

---

(١٢٢) روح المريد ١٢٤ظ. وكان ابن جني قد قال (سر صناعة الاعراب ١/١٨٩): «الثاء حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث».

(١٢٣) المفيد في علم التجويد ٥ظ.

(١٢٤) العين ١/٥٧.

(١٢٥) الرعاية ص ١١٢. وفي لسان العرب (١١/٢٥٩ هتف): الهتف الصوت الجافي العالي، وقيل الصوت الشديد. وفيه أيضا (٢/٤٠٨ هتت): الهت شبه العصر للصوت.

(١٢٦) العين ١/٥٢.

(١٢٧) سر صناعة الاعراب ١/٧٤. وقد نسب ابن منظور ذلك الى سيبويه (لسان العرب ٢/٤٠٨ هتت) ولم اتمكن من التحقق من هذه النسبة.

(١٢٨) العطار: التمهيد ١٤٧و.

(١٢٩) الموضح ١٥٨و.

المفصل.[١٣٠] ورجح الجاربردي ان المهتوت هو الهاء، وقال: «ان ما ذكر في المفصل من ان المهتوت التاء كأنه غلط من الناسخ».[١٣١]

ومن الصفات المختلف في أصواتها (الجرسي)، قال مكي: «الحرف الجرسي وهو الهمزة، سميت بذلك لأن الصوت يعلوبها عند النطق بها. . . والجرس في اللغة الصوت. فكأنه الحرف الصوتي، أي المصوت به عند النطق به. وكل الحروف يصوّت بها عند النطق بها، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك».[١٣٢] وكان عبد الوهاب القرطبي قد ذكر هذه الصفة على هذا النحو (الجرس) بالسين في آخر الكلمة. وقال: «وأما الجرس فالألف الساكنة لا يكون الا كذلك».[١٣٣] ولعل قوله هذا يعتمد على رواية عن الخليل جاء فيها «فأما الألف اللينة فلا صرف لها، انما هي جرس مدة بعد فتحة».[١٣٤]

وذكر مكي الحروف (المشربة)، ويقال لها (المخالطة) بكسر اللام وفتحها. وفسرها بأنها الحروف الستة التي اتسعت العرب فيها فزادتها على التسعة والعشرين، نحو الصاد التي بين الصاد والزاي، وشبه ذلك. سميت بذلك لأنها تخالط غيرها.[١٣٥] لكن مصطلح (المشربة) عند سيبويه لا يمت الى هذا التفسير بصلة، فهو لديه أقرب الى أن يكون مرادفاً لمصطلح المجهورة.[١٣٦]

وهناك صفات أخرى ذات ارتباط وثيق بحقائق الأصوات وطبيعتها، تحدث عنها

---

(١٣٠) ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٨. وابن الحاجب: الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٩٠. انظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٦٤. وابن عصفور: الممتع في التصريف ٢/٦٧٦.

(١٣١) شرح الشافية ص ٢٥٠.

(١٣٢) الرعاية ص ١٠٨.

(١٣٣) الموضح ١٥٨ظ.

(١٣٤) تهذيب اللغة ١/٥١.

(١٣٥) الرعاية ص ١٠٥-١٠٦.

(١٣٦) انظر: الكتاب ٤/١٧٤.

علماء التجويد وهي من أكثر الصفات دقة، ولا يستطيع الدارس تقديم رأي قاطع في ما قاله علماء التجويد عنها من غير الاستعانة بالأجهزة الحديثة لدراسة الأصوات، ولما كانت هذه الاجهزة غير متيسرة فاننا نكتفي بعرض وجهة نظر علماء التجويد في تلك الصفات، وهي: الخفاء والظهور، والقوة والضعف.

(أ) **الخفاء والظهور:**

وصف سيبويه بعض الحروف بأنها خفية، وكان صوت الهاء أول تلك الحروف، فقد قال سيبويه في مواضع كثيرة: ان الهاء خفية. (١٣٧) وكذلك وصف الحروف الثلاثة الياء والواو والألف بأنها خفية. (١٣٨) وكذلك وصف النون بأنها خفية. (١٣٩) ولم يوضح سيبويه معنى قوله (خفية).

وقد ذكر مكي (الخفية) في صفات الحروف فقال: «الحروف الخفية، وهي أربعة: الهاء، وحروف المد واللين المتقدمة الذكر. وانما سميت بالخفية لأنها تخفىٰ في اللفظ اذا اندرجت بعد حرف قبلها... والألف أخفى هذه الحروف لأنها لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها.... وقد ذكر بعض العلماء أن في الهمزة خفاء يسيراً، (١٤٠) وكذلك النون الساكنة فيها خفاء». (١٤١)

وقال عبد الوهاب القرطبي: «وأما الخفية فالهاء والألف والياء والواو. وذلك لاتساع مخرجهن، وأوسعهن مخرجاً الألف، لأنه لا علاج على اللسان فيها كالنَّفَس، ثم الهاء، ثم الياء، ثم الواو. ومما يشرك هذه الحروف في الخفاء النون، اذا سكنت في غير إظهار ولا إدغام ولا قلب». (١٤٢)

(١٣٧) الكتاب ٢/٤٢١، ٣/٥٣٢، ٤/١٢٣ و١٩٥ و٢٠٠.

(١٣٨) الكتاب ٢/٢٦٢ و٤٢١، ٤/١٦٥ و١٩٥.

(١٣٩) الكتاب ٤/١٦١.

(١٤٠) قال سيبويه (الكتاب ٤/١٧٧): «فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها في الوقف حركوا ما قبلها، ليكون أبين لها».

(١٤١) الرعاية ص ١٠٢-١٠٣.

(١٤٢) الموضح ١٥٨ظ.

وتحدث المرعشي عن هذه الصفة وسماها (الخفاء)، وقال: «وهي في اللغة الاستتار، وفي العرف خفاء صوت الحرف، وحروفها أربعة حروف المد والهاء». (١٤٣) وقد جعل لهذه الصفة مقابلاً وهو الظهور فقال: «وضد الخفاء الظهور، ولم يقع الاصطلاح به». (١٤٤) ويفهم من كلام المرعشي أنه يريد بالخفاء والظهور مقدار الأثر الذي يتركه الصوت في السمع. فقد قال: «وأما خفاء الهاء فلاجتماع جميع صفات الضعف فيها مع اتساع مخرجها. قال في الرعاية: الخفاء من علامات ضعف الحرف، ولما كان الهاء حرفاً خفياً وجب أن يتحفظ ببيانها حيث وقعت. (١٤٥) أقول: معنى بيانها تقوية صوتها بتقوية ضغط مخرجها، فلولم يتحفظ على تقوية ضغط مخرجها لمال الطبع الى توسيع مخرجها لعسر تضييقه لبعده عن الفم، فيكاد أن ينعدم في التلفظ». (١٤٦)

واذا كنا نلاحظ بالحس المجرد أن الهاء من أخفى الحروف في السمع، وينطبق عليها وصف سيبويه بأنها خفية، فان من غير المقبول أن نصف حروف المد بأنها خفية ونفسر ذلك على أنها أقل وضوحا في السمع من غيرها، وذلك لأن علماء الأصوات المحدثين يقولون: ان مما تتميز به الأصوات الصائتة (الذائبة = حروف المد) على الاصوات الصامتة (الجامدة) قوة وضوحها في السمع. (١٤٧)

فتفسير الخفاء بقلة الوضوح في السمع ينطبق على صوت الهاء، دون حروف المد، ومن ثم وجب البحث عن تفسير آخر لا يترتب عيه مثل هذا التناقض. وربما أمكن الوصول الى ذلك التفسير من خلال ملاحظة صفة مشتركة تجمع بين الأصوات الخفية الأربعة، فحروف المد من أكثر الحروف اتساعاً في المخرج، وهي أصوات مجهورة، ويقرر علماء الأصوات أن الهاء في انتاجها وصفاتها لا تختلف عن حروف

---

(١٤٣) جهد المقل ١٨و.

(١٤٤) جهد المقل ١٨ظ، وانظر ١٩و.

(١٤٥) انظر: مكي: الرعاية ص ١٣٠.

(١٤٦) جهد المقل ١٨و.

(١٤٧) محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٣. وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٩٢.

المـد (الحـركـات) إلا في الجهـر.[148] حتى ذهب بعضهم الى إمكانية وصفها بأنها (صائت مهموس).[149] فالحروف الخفية الأربعة تشترك في كون مخارجها متسعة. ولكن كيف يمكن أن يؤثر اتساع المخرج على هذه الأصوات حتى يمكن أن توصف بأنهـا خفيـة؟ ان تفسيـر الخفاء باتساع المخارج غير كاف، فقول المرعشي في تفسير خفاء حروف المد: «وأما خفاء حروف المد فلسعة مخرجها»[150] لا يزال بحاجة الى بحث ينبني على التعرف على الخصائص الفيزياوية والسمعية لهذه الأصوات.[151] وهذا أمر لا نملك وسائل القيام به الآن.

(ب) القوة والضعف:

لا نجـد في كلام متقـدمي علمـاء العـربيـة شيئاً واضحاً ومفصلاً عن موضوع قوة الصوت وضعفـه،[152] ويبـدو أن علمـاء التجـويـد هم أول من بحث هذا الموضوع على نحـو مفصـل، وربمـا كان مكي بن أبي طالب هو واضـع نظـريـة قوة الحـروف وضعفهـا لدى علمـاء التجـويـد، فهـو أقـدم من تكلم عن هذا الموضوع وأفاض في الحديث عنه وعرض تفصيلاته في أكثر من كتاب من كتبه، ويكاد كلام الذين جاءوا من بعده يكون اقتباساً منه.

تحـدث مكي عن هذا المـوضوع في كتابه (**الرعاية**) في أكثر من موضع في أثناء كلامـه عن صفـات الحروف، فقال وهو يتحدث عن الحروف الشديدة: «والشدة من

---

(١٤٨) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٨٩.

(١٤٩) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٥.

(١٥٠) جهد المقل ١٨و.

(١٥١) ينفي الدكتور عبد الصبور شاهين (القراءات القرآنية ص ٤٠) أن يقصد بالخفاء الهمس، ويفسـره بضعف هذه الأصـوات. وهـو يعني ضعفهـا في السلوك اللغـوي (أي الصـرفي) (أنظر: القراءات القرآنية ص ٤٣).

(١٥٢) وردت اشارة الى الأقوى والأضعف من الحروف عند ابن جني (الخصائص ١/ ٥٤ـ٥٥، وانظـر منـاقشـة الـدكتـور حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٢٨٨) وهي إشارة تفتقر الى الوضوح والتحديد اللذين نجدهما في كلام علماء التجويد.

علامـات قوة الحـرف، فان كان مع الشدة جهر واطباق واستعلاء فذلك غاية القوة في الحـرف، لأن كل واحدة من هذه الصفـات تدل على القـوة في الحرف، فاذا اجتمع اثنتـان من هذه الصفـات في الحـرف أو أكثر فهي غاية القوة كالطاء. فعلى قدر ما في الحـرف من الصفـات القـويـة كذلـك قوتـه، وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضعفه».

«فافهم هذا لتعطي كل حرف في قراءتك حقه من القوة، ولتتحفظ ببيان الضعيف في قراءتك، فالجهر والشدة والصفير والاطباق والاستعلاء من علامات قوة الحرف، والهمس والرخاوة والخفاء من علامات ضعف الحرف، فاعرف هذه المقدمة».[١٥٣]

وعـاد مكي الى المـوضـوع مرة أخـرى في كتاب (الرعاية) حين تحدث عن صفة الرخاوة، وقدم بعض التطبيقات والموازنات في مجال قوة الحروف وضعفها، فقال: «وهـذه الصفـة من علامـات الضعف، كالهمس والخفاء، فاعرف الصفات الضعيفة والصفـات القـويـة تَقْوَ بذلك على تجويد لفظك في كتاب الله جل جلاله، فاذا كان أحـد هذه الصفـات الضعيفـة في حرف كان فيه ضعف، واذا اجتمعت فيه كان ذلك أضعف له، كالهاء التي هي مهموسة رخوة منفتحة خفية... كذلك الصفات القوية اذا كان أحـدهـا في حرف قَوِيَ بذلـك، فاذا اجتمعت في حرف كان ذلـك أقوى له، كالطاء الذي اجتمع فيه الجهر[١٥٤] والشدة والاطباق والاستعلاء، ونحو الضاد الذي اجتمـع في الصفيـر والاطباق والاستعلاء، فهو دون الطاء في القوة، اذ عدمت الجهر والشـدة، والضـاد أقـوى من الصـاد، لأن الضاد حرف مجهور، مع أنه مطبق مستعل مستطيـل، فالجهـر الـذي فيه أقوى من الصفير الذي في الصاد فاعرف هذا». وعالج مكي الموضوع في مواضع أخر من كتاب (الرعاية).[١٥٥]

وعقـد مكي في كتـابـه (الكشف عن وجوه القراءات) باباً مستقلاً للموضوع سماه (باب في معرفة الحروف القوية والضعيفة)، لخص فيه عناصر الفكرة، وبلغ ما ذكره

---

(١٥٣) الرعاية ص ٩٣-٩٤.

(١٥٤) هذا الوصف ينطبق على الطاء العربية القديمة، أما الطاء التي تنطق اليوم فمهموسة.

(١٥٥) انظر: الرعاية ص ١٠٦ و١٠٧ و١٧٢ و١٧٥ و١٧٨ و١٨٣ و١٩٨.

في هذا البـاب من الصفـات القـويـة عشرة، حيث قال: «واعلم أن القوة في الحرف تكـون بالجهـر وبـالشـدة وبـالاطبـاق والتفخيم وبـالتكـريـر وبـالاستعـلاء وبالصفير وبالاستطالة وبالغنة وبالتفشي». [156] وقد طبق مكي نظريته عن قوة الحروف وضعفها في الفصول التي تحدث فيها عن الادغام في كتابه (الكشف). [157]

وتحـدث عن موضـوع تقسيم صفـات الحـروف الى قويـة وضعيفـة بعض شراح الشاطبية، وان لم يشر اليه الشاطبي. [158] وكذلك فعل بعض شراح المقدمة الجزرية وان لم يشر اليه ابن الجزري. [159] كذلك تحدث عن الموضوع المرادي، [160] والقسطلاني، [161] والنابلسي، [162] والمرعشي. [163]

ولم يغير هؤلاء الذين جاءوا بعد مكي شيئاً من فكرة الموضوع، وغاية ما أضافوه تقسيم الصفـات الى قويـة وضعيفـة ومتـوسطـة، حيث قالـوا ان المتوسط بين الشدة والـرخـاوة صفة متوسطة بين القوة والضعف. [164] وكذلك قسم المرادي الحروف الى قوي مطلقاً وهوما اجتمعت فيه صفات القوة، وقوي من وجه، وضعيف من وجه، وهو ما اجتمعت فيـه صفـة قوة وصفـة ضعف. [165] وزاد النـابلسي تلك التقسيمـات الى خمسة، حيث قال: «فانقسمت هذه الحروف باعتبار القوة والضعف الى خمسة أقسام:

---

(١٥٦) الكشف ١/١٣٧.

(١٥٧) الكشف ١/١٤١-١٦٠.

(١٥٨) الفاسي: اللالئ الفريدة ٢١٥ظ، وأبو شامة: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٣.

(١٥٩) أحمـد بن الجـزري: الحـواشي المفهمـة ٢١ظ، وعبـد الـدائم الازهـري: الطـرازات المعلمة ١٢و.

(١٦٠) المفيد ١٠٢ظ.

(١٦١) لطائف الإشارات ١/٢٠٤.

(١٦٢) كفاية المستفيد ٨ظ - ١١و.

(١٦٣) جهد المقل ١٩و- ١٩ظ.

(١٦٤) عبد الغني النابلسي: كفاية المستفيد ٨ظ.

(١٦٥) المرادي: المفيد ١٠٢.

القسم الاول: قوي محض، وهي الطاء المهملة.

والقسم الثاني: الى ضعف محض، وهو الفاء.

والقسم الثالث: قوته أغلب، وهي الهمزة والجيم والدال المهملة والصاد والضاد المعجمة والغين المعجمة والقاف.

والقسم الرابع: ضعفه أغلب، وهي الألف والتاء المثناة الفوقية والثاء المثلثة والحاء المهملة والخاء المعجمة والذال المعجمة والشين والسين والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء [المثناة][166] التحتية.

والقسم الخامس: قوته وضعفه سواء، وهو الباء الموحدة والراء والزاي والعين المهملة». [167]

وكان عبد الغني النابلسي قد أورد الحروف واحداً بعد الآخر وبَيَّنَ ما في كل حرف من صفات القوة والضعف. [168] وهو ما لم يفعله غيره من المؤلفين الذين كانوا يكتفون بتقديم أمثلة محدودة، على نحو ما قال الفاسي: «وما ذكرته في هذه الحروف الأربعة مغنٍ عن الاطالة بذكر جميع الحروف». [169]

وزاد النابلسي على ما ذكره مكي من صفات القوة صفتين هما الانصمات والانحراف، كما زاد على صفات الضعف عدداً آخر، ولم يذكر الخفاء، وذلك حيث قال: «اعلم أن الصفات التي ذكرناها، وهي تسع عشرة صفة صفات القوة منها اثنتا عشرة صفة هي: الجهر والشدة والاستعلاء والانطباق والانصمات والصفير والقلقلة والانحراف والتكرار والتفشي والاستطالة والغنة. وصفات الضعف منها ست وهي: الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والانذلاق واللين. وصفة واحدة متوسطة بين القوة والضعف وهي البينية». [170] ويعني بالبينية المتوسطة بين الشدة والرخاوة.

(١٦٦) زيادة مني ليست في الاصل.

(١٦٧) كفاية المستفيد ١١و.

(١٦٨) كفاية المسفيد ٨ظ - ١١و.

(١٦٩) اللالئ الفريدة ٢١٥ظ.

(١٧٠) كفاية المستفيد ٨ظ.

وذكـره لصفـة الانصمـات في صفات القوة لا يتضح له وجه، لأن الأصوات المصمتة في تفسير أكثر العلماء هي الممنوعة من أن تنفرد بكلمة طويلة (رباعية أوخماسية)، فهذه صفة لا تعلق لها بجرس الأصوات.

ولم يحـدد علمـاء التجـويـد المـراد بقوة الحرف وضعفه، ولكني أرجح أن يكون ذلك متعلقا بقوة وقع الصوت ووضوحه في السمع، على نحوما فسرنا به صفة الخفاء والظهور. وهو أمر يفهم من قول المرعشي وهويقسم فيه الصفات القوية الى درجات بحسب القـوة: «فظهـر ان صفـات القـوة متفاوتة في القوة لأن وجه كونها صفات القوة إيجاب قوة صوت الحرف، وهو مما يقبل الشدة والضعف. والذي نفهمه أن القلقلة أقـوى الصفـات، والشـدة أقـوى من الجهـر، وكـل واحـد من هذه الثـلاثة أقوى من التفشي والصفير، وان الاطباق أقوى من الاستعلاء الخالي عنه، والله أعلم بما ذكرنا وبالبواقي» . (١٧١)

وليس متيسراً الآن إعطاء تقويم شامل لفكرة تقسيم الصفات الى قوية وضعيفة، وان كنت أعتقـد أن تفـاوت الصفـات في القـوة والضعف أمـر وارد ومحسوس، ولكن تقـديم تفصيـلات عن درجـات القوة والضعف والتأكد من نسبة الصفات إلىٰ أي من الصنفين، يحتـاج الى أجهـزة مختبـر الصوت وهو مالم يتيسر لنا استخدامه في تقويم نتائج الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.

---

(١٧١) جهد المقل ١٩ظ.

ثالثا ـ وصف الاصوات :

ان تحديد مخرج الصوت ليس كافياً وحده في توضيح حقيقته، كذلك بيان صفاته، فلابد من خطوة أخرى لتجميع العناصر التي تكوّن الصوت وضم بعضها الى بعض، حتى تتضح ملامحه المكونة له التي تميزه عن غيره، وهذه الخطوة ضرورية في الدرس الصوتي، لأن تحليل الأصوات المفردة على مراحل تبدأ بالمخارج وتنتهي بالصفات، وتصنيفها أثناء ذلك الى مجموعات لا يسمح بتقديم وصف شامل لكل صوت بمفرده.

الباء مثلاً صوت تكرر ذكره في عدة مباحث سابقة عند الحديث عن :

١ ـ المخارج، ووصف بأنه شفوي.

٢ ـ الجهر والهمس، ووصف بأنه مجهور.

٣ ـ الشدة والرخاوة، ووصف بأنه شديد.

ولا يكفي لتوضيح خصائص (الباء) بأن نقول انه صوت (شفوي)، لأن هذا الوصف لا يوضح الا النقطة التي يتكون فيها الصوت، وهناك جوانب أخرى تشارك في إعطاء الصوت جرسه المتميز، مثل حالة الوترين الصوتيين، وكيفية مرور الهواء في النقطة التي يتكون فيها الصوت، والتي تعرف بالمخرج. فلابد من توضيح هذه العناصر الثلاثة الأساسية عند الحديث عن خصائص وصفات أي صوت. فيجب ان نقول عند وصف الباء بأنه (صوت شفوي مجهور شديد). وهناك عوامل أخرى تسهم في تَكَوُّنِ بعض الأصوات غير العناصر الثلاثة السابقة على نحوما يتضح من كلامنا السابق عن صفات الأصوات.

وقد حظي هذا الموضوع بعناية كبيرة من علماء التجويد، وكذلك من علماء الأصوات المحدثين. أما علماء العربية من اللغويين والنحاة فلم يعنوا كثيراً بهذا الجانب من الدرس الصوتي، وان كانت دراستهم في الجوانب الأخرى وافية، فابن جني مثلا لم يزد في وصفه للأصوات عند الحديث عنها مبوبة على ذكر صفتي الجهر

والهمس، فيقول: «الباء حرف مجهور». [1] وهكذا، الا أنه حين وصف الثاء قال: «الثاء حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث». [2] وقال حين وصف الراء: «الراء حرف مجهور مكرر»، [3] ووصف الطاء بأنه «حرف مجهور مستعل». [4] وهو نفس وصفه للغين. [5] ولم يعن ابن جني بتحديد المخرج أو تبيين صفتي الشدة والرخاوة أو الصفات الأخرىٰ.

ونلاحظ عناية علماء التجويد بوصف الأصوات منذ القرن الخامس عصر المؤلفات الكبرى في هذا العلم، فنجد ذلك في كتاب (الرعاية) لمكي (ت ٤٣٧هـ) وكتاب (التحديد) للدانيّ (ت ٤٤٤هـ)، وكتاب (الموضح) لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ). ويأتي وصف الأصوات في هذه الكتب دقيقاً لكنه موجز أحيانا وغير واف في أحيان أخرى، بينما نلاحظ طغيان التعقيد والمبالغة في وصف الأصوات لدى جماعة من علماء التجويد المتأخرين مثل القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في كتابيه (اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية) و(لطائف الاشارات لفنون القراءات)، ومثل أبي الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠هـ) في كتابه (الجواهر المُضِيَّة على المقدمة الجزرية). وبين المؤلفات القديمة والمؤلفات المتأخرة هناك مرحلة متوسطة تتمثل بكتاب (روح المريد في شرح العقد الفريد) للسمرقندي (ت ٧٨٠هـ) وكتاب (التمهيد في علم التجويد) لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

ويمكن للباحث أن يتتبع تطور وصف الأصوات لدى علماء التجويد من خلال المراحل الثلاث السابقة. وهي مرحلة مؤلفات القرن الخامس، ومرحلة المؤلفات المتأخرة، والمرحلة الوسطى بين تينك المرحلتين.

وفي المرحلة الأولى نجد عبارة مكي في وصف الأصوات يغلب عليها الطول،

---

(١) سر صناعة الاعراب ١/١٣٥.

(٢) المصدر نفسه ١/١٨٩.

(٣) المصدر نفسه ١/٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه ١/٢٢٣.

(٥) المصدر نفسه ١/٢٤٧.

بينما تتقارب عبارة الداني والقرطبي، مع إيجاز يغلب على عبارة الداني في بعض الأحيان. وقد جاء وصف الأصوات في كتب هؤلاء العلماء الثلاثة في أول حديثهم عن كل حرف في الفصول التي عقدوها لبيان الظواهر الصوتية المتصلة بكل حرف من حروف العربية، ويحرص مكي على توضيح مخرج الحرف أولاً، بينما يكتفي كل من الداني والقرطبي بما ذكراه عن مخارج الحروف في الباب الذي وضعاه في أول كتابيهما.

قال مكي في وصف الطاء: «الطاء تخرج من المخرج الثامن من مخارج الفم، تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا، والطاء من أقوى الحروف، لأنه حرف مجهور شديد مطبق مستعل». (٦)

وقال الداني: «ذكر الطاء، وهو حرف مجهور مستعل مطبق». (٧)

وقال عبد الوهاب القرطبي: «الطاء من الحروف المستعلية المجهورة والمطبقة الشديدة». (٨)

وعند الموازنة بين النصوص الثلاثة نجد أن مكياً بَيَّنَ مخرج الصوت في أول كلامه، ثم ذكر أربع صفات لصوت الطاء (مجهور شديد مطبق مستعل) ووصف الطاء بالجهر مبني على النطق القديم لهذا الصوت. ونجد أن الداني والقرطبي لم يشيرا الى المخرج واكتفيا بذكر صفات الصوت، مع ملاحظة أن الداني أغفل الاشارة الى كون الصوت (شديداً).

ونلاحظ من النصوص السابقة انها تضمنت العناصر الأساسية لوصف الصوت وهي: المخرج، وبيان حالة الجهر والهمس، وتوضيح كيفية مرور الهواء في المخرج، مع توضيح ما يتميز به صوت الطاء من صفة (الاطباق).

وفي المرحلة المتوسطة لوصف الأصوات نلاحظ إضافة بعض الصفات الجديدة، مع إغفال الاشارة الى مخرج الصوت، فيقول السمرقندي في وصف

---

(٦) الرعاية ص ١٧٢.

(٧) التحديد ٣١ظ.

(٨) الموضح ١٦٣و.

الطاء: «للطاء خمس صفات: القلقلة والاطباق والاستعلاء والجهر والشدة». [٩] وقال ابن الجزري في وصف الطاء أيضا: «حرف مجهور شديد مطبق مستعل مقلقل»، [١٠] الصفة الجديدة هنا هي (القلقلة).

ويأخذ وصف الأصوات شكله الكامل البالغ حد الافراط في المؤلفات المتأخرة على نحو ما يتضح من قول القسطلاني في وصف الطاء: «والطاء مجهور، مستعل بالعين، منطبق، شديد، مفخم، مقلقل، مبدل، مصمت، نطعي». [١١] ومثل ذلك قول الوفائي: «والطاء المهملة نطعية مجهورة شديدة مستعلية مطبقة مصمتة مقلقلة». [١٢]

وانما قلت ان هذا الوصف الكامل قد بلغ حد الافراط لأنه جاء بصفات لا يقتضي توضيح الخصائص الصوتية للطاء ذكرها، فالصفات الثلاث التي ذكرها القسطلاني (مستعل، منطبق، مفخم) يمكن اختصارها بصفة واحدة، وهي (منطبق أو مطبق) التي من لوازمها الاستعلاء والتفخيم. وكذلك (مبدل ومُصْمَت) لاتدلان على خاصة صوتية للطاء، وانما تشيران الى ظواهر صرفية لا يلزم في الدرس الصوتي ذكرها. أما العنصر الجديد في هذا الوصف فهو تحديد مخرج الصوت، فان كلمة (نطعي) تشير الى المخرج، وهو نطع الغار الأعلى. وهذه الكلمة من مصطلحات الخليل التي استخدمها لتحديد مخارج الحروف، وقد استعان بها علماء التجويد في وصف الاصوات، وهي: حلقية ولهوية وشَجْرِية ونِطْعية وأَسَلِية وذلقية ولِثَوية وشفوية وهوائية. [١٣]

ولا توجد طريقة محددة لوصف الأصوات، فعلماء التجويد وصفوا الأصوات من غير أن ينصوا على أساس محدد لعملهم، وكذلك أغفل المحدثون تحديد طريقة

---

(٩) روح المريد ١٢٧ظ.

(١٠) التمهيد ص ٤٤.

(١١) لطائف الاشارات ١/ ٢٠٥. وانظر: اللالئ السنية (له) ١٣ظ.

(١٢) الجواهر المضية ٣٥ظ.

(١٣) انظر: العين ١/ ٥٨.

معينة لوصف الأصوات، ولا يخرج الناظر في وصفهم للأصوات بتصور واضح، ويتضح ذلك بالنظر في وصف الطاء لدى أربعة من كبار دارسي الأصوات العربية من المحدثين، وهو قولهم:

١ ـ الطاء الآن صوت شديد مهموس.(١٤)

٢ ـ الطاء صوت صامت مهموس سني مطبق انفجاري.(١٥)

٣ ـ أما صوت الطاء فأسناني لثوي شديد مهموس مفخم.(١٦)

٤ ـ فالطاء اذن صوت أسناني ـ لثوي انفجاري مهموس مفخم (أو مطبق).(١٧)

ويلاحظ على هذه النصوص الأربعة ثلاث ملاحظات: الأولىٰ اختلاف المصطلحات المستخدمة للتعبير عن بعض الصفات، ويرجع جانب من ذلك الاختلاف الى وجود اكثر من مصطلح للتعبير عن الصفة الواحدة مثل (شديد وانفجاري) ومثل (مفخم ومطبق) وان كان علماء التجويد يفرقون بين المفخم والمطبق. ويرجع جانب آخر منه الى عدم الاتفاق في تحديد بعض العناصر الصوتية مثل ما نجده في النصوص السابقة من الاختلاف في تحديد المخرج بين (سني) و(أسناني لثوي).

والملاحظة الثانية: وجود اختلاف يسير في عدد الصفات، فالنص الاول خلا من تحديد المخرج ومن ذكر صفة الاطباق، وهو ما ورد في موضع آخر، والنص الثاني تضمن صفة (صامت) وهي تعني أن الصوت ليس مصوتاً، اي انه جامد لا ذائب بتعبير بعض علماء التجويد.

والملاحظة الثالثة: وهي المهمة هنا، أن النصوص الأربعة لم تتفق على طريقة واحدة و برنيب الصفات، وهو مايدل على أن الأمر خاضع لاجتهاد الدارسين، ولا

---

(١٤) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص٦٢.

(١٥) محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٨.

(١٦) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٤.

(١٧) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٣٠.

توجد خطة موحدة لوصف الأصوات، فبينما نجد النصين الأخيرين متفقين في ترتيب الصفات نجد النصين الأولين في غاية الاختلاف.

وإذا كنا لا نجد خطة واضحة محددة لترتيب الصفات عند القدماء ولا عند المحدثين فاننا نلاحظ وجود اتجاهين في تحديد عدد الصفات التي يمكن أن يوصف بها الصوت. الاتجاه الاول: يقتصر على ذكر الصفات المميزة للصوت مع تحديد مخرجه. وهو الغالب على وجهة المحدثين، وعلى مؤلفات المرحلة الأولى والثانية من كتب علم التجويد، والاتجاه الثاني: يستقصي ذكر الصفات المميزة والمحسنة والمبالغة في ابتداع صفات أخرى قد لا تكون ذات دلالة صوتية محضة، وهو الغالب على مؤلفات علماء التجويد المتأخرة.

ولما كان غرض الدراسة العلمية تقديم الحقائق بأوجز عبارة واضحة وجدت أن المنهج المناسب لوصف الأصوات هو الاتجاه الاول الذي سار عليه علماء التجويد الأوائل، والتزم به دارسو الأصوات العربية المحدثون ويتلخص ذلك المنهج في الأمور الآتية:

١ ـ تحديد مخرج الصوت. مهما كانت الطريقة في الوصول الى ذلك، فالملاحظ أن علماء العربية وعلماء التجويد ينسبون أصوات الفم الى أجزاء اللسان التي تشترك في انتاج تلك الأصوات، فيقولون: إن مخرج الكاف من أقصى اللسان، وإن الياء من وسط اللسان، وأن الدال من طرف اللسان، ويقولون: حروف أقصى اللسان، وحروف وسط اللسان، وحروف طرف اللسان. أما المحدثون فانهم ينسبون أصوات الفم الى الجزء الثابت من الحنك الذي يشترك مع أجزاء اللسان في انتاج الأصوات، فيقولون: الكاف (حنكي قصي)، والياء (حنكي وسيط) والدال (أسناني لثوي). ولا فرق في ذلك لأن الصوت اذا كان يشترك عضوان في إنتاجه فيمكن أن ينسب الى أي منهما، أو الى كليهما.

أما أصوات الحلق وأصوات الشفتين فان عبارة القدماء والمحدثين في تحديد مخرجها تكاد تكون متفقة، والاختلاف الموجود بينهم هو اختلاف عبارة أكثر

منه اختلافاً في تحديد ذات المخرج، على أن بعض علماء التجويد المتأخرين استخـدمـوا مصطلحات الخليل في تحديد المخارج، وهي في جوهرها أقرب الى مذهب المحدثين.

٢ ـ تحـديـد الصفـات المميـزة للصـوت، ويجب أن ينص على كونـه مجهـوراً أو مهموساً، شديداً أو رخواً، إلا الأصوات المتوسطة فيكفي فيها، بعد النص على الجهر، أن يقال ان الراء مكرر، واللام منحرف (جانبي)، والنون أغن، والميم أغن كذلك، وتوصف العين بأنها رخوة الى أن تتضح حقيقة توسطها.

امـا الاطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال فلاأجد ضرورة لوصف جيمع الأصـوات بهـذه الصفـات، فيكفي ان نحدد الصوت المطبق وننص عليه وندع الصوت المنفتح دون نص، واذا قلنا ان الصوت مطبق فان ذلك يغني عن ايراد صفـة الاستعـلاء، واذا قلنـا في الغين والخـاء والقاف انها مستعلية لا يلزم بعد ذلـك أن نصف الأصـوات الأخـرى بأنهـا مستفلة، وذلـك لأن صفتي الاطباق والاستعـلاء لا تشمـل الا عدداً محـدوداً من الأصوات، فيكفي النص عليها عن النص على الصفات المضادة لها في غيرها من الأصوات.

امـا الصفـات المحسنـة فلا بأس من ذكـرها مقترنة بأصواتها، فنصف الشين بالتفشي، والباء بالقلقلة، والزاي بالصفير مثلا.

٣ ـ اهمـال الاشـارة الى الصفات التي يذكرها بعض متأخري علماء التجويد وهي ليست ذات دلالة صوتية، مثل (مبدل وزائد ومصمت ومعتل). (١٨)

٤ ـ اقترح أن يكون ترتيب الصفات على هذا النحو:

أ ـ ذكر المخرج.

ب ـ تحديد كيفية مرور الهواء في المخرج (شديد، رخو).

حـ ـ بيان حالة الوترين الصوتيين (مجهور، مهموس).

د ـ ذكر صفة الاطباق أو الاستعلاء.

هـ ـ ذكر الصفة المحسنة.

---

(١٨). انظر: القسطلاني: لطائف الاشارات ١/٢٠٤ ـ ٢٠٦.

وأجد أن البدء بذكر المخرج أولى من البدء بذكر حالة الوترين، لأن العنصر الأساسي للصوت يتكون في المخرج ثم تتجمع حوله العناصر الأخرى التي يمكن أن نسميها بالعناصر الثانوية للصوت. فصوت (الباء) مثلا العنصر الأساسي فيه هو حركة الشفتين (المخرج) فهو شفوي. ثم ينضم الى ذلك كيفية مرور الهواء، وهو من هذه الناحية يوصف بأنه شديد (=انفجاري)، وتبين بعد ذلك حالة الوترين الصوتيين، وهو من هذه الناحية يوصف بأنه مجهور. فالباء اذن صوت شفوي شديد مجهور.

ويحتاج ذكر وصف علماء التجويد للأصوات وتتبع ذلك عبر المراحل الثلاث الى مكان لايتسع له البحث، وبدلاً عن ذلك سوف أكتفي بايراد بعض الامثلة التي توضح موقف علماء التجويد من وصف الأصوات عبر تلك المراحل، مقروناً ذلك بنص يمثل وجهة دارسي الأصوات العربية من المحدثين. وسوف أورد وصف الباء والصاد والنون والكاف والهاء، ولا أذكر إلا نصاً واحداً من كل مرحلة، الى جانب النص المنقول عن المحدثين.

١ ـ الباء:

أ ـ الباء حرف مجهور شديد في نفسه متقلقل.(١٩)

ب ـ الباء مجهورة شديدة منفتحة مستفلة مقلقلة.(٢٠)

جـ ـ الباء مجهور منفتح مستفل بالفاء متقلقل شديد، مذلق، شفهي.(٢١)

د ـ الباء صوت شفوي انفجاري مجهور.(٢٢)

٢ ـ الصاد:

أ ـ حرف صفير مهموس مطبق مستعل.(٢٣)

---

(١٩) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٦٠و.

(٢٠) ابن الجزري: التمهيد ص ٣٤.

(٢١) القسطلاني: لطائف الاشارات ١/٢٠٦.

(٢٢) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٢٨.

(٢٣) الداني: التحديد ٣٤و.

ب ـ وهي مهموسة رخوة مطبقة مستعلية صفيرية.[٢٤]

جـ ـ مهموس منطبق مستعل بالعين رخو صفيري مصمت مفخم أسلي.[٢٥]

د ـ صوت لثوي احتكاكي مهموس مفخم (مطبق).[٢٦]

٣ ـ النـــون:

أ ـ حرف أغن مجهور.[٢٧]

ب ـ وهي مجهورة بين الشدة والرخاوة منفتحة مستفلة فيها غنة.[٢٨]

جـ ـ مجهور منفتح مستفل بالفاء، بين الشدة والرخاوة، مذلق، مرقق، أغن.[٢٩]

د ـ صوتِ أسناني لثوي أنفي مجهور.[٣٠]

٤ ـ الكـــاف:

أ ـ تخرج من المخرج الثاني من مخارج الفم بعد القاف مما يلي الفم، وهي مهموسة شديدة.[٣١]

ب ـ وهي مهموسة شديدة منفتحة مستفلة.[٣٢]

جـ ـ مهموس منفتح شديد مستفل بالفاء مصمت لهوي.[٣٣]

د ـ صوت حنكي قصي انفجاري مهموس.[٣٤]

---

(٢٤) ابن الجزري: التمهيد ص ٤٢.

(٢٥) القسطلاني: لطائف الاشارات ١/٢٠٦.

(٢٦) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٥٤.

(٢٧) الداني: التحديد ٣٥ظ.

(٢٨) ابن الجزري: التمهيد ص ٤٩.

(٢٩) القسطلاني: لطائف الاشارات ١/٢٠٥.

(٣٠) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٦٨.

(٣١) مكي: الرعاية ص ١٤٧.

(٣٢) ابن الجزري: التمهيد ص ٤٦.

(٣٣) القسطلاني: لطائف الاشارات ١/٢٠٥.

(٣٤) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٣٨.

٥ ـ الهـــاء:

أ ـ وهي حرف خفي مهموس.(٣٥)

ب ـ وهي مهموسة رخوة منفتحة مستفلة خفية.(٣٦)

جـ ـ حلقية مهموسة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة خفية.(٣٧)

د ـ صوت حنجري احتكاكي مهموس.(٣٨)

---

(٣٥) الداني: التحديد ٢٥ظ.

(٣٦) ابن الجزري: التمهيد ص ٤٩.

(٣٧) الوفائي: الجواهر المضية ٣٥و.

(٣٨) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٥٦. ولا يلتفت هنا الى قول من قال من المحدثين الى ان الهـاء مجهـورة (انظـر: تمـام حسـان: منـاهج البحث في اللغة ص ١٠٣) فلعله لاحظ نطق صوت الهاء وهي بمجاورة أصوات مجهورة، فأثر جهرها على همس الهاء فبدت وكأنها مجهورة.

المبحث السادس
الاصـــوات الذائبـــة

تصنف الأصـوات الى صنفين رئيسيين سمـاهمـا بعض علمـاء التجـويد باسم: الأصوات الجامدة والأصوات الذائبة، وقد وضحت أسس هذا التصنيف في المبحث الثالث من هذا الفصل، كما استوفيت ذكر خصائص الأصوات الجامدة في المبحثين الـرابـع والخـامس منـه، وبقي أن أوضـح موقف علماء التجويد من دراسة الأصوات الذائبة، ومدى عنايتهم بها، وإدراكهم لخصائصها، وتوضيحهم لمخارجها وصفاتها والعلاقة في ما بينها.

أولاً ـ عدد الأصوات العربية الذائبة والعلاقة بينها:

قال أحمد بن أبي عمر: «والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، والواو المضمـوم ما قبله، والألف ولا يجيء إلا مفتـوحـاً ما قبله، وهذه الحروف حروف المد واللين، سميت بذلـك لانهـا تذوب وتلين وتمتـد. وما عداها جامد، لانه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد». [1]

(١) الايضاح ٧٤ظ.

وقد استخدم علماء التجويد مصطلحات أخرى للتعبير عن هذه المجوعة من الأصوات، كل مصطلح يوضح خاصة من خصائص الأصوات الذائبة. ومن تلك المصطلحات (المصوتة)، قال عبد الوهاب القرطبي: «وانما سميت مصوّتة لأن النطق بهن يصوّت أكثر من تصويته بغيرهن، لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن». (٢)

ومن تلك المصطلحات (الممدودة)، قال الداني: «سميت ممدودة لان الصوت يمتد بها بعد اخراجها من موضعها...». (٣) ومثل هذا المصطلح قولهم (حروف المد واللين) لان مد الصوت لا يكون في شيء من الأصوات الا فيهن، ولأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان. (٤)

وكذلك استخدم بعض علماء التجويد مصطلح (الجوفية) ومصطلح (الهوائية) وهما من مصطلحات الخليل بن أحمد ويشيران الى أهم خصائص الأصوات الذائبة وهو خروج النفس معها حراً طليقاً من غير أن تعترضه عوائق من شأنها أن تعيقه أو تمنعه عن انسيابه خلال الحلق والفم. (٥)

ومهما يكن المصطلح المستخدم في التعبير عن هذا الصنف من الأصوات فان علماء العربية وعلماء التجويد يقررون أنها ثلاثة أصوات: الألف والياء والواو المسبوقين بحركة من جنسهما. وكان جمهور العلماء يربطون بين هذه الأصوات الثلاثة وبين الحركات الثلاث ويقولون «ان الفتحة من الالف، والضمة من الواو، والكسرة من الياء». (٦)

وأصل هذه الفكرة في الربط بين حروف المد وبين الحركات ترجع الى سيبويه

---

(٢) الموضح ١٥٩و.

(٣) التحديد ١٨ظ.

(٤) مكي: الرعاية ص ١٠١.

(٥) انظر: مكي الرعاية ص ١٠٢ و١١٦.

(٦) الداني: التحديد ١٨ظ، وأبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٥، وابن الجزرى: النشر ٢٠٤/١.

الـذي قال: «وانمـا الحـركـات من الالف واليـاء والـواو». [٧] وقـال في مكـان آخـر: «فالفتحة من الالف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو». [٨] وتردد هذا المعنى في أماكن أخرى من كتاب سيبويه. [٩]

وكذلك كان مذهب المبرد الذي يقرر أن الحركات أبعاض حروف المد، [١٠] وأن «الفتحة من الألف، والضمة من الواو، والكسرة من الياء». [١١]

وأفـاض ابن جني في شرح تلك الخـلاصـات المـركـزة الورادة في كلام سيبويه والمبـرد في تحـديـد العلاقة بين حروف المد والحركات. فقال في كتابه (سر صناعة الاعـراب): «اعلم أن الحـركـات أبعـاض حروف المـد واللين، وهي الالف واليـاء والـواو، فكمـا أن هذه الحـروف ثـلاثــة؛ فكـذلـك الحـركات ثلاث، وهي الفتحة والكسـرة والضمـة، فالفتحة بعض الألف، الكسرة بعض الياء، الضمة بعض الواو. وقـد كان متقـدمـو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الـذي هي بعضـه... فلولا أن الحـركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها، ولا كانت تابعة لها... فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات ومُتَنَشِّئَةٌ عنها، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وان الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة». [١٢]

وكـان علمـاء العـربيـة مدركين لحقيقة كل من الحرف والحركة فهم يقررون «أن الحـركـات والحـروف أصـوات، وانمـا رأى النحـويون صوتاً أعظم من صوت فسموا

---

(٧) الكتاب ٤/١٠١.

(٨) الكتاب ٤/٢٤٢.

(٩) الكتاب ٢/٢٦٥ و٣/٥٤٤ و٤/١٧١ و٣٠٩ و٣١٣ و٣١٤ و٣١٨ و٣٣٥ و٣٣٩.

(١٠) المقتضب ١/٢١١.

(١١) المقتضب ١/٥٦.

(١٢) سر صناعة الاعراب ١/١٩-٢٧، وانظر: الخصائص (له): ٢/٣١٥ و٣/١٢١.

العظيم حرفاً، والضعيف حركة، وإن كانا في الحقيقة شيئاً واحداً». [١٣]

وقد ورث علماء التجويد هذه الأفكار التي توضح العلاقة بين حروف المد والحركات، التي تشير الى أن الأصوات الذائبة في العربية ثلاثة من حيث النوع، وهي الضمة والواو، والكسرة والياء، والفتحة والألف. وست من حيث الكمية طويلة وهي الألف، والواو، والياء، وقصيرة وهي الفتحة والضمة، والكسرة. واستوعب علماء التجويد هذه النظرية، وفهموها وأضافوا اليها اضافات قيمة ذات معنى.

فنجد عبد الوهاب القرطبي يعرض لفكرة ارتباط الحركات بحروف المد ويحاول أن يضيف أدلة جديدة لتأكيدها، فقال: «أما الحركات فهي أبعاض حروف المد واللين التي هي الألف، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، والواو والياء اذا كان ما قبلهما منهما. واذا كانت هذه الحروف ثلاثة، وجب أن تكون الحركات التي هي أبعاض لها ثلاثاً، وهي الضمة والكسرة والفتحة، فالضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء، والفتحة بعض الألف».

«وهذا الامر لا مزيد عليه في الوضوح، فان الضمة اذا أشبعت صارت واواً، والكسرة اذا مكنت عادت ياء، والفتحة اذا أمعن فيها تحولت ألفاً، لأن حروف المد قد تقصر في بعض الأحوال، وتطول في بعضها، وذلك أنك تقول: يسير ويرود ويخاف،. فتجد الصوتْ يمتد بهذه الحروف امتداداً الى حد ما، فاذا جاء بعد حرف من هذه الحروف همزة أوحرف ساكن امتد الصوت به مقداراً أكثر من المد الأول، كقولك: يجيء، ويسوء، ويشاء، ودابّة، ويطيب بّكر، وتمودّ الثوب، وفي الكتاب العزيز ﴿تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾[١٤] تمد الواو لأجل التشديد».

«فاذا تفاوت مقدار هذه الحروف في المد والزيادة، وخالفت في ذلك غيرها من الحروف جاز أن تخالفها أيضا في النقصان بأن يقال ان الحركات أبعاضها، وان لم يوجد ذلك في غيرها، وجاز أن تسمى الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الالف الصغيرة، على ما ذهب اليه بعضهم».

«وأوضح من هذا أن الحركة يُقَدَّرُ تَجَزُّؤُها في الاشمام والروم والاشارة الى الضم

(١٣) السيوطي: الاشباه والنظائر ١/١٧٧.

(١٤) الزمر ٦٤.

والكسر . . . وإذا كان التجزؤ يقدّر في الحركة فتقديره في الحرف أولى» .[١٥]

ونـاقش مكي بن أبي طالب قضيـة تدور حول الاختـلاف في حروف المد واللين والحركات الثلاث. أيهما مأخوذ من الآخر، وعقد لذلك باباً استغرق عدة صفحات، ناقش فيه مذاهب العلماء في هذا الموضوع، وذكر أن أكثر النحويين يذهبون الى أن الحـركـات الثـلاث مأخذوة من حروف المد. وذهب قوم الى أن حروف المد مأخوذة من الحركات الثلاث، بينما قال بعـــض أهل النظر: ليست هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، ولا الحركات مأخوذة من الحروف. وقال مكي عندئذ: «وهو قول صحيح ان شاء الله تعالى» .[١٦]

ونقل مكي في أثناء ذلك أدلة كل فريق من العلماء، وهي تكشف عن ادراك كامل للعـلاقـة بين هذه الأصـوات ولخصائصها، ولكن فكرة تحديد الأصل والفرع ليست ضروريـة هنـا، فيكفي أن ندرك ذلك الترابط وتلك العلاقة التي تجمع بين الأصوات الذائبة، من غير الأصرار على تعيين أيها أُخِذَ من الآخر، وذلك لأن الواقع يوضح أن كل صوت من الأصـوات الـذائبـة قصيـراً كان أم طويـلاً يمثـل امكانية من امكانيات الجهـاز النطقي عنـد الانسـان، وأنـه يمكن أن نقـول ان بعض هذه الأصوات ينتج بطـريقـة تمـاثـل إنتـاج صوت آخـر، وان الاختلاف بين الاثنين هو الكمية مثلاً، فلو قَصَّرْنَا الصوت الطويل لأدَّىٰ الى القصير، ولو طَوَّلْنَا القصير لأدَّى الى الصوت الطويل.

وكـان بعض علمـاء التجـويـد قد أدركوا على نحو دقيق ان الاختلاف بين كل من الفتحة والألف، والضمة والواو الممدودة، والكسرة والياء الممدودة، هو اختلاف في الكميـة، أي في مقـدار الـزمن الـذي يستغـرقه إنتاج كل من النوعين، وأنه متى قُصِّرَ حرف المـد صار حركـة، ومتى طُوِّلَتِ الحـركـة صارت حرف مد. وكـان عبد الوهاب القـرطبي أكثـر علمـاء التجـويـد عنـاية ببيان هذه العلاقة بين الأصوات الذائبة، وقد تضمن كتابه (الموضح في التجويد) عدة نصوص توضح ذلك، أكتفي بايراد همها..

(١٥) الموضح ١٥٠و- ١٥٠ظ.

(١٦) انظر: الرعاية ص ٨١-٨٤.

قال عبد الوهاب القرطبي، وهو يتحدث عن كيفية نطق الألف اذا لم يكن بعدها همزة أو حرف ساكن مدغم أو غير مدغم: «فينبغي أن يقيمها القارئ ويقطعها ويسلك في اللفظ بها التمطيط الأوسط، فلا يهمل توفية التمكين حقه فتصغر وتصير فتحة، ولا يبالغ في ذلك ويستقصي فتحول مدة، بل يوفر عليها من المد ما هو طبعها وصيغتها». (١٧)

وقال وهو يتحدث عن الواو والياء اذا كانا حرفي مد ولم يكن بعدهما همزة ولا حرف ساكن: «فينبغي أن يلزم فيهما اجتناب الافراط في الاشباع، والتحرز من إهماله بحيث يلتحقان بالحركة، مثل ما لزم في الألف، وقد مضى ذكره، وذلك بأن يُمَكَّنَا بمقدار ما فيهما من المد الذي هو طبعهما وخاصتهما، كقولك: مِيعَاد، ومِيقَات، ومِيرَاث، والمِيثَاق، وتُوعدُون، ويُوقنُون، ويُوصَل، وما أشبه ذلك». (١٨)

وعاد عبد الوهاب القرطبي الى تأكيد الفكرة مرة أخرى فقال: «فقد حصل للطالب بما ذكرناه في هذا الفصل، وبما قدمناه آنفا من القول على الواو والياء والألف في الباب الذي قبله أحكام هذه الحروف في المد وتفاوتها في مقداره، وتحقق عنده أنها تارة تكون ممدودة، وذلك في الأحوال التي شرحناها، وتارة تكون مشبعة ويكون امتداد الصوت بها دون امتداده في هذه الأحوال، فتمد المقدار الذي هو طبعها، كنحو الواو في (موسى)، والياء في (عيسى)، والألف في (طارد)، وان إهمال الاشباع يخرجها عن كونها حرفاً، ويلحقها بالحركة، والافراط في التمكين يلحقها بالممدود، وكلاهما مكروه». (١٩)

ويتضح من كلام عبد الوهاب القرطبي هنا أنه مدرك لطبيعة الاختلاف بين حرف المد والحركة وأنه ليس اختلافاً كتابياً يتمثل في تخصيص رمز لحرف المد وعلامة للحركة، وانما هو اختلاف صوتي يتمثل في تباين الزمن الذي يستغرقه النطق بكل منهما، فاذا جعل الناطق آلة النطق في وضع يمكنه من انتاج فتحة، فانه يستطيع أن ينتج الالف بمجرد أن يطيل زمن مرور النفس أكثر مما يحتاجه إنتاج الفتحة، وأنه اذا أطال الصوت أكثر من ذلك خرج الألف الى حالة المد التي تلزمه اذا وقع بعده همزة أو ساكن.

---

(١٧) الموضح ١٥٩ظ.
(١٨) الموضح ١٦٤ظ.
(١٩) الموضح ١٦٧و- ١٦٧ظ.

ومضى عبد الوهاب القرطبي في توضيح العلاقة بين الحركات وحروف المد وجعل لذلك طرفين: السكون وحرف المد، فالناطق يمكن أن يبدأ من السكون حتى ينتهي الى حرف المد، ويستطيع أن يبدأ بحرف المد حتى ينتهي الى السكون، ويمكن ان نلخص فكرته على هذا النحو: (سكون ← حركة مختلسة ← حركة ← حرف مد) ويمكن أن نعكس الترتيب، كل ذلك ممكن. تأمل قوله في هذا لمعنى: «الذي ينبغي أن يعتمده القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتحة بحيث تصير ألفاً، ولا الضمة بحيث تخرج واواً، ولا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعاً للحرف موضع الحركة، ولا يوهنها ويختلسها ويبالغ فيضعف الصوت عن تأديتها ويتلاشى النطق بها وتتحول سكونا». (٢٠)

واستطاع علماء التجويد أن يضبطوا النسبة بين الحركة وحرف المد، بما يوضح أن الفرق بين الحركة وحرف المد الذي هي منه هو فرق في الكمية، وان ذلك الفرق يمكن ان يقاس، وابتكروا طريقة لقياسه، وهي اعتبار الحركة أساساً للقياس، فقالوا ان الألف مثلا يساوي فتحتين، وعكس بعض العلماء المقياس فقالوا الفتحة تساوي نصف الألف. وهذه الطريقة وان لم تحدد كمية الحركة وحرف المد بالقياس الى الزمن المتمثل بالثانية وأجزائها تعتبر خطوة متقدمة جداً في مجال قياس الأصوات وادراك حقائق الاصوات الذائبة والعلاقة بين أنواعها.

ولم يكن معروفاً للباحثين المحدثين حول هذا الموضوع الا نص واحد، وكانت شهرته على نطاق ضيق لا يتعدى بعض المستشرقين، وكانت معرفتهم به خارج السياق الوارد فيه مما أدى الى قصور في تحديد الحقبة التي يرجع اليها. وكان (برافمان) هو أول من أشار اليه من المستشرقين في كتاب صغير ألفه عن الأصوات العربية سماه (مواد وبحوث في النظريات الصوتية عند العرب) المنشور في (غوتنغن) سنة ١٩٣٤، حسبما ذكر جان كانتينو الذي اقتبس منه ذلك النص.

قال جان كانتينو: «جاء في نص هام للقارئ ذكره برافمان في (مواد. . . ص ١٣) ما يلي: (الألف (أي الفتحة الطويلة) متكون من فتحتين، والواو من ضمتين، والياء

(٢٠) الموضح ١٨٣و. وانظر: ابن الطحان: مرشدالقارئ ١٣٥ظ.

من كسـرتين) وفي هذا النص دليـل أسـاسي على أن النـاطقين بالعربية يشعرون بأن الحركة الطويلة تضاهي حركتين قصيرتين» . (٢١)

وحاول هنري فليش أن يقلل من أهمية هذا النص، فقال معلقاً على كلام كانتينو السابق: «وقد استشهد كانتينو على أن العرب قد تصوروا أن المصوت الطويلَ معادل لمصـوتين قصيـرين، فهـو يرى ان هذا النص مهم وحاسم في هذه المسألة!! بيد أنه يجب أن ننظر الى تاريخ القارئ (الهروي) المتوفى عام ١٠١٤هـ = ١٦٠٥م. وكل ما يمكن أن نختم به هذا التعليق هو: أنه في العصر الأخير توصل المؤلفون في علم التجويد، والقارئ الهروي من بينهم على الأقل (اذ لم يذكر برافمان سواه مثلاً على مؤلفي هذا العلم) الى استنتاج فكرة المد أو الكمية» . (٢٢)

ولنـا على كلام هنـري فليش ملاحظتـان: الأولىٰ أن تاريخ هذا النص يرجع الى عصـر أقـدم من عصـر علي القـارى، والثانية هي أن هذا النص لم يكن الوحيد لدى علماء التجويد من النصوص التي عالجت تحديد العلاقة بين حروف المد والحركات.

أمـا الملاحظة الأولىٰ فتتبين من الرجوع الى النص المذكور في مصدره الأصلي، وهـو كتـاب (المنـح الفكـريـة على متن الجـزرية) لعلي القارى، وذلك حيث قال: «اعـلم أن الألـف مركب من فتحتين، والــواو مركب من ضمتين، واليــاء مركب من كسـرتين. فاذا أشبعت الفتحـة يتولد منها ألف، واذا أشبعت الضمة يتولد منها الواو، واذا أشبعت الكسرة يتولد منها الياء، كذا ذكره الشارح اليمني» . (٢٣)

فالنص اذن نقله علي القـارى عن أحـد شراح المقـدمـة الجـزريـة، وقـد سمـاه (الشـارح اليمني)، ولابـد ان يكـون الشارح اليمني قد عاش بين عصر ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) وعصـر علي القـارى (ت ١١٠٤هـ)، فالنص اذن يرجع الى وقت أقدم مما تصوره هنري فليش، وليس واضحاً من هو هذا الشارح اليمني، ومن بين شراح

---

(٢١) دروس ص ١٥١.

(٢٢) التفكيـر الصـوتي عنـد العـرب في ضوء سر صنـاعـة الاعراب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢٣، ص ٨٧، هامش (١).

(٢٣) المنح الفكرية ص ٥٠، وانظر: الدركزلي: خلاصة العجالة ١٨١ظ.

المقدمة عالم يمني اسمه محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشهير ببحرق، المتوفى سنة (٩٣٠هـ)، [٢٤] ولعل علي القارى قصده بقوله (الشارح اليمني)، وكان علي القارى مطلعاً على شرح (بحرق) للمقدمة الجزرية، ونقل عنه في أكثر من موضع. [٢٥] ولا نستطيع أن نجزم بأن الشارح اليمني هوبحرق الا بعد الاطلاع على شرحه، وهذا غير متيسر لنا الآن. [٢٦] ولكن بغض النظر عن تعيين اسم الشارح اليمني فالنص المذكور يرجع الى عصر أقدم من عصر علي القارى. ولا يغض من قيمة هذا النص كونه يرجع الى عصر متأخر.

والملاحظة الثانية تدل عليها عدة نصوص تعالج موضوع العلاقة بين الحركات وحروف المد وهي جميعها ترجع الى زمن أقدم من عصر علي القارى. وأول تلك النصوص ما ورد في قصيدة (الدر النضيد في معرفة التجويد) لمحمد بن قيصر بن عبد الله المارديني النحوي المتوفى سنة ٧٢١هـ، فقد قال في (الدر النضيد) وهي قصيدة لامية في (٢٧١) بيتاً، في علم التجويد:

ومـقـداره ثُلْثُ من الأُمِّ والأَصَح   نِصْفُ معاً والحرفُ رأسين أرْسِلاَ[٢٧]

وقد جاء في مخطوطة هذه القصيدة تعليقات موجزة كتبت بين أبياتها تكوّن شرحاً موجزاً لها، ولا نستطيع تحديد كاتب هذه التعليقات الآن، والذي يهمنا منها هو ما كتب عن البيت السابق ونصه: «قال: (ومقداره): مقدار الحركة (ثلث من الأمّ والأصح نصف): مقدار الفتحة ثلث ألف، والضمة ثلث واو، والكسرة ثلث ياء. والأصح عند الشيخ انه نصف. (معا) يعني مع القول بالثلث. (والحرف رأسين أرسلا): يعني أرسل الحرف رأسين مع الحركات الثلاث». [٢٨]

ويفهم من قول المارديني ومن التعليق عليه أن هناك علماء سبقوا المارديني في

---

(٢٤) انظر مصادر علم التجويد في الفصل الاول من هذا البحث رقم (٣٣ - ز).

(٢٥) المنح الفكرية ص ١٢ و٤٠.

(٢٦) وذلك لان شرح بحرق المسمى (ترجمة المستفيد) توجد منه نسخة في مكتبة رضا بالهند رقمها (٣٣٥) ولم نتمكن من الحصول عليها.

(٢٧) الدر النضيد ٦٣و.

(٢٨) المصدر نفسه.

بحث هذا الموضوع، فمنهم من قال ان الحركة ثلث حرف المد، ومنهم من ذهب الى انها نصف حرف المد وقد رجح المارديني هذا المذهب ولا أستبعد اكتشاف نصوص جديدة ترجع الى زمن أقدم من عصر المارديني تثبت أن علماء العربية وعلماء التجويد كانوا مدركين لطبيعة العلاقة بين الحركات وحروف المد.

وأشار القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) الى هذا الموضوع أيضا فقال: «ووزن الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها ولذلك سموا الفتحة الالف الصغرى، والكسرة الياء الصغرى، والضمة الواو الصغرى». [٢٩]

ولم يكتف علماء التجويد بتحديد كمية الحركات وحروف المد، بل حاولوا بيان مقدار الحركات القصيرة جداً التي تلحقها ظاهرة الاختلاس والروم، فقال أحمد بن الجزري: «والاختلاس والروم يشتركان في التبعيض، وبينهما عموم وخصوص، فالروم أخص من كونه لا يكون في الفتح والنصب، ويكون في الوقف دون الوصل، والثابت من الحركة أقل من المحذوف، والاختلاس أعم من كونه يتناول الحركات الثلاث ولايختص بالآخِر، والثابت من الحركة أكثر من المحذوف، وذلك ان تأتي بثلثيها، كأن الذي تحذفه أقل مما تأتي به. وهذا (لا تحكمه)[٣٠] الا المشافهة». [٣١] وحدد بعض علماء التجويد الباقي من الحركة مع الروم بثلثها. [٣٢]

ولا يزال ضبط الزمن الذي يستغرقه نطق الأصوات الذائبة (حروف المد والحركات) وكذلك الأصوات الجامدة، بواسطة تقديره بأجزاء الثانية ـ أمراً غير متحقق، وهو يحتاج الى استخدام آلات القياس الحديثة. [٣٣] وما توصل اليه علماء التجويد من تقدير كميات الحركات وحروف المد عن طريق نسبة الصوت الى نظيره، فالفتحة نصف الألف، والألف ضعف الفتحة، اي فتحتان، والروم النطق بثلث

---

(٢٩) لطائف الاشارات ١/ ١٧٨.

(٣٠) زيادة ليست في الاصل، يقتضيها السياق.

(٣١) الحواشي المفهمة ٧٧ظ.

(٣٢) عبد الدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٧٥ظ، والبقرى: غنية الطالبين ص ٨٢.

(٣٣) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٥٥-١٦٠.

الحركة، والاختلاس النطق بثلثيها، يعد انجازاً عظيماً في الدرس الصوتي العربي ولم يبق الا أن يخطو دارسو الأصوات العربية المحدثون الخطوة الأخيرة نحو قياس زمن تلك الأصوات بالثانية وأجزائها.

وينبغي أن يؤخذ بالحسبان عند محاولة قياس زمن نطق الأصوات أن هناك عدة أشكال من النطق، مثل النطق المتأني الذي يأخذ وقتاً أطول من النطق السريع. وهناك نطق وسط بين البطيء والسريع، وقد لاحظ هذه الظاهرة عبد الوهاب القرطبي حيث قال: «ولا يدخل على ما أصلناه اشباع من أشبع الحركات والسكنات من أئمة القراءة زيادة على غيره في الاشباع، لأن من أشبع الحركات منهم أشبع الحروف التي أخذت منها أيضاً، فتصير نسبة الحركة المشبعة عنده الى الحروف المشبعة كنسبة الحركات الى الحروف بغير إشباع عند غيره». (٣٤)

وكان قد جاء في بعض النصوص التي نقلناها في هذا المبحث أن متقدمي النحويين كانوا يسمون الفتحة الألف الصغيرة والضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة. (٣٥) وهناك رواية نقلها بعض علماء التجويد لها صلة بالنص السابق، فقد روى أبو العلاء الهمذاني العطار باسناد كامل ينتهي الى عبد الله بن الصحابي بريدة ابن الحصيب الأسلمي (٣٦) ـ رضي الله عنه ـ رواية جاء فيها: عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كانوا يُؤْمَرُونَ، أو كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نتعلمَ القرآنَ، ثم ٱلسُّنَّةَ، ثم الفرائضَ، ثم العربيةَ: الحروفَ الثلاثةَ. قلنا: وما الحروفُ الثلاثةُ؟ قال: الجرُّ والرفعُ والنصبُ». (٣٧) فهذه الرواية تشير الى أنهم كانوا يسمون الحركات حروفاً، وهي من النصوص النادرة التي تتعلق بنشأة النحو العربي فهي ترجع الى زمن أقدم من العصر الذي ظهر فيه نشاط أبي الاسود الدؤلي النحوي. (٣٨)

---

(٣٤) الموضح ١٨٣ظ.

(٣٥) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/١٩، وعبد الوهاب القرطبي الموضح ١٥٠ظ.

(٣٦) انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/١٨٥.

(٣٧) التمهيد ١٠٣و-١٠٣ظ.

(٣٨) هناك نصوص اخرى تتعلق بنشأة النحو العربي أوردها أبو العلاء الهمذاني العطار في كتابه (التمهيد في التجويد) في المكان المشار اليه نفسه.

ثانياً: الواو والياء بين الأصوات الجامدة والأصوات الذائبة

يشترط علماء العربية وعلماء التجويد أن يكون قبل الواو والياء حركة من جنسهما وأن يكونا ساكنين لكي يعدا من حروف المد، مثل الألف. واذا تخلف هذا الشرط عنهما بأن تحركتا أو لم تكن حركة ما قبلهما من جنسهما لم يكونا حرفي مد ولحقا بالحروف الجامدة (أو الصحاح). وهذا التفريق بين حالتي الواو والياء ينبني على أسس صوتية وصرفية معاً.

ونجد أصول هذ التفريق عند سيبويه، فهو يقول عن الياء «لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل». [1] وقال في مكان آخر: «اذا تحركت لم تكن حرف لين، فبعد شبهها من الألف». [2] ويقول ابن جني: «ان الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة، فلحقتا بالحروف الصحاح». [3]

ويخصص كثير من علماء التجويد مصطلح (حروف المد اللين) للواو والياء اذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما، ومصطلح (حروف اللين) بالواو والياء اذا كانا غير ذلك، قال مكي: «حروف المد واللين، وهي ثلاثة أحرف الالف والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة». [4] وقال: «حرفا اللين: وهما الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة». [5]

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «الواو والياء: تكون تارة من حروف المد واللين بأن تسكنا ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يتحيز مخرجهما اذا تغيرتا عن هذا الوضع، بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد،

---

(١) الكتاب ٤/١٩٣.
(٢) الكتاب ٤/١٩٧.
(٣) سر صناعة الاعراب ١/٢٢.
(٤) بالرعاية ص ١٠١.
(٥) بالرعاية ص ١٠١.

وبقى اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة الحروف الجوامد، فألقي عليهما حركات الهمزات، كما تلقى على غيرهما من الحروف الجوامد». (٦)

وقول القرطبي (وتارة يَتَحَيَّزُ مخرجهما) يعبر عن موقف معين من مخارج حروف المد، وهو أنها تخرج من هواء الحلق والفم وليس لها مخرج معين، بينما الواو والياء اذا انفتح ما قبلهما يتحيز مخرجهما أي يتحدد في نقطة معينة من أعضاء آلة النطق. وقد وضح القرطبي ذلك بقوله: «ان الواو والياء حرفا مد، والصوت يمتد بهما، وبالتشديد تخرجان عن المد واللين ويتحيز مخرجهما فيكون الواو من الشفتين والياء من الشجر، وبالتحيز يبطل المد ويلتحقان بغيرهما من الحروف الصحاح». (٧)

وقال السمرقندي (ت ٧٨٠هـ): «وفي الواو لين ومد اذا سكنت وانضم ما قبلها، وفيها لين اذا سكنت وانفتح ما قبلها، وفيها ثقل اذا تحركت. وكذا حكم الياء أن فيها مداً وليناً اذا سكنت وانكسر ما قبلها، وفيها لين اذا سكنت وانفتح ما قبلها، وفيها ثقل اذا تحركت. وحروف المد واللين ثلاثة: الواو والياء والألف». (٨)

ويلاحظ أن هناك اتجاهاً لدىٰ بعض المتأخرين في استخدام مصطح (العلة) للدلالة على بعض حالات الواو والياء، فيقول الطبلاوي: «الواو والياء إن تحركا بأي حركة كـ(وِفاقا ويَعلم) أو سكنا فحرفا علة، وان سكنا فان لم تجانسهما حركة ما قبلهما كالخَوْف والبَيْت فحرفا لين. وان جانستهما فحرفا مد ولين». (٩) لكن من المتأخرين من يعتبر مصطلح (علة) ذا دلالة عامة، ويكتفي بكلمة (المد) للحروف الثلاثة، وكلمة (اللين) للواو والياء، يقول علي القارى (ت ١٠١٤هـ): «والتحقيق ان هذه الحروف تسمى حروف العلة بالمعنى الأعم، سواء تكون متحركة أو ساكنة، حركة ما قبلها من جنسها أولا، ثم حروف المد، ثم اللين بالوجه الأخص، وهو مختص بالواو والياء دون الألف». (١٠)

---

(٦) الموضح ١٦٤ظ، وانظر: الداني: التحديد ٢٩و.

(٧) الموضح ١٧٠و.

(٨) روح المريد ١٢٨ظ.

(٩) مرشدة المشتغلين ٩ظ.

(١٠) المنح الفكرية ص ٩.

ويقول المرعشي (ت ١١٥٠هـ): «وترك المدّ بالكلية في (قالوا) مثلا إما بحذف الواو والاقتصار على اللام المضمومة، أو بإبقاء الواو ساكناً وترك مده بالكلية، فيكون حرف لين لا حرف مد، وحاصل ذلك إعدام حرف، اذ ما لم يمتد الواو لا يصير حرف مد». (١١)

ونقل الدركزلي (ت ١٣٢٧هـ) نصاً يلخص ذلك التداخل في استخدام المصطلحات المذكورة، ويظهر منه أن الاتجاه الغالب لدى المتأخرين هو تخصيص مصطلح (المد) بالحروف الثلاثة اذا كانت ساكنة وحركة ما قبله من جنسها. وتخصيص مصطلح (اللين) بالواو والياء في أحوالهما الاخرى، وذلك حيث يقول: «ويصدق اللين على حرف المد، بخلاف العكس، لأنه يلزم من وجود الأخص وجود الأعم، ولا ينعكس، وان اعتبر قبول اللين المدّ تساويا في صدق الاسم عليهما. وعلى هذا فكل من حروف المد وحرفي اللين يصدق عليهما حروف لين على الأول، وحروف مد على الثاني، وحروف مد ولين عليهما».

«قلت (الدركزلي): لكن الاصطلاح أن حرف المد ما قبله حركة مجانسة كما تقدم، وحرف اللين هو ما قبله حركة غير مجانسة، فعلى الاصطلاح بينهما مباينة، وكل من وقع في عبارته حروف مد ولين انما هو نظر للمعنى الآخر، والله أعلم». (١٢)

وقد أدرك علماء التجويد أن التفريق بين حالتي الواو والياء وتخصيص مصطلح معين لكل حالة يقوم على اسس صوتية وصرفية معاً، لا مجرد كونه اختلافاً شكلياً متمثلاً في اختلاف الحركات التي تسبق أو تلحق كُلًّا منهما.

أما من الناحية الصوتية فقد أدرك علماء التجويد أن مخرج الواو والياء اذا كانا حرفي لين يختلف عنه اذا كانا حرفي مد، أما الألف فلا يكون إلا حرف مد. ومن ثم فانهم اعتبروا مخرجيهما اذا كانا حرفي لين الواو من الشفة والياء من شجر الفم. واذا كانا حرفي مد كان مخرجهما من الجوف، يقول علي القاري: «وحيث لزمت الألف هذه الطريقة المعتادة من كونها ساكنة وحركة ما قبلها من جنسها وهي الفتحة لم

(١١) بيان جهد المقل ٥ظ.

(١٢) خلاصة العجالة ١٦٠ظ.

يختلف حَالها من أنها دائماً تكون هوائية، بخلاف أختيها فانهما اذا فارقاها في صفة المشابهة صار لهما حيز محقق، ومن ثمة كان لهما مخرجان: مخرج حال كونهما مديتين ومخرج حال كونهما متحركتين» . (١٣)

وقال المرعشي: «وجَعْلُ مخرج حروف المدّ جوف الحلق والفم هو مسلك الجمهور، لأن سيبويه جعل الألف من مخرج الهمزة، والواو والياء المديين من مخرجيهما غير مديين» . (١٤)

وأدرك علماء العربية وعلماء التجويد أن سلوك الواو والياء اذا كانا حرفي لين يختلف عنه اذا كانا حرفي مد. قال سيبويه: «واذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة فان واحدة منهما لا تدغم اذا كان مثلها بعدها. وذلك قولك: ظلموا واقِداً، واظلمي يَاسِراً . . . واذا قلت وأنت تأمر: آخشي يّاسراً، وآخْشَوْا وُّاقِداً أدغمت، لانهما ليسا بحرفي المد كالألف، وانما هما بمنزلة قولك: احمد دّاود، واذهب بّنا» . (١٥)

وقال ابو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ): «فان التقت ياءان أو واوان لم يخل التقاؤهما من أمرين: أحدهما ان تلتقيا وأُولاهما ساكنة، والثانية أن تلتقيا متحركتين. فان التقت ياءان أولاهما ساكنة وجب اشباع الكسرة التي قبل الأُولىٰ، وذلك نحو قوله: ﴿فِي يَتَامَىٰ﴾(١٦) و﴿فِي يُوسُفَ﴾(١٧) و﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي﴾(١٨) ونظائرها . . . وانما لم يجز ادغام ذلك لأن الياء والواو ها هنا تشبهان الألف في السكون ومجانسة الحركة المتقدمة، فصار ذلك بمنزلة قولك: زُورَا ياسراً، وأكْرِمَا واقداً. وقد عرفت ان ادغام الالف غير ممكن. فان انفتح ما قبل الواو الأُولى، نحو

(١٣) المنح الفكرية ص ٩.
(١٤) جهد المقل ١٠و.
(١٥) الكتاب ٤/٤٤٢.
(١٦) النساء ١٢٧.
(١٧) يوسف ٧.
(١٨) الاحزاب ٤٣.

قولـه : ﴿عَصَـوْا وَكَانُوا﴾[19] و﴿عَفَوْا وَقَالُوا﴾[20] و﴿آوَوْا وَنَصَرُوا﴾[21] وما أشبه ذلك لزم الادغام» .[22]

وكـان من علمـاء العـربية المتقدمين من أدرك أن رمزي الواو والياء يمثلان زوجين من الأصـوات في الكتـابـة العـربيـة . فقـد قال ابن درستـويـه (عبد الله بن جعفرت ٣٤٦هـ) وهـو يتحـدث عن رمـوز حروف العربية : «والذي لا صورة له مدتان وهمزة ، فان مدتي الحـرف المضمـوم والحـرف المكسور لم توضع لهما صورة في المعجم ، كما وضعت لمدة الحرف المفتوح الألف ، ولكن كتبتا بصورة الواو والياء . . . »[23]

ومـا لاحظـه علمـاء التجويد من كون الواو والياء لهما طبيعة مزوجة ، فمرة يكونان حرفي مد (أي من الأصـوات الـذائبـة) ومـرة يكـونـان من الحـروف الصحـاح (أي الجـامـدة) ـ أمـر أكـدتـه الدراسات الصوتية الحديثة . يقول الدكتور ابراهيم أنيس : «هنـاك صوتـان بين الأصـوات اللغـوية يستحقان دائماً أن يعالجا علاجاً خاصاً ، لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه من أصوات اللين (يقصد الذائبة) ومع هذا فقـد دلت التجـارب الـدقيقـة على أننـا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الحفيف ، وهذان الصوتان هما ما اصطلح علماء العربية على تسميتها بالياء والواو في مثل بَيْت ويَوْم» .[24]

وقـال الدكتور كمـال محمـد بشـر : «والحقيقـة أن هذه الأصوات من حيث النطق الصـرف تقتـرب من الحـركات في صفاتها ، ولكنها في التركيب الصوتي للغة تسلك

---

(١٩) البقرة ٦١ .

(٢٠) الاعراف ٩٥ .

(٢١) الانفال ٧٢ .

(٢٢) التمهيد ١٥٠و.

(٢٣) كتاب الكتّاب ص ٦٤ . وانظر: حمزة الاصفهاني : التنبيه على حدوث التصحيف ص ٣٣ .

(٢٤) الاصوات اللغوية ص ٤٢ .

مسلك الأصوات الصامتة، ومن هناك كانت تسميتها بأنصاف حركات» . [٢٥]

ثم تحدث عن وجهة المحدثين في التفريق بين حالتي الواو والياء واختلافهم في ذلك فقال: «فالمعروف أن للواو والياء حالتين في العربية، فهما إما حركتان خالصتان، وإما صوتان صامتان أو بعبارة أدق نصفا حركتين. وقد حاول كثير من العلماء التفريق بين هاتين الحالتين على أساس صوتي محض، فهما عندهم من النوع الأول إذا خرجتا من الفم دون أن يقف في طريق الهواء حال النطق بهما أي عائق أو مانع، ولكنهما من النوع الثاني اذا ضاق مجرى الهواء بحيث يبقى مسار ضيق يسمح بمروره ولكن مع شيء من الصعوبة بحيث يحدث هذا الهواء احتكاكاً مسموعاً».

«وقد رأينا نحن أن هذا التفريق غير واضح، بل يتضمن شيئاً من التكلف والصنعة ولـذا آثرنا أن يكون التفريق بين الحالتين على أساس الوظيفة اللغوية، فقررنا أنهما من الصوامت أو أنصاف حركات فيما ولو وقعا في مواقع الأصوات الصامتة، ولخصنا هذه المواقع في خاصة تشترك فيها جميعا، تلك هي وقوعها متلوة بحركة أو ساكنة بعد فتح. كما في نحو بيت ويوم. وهما في هاتين الحالتين يقعان في مواقع الأصوات الصامتة الصرفة، ومن ثم أخذا حكمها. . .» . [٢٦]

ويتحدث علماء الأصوات المحدثون عن الحركة المركبة أو المزدوجة، وتُعَرَّفُ بأنها تتابع مباشر لصوتي علة يوجدان في مقطع واحد فقط. [٢٧] فقال بعضهم: «ومثال ذلك في العربية (أَوْ) و(أَيْ) فعند النطق بالكلمة الأُولى يتخذ اللسان وضعه في منطقة الحركات للنطق بالفتحة التي تلي الهمزة، ثم لا يلبث أن يتحرك منه لاتخاذ موضع جديد هو موضع الكسرة» . [٢٨]

---

(٢٥) الاصوات ص ١٧١ . ويسميها البعض أشباه الحركات. انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٢ . ومحمود السعران: علم اللغة ص ١٩٧ .

(٢٦) الاصوات ص ١٧٣ . وانظر أيضا ص ١٠٥-١٠٨ ، وكذلك: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٨٣ .

(٢٧) ماريو پاي: أسس علم اللغة ص ٨٠ .

(٢٨) عبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة ص١٧٢ . وانظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٢ ، وجان كانتينو: دروس ص ١٣٧ .

وأنكر بعض الدارسين المحدثين وجود حركات مركبة في اللغة العربية، وفسر مثل (أَوْ) و(أَيْ) على أنه همزة ثم فتحة ثم واو أوياء ساكنة، فيكون مثل (مَنْ) وما أشبه ذلك. فيقول: «وقد وهم بعض الدارسين فظن أن الواو والياء في (حَوْض وبَيْت) جزءان من حركة مركبة. وهووهم خاطئ ولا شك. اذ الحركة المركبة وحدة واحدة. والموجود في حوض وبيت ليس وحدة واحدة، وانما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو في (حوض). والفتحة + الياء في (بيت)».(٢٩)

ولما كان موضوع وجود الحركة المركبة في اللغة العربية هو موضع جدل بين الدارسين المحدثين وأن علماء العربية وعلماء التجويد اكتفوا بتقسيم الواو والياء الى حروف مد (أصوات ذائبة) في مثل (نُوحِيهَا)، والى حروف صحاح (جامدة) في مثل (بَيْت) و(حَوْض) فان صرف النظر عن فكرة الحركة المركبة هنا له ما يسوغه. ويكفي أن علماء العربية وعلماء التجويد قد ميزوا بشكل واضح وكامل تلك الطبيعة الثنائية للواو والياء سواء من الناحية الصوتية أم من ناحية الوظيفة في بنية الكلمة.

وكان السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) قد انفرد بمذهب خاص به في تعيين (حروف اللين)، فقد قال: «وحروف اللين خمسة أحرف: الألف والواو والياء والهاء والنون الساكنة، سميت بذلك لأنها لانت في المخرج».(٣٠) ويبدو أن السمرقندي هنا يستخدم كلمة (اللين) بمعناها اللغوي، لاالمعنى الاصطلاحي الذي استقر لها عند علماء العربية وعلماء التجويد. واطلاق كلمة (اللين) على النون والهاء أمر مقبول من ناحية دلالة الكلمة اللغوية لأن هذين الصوتين قريبا الشبه بالأصوات الذائبة من حيث قلة الاحتكاك في مخرجيهما وحرية مرور الهواء في أثناء النطق بهما، سوى ان الهاء مهموسة والنون أنفية.

---

(٢٩) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٠٨، واحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٠٣-٣٠٥.

(٣٠) روح المريد ٢٦ظ.

ثالثاً ـ مخارج الأصوات الذائبة:

هناك خمسة أصوات تتدانى في المخارج وتتقارب في الصفات، وهي الواووالياء الجامدتان في مثل (بَيْت وحَوْض). والألف والياء والواو الذائبة في مثل (نُوحِيَها).

أما الياء والواو الجامدتان فلا خلاف بين العلماء في تحديد مخرجيهما، وقد مضى الحديث عن ذلك في المبحث الخاص بمخارج الأصوات الجامدة،[1] حيث اتفق علماء التجويد وعلماء العربية على أن مخرج الياء الجامدة من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وأن مخرج الواو من بين الشفتين.

أما الأصوات الذائبة الثلاثة (=حروف المد) فللعلماء في تحديد مخارجها مذهبان، الآول مذهب سيبويه ومن تابعه، ويتلخص في أن مخرج الألف من الحلق من مخرج الهمزة والهاء.[2] ولم يفرق سيبويه في حديثه عن مخرج الياء والواو بين الجامدة والذائبة، ومن ثم يحمل كلامه على أنه يجعل مخرج الياء والواو المديين من مخرجيهما غير مديين.[3] وكان سيبويه مدركاً لما تتميز به هذه الأصوات من اتساع مخارجها أكثر من غيرها من الأصوات.[4] ولا نلمس في حديث علماء العربية عن مخارج هذه الأصوات أنهم يفرقون بين كونها جامدة أو ذائبة.

أما المذهب الثاني في تحديد مخارج حروف المد فهو مذهب جمهور علماء التجويد الذين يفرقون بين مخرجي الواو والياء عندما يكونان حرفين جامدين، وبين مخرجيهما عندما يكونان حرفي مد (أي صوتين ذائبين)، حتى لقد صرح علي القارى أن للواو والياء مخرجين: مخرج حال كونهما مدتين، ومخرج حال كونهما

---

(١) انظر ص ٢٢٨ و٢٤٨ من هذا البحث.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) المرعشي: جهد المقل ١٠و.

(٤) الكتاب ٤/١٧٦. وانظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٨-٩، والازهري: تهذيب اللغة ١/٥١.

متحركتين. [٥] والكلام هنا عن مخرجهما عندما يكونان مدتين.

جعل كثير من علماء التجويد مخرج حروف المد من جوف الحلق والفم، وهو الخلاء الداخل فيهما. [٦] وهم يعدون هذا المخرج مقدَّراً، لا يمكن تحديده في نقطة معينة. قال المرعشي: «فلجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد، إذ لا تنضغط أصواتها في موضع انضغاطاً ينقطع به الصوت... وبالجملة ان حروف المد لَمَّا لم تنقطع أصواتها في موضع لم يكن لها مخرج محقق، فان المخرج المحقق هو الذي انقطع الصوت فيه، بل قدروا لها جوف الحلق والفم مخرجاً، لأنه يمكن لك قطع أصواتها حين تم مرورها على هواء الحلق والفم». [٧]

وعلماء التجويد بموقفهم هذا من مخارج حروف المد يجمعون بين مذهب سيبويه الذي لم يفرق بين مخرجي الواو والياء المديين وغير المديين، وجعل الواو من الشفتين والياء من وسط اللسان، وبين مذهب الخليل الذي جعل مخرج الواو والياء والألف من الجوف واعتبر هذه الأصوات هوائية وميزها عن الحروف الصحاح. [٨] فعلماء التجويد جعلوا المخرج الذي عينه سيبويه للواو والياء خاصاً بغير المديتين (أي الجامدتين) وجعلوا المخرج الذي عينه الخليل للواو والياء خاصاً بالمديتين (أي الذائبتين).

واذا كانت حروف المد تخرج من مخرج واحد هو الجوف، فما الذي جعل أصواتها تتمايز في السمع؟ لاحظ علماء التجويد أن حروف المد بالرغم من أن مخرجها الجوف فان أوضاع اللسان والشفتين تختلف مع كل صوت عنها مع الأصوات الاخرى. قال علي القارى عن حروف المد: «ثم انهن بالصوت المجرد أشبه منهن بالحروف، ويتميزْنَ عن الصوت المجرد بتَصَعُّدِ الألف وتَسَفُّلِ الياء

(٥) المنح الفكرية ص ٩.
(٦) علي القارى: المنح الفكرية ص ٩، والمرعشي: جهد المقل ١٠و.
(٧) جهد المقل ٦و-٦ظ.
(٨) العين ١/٥٧-٥٨.

واعتراض الواو». [9]

وقال المرعشي: «أما الواو المدية فضم شفتيك فيها اعتراض على الصوت وكذا رفع وسط لسانك الى جهة الحنك في الياء المدية لكنْ ذانك الاعتراضان قليلان لا يمنعان جريان الصوت بالكلية». [10].

واذا كان كثير من علماء التجويد يذهبون الى أن مخرج الواو والياء المديتين (الذائبتين) من الجوف وأن الواو الجامدة من الشفتين والياء الجامدة من وسط اللسان، فان بعضهم قد لاحظ وجود قرب شديد بين مخرج كل من الصوتين حين يكون جامداً، فيقول المرعشي وهو يتحدث عن حالة الشفتين في أثناء النطق بالواو: «وانضمامهما في الواو المدية أقل من انضمامهما في الواو غير المدية». [11] ومعنى ذلك أن ممر النفس في مخرج الواو غير المدية يكون أضيق منه في مخرج المدية.

وتلك الظاهرة تحدث عنها بعض علماء الأصوات المحدثين حيث قال: «إن الفراغ بين مقدم اللسان وبين الحنك الاعلى في نطق الياء يكون أضيق منه حال النطق بالكسرة الطويلة (= الياء الاخرى). ويترتب على ذلك أننا نسمع نوعاً من الحفيف الخفيف في نطق هذه الياء. وكذلك الحال مع الواو حيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الجنك حال النطق بها أضيق منه حال النطق بالضمة الطويلة (وهي الواو الاخرى) ومن ثم نسمع حفيفاً بسيطاً مع النطق بهذه الواو. . . لهذه الأسباب عدت الياء والواو من الأصوات الصامتة، بالرغم مما لهما من شبه صوتي بالحركات». [12]

ولعل السمرقندي أراد ذلك بقوله: «وقيل ان الألف والواو والياء اذا سكنتا وتحرك ما قبلهما بجنسهما جوفية، أوهوائية، أوهاوية، لأنها لا تقع في الأحياز التي

---

(9) المنح الفكرية ص ٩.

(١٠) بيان جهد المقل ٧ظ.

(١١) جهد المقل ٩ظ. وفي الاصل (الواو الغير المدية).

(١٢) كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٠٦. وانظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٤٢.

ذكرناها، فتنسب اليها، لكنها تخرج من الجوف فتذهب في هواء الفم.

والأصح أن الألف من هواء الحلق.

والياء الساكنة المكسور ما قبلها من هواء وسط الفم.

والواو الساكنة المضموم ما قبلها من هواء الشفة.

والياء المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شجرية.

والواو المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شفوية». (١٣)

وقول السمرقندي (من هواء الشفة) يساوي قوله (شفوية) ولكن لعله يريد أن ممر الهواء في الحالة الأولىٰ أوسع منه في الحالة الثانية، وكذلك قوله (من هواء وسط الفم) وقوله (شجرية) على ما أرجح.

وكان علماء التجويد قد وضحوا العلاقة بين حروف المد الثلاثة، وبين الحركات الثلاث، وقالوا: إن الفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، ولـذلـك نجدهم يشيرون الى أن مخارج الحركات هي مخارج حروف المد نفسها، فيقول عبد الوهاب القرطبي وهويتحدث عن موضوع الاشمام: (الضم من الشفتين) و(الكسر ليس من الشفة، وانما هومن مخرج الياء، ومخرج الياء من شجر الفم). و(كذلك الفتح من الألف، ولا آلة للألف يدركها النظر، لأن مخرجها من الحلق). (١٤)

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «فان سكنتا وانفتح ما قبلهما ولقيهما ساكن وجب تبيين حركة الياء بالكسر من وسط اللسان، وتبيين حركة الواو بالضم من الشفتين وذلك نحو قوله: ﴿طَرَفَيِ النهارِ﴾... (١٥) و﴿ولا تَنسَوُا الفضلَ﴾ (١٦)...». (١٧)

---

(١٣) روح المريد ١٢٥ظ ـ ١٢٦و.

(١٤) الموضح ١٨٧ظ.

(١٥) هود ١١٤.

(١٦) البقرة ٢٣٧.

(١٧) التمهيد ١٤٩و.

ونقل الدركزلي هذا النص: «الضمة حركة تضم لها الشفتان، والفتح حركة ينفتح لها الفم، والكسر حركة ينكسر لها المخرج ويهوي الى أسفل». (١٨)

وكان علماء العربية قد تحدثوا عن مخارج الحركات فقال الفراء: «فانما يستثقل الضم والكسر، لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين، تنضم الرفعة بهما فيثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين الى الكسرة فترى ذلك ثقيلا. والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة». (١٩) وقال المبرد: «الفتحة من مخرج الألف». (٢٠)

هناك ظاهرة تتضح في كلام علماء التجويد عن مخارج حروف المد، وهي أنهم حين يحددون مخرج الواو والياء يشيرون الى ان الصوت يهوي حتى ينقطع في الحلق عند مخرج الألف أو الهمزة. يقول الداني عن الياء: «وهو حرف مد مجهور، يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، ثم يهوي الى الحلق، فينقطع آخره عند مخرج الألف». (٢١) ويقول عن الواو: «وهو حرف مد مجهور، ويخرج من الشفة، ثم يهوي في الفم، فينقطع آخره عند مخرج الألف». (٢٢)

وكان سيبويه قد وصف الألف بأنه الحرف (الهاوي) فقال: «ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف». (٢٣)

وفسر بعض علماء التجويد مصطلح (الهاوي) نحواً من تفسير سيبويه لكن بعضهم أعطى معنى جديداً للهاوي غير اتساع المخرج لهواء الصوت، فقال عبد الوهاب القرطبي: «وأما الجرس فالألف الساكنة، لا يكون الا كذلك، ويقال لها أيضا الهاوي، لأن الفم ينفتح لها فتخرج بالنفس مستطيلة، وتهوي في الفم الى ما

---

(١٨) خلاصة العجالة ١٨٩ظ، وانظر أيضا ١٠٠ظ.

(١٩) معاني القرآن ١٣/٢.

(٢٠) المقتضب ١٥٥/١، وانظر: سيبويه: الكتاب ١٧٢/٤ هامش (١) حيث ينقل المحقق نصا من شرح السيرافي للكتاب يتضمن تحديدا لمخارج الحركات.

(٢١) التحديد ٢٩و.

(٢٢) التحديد ٤١و.

(٢٣) الكتاب ٤٣٥/٤.

بين الهمـزة والهـاء من الحلق». [٢٤] وقـال أحمـد بن أبي عمـر: «والهاوي هو الألف وحدها، سميت بذلك لأنها تهوي الى ناحية الحلق كأنها تخرج من جب». [٢٥]

واعتبر أبو العلاء الهمذاني العطار مصطلح (الهاوي) يشمل حروف المد الثلاثة، فقـال: «والهـاوي الألف واليـاء والـواو اذا سكنت بعد حركتيهما، سميت بذلك لأنها تهوي في حرف الفم الى ما بين الهمزة والهاء». [٢٦] وسمى بعض علماء التجويد الواو (الحرف المتصل) لأنها تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الألف. [٢٧]

وهذه القضية تحتاج الى توضيح وبيان، وقبل أن نحاول ذلك نشير الى أن أصل هذه القضية يرجع الى كلام علماء العربية الأوائل الخليل وسيبويه والمبرد الذي نصوا في كلامهم على هذه الظـاهـرة. فقـال الخليـل وهـو يتحدث عن الحروف المعتلة: «فـالألف الليـنـة هي أضعف الحـروف المعتلة، والهمـزة أقـواهـا متنا، ومخرجها من أقصى الحلق من عنـد الغين. قال: والـيـاء والـواو والالف منـوطـات بهـا، ومـدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى. ومدرجة الياء مختفضة نحـو الأضـراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، وأصلهن من عند الهمزة». [٢٨] ونقل علم الدين السخاوي أن الخليل قال: «منتهى الصوت بحرف المد واللين عند ابتداء الهمزة». [٢٩] ونقل ابن منظور أن الخليل قال: «المدات الثلاث منوطات بالهمزة». [٣٠] ومعنى (منوطات) أي معلقات بالهمزة أو موصولات بها.

وقـال سيبـويـه في (بـاب الـوقف في الـواو واليـاء والالف): «وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من

---

(٢٤) الموضح ١٥٨ظ.

(٢٥) الايضاح ٧٤ظ.

(٢٦) التمهيد ١٤٧و.

(٢٧) مكي: الرعاية ص ١١٣، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٨و.

(٢٨) نقلا عن الازهري: تهذيب اللغة ١/٥١.

(٢٩) جمال القراء ١٨٨و.

(٣٠) لسان العرب ٩/٢٩٩ (نوط). وقد عثرت على قول الخليل هذا في الجزء السابع من كتاب العين الذي طبع حديثاً في الصفحة ٤٥٦.

الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فاذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، فيهوي الصوت اذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة، واذا تفطنت وجدت مسّ ذلك. وذلك قولك: ظَلَمُوا ورَمَوْا، وعَمِيَ، وحُبْلَىْ. وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا: ظلموا ورَمَوْا، فكتبوا بعد الواو ألفا». (٣١)

وقال المبرد، وهو يشير الى الظاهرة التي نتحدث عنها بكل وضوح: «والواو تخرج من الشفة، ثم تهوي في الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف، والياء تخرج من وسط اللسان، من مخرج الشين والجيم، حتى تنقطع عند مخرج الألف». (٣٢)

ويتضح من النصوص السابقة أن علماء العربية وعلماء التجويد يربطون بين مخارج حروف المد وبين مخرج الهمزة، أو (ما بين الهمزة والهاء) حسب تعبير بعض علماء التجويد. فما تلك العلاقة وما وجه ذلك الارتباط؟ إننا يمكن أن ندرك الآن بسهولة أنهم يريدون بمخرج الهمزة الوترين الصوتيين، لأن الهمزة تنتج بأن ينطبق الوتران بحيث يحبسان النفس لحظة ثم ينفرجان، فيندفع النفس محدثاً صوت الهمزة. واذا ذهبنا نبحث عن العلاقة بين حروف المد وبين الوترين الصوتيين وجدنا أن هذه الحروف جميعها مجهورة، والجهر صفة صوتية مصدرها الوتران، ومن هنا ربطوا بين مخارج حروف المد ومخرج الهمزة.

وكان علماء التجويد قد أدركوا أن حروف المد أصوات مجهورة، قال الداني عن الألف: «حرفٌ هاوٍ مجهور». (٣٣) وقال عن الياء: «حرف مد مجهور». (٣٤) وقال عن الواو: «الواو حرف مد مجهور». (٣٥) واذا أنعمنا النظر في طبيعة هذه الأصوات نجد أن صفة الجهر تشكل العنصر الواضح فيها الذي يمنحها قوة الاسماع، بحيث إن الناطق لو أوقف نزيز الوترين أثناء النطق بها لاستحالت نَفَساً، ولا يبقى لها في السمع أثر بيِّن. ومن هنا قال الخليل: ان حروف المد منوطة بمخرج الهمزة. وقال سيبويه:

(٣١) الكتاب ٤/١٧٦.

(٣٢) المقتضب ١/٢٢١.

(٣٣) التحديد ٢٤و.

(٣٤) التحديد ٢٩و.

(٣٥) التحديد ٤١و.

فيهـوى الصـوت اذا وجـد متسعـا حتى ينقطـع آخـره في موضـع الهمزة. وقال علماء التجويد انها تهوى الى ما بين الهمزة والهاء من الحلق.

وقد فسر بعض علماء التجويد مذهب سيبويه في جعل مخرج الألف من الحلق مع الهمـزة والهـاء على اعتبـار أن مبـدأ صوت الألف من هنـاك، فقـال الجعبـري: «ومعنى جَعْـل سيبـويه الألف من مخرج الهمزة أن مبتدأه مبدأ الحلق، ثم يمتد ويمر على الكـل، ومن ثم نسب الى كل مخـرج». (٣٦) ويقـول مكي عن الألف: «وانمـا تخرج من هواء الفم، حتى ينقطع النفس، والصوت في آخر الحلق، ولذلك نسبت في المخرج الى الحلق». (٣٧)

إن ما ذهب اليـه علمـاء العـربية وعلماء التجويد من انقطاع أصوات حروف المد عنـد مخـرج الهمـزة معنـاه أن مصـدر التصويت بهذه الأصوات في ذلك الموضـع، حين يتذبذب الوتران الصوتيان فتحصل نغمة الجهر التي تشكل جوهر أصوات المد، ثم تتباين حروف المد بعد ذلك تبعا لوضع اللسان والشفتين أثناء نطق كل صوت من تلك الاصوات. (٣٨)

والخـلاصـة هي أن علمـاء التجـويـد استطـاعـوا أن يوضحـوا مخارج الأصوات الـذائبـة، وهي حروف المـد الثلاثة، والحركات الثلاث: الضمة والفتحة والكسرة. وكـان تفـريقهم بين مخـرجي الـواو واليـاء الجـامـدتين وبين مخرجي الذائبتين شيئاً صحيحـاً أقـرتـه الـدراسات الصوتية الحديثة. وكذلك ربطهم بين مخارج الحركات وبين مخارج حروف المد شيء صحيح، لأنه ليس بين الحركات وبين حروف المد من فرق الا في الكميـة، فهي تنتـج بطـريقـة واحدة الا أن زمان نطق حروف المد هو ضعف زمان نطق الحركات.

واستطـاع دارسـو الاصوات من المحدثين ضبط مخارج الأصوات الذائبة، وذلك بالنظر الى وضع اللسان والشفتين في أثناء النطق بها، واستنبطوا مقاييس تقاس عليها

---

(٣٦) انظر: القسطلاني: لطائف الاشارات ١/ ١٩٠.

(٣٧) الرعاية ص ١٠٣.

(٣٨) ينظر بحث: المصوتات عند علماء العربية، مجلة كلية الشريعة، العدد الخامس ١٩٧٩، ص ٤٤٢.

أصوات اللغات المختلفة، وتعرف تلك المقاييس بالحركات المعيارية،(٣٩) واكتفي هنا بالقول ان ما حققه علماء التجويد في مجال تحديد مخارج الأصوات الذائبة يعد انجازاً متميزاً، لاسيما اذا أخذنا بالاعتبار قضيتين:

الأولى: هي ان وسائلهم لم تتجاوز الملاحظة الذاتية، في الوقت الذي توفرت فيه لدارسي الأصوات من المحدثين الأجهزة الدقيقة التي يضمها مختبر الصوت.

الثانية: صعوبة الموضوع، لأن الأصوات الذائبة لا ينقطع الصوت في مخارجها على نحو محدد وبشكل قوي يسهل رصده. وقديما قال ابن سينا عن مخارج حروف المد: «أمر هذه الثلاثة عليّ مشكل».(٤٠) وحديثا قال برجستراسر: «للحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير ان تحديدها وتمييزها مشكل».(٤١)

(٣٩) انظر التفاصيل: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٢٠٩، وكمال محمد بشر: الاصوات ص ١٧٩.

(٤٠) أسباب حدوث الحروف ص ٤٣، وانظر ص ١٩.

(٤١) التطور النحوي ص ٤٠.

رابعاً ـ أنواع أخرى من الأصوات الذائبة:

في اللغة العربية ثلاث حركات هي: الفتحة والضمة والكسرة، وتقابلها حروف المد الثلاثة: الألف والواو والياء المديتان. فهذه طويلة وتلك قصيرة. وهي تشكل مجموعة الأصوات الذائبة الأساسية في العربية التي تقابل مجموعة الأصوات الجامدة.

ان آلة النطق لها إمكانيات كثيرة لانتاج الأصوات الذائبة، وما تحدثنا عنه في هذا المبحث يمثل الأصوات الذائبة الرئيسية في اللغة العربية، وهناك أنواع أخرى من تلك الأصوات أقل شيوعاً في العربية إما لأنها خاصة بلغة من لغات العرب، أو لمجيئها في رواية من روايات القراءة، وقد عني علماء التجويد بدراسة هذا النوع من الأصوات، مع علمهم بأنه يتصل في كثير من جوانبه باللهجات العربية والقراءات القرآنية، ونحاول هنا تلخيص ما قالوه عنها.

ذكر علماء التجويد حالة واحدة تغير فيها جرس الكسرة وامتزج بجرس الضمة، وهو ما يطلق عليه اشمام الكسرة الضم. وحالة أخرى تقابلها وهي اشمام الضمة الكسر، وهذا شيء مروي عن بعض القراء في مثل (قِيل، وغِيض، وسِيق). [(١)] وفي مثل (البُيوت، والشُيوخ، والعُيون)، ولا يضبط نطق هذا الحركات المشمة بغير المشافهة. [(٢)] واشمام المتحرك الى غير حركته كامالة الممال الى غير حركته. [(٣)]

وقال الداني: «فأما الاشمام في قوله: (قيل، وسيء) ونظائرهما على مذهب من أشم أوله الضم، دلالة على الأصل، فحقه أن ينحى بكسرة فاء الفعل المنقولة من عينه نحو الضمة، كما ينحى بالفتحة في قوله ﴿مِنَ النار﴾ و﴿مِنْ نَهَار﴾ وشبههما اذا أريدت الامالة المحضة نحو الكسرة، فكذلك ينحى بالكسرة إذا أريد الاشمام نحو

---

(١) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٤١. والداني: التيسير ص ٧٢.

(٢) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٧٨.

(٣) مكي: الكشف ١٢٣/١.

الضمة، لأن ذلك كالممال سواء، وهذا الذي لا يجوز غيره عند العلماء من القراء والنحويين». [٤]

ولا تسعف مصادر الدراسة الصوتية العربية القديمة ولا الحديثة التي اطلعت عليها في توضيح كيفية نطق الكسرة المشمة ضماً، ولا الضمة المشمة كسراً، ولا يزال الأمر بحاجة الى دراسة وتحليل، لاسيما لأمثلة النطق في القراءات التي روي فيها هذا النوع من الحركات، عسى أن تضبط ويدوّن وصفها على نحو دقيق.

وكان علماء التجويد وعلماء القراءات أكثر وضوحاً حين تحدثوا عن صور نطقية للفتحة الطويلة (الألف) ووضعوا مقاييس دقيقة لوصفها. وقد أطلقوا على تلك الصور النطقية مصطلح (الامالة)، والامالة ظاهرة ترتبط ببعض اللهجات العربية، وبعض القراءات القرآنية، ولم تكن ظاهرة صوتية عامة في لغة جميع العرب ولا شائعة في جميع القراءات القرآنية. ومن ثم فان علماء التجويد كانت عنايتهم بدراسة (الامالة) محدودة، لم تتعد توضيح طبيعة الامالة ودرجاتها دون الخوض في أسبابها وتفصيلاتها، وتركوا ذلك لعلماء العربية وعلماء القراءات الذين ألّف بعضهم كتباً مستقلة خاصة بهذا الموضوع. [٥] ونحن هنا لن نتجاوز الملاحظات التي كتبها علماء التجويد في كتبهم، وما يعين على توضيحها.

وللداني في كتابه (التحديد في الاتقان والتجويد) قول لخص فيه وجهة نظر علماء التجويد في أنواع الألف وما هو مستخدم منها وما هو متروك. وهو: «وأما المفتوح فحقه أن يُؤْتَىٰ به بين منزلتين، بين التفخيم الشديد الذي يستعمله أهل الحجاز في نحو الصلاة والزكاة، فينحون بالألف نحو الواو من شدة التفخيم، وهذه

---

(٤) التحديد ١٣ظ.

(٥) من ذلك كتاب (الاستكمال في التفخيم والامالة) لعبد المنعم بن غلبون (ت ٣٨٩هـ) وكتاب (الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والامالة) لابي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) وكتاب (قرة العين في الفتح والامالة وبين اللفظين) لابن القاصح (ت ٨٠١هـ). ولا تزال هذه الكتب الثلاثة مخطوطة فيما نعلم. وكتب الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي سنة ١٩٥٢ رسالته للماجستير عن (الامالة في القراءات واللهجات العربية)، وهي مطبوعة.

اللغـة لا تستعمـل في القـرآن لأنـه لا إمام لها، وبين الامالة المحضة التي يستعملها القراء، وهي التي دون الكسر الصحيح .

وأما الممال فعلى ضربين: مشبع وغير مشبع .

فالمشبع حقه أن يؤتى به بين الكسر الشديد الذي يوجب القلب لشدته، وليس له إمام، وبين الفتح الوسط الذي ذكرناه ووصفنا حقيقته .

وغيـر المشبـع حقـه أن يؤتى به بين الفتـح الوسط وبين الامالة التي دون الكسر، ويُسَمِّي القراء هذا الضرب بين اللفظين، وهما المذكوران» . [٦]

وذكـر الـداني هذه التقسيمات في كتابه (الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والامالة) وقسم الفتح الى شديد ومتوسط، وقسم الامالة الى متوسطة وشديدة، وهـذا لا يختلف عمـا ذكـره في النص السـابق. ولكن تعـريفه للفتح الشديد هنا فيه اضـافـة جيـدة، وذلـك حيث قال: «فالفتح الشديد هونهاية فتح القارئ[٧] لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف» . [٨]

وتحـدث ابـن الطحـان في كتـابـه (مرشد القارئ) عن مصطلحي الفتح والامالة وبَيَّنَ خلال ذلـك أنـواع الألف، وجعـل الفتح نوعاً واحداً، وذلك حيث قال: «الفتح عبـارة عن النطق بالألف مركبـة على فتحـة خالصـة غيـر ممـالـة الى مذاق الكسـر، وتحـديـده أن يُؤْتَىٰ به على مقـدار انفتـاح الفم مثـاله (كان) يركب صوت الألف على فتحـة الكـاف، وهي فتحـة خالصـة لاحظ للكسر فيها، معترضة على مخرج الكاف اعتراضاً، وتحقيقه أن ينفتح له الفم في النطق بكان ونظيره، كانفتاح الفم في قال ونظيره .

"والفَغْر عبارة قديمة بمعنى الفتح، يقع في كتب المقتدمين من علمائنا رضي الله عنهم . [٩]

---

(٦) التحديد ١٥ظ ـ ١٦و.

(٧) قال علم الدين السخاوي (جمال القراء ١٨٠و): (لو أبدل لفظ القارئ بالمتكلم لكان أسد) .

(٨) الموضح ٢٤و. وانظر: عبد الفتاح شلبي: الامالة في القراءات واللهجات العربية ص٢٢ .

(٩) روى العطـار (التمهيـد ٧٠و) عن جبلة بن سحيم أنـه قال: «قـرأت على عبـد الله بن عمر: =

والامالة: عبارة عن ضد الفتح، وهي نوعان إمالة صغرى، وإمالة كبرى.

فالامالة الصغرى حدها أن يُنْطَقَ بالألف مركبة على فتحة تصرف الى الكسر قليلا، والعبارة المشهورة في هذا بين اللفظين، ومعنى بين اللفظين بين الفتح الذي حددنا وبين الامالة الكبرى.

والامالة الكبرى حدها أن يُنْطَقَ بالألف مركبة على فتحة تصرف الى الكسرة كثيراً، ونهاية ذلك أن لا يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياء. والبطح والاضجاع عبارتان قديمتان بمعنى الامالة الكبرى تقعان في كتب المتقدمين(١٠) من علمائنا رضي الله عنهم». (١١)

ويمكن من خلال حديث الداني وابن الطحان عن أنواع الامالة أن نستخلص أنواع الألف التي تندرج بين حالتين لأعضاء آلة النطق: الحالة الأُولَىٰ (نهاية فتح القارئ لفيه) حسب تعبير الداني، والحالة الثانية (ونهاية ذلك أن لا يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياء) حسب تعبير ابن الطحان، أي بين فتح الفم أقصى ما يمكن، وبين تضييقه الى أدنى ما يمكن بحيث لا يصل الى الحد الذي تصير فيه الألف ياء. ويمكن أن نرتب الأصوات التي تندرج بين تلك الحالتين فيما يأتي:

١ - ألف التفخيم، وهي التي ذكرها سيبويه في الحروف الفرعية المستحسنة، وقال عنها في الكتاب: «وألف التفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة». (١٢) وهي التي أطلق عليها الداني مصطلح الفتح الشديد، وقال عنها: «والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه، وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان ومن قرب منهم، لأن طباعهم في العجمة جرت عليه، واستعملوه كذلك في اللغة العربية، وهو في القراءة مكروه معيب». (١٣)

= للفقراء والمساكين، قال فأخذها عليّ بالمد، ثم قال: «قرأتها على رسول الله - ﷺ - كما قرأتها، فأخذها عليّ كما أخذتها عليك، وفغر فاه».

(١٠) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٣٩ و٦٨٨.

(١١) مرشد القارئ ١٣٤ظ - ١٣٥و.

(١٢) الكتاب ٤/٤٣٢.

(١٣) الموضح ٢٤و.

وها هنا تناقض بين قول سيبويه في هذه الألف وقول الداني هنا وقبل قليل من أن هذه اللغة لا تستعمل في القرآن لأنه لا إمام لها. ويمكن أن يحمل ذلك التناقض على اختلاف الصوت الذي يتحدث عنه كل من الداني وسيبويه. بدليل قول مكي عن الالف المفخمة: «وهي ألف يخالط لفظها تفخيم، يقربها من لفظ الواو، كما كانت الألف الممالة ألفا يخالط لفظها ترقيق يقربها من الياء، فهي نقيضة الألف الممالة. وبذلك قرأ ورش عن نافع في (الصلاة ومصلى والطلاق وبظَلَّام) وشبهه، وذلك فاش في لغة أهل الحجاز». [١٤] فقول مكي يؤيد ما قاله سيبويه عن ألف التفخيم ويرى أنها الألف التي قرأ بها ورش في الأمثلة السابقة بينما يظل كلام الداني يشير الى ألف شديدة الميل نحو الواو. وقد قال ابن الجزري عن الفتح الشديد الذي هو ألف التفخيم: «ولا يجوز في القرآن، بل هو معدوم في لغة العرب». [١٥] ولم يتحدث ابن الطحان عن ألف التفخيم الخارجة عن استعمال كلام العرب واكتفى بذكر الألف المعتادة المركبة على فتحة خالصة غير ممالة الى مذاق الكسر كما يقول، ومثّل لها بألف (كان) وألف (قال).

٢ - الألف العربية التي سماها الداني بالفتح المتوسط الذي يقع بين الفتح الشديد وبين الامالة المتوسطة. وهي التي ذكرها ابن الطحان. وقد سماها عبد الوهاب القرطبي بالألف المفتوحة الأصلية. [١٦] وسماها ابن خروف ألف الطبيعة المعتادة. [١٧] وهي التي تغلب على النطق العربي الفصيح اليوم.

٣ - ألف الامالة المتوسطة، وهي التي تقع بين الفتح المتوسط وبين الامالة الشديدة التي تقرب فيها الألف من الياء المدية الخالصة.

٤ - ألف الامالة الشديدة أو الكبرى وهي التي تقرب فيها الألف من لفظ الياء المدية الخالصة.

---

(١٤) الرعاية ص ٨٦.

(١٥) النشر ٢/٣٠.

(١٦) الموضح ١٥٤ظ.

(١٧) . انظر: السيوطي: همع الهوامع ٦/٢٩٥.

وقد قال الجعبري عن الامالة: «وهي تنقسم الى امالة كبرى ويقال لها إمالة محضة، وهي الامالة التي لوزيدت لصارت الألف ياء محضة، والفتحة كسرة محضة. والى إمالة صغرى، ويقال لها بين بين، أي بين الفتح الخالص وبين الامالة الكبرى، وهي الامالة التي لو نقصت لصارت الألف ألفاً محضة، والفتحة فتحة محضة». (١٨).

وما ذكره علماء التجويد من أنواع الألف شيء يؤيده الدرس الصوتي الحديث، فالناطق اذا فتح فاه الى أقصى حد وأرسب لسانه في الحنك الأسفل فان الصوت الذي ينتج عن هذه الحالة هوما سماه علماء التجويد بألف التفخيم، وكلما ضيق الناطق درجة الانفتاح تغير الصوت حتى اذا بلغ أقصى درجات التضييق التي ينتقل الصوت بعدها من نوع الأصوات الذائبة الى الأصوات الجامدة كان الصوت الناتج هوياء المد، وبين ألف التفخيم وياء المد أنواع من الأصوات هي التي سماها علماء التجويد بالالف الخالصة المعتادة وبالامالة المتوسطة وبالامالة الشديدة، وسواء اعتبرنا تلك الأصوات فروعاً للألف أوعددناها أصواتاً مستقلة فانها، تندرج في المقياس الذي اهتدى اليه علماء الأصوات المحدثون وسموه بالحركات المعيارية. (١٩)

وكان علماء التجويد قد أدركوا أن الامالة تقريب بين الأصوات مثل الادغام، (٢٠) قال الداني: «وهي تخفيف كالادغام سواء». (٢١) وكذلك أدركوا أنها لغة لبعض العرب ورواية لبعض القراء دون سائرهم. فالفتح لغة أهل الحجاز، والامالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس. (٢٢) ومن ثم قال مكي: «اعلم أن أصل الكلام كله الفتح، والامالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعلة، والدليل على ذلك أن

(١٨) انظر: المرعشي: جهد المقل ٤١و.

(١٩) انظر: كمال محمد بشر: الاصوات ص ١٧٩.

(٢٠) ابن الباذش: الاقناع ٢٦٨/١.

(٢١) التحديد ٣٩و.

(٢٢) الداني: الموضح ٢٣ظ، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء ١٧٩ظ.

جميع الكلام الفتح فيه سائر جائز، وليست الامالة بداخلة الا في بعضه في بعض اللغات لعلة، فالأصل ما عمّ، وهو الفتح». [٢٣] والامالة من هذا الجانب تختلف عن الادغام، فالادغام ظاهرة صوتية أكثر عموماً، وهي ألصق بالتركيب منها باللهجات والروايات.

ويعرِّف علماء التجويد الامالة بقولهم: الامالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالالف التي بعدها نحو الياء. [٢٤] وذلك بناء على مذهبهم في وجود حركات تسبق حروف المد مجانسة لها، فالألف قبلها فتحة والياء قبلها كسرة والواو قبلها ضمة. ومن ثم فان اعتراض بعض المحدثين على ذكر الفتحة قبل الألف في تعريف الامالة. يندرج في أصل اعتراضهم على وجود حركات قبل حروف المد. [٢٥] وهذا أمر سنتحدث عنه في الفقرة الآتية.

---

(٢٣) الكشف ١/١٦٨.

(٢٤) انظر: مكي: الرعاية ص ١٠٥، والقرطبي: الموضح ١٥٤و. وابن الباذش: الاقناع ١/٢٦٨.

(٢٥) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٣٩.

خامساً ـ السكون الحي والسكون الميت :

توصف حروف المد الثلاثة : الألف والواو والياء ، بأنها أصوات ساكنة ، وأنها مسبوقة بحركات من جنسها ، فالألف قبلها فتحة ، والواو قبلها ضمة ، والياء قبلها كسرة ، وهي تجتمع في هذه الكلمة (نُوْحِيْهَا) . وهذا هو موقف علماء العربية وعلماء التجويد من هذه الأصوات على السواء . (١)

والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحروف ، أو سلب الحركة وعدمها من النطق . (٢) ولكن نجد لدى بعض علماء التجويد اتجاهاً متميزاً في معالجة السكون ، وذلك بتقسيمه الى حي وميت . وكان ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ) اقدم من تحدث عن هذا الاتجاه ، مما اطلعت عليه من مصادر علم التجويد . ولم يتابعه في ذلك الا القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) الذي تحدث عن الموضوع حديثا موجزا .

قال ابن الطحان : «وأما حد السكون فالسكون نوعان حي وميت . فالحي هو الذي يتهيأ له العضو ويأخذه فيسمع قرعه به ، مثل : حُكْم وغَيْر ، فأنت تجد الكاف والياء ظاهرتي الجسم والقرع ، لإعمال العضو فيهما كما يعمل في المحرك مثل حَكَم و(مَيِلَ) . (٣) والمتحرك حي ، فكذلك السكون الذي يوجد فيه أخذ العضو إياه حي أيضاً .

والسكون الميت لا يكون إلا في حروف المد واللين الثلاثة ، في الألف الثابتة السكون ، وفي الواو بعد الضم ، وفي الياء بعد الكسرة . فأما الألف فشهرتها بعدم حكمها من أن ينقطع لها في الفم جزء تتحيز اليه ظاهرة . وأما الواو والياء فانهما ما

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٢٢٠ و٢٢١ و٤ / ٤٤٢ و٤٤٧ . والمبرد : ١ / ٢١٠ـ٢١١ . والازهري : تهذيب اللغة ١ / ٥١ ، وابن جني سر صناعة الاعراب ١ / ٣١ ، ومكي : الرعاية ص ١٠١ .

(٢) انظر : ابن يعيش : شرح المفصل ٩ / ٦٧ ، والسيوطي : الاشباه والنظائر ١ / ١٧٦ ، والدركزلي : خلاصة العجالة ١٨٩ظ .

(٣) يمكن أن تقرأ (سيل) .

وقعتا بعد حركتهما فان سكونهما ميّت، وذلك انه غير جار على عضو ولا حاصل في حيّز، انما يصير الفم لصوتيهما كالأنبوب. وهما اذا انفتح ما قبلهما كسائر الحروف، وسكونهما حي (لسكونهما). [٤]

إلا ان السكون الحي يتفاضل بمقتضى طبع الحرف من القوة وتمكنه منها كما أنه في الوقف أندى منه في الوصل، كما انه في الوقف (أتم)[٥] حياة منه في الوصل.

فحد السكون الحي هو أن تكمل ضديته لنقيضه، وهو الحركة، فواجب على القارئ أن يعتمد عليه اعتماداً يظهر صيغته، ويبرز حليته. فان وصله بغيره بيّنه بما يحقق له من صفاته القائمة بذاته من غير قطع مسرف ولا فصل متغسف سوى ما تحكم به طبيعته من احتباس العضو لاظهار قرعه. فان وقف عليه بيّنه أيضا بما يجب له من صفاته القائمة بذاته المعينة على حياته، الشاهدة للقارئ بالاحسان والاجادة والاتقان في تفريقه بين المهموس والمجهور، وبين المهموس الرخو وبين المهموس الشديد، وبين المجهور الرخو وبين المجهور الشديد وبين الشديد (الاصلي)[٦] وبين الشديد الفرعي، وبين صوتي النون مشددة ومخففة مع التعيين وأظهار للطنين وفي الياء والواو الحيتين توقيف من الأداء، كذلك السكون الميت حده مقيد بالأداء من شرع القراء». [٧]

وقد نقلت هذا النص على طوله، مع ما فيه من غموض في امكانية قراءة بعض الكلمات، لأنه نص عزيز يعرض فكرة جديدة متميزة، اذ يتضح من هذا النص أن وجه التقابل بين السكون الحي والسكون الميت ليس قائماً على أساس قابلية السكون الحي للحركة وعدم قابلية السكون الميت لها، كما هو المتبادر الى الذهن، وانما هو قائم على أساس طبيعة مخرج الصوت في أثناء مرور النفس به. فجميع الأصوات الجامدة سكونها حي، لعمل أعضاء آلة النطق في مخارجها، إما بسد

---

(٤) كذا في الأصل.

(٥) غير واضحة في الاصل. ويمكن أن تقرأ (أنمى).

(٦) غير واضحة في الاصل، واخترت قراءة (الاصلي) على أساس قوله (الفرعي) بعده.

(٧) مرشد القارئ ١٣٦و-١٣٦ظ.

مجرى النفس بالكلية ثم إطلاقه، وذلك في الأصوات الشديدة، وإما بتضييق مجرى النفس عند مخرج الصوت، وذلك في الأصوات الرخوة. أما حروف المد فسكونها ميّت لأن أعضاء آلة النطق لا تعترض مجرى النفس عند إنتاجها بسد ولا تضييق، وانما تكون (كالأنبوب)، كما يقول ابن الطحان.

ولخص القسطلاني فكرة تقسيم السكون الى حي وميّت، من غير أن يخرج على أصل الفكرة، ومن غير أن يضيف اليها شيئاً جديداً، وذلك حيث قال: «وأما السكون فنوعان: حي وميت. فالثاني الألف واختاها، لأنهن لا حيّز ولا مقطع لهن محقق، فان انفتح ما قبل الواو والياء فسكونهما حي، لأخذ اللسان الياء، والشفتين الواو، كسائر الحروف، فكما تجد الجيم التي هي أخت الياء في مخرجها قد أخذها اللسان، في قولك: رميت،[٨] كذلك تجد الواو قد أخذتها الشفتان في قولك: عفوت».[٩]

وإنه لأمر عجب ألّا نجد نصوصاً أخرى تتعلق بفكرة تقسيم السكون الى حي وميت، واني أتوقع ألا يكون ابن الطحان هو أول من شرح هذه الفكرة، كما أن القسطلاني ليس الوحيد الذي تحدث عنها بعد ابن الطحان، وأعجب من ذلك أن سيبويه تحدث عن قضية أعتقد أنها هي أصل تلك الفكرة لدى علماء التجويد، ولكن أحداً لم يشر اليها ولا تحدث عنها بعد سيبويه من القدماء ولا المحدثين، بقدر ما اطلعت عليه من المصادر.

يذهب سيبويه الى تقسيم الالف والواو والياء الى حية وميتة. وهو يريد بالحية (المتحركة)، وبالميتة (الساكنة)، ومن ثم كانت الألف ميتة لأنها لا يفارقها السكون، قال: «وانما جسروا على حذف الألف لانها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا

---

(٨) لا تخلو هذه العبارة من الاضطراب، ولعل تصحيفا أخل بها، أو سقط منها شيء، ومع ذلك فالمعنى واضح، لا يخفى انه يريد: خذ اللسان الياء في قولك: رميت.

(٩) لطائف الاشارات ١/١٨٧.

نصب».[10] وقال سيبويه عن الواو في جدول: «وذلك لان هذه الواو حية»،[11] وقال عن حروف المد: «وانما كانت هذه الأحرف الثلاثة الزوائد: الياء والواو والألف وما بعدها بمنزلة زيادة واحدة لسكونها وضعفها، فجعلت وما بعدها بمنزلة حرف واحد، اذ كانت ميتة خفية».[12]

وقال سيبويه أيضا: «وسألته[13] عن واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة، لأي شيء هُمِزْنَ في الجمع، ولم يَكُنَّ بمنزلة معاون ومعايش اذا قلت: صحائف ورسائل وعجائز؟ فقال: لأني اذا جمعت معاون ونحوها، فانما أجمع ما أصله الحركة فهو بمنزلة ما حركت كجدول. وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك وكانت ميتة لا تدخلها الحركة على حال، وقد وقعت بعد ألف، لم تكن أقوى حالاً مما أصله متحرك... فهذه الأحرف الميتة التي ليس أصلها الحركة أجدر أن تغيّر اذا همزت ما أصله الحركة».[14]

ويتضح من هذه النصوص ان سيبويه يستخدم مصطلح (الحروف الحية) للدلالة على الواو والياء اذا تحركتا، ومصطلح (الحروف الميتة) على الألف والياء والواو الساكنة. ويفهم من النص الأخير أن الخليل بن أحمد استخدم مصطلح (الحروف الميتة)، ولا أستبعد أن يكون سيبويه أخذ الفكرة عن الخليل.

ويبدو لي أن فكرة ابن الطحان في تقسيم السكون الى حيّ وميت تعتمد على فكرة سيبويه في تقسيم الحروف الثلاثة الى حية وميتة، وان كان هناك اختلاف يسير بينهما يتمثل في أن سيبويه يستخدم مصطلح (الحية) للدلالة على الواو والياء اذا تحركتا، بينما يستخدم ابن الطحان مصطلح (الحي) للدلالة على سكون الواو والياء اذا انتفح ما قبلهما وكذلك على سائر الحروف الجامدة الاخرى اذا كانت ساكنة. ولا

---

(١٠) الكتاب ٣/٣٥٦ و٤٢٣.

(١١) الكتاب ٣/٤٦٩، وانظر ٣/٣٥٥.

(١٢) الكتاب ٢/٢٦٢.

(١٣) يريد استاذه الخليل بن أحمد. قال السيرافي (اخبار النحويين البصريين ص ٤٠): «وكل ما قال سيبويه: وسألته، أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل».

(١٤) الكتاب ٤/٣٥٦.

يزال هذا الموضوع بحاجة الى نصوص أخرى، يمكن من خلالها تتبع تطور فكرة الحي والميت في الحروف من لدن سيبويه الى ابن الطحان.

وكان بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين قد أخذوا على علماء العربية قولهم ان حروف المد ساكنة وأنها مسبوقة بحركات تجانسها، على أساس أن حروف المد هي من الناحية الصوتية حركات طويلة فلا يمكن أن توصف بأنها ساكنة ولا أن تكون مسبوقة بحركات من جنسها. وفسروا ذلك بقولهم ان علماء العربية انخدعوا بطريقة الكتابة العربية التي تضع حركة قبل حروف المد وسكوناً فوقها لاعتبارات كتابية لا صوتية محضة.(١٥)

واذا نظرنا الى هذه القضية من وجهة نظر الكتابة وجدنا ما يسوغ رسم علامات الحركات قبل حروف المد مع وضع علامة السكون عليها في مثل (بَاْع - نَبِيْع - نَقُوْل) وذلك لان رموز الالف والياء والواو تمثل في الكتابة ستة أصوات، فرمز الألف يمثل الهمزة في مثل (أَخَذَ) وحرف المد في مثل (قَالَ)، ورمز الواو يمثل حرف المد في مثل (نَقُوْلُ) والواو الجامدة في مثل (حَوْض)، ورمز الياء يمثل حرف المد في مثل (نَبِيْعُ) والياء الجامدة في مثل (بَيْت)، فرسم تلك العلامات أعني الحركات قبل حروف المد والسكون فوقها بمثابة علامات تمييزية لتحديد دلالة تلك الرموز.

ومن علماء التجويد من فرق بين سكون حروف المد وبين سكون غيرها من الحروف، وسَمَّى سكون حروف المد سكوناً ميتاً، وسَمَّى سكون غيرها من الحروف سكوناً حياً. ويفهم من كلام ابن الطحان السابق انه يقصد بوصف حروف المد بأنها ساكنة أكثر من كون السكون سلب الحركة، فهو يريد بالسكون الميت اتساع مخارجها للصوت حتى يصير الفم لأصواتها كالانبوب.

ويرى بعض المحدثين من دارسي الاصوات العربية أن ذكر الحركات فوق

(١٥) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٣٩، وكمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة ١/٢٠١-٢٠٢. ورمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ٣٥٤.

الحرف السابق لحروف المد يمكن أن يجد مسوغاً في أن هذه الحركات يمثلن أوائل حروف المد التالية لها ويُؤْذِنَّ بتمامها.(١٦)

ولا يزال موضوع وجود حركات قبل حروف المد بحاجة الى تحقق، وان من التسرع القول بأن علماء العربية أخطأوا حين قالوا ان حروف المد مسبوقة بحركات تجانسها، فهناك ظواهر لغوية وصوتية تؤيد وجهة نظر علماء العربية، فالفعل (أُدْعُوْ) مثلا ينتهي بحرف مد (ضمة طويلة)، وفي نظر الدارسين المحدثين اننا لا نحتاج الى أي علامة كتابية توضع على العين او الواو، بينما يجب في مذهب علماء العربية أن توضع ضمة على العين وسكون على الواو (أُدْعُوْ)، واذا جاء هذا الفعل في مثل هذا السياق (لن أُدْعُوَ) فسوف نحتاج حينئذ الى ان نضع ضمة فوق العين وفتحة فوق الواو، ولا نستطيع أن نستغني عن الضمة قبل الواو حينئذ والفتحة بعد الواو. وكذلك الحال في الفعل (تَـرْمِيْ - لن تَرْمِيَ). فلزوم الحركة قبل رمز الواو والياء في الحالة الثانية للفعل يسوغ القول بوجود حركة قبل حرف المد تمثل الجزء الأول منه، بينما يمثل رمز الواو أو الياء الجزء الثاني من حرف المد باعتباره حركة طويلة مؤلفة من حركتين.

* * *

واذا أردنا أن نلخص جهود علماء التجويد في دراسة الأصوات الذائبة (حروف المد والحركات) فانه يمكننا القول:

١ - انهم ميّزوا بكل وضوح بين الأصوات الجامدة والأصوات الذائبة، وأدركوا ما تتميز به الأصوات الذائبة من اتساع مخارجها قياساً بالأصوات الأُخرىٰ.

٢ - حددوا الأصوات الذائبة في العربية، وهي حروف المد الثلاثة: الألف والواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة من جنسهما، وأدركوا العلاقة بين حروف المد والحركات وقال الجمهور منهم إن الفتحة من الألف، والضمة من الواو،

---

(١٦) هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٦٨، ج ٢٣، ص ٧٩.

والكسرة من الياء وتوصل بعضهم الى تحديد نسبة الحركات من حروف المد، وقالوا إن الألف مركب من فتحتين، والواو مركب من ضمتين، والياء مركب من كسرتين.

٣ ـ وعرفوا أنوعاً أخرى من الحركات الفرعية وحروف المد هي من مظاهر النطق اللهجي أو أنها ترتبط ببعض القراءات.

٤ ـ ميز علماء التجويد بين الواو والياء الجامدتين وبينهما حين يكونان صوتين ذائبين (حرفي مد).

٥ ـ حدد علماء التجويد مخارج الأصوات الذائبة (حروف المد والحركات)، وقد ميزوا بين مخرجي الواو والياء الجامدتين وبين مخارج الأصوات الذائبة الأخرى، وربطوا بين مخارج حروف المد وبين مخارج الحركات، وتوصلوا في ذلك الى نتائج تستحق تقدير الدارسين.

٦ ـ ان مقولة علماء العربية وعلماء التجويد (حروف المد أصوات ساكنة، ومسبوقة بحركات من جنسها) لا تزال بحاجة الى بحث، ولا يمكن الجزم بتخطئتهم فيها، وهي تجد الآن ما يسوغ القول بها من عدة نواح صرفية وصوتية وكتابية.

الفصل الثالث
دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد متصلة
(على مســـــتوى التركيب)

الفصل الثالث
دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد متصلة
(على مستوى التركيـــب)

ان النظام الصوتي للغة العربية كما وصفناه في الفصل السابق مبني على أساس نظري تجريدي لا يلحظ الأصوات في جميع سياقاتها النطقية، فنحن حين نصف صوتاً معيناً بأنه مجهور فان ذلك مبني على ملاحظة أحوال ذلك الصوت الغالبة، والا فمن المحتمل أن يأتي في بعض المواقع في السلسلة الكلامية المنطوقة مهموساً، وكذلك حين نصف صوتاً بأنه مرقق فان ذلك لايعني أنه لا يلحقه التفخيم مطلقاً، ومثل ذلك جملة الصفات والخصائص الصوتية التي وصفنا بها الأصوات العربية، فانها معرضة في الكلام المنطوق للتغير بدرجات متفاوتة بتأثير من الأصوات المجاورة.

ويقرر علماء الأصوات المحدثون أن الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في بعض، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضاً لهذا التأثر. على أن نسبة التأثر تختلف من صوت الى آخر، فمن الأصوات ما هو سريع التأثر يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على ما سواه من الأصوات. ومجاورة الأصوات بعضها لبعض، في الكلام المتصل، هي السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر.(١)

ويلاحظ أن علماء الاصوات المحدثين الذي درسوا أصوات اللغة العربية قد وجهوا معظم عنايتهم الى دراسة الخصائص النطقية للأصوات العربية، أي ما يتعلق ببيان مخارجها وصفاتها التي تمتاز بها حينما ينظر اليها مجردة عن الكلام المنطوق. أماالظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب فلم يعتن بها الا عدد قليل من الدارسين، من غير أن يستغرقوا بحث كل ما يتصل بها.(٢)

---

(١) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٧٩.

(٢) مثل ابراهيم أنيس في (الاصوات اللغوية) ص ١٧٩-٢٠٧ وأحمد مختار في (دراسة الصوت =

وكـان هذا المـوضـوع قد حظي بعنـايـة علمـاء العـربيـة المتقـدمين، وعلمـاء القـراءات، وعلمـاء التجـويـد. والـذي يعنينـا هنا بدرجة أكبر هو معرفة موقف علماء التجويد من ادراك الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، وكيف وصفوا تلك الظواهر وصنفوها، وبيان مدى ادراكهم لقضية التأثر والتأثير بين الأصوات حين تكون في كلام متصل والعوامل التي تؤدي الى ذلك.

ومن ثم فان هذا الفصل سوف يتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: فكرة التأثر والتأثير بين الأصوات المتجاورة عند علماء التجويد.

المبحث الثاني: الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الجامدة.

المبحث الثالث: الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الذائبة.

المبحث الاول
فكرة التأثر والتأثير بين الأصوات في الكلام المتصل

كان واضحاً لدى علماء التجويد أن الأصوات اذا تجاورت في الكلمة المفردة أو في الكـلام المتصـل تعـرضت صفـاتها للتغير الجزئي أو الكلي اذا نُطِقَ بها متصلة، وذلك بحسب طبيعة الصوت وما يجاوره. وقد قال عبد الدائم الازهري (ت ٨٧٠هـ) كلمـة تعبـر بوضـوح وعلى نحـو شامـل عن ذلـك، وهي قوله: (المجاورة لها تأثير). وذلك حيث قال: «احذر من تفخيم باء (بَرْق) لمجاورتها الراء المفخمة، فان اللسان يسبق الى تفخيمهـا، وكـذا (بـاطـل) لمجـاورتها الألف المدية، فيسرع اللسان الى تفخيمها وتفخيم الألف المدية والطاء، بسبب المجاورة، اذ المجاورة لها تأثير». [3]

= اللغوي) ص ٣٢٤-٣٣٨. ومن المستشـرقين برجسـتـراسر في (التطور النحوي) ص ١٨ وما بعـدهـا. وجـان كانتينـو في (دروس في علم أصـوات العربية). حيث بحث تطور الاصوات العربية في مواضع متعددة من كتابه.

(٣) الطرازات المعلمة ٢٧و.

وقال الداني (ت ٤٤٤هـ) في ذلك أيضا عبارة جامعة رددها علماء التجويد من بعده، وهي قوله: «والحروف المهموسة اذا لقيت الحروف المجهورة، والحروف المجهورة اذا لقيت الحروف المهموسة فيلزم تَعَمُّلُ تلخيصها وبيانها، لئلا ينقلب المهموس الى لفظ المجهور، والمجهور الى لفظ المهموس، فتختل بذلك ألفاظ التلاوة، وتتغير معانيها». (٤) وقد نقل قول الداني هذا عبد الوهاب القرطبي في كتابه (الموضح في التجويد)(٥) وكذلك المرادي في كتابه (المفيد في شرح عمدة المجيد). (٦)

ويذهب الداني الى أن تأثر الأصوات بالمجاورة لا يقف عند حد الأصوات الجامدة وانما يتجاوزه الى الذوائب، وذلك حيث قال: «والترقيق في الحرف دون الحركة اذا كان صيغته، والامالة في الحركة دون الحرف اذا كانت لعلة أوجبتها، وهي تخفيف كالادغام سواء». (٧)

وكانت هذه القضية واضحة لدى عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ)، حتى انه رتب كتابه (الموضح في التجويد) على أساس منها، فخصص الباب الأول للحديث عن الحروف العربية في حالة الافراد، وخصص الباب الثاني ما يلحق الحروف العربية من أحكام عند النطق بها في التركيب، وقال في أول هذا الباب: «الباب الثاني فيما يعرض في هذه الحروف من الأحكام عند ائتلافها وتركبها ألفاظاً، اعلم ان التأليف منه متعذر ممتنع، ومنه ممكن ولكنه منبوذ مستكره، ومنه ممكن وهو مستحسن مستعمل... وهذا الضرب يعرض فيه عند الائتلاف والتجاور من الأحكام زيادة على وضع بسيط الحروف: كالمد، والتشديد، والتليين، والاظهار، والاخفاء، والقلب، وما يدخل من شوائب الحروف بعضها على بعض بسبب المناسبة بينها والمباينة والمقاربة والمباعدة. ونحن نبين ذلك بما يحضرنا من الاستقصاء، ان شاء الله». (٨)

(٤) التحديد ٢٩و.

(٥) الموضح ١٨٢ظ.

(٦) المفيد ١١٥ظ.

(٧) التحديد ٣٩و.

(٨) الموضح ١٦٥ظ - ١٦٦و.

والظـواهـر الصـوتية الناشئة عن التركيب التي ذكرها عبد الوهاب القرطبي منها ما يختص بالأصـوات الـذائبـة، وهي: المـد والتليين، ومنهـا ما يختص بالأصـوات الجـامـدة، مثـل التشـديد والاظهار والاخفاء والقلب. وهذا اتجاه أكده القرطبي في مكـان آخـر حيث قال عن مذهب ورش في تغليـظ الـلام اذا تحركت بالفتح خاصة، وكـان قبلهـا حرف اطبـاق: «وأمـا مذهب ورش فوجهه طلب المناسبة بين الحروف، كما في امالة الالف وترقيق الراء والقلب والتشديد».[9]

وكان أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) قد نقل عن أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمـد الـرازي (ت ٤٥٤هـ) انـه قال: «ينبغي لقـارئ القرآن أن يعرف ما يحدث بعض الحروف في بعض من النقصان، لاستطالة حرف على حرف...».[10]

وقال ابن وثيق (ت ٦٥٤هـ) «فاذا وقع في تلاوتك مطبق بين منفتحين، أو منفتح بيـن مطـبقين، أو مستعـل بين منسفلين، أو منسفـل بين مستعليين، أو شديـد بين رخوين، أو رخو بين شديدين، أو مهموس بين مجهورين، أو مجهور بين مهموسين، أو حرف فيـه غنـة بين حرفين ليس فيهمـا غنـة مشددين أو مخففين ساكنين، أو حرف ليس فيـه غنـة بين حرفين بغنتين - فيجب عليـك أن تكـون عارفاً بتخليص كل حرف منهـا، وإعطـاء كل حرف حقـه، وبمعـرفة هذه الأوصاف وإعطاء كل حرف حقه من صفاته أجمع يكون الانسان قارئاً ماهراً».[11]

وكان الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) قد جعل معرفة الأحكام الناشئة عن التـركيب أحـد أركـان علم التجـويـد الأربعـة في قوله الذي نقلناه من قبل وهو: «ان تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

---

(٩) الموضح ١٦٤ظ.

(١٠) الايضاح ٦٨ظ.

(١١) كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف ٧٨و.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيبْ من الأحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار». (١٢)

وهذه النصوص تبين أن علماء التجويد كانوا مدركين أن الدرس الصوتي لا يتوقف عند معرفة مخارج الحروف وصفاتها، بل لابد من دراسة ما يحدثه التركيب من آثار على صفات الأصوات، وقد جعل ابن الجزري معرفة أحكام الحروف الناشئة عن التركيب شرطاً لاتقان التجويد فقال: «فاذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفّ حقه فَلْيُعْمِل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الافراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوى وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه الا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالاتقان والتدريب». (١٣)

ولم يقف علماء التجويد عند حد الاشارة إلى الأحكام الصوتية الناشئة عن التركيب أو الاكتفاء بتوضيحها، وانما حاولوا تفسير تلك الأحكام تفسيراً عاماً يمكن أن نرجع اليه جميع الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، وتكاد تفسيرات علماء التجويد للظواهر الصوتية التركيبية تنحصر في إرادة الناطق السهولة والاقتصاد في الجهد بالعدول عن الأثقل الى الأخف.

وكان بعض علماء العربية قد أشاروا إلى ذلك في أثناء حديثهم عن ظاهرة الادغام خاصة، التي هي أكثر الظواهر الصوتية التركيبية دوراناً في كلام العرب. فقال سيبويه، وهو يتحدث عن قلب الواو ياء في مثل الميزان والميعاد: «فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم، كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم في الادغام، وكما أنهم اذا أدنوا الحرف من الحرف كان أخف عليهم، نحو قولهم:

---

(١٢) الواضحة ص ٣٠.

(١٣) النشر ١/٢١٤-٢١٥.

ازدان، واصطبر». (١٤) وقال الفراء، وهو يتحدث عن ادغام لام هل وبل: «وكذلك فافعل بجميع الادغام، فما ثقل على اللسان اظهاره فأَدْغِمْ، وماسهل لك فيه الاظهار فأَظْهِرْ ولا تدغم». (١٥)

وكان حديث علماء التجويد عن ذلك أكثر تفصيلا ووضوحا، فقال مكي (ت ٤٣٧هـ): «والقوي من الحروف اذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبه الى نفسه، اذا كان من مخرجه، ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة». (١٦) وقال: واعلم أن أصل الادغام انما هو في الحرفين المثلين. وعلة ذلك ارادة التخفيف، لأن اللسان اذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أُخرىٰ الى المخرج بعينه، ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك، وشبهه النحويون بمشي المقيد، لأنه يرفع رجلاً ثم يعيدها الى موضعها أو قريب منه. وشَبَّهَهُ بعضهم باعادة الحديث مرتين، وذلك ثقيل على السامع». (١٧)

وقال مكي أيضا بعد أن ذكر مذهب ورش في تفخيم اللام: «فيعمل اللسان في التفخيم عملا واحدا. وهذا هو معظم مذاهب العرب في مثل هذا يقرّبون الحرف من الحرف، ليعمل اللسان عملاً واحداً. ويقرّبون الحركة من الحركة ليعمل اللسان عملاً واحداً، وعلى هذا أتت الامالات في عللها، وعلى هذا أبدلوا من السين صاداً اذا أتى بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء، ليعمل اللسان في الاطباق عملاً واحداً، فذلك أخف عليهم من أن يتسفل اللسان بالحرف، ثم يتصعد الى ما بعده». (١٨)

وقال الداني: «اعلم أرشدك الله ان الادغام تخفيف وتقريب... وانما أدغمت العرب والقراء طلباً للتخفيف وكراهة للاستثقال بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يعيدوها اليه، إذ في ذلك من التكلف ما لا خفاء فيه، أَلَا ترىٰ أن الخليل رحمه الله

---

(١٤) الكتاب ٤/٣٣٥ وانظر أيضا ٤/٣٦٥. وانظر: ابن الحاجب: الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٧٦.

(١٥) معاني القرآن ٢/٣٥٤.

(١٦) الرعاية ص ١٨٠ وانظر أيضا ص ١٥٠ و١٦٣ و١٩٠ و١٩٣.

(١٧) الكشف ١/١٣٤.

(١٨) الكشف ١/٢١٩.

شبّه ذلك بمشي المقيد، وباعادة الحديث مرتين، فخففوا بالادغام من أجل ذلك مع توفر المعنى به». [19]

وصرح عبد الوهاب القرطبي في أكثر من مكان بأن الغرض من الادغام أو تقريب الحروف بعضها من بعض هو طلب السهولة على اللافظ، «لان اللسان يفرّ إلىٰ الأخف ويطلبه». [20] فمن ذلك قوله: «إذا كانت الجيم مع بعض الحروف المقاربة لها، ولا سيما اذا كانت ساكنة صعب إخراجها لشدة الجيم ومال الطبع بالنطق الى الأسهل». [21]

وقال أيضا وهو يتحدث عن المشدد (أي المدغم): «والعلة في ذلك أن اعتماد آلة النطق على موضع وارتفاعها عنه وعودها اليه ثم ارتفاعها عنه مستثقل يشبه مشي المقيّد، فجعل اللسان أو غيره من المخارج ينبو عنهما نبوة واحدة، طلباً للخفة، ولما في ذلك من السهولة على اللافظ». [22]

ويقرر دارسو الاصوات المحدثون أن نظرية السهولة هي من أكبر العوامل التي تؤدي الى تطور اللغات، [23] وبذلك يكون علماء التجويد على حق حين فسروا الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب بميل اللافظ الى الأسهل والأخف في النطق، لأن هذه الظواهر هي في الواقع ضرب من ضروب التطور الصوتي.

---

(١٩) الادغام الكبير ٥و-٥ظ، وانظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٢٥.

(٢٠) الموضح ١٨٤و.

(٢١) الموضح ١٥٥و.

(٢٢) الموضح ١٦٩ظ.

(٢٣) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٢٣٥-٢٣٨، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٩-٣٢١ و٣٣٨-٣٣٩.

المبحث الثاني
الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الجامدة

أولا ـ تقسيمات علماء التجويد لظواهر التأثُّر بين الأصوات الجامدة :

تتعدد صور التأثر بين الأصوات الجامدة في اللغة العربية، وهناك مصطلح يستخدم للتعبير عن مجموع تلك الصور، وهومصطلح (الادغام)، وان كان بعض العلماء لا يستخدمه الا في الحالات التي يفنى فيها الصوت في الصوت المجاور له، ولا يبقى له أثر، ويستخدم مصطلحات اخرى للتعبير عن صور التأثر الاخرى التي لا تبلغ درجة الفناء التام، مثل مصطلح (الاخفاء) أو (التقريب).

وكان علماء التجويد قد درسوا ظاهرة الادغام على نحو مفصل، وميزوا بين عدة أنواع من ظواهر تأثر الأصوات بما يجاورها في الكلام المتصل، ومن ثم قسموا الادغام الى عدة أقسام :

١ ـ المقبل والمدبر والمتبادل :

قال عبد الوهاب القرطبي : «ثم الادغام في المتقاربين : تارة يكون بقلب الأول الى الثاني، وهو الأكثر الأشيع، كقولك : النّعيم والسّلام، وهو الأصل.
وتارة يكون بقلب الثاني الى الأول، نحو (مذّكر) في لغة من أبدل تاء (افتعل) ذالاً معجمة وأدغمها في الذال الأصلية.
وتارة يكون بأن يبدل بحرف مناسب لهما ثم يدغم، وذلك نحو (مدّكر) بدال غير معجمة.

ومنـه ما يقلب الأول من جنس الثـاني ، ويتـرك من الحرف الأول شائبة ما ، وذلك مثل (أَحَطْتُ) في إبقاء شائبة من إطباق مع التاء عند الادغام ، ومثل ﴿مَن يَهْدِ اللهُ﴾ (الاعراف ١٧٨) . و﴿مِن وَرَائِهِمْ﴾ (الجاثية ١٠) في إبقاء الغنة مع إدغام النون في الياء والواو» . (١) ولم يستخدم عبد الوهاب القرطبي لهذه الأنواع أسماء خاصة بها

وقـد استخـدم بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين مصطلحات خاصة لأنـواع الادغـام ، فنجـد المستشـرق الالماني برجستراسر قد استخدمْ المصطلحات الثـلاثـة (مقبل ، ومدبر، ومتبادل) وهويريد بالمقبل أن يؤثر الحرف الأول في الحرف الثاني مثل (مذّكر) فان الأصل (مذتكر) فقلبت تاء الافتعال ألى جنس الحرف السابق له وهو الذال ، وأدغم فيه . ويريد بالمدبر أن يؤثر الحرف الثاني في الحرف الأول نحو (عَبَدْتُ) حيث تصيير الكلمـة في النطق (عَبَتُّ) حيث قلب الحرف الأول وهو الدال الى جنس الحـرف الثـاني وهـو التـاء وأدغم فيه . وأما المتبادل فهو أن يقلب الحرفان الأول والثـاني الى حرف ثالث مخـالف لهمـا ، وذلـك في مثـل (مدّكر) بالدال حيث قلبت الـذال والتاء في (مـذتكر) كلاهماالى صوت الدال ، فالتقى دالان الأول ساكن والثاني متحرك فأدغم الأول في الثاني . (٢)

واستخـــدم بعض المحـــدثين من دارسي الاصـــوات العـــربيـــة مصطلح التأثـر (الرجعي) والتأثر (التقدمي) في مقابل (المدبر والمقبل)، ولم يضع مصطلحا للمتبادل . (٣) وهناك اتجاه لدى المحدثين نحو استخدام كلمة (المماثلـة) للتعبير عن ميـل الاصـوات الى التمـاثـل في الكلام المتصل ، وهذه الكلمة أقرب الى أن تكون مرادفة لكلمة (الادغام) . وقد استخدم بعضهم مصطلح (مماثلة تقدمية) و(مماثلة رجعية) . (٤)

---

(١) المـوضـح ١٦٩ظ ، وينظـر: الفراء: معـاني القرآن ١/ ٢١٥-٢١٦ ، ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٣٢ .

(٢) انظر: التطور النحوي ص ١٨-١٩ .

(٣) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٨١ .

(٤) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥ .

ولا يُخِلُّ بتقسيم عبد الوهاب القرطبي للادغام انه لم يضع مصطلحاً لكل نوع من أنـواعـه، لاسيمـا أن نوعـاً واحـداً هو الشـائع الغالب في العربية، وهو الذي يتأثر فيه الأول بالثاني.

٢ ـ الادغام الناقص والادغام التام:

لا يصل التأثر بين الأصوات أحياناً الى حد أن يفنى الصوت في الصوت الآخر، بل يبقى للصـوت الأول أثـر، ومن هنا قسم علماء التجويد الادغام الى ناقص وهو ما يبقى معه للصوت المدغم بقية، وكامل وهو ما يتحول فيه الصوت المدغم الى جنس الصوت المدغم فيه.[٥]

ويبدو أن محمدا المرعشي هو خير من وضح هذا التقسيم للادغام، وذلك حيث قال: «ثم ان الادغـام ينقسم الى تام ونـاقص، لأن الحرف الأول إن أُدرج في الثاني ذاتاً وصفة بأن كانا مثلين أو متقاربين لكن انقلب ذات الأول الى ذات الثاني وصفته الى صفتـه فالادغـام حينئـذ تام، مثـل ادغـام (مدّ)، وادغام الذال في الظاء نحو (إِذْ ظَلَمُوا) (النساء ٦٤).

وإن أُدرج الحـرف الأول في الثـاني ذاتـاً لا صفـة بأن كانا متقاربين فانقلب ذات الحـرف الأول الى ذات الثـاني ولم تنقلب صفتـه الى صفتـه بل بقي في التلفـظ، فالادغام حينئذ ناقص، والصفة باقية من الحرف الأول:

إما غنة، وهي في ادغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء.

وإمـا إطبـاق، وهـو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية نحو (أَحَطْتُ) (النمل ٢٢).

وإما استعلاء، وهو في ادغام القاف في الكاف في (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) (المرسلات ٢٠)...».[٦]

وهذا تقسيم صحيح للادغام، وقد عبر عنه بعض المحدثين باستخدام مصطلح

---

(٥) انظر: مكي: الرعاية ص ٢٣١، والنابلسي: كفاية المستفيد ١٧ظ ـ ١٨و.

(٦) جهد المقل ٢٥و. وانظر: على القارى: المنح الفكرية ص ٢٩.

(التشابه الكلي) اذا تطابق الحرفان تماماً، و(التشابه الجزئي) اذا لم يتطابق الحرفان تماما. (٧) واستخدم بعضهم مصطلح (المماثلة الكلية) و(المماثلة الجزئية). (٨) ولا يعدو هذا الاختلاف في استخدام المصطلحات أن يكون لفظياً، الا أن مصطلح (المماثلة الجزئية) ينطبق على (الادغام الناقص) وينطبق على صور أخرى يكون التأثر فيها على نحو أقل من مثل ما سماه بعض علماء التجويد بدخول شوائب الحروف بعضها على بعض. (٩) على ما سنذكر ذلك مفصلا بعد قليل.

٣ ـ ادغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين:

قسم علماء التجويد الادغام بالنظر الى مقدار التشابه بين الأصوات التي يحصل فيها الادغام، وانتهى ذلك بهم الى هذه الأقسام الثلاثة.

يقول ابو بكر أحمد بن الجزري: «اعلم أن الحرفين اذا التقيا إما أن يكونا مثلين أو جنسين أو متقاربين، فالمثلان ما اتفقا مخرجاً وصفة، كالباء والباء والتاء والتاء، والجيم والجيم، واللام واللام.

والمتجانسان ما اتفقا مخرجاً واختلفا صفة كالدال والطاء، والثاء والذال، وكاللام والراء عند الفراء ومن تابعه.

والمتقاربان ما تقاربا في المخرج أو الصفة، كالدال والسين، والثاء والتاء، والضاد والشين»، (١٠) ويستخدم بعض المتأخرين مصطلح (المتماثلين) بدل (المثلين). (١١)

ويجد الدارس أن أصول هذا الاتجاه قديمة ترجع الى كتابات علماء العربية

---

(٧) برجستراسر: التطور النحوي ص ١٨.

(٨) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥.

(٩) انظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٧٩ظ.

(١٠) الحواشي المفهمة ٤٠ظ. ونظر: عبد الدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٣٤و. والنابلسي: كفاية المستفيد ١٥ظ، والمرعشي: جهد المقل ٢٤ظ.

(١١) الطبلاوي: مرشدة المشتغلين ٢و.

وعلماء التجويد المتقدمين، فهذا سيبويه يستخدم مصطلح المثلين والمتقاربين.[١٢] وكذلك استخدمهما مكي،[١٣] والداني.[١٤] ولكن الذي ميّز استخدام المتأخرين أنهم استخدموا مصطلح (المتجانسين) وجعلوا له ولمصطلح (المتقاربين) دلالة محددة، بينما نلمح عند المتقدمين أن مصطلح (المتقاربين) يؤدي دور المصطلحين معاً.

وكان أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) قد استخدم المصطلحات الثلاثة حيث قال: «واعلم أن الادغام هو أن تصل حرفاً بحرف من المتماثل أو المتجانس أو المتقارب، فترفع لسانك بلفظ الثاني منهما بنبرة واحدة مشددة من غير إبقاء أثر من الأول منهما، الا اذا كان الأول مطبقاً أو أغن فان فيهما اختلافا».[١٥] ولكنه حين تحدث عن أنواع الادغام لم يذكر إلا اثنين، وذلك حيث قال: «والادغام على وجهين: ادغام المتماثلين وادغام المتقاربين، ولا يجوز ادغام المتباعدين، وكلما كان أقرب فادغامه أقوى، ولا يكون ادغام المتقاربين الا بقلب أحدهما الى الآخر، حتى يصح الادغام».[١٦]

ولابن وثيق (ت ٦٥٤هـ) اتجاه آخر في استخدام المصطلحات، وان كان لا يبتعد كثيراً عما ذكرناه، وذلك حيث يقول: «ويدخل الادغام عليها (أي على حروف العربية) بثلاثة أوجه: بالمثلية والتقارب والشبه. فالمثلية: ﴿كُنتُمْ مِن﴾ (البقرة ١٩٨) وشبهه، والتقارب: ﴿نَخْلُقْكُمْ﴾[١٧] وشبهه، والشبه: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ (المجادلة ١) وشبهه، لأن الحروف، في أنفسها على قسمين: قسم منها لا يتشابه ولا يتناسب مثل الباء والجيم والحاء والخاء والكاف والهاء والياء وما أشبهها. وقسم منها يتناسب ويتشابه فأدغم بالتناسب والتشابه، مثل: التاء والثاء والزاي والراء والدال والسين وما

(١٢) الكتاب ٤/٤٧٣.

(١٣) انظر مثلا: الكشف ١/١٣٥.

(١٤) انظر مثلا: الادغام الكبير ٦و.

(١٥) الايضاح ١٠٦ظ.

(١٦) الايضاح ١١٤و.

(١٧) في الاصل (يخلقكم) وهو في الزمر آية ٦، والقاف هنا مضموم، والذي يناسب التمثيل (نخلقكم) في سورة المرسلات آية ٢٠ حيث القاف مجزوم.

أشبـه هذا، فاذا سئلت: بمـاذا أدغمت ﴿قَـدْ سَمِعَ﴾؟ فقل: بالتناسب والشبه». [18]
فابن وثيق ها هنـا يستخـدم مصطلح (الشبـه) في مقـابـل (المتقـارب) عنـد غيـره، ويستخـدم مصطلح (التقـارب) في مقـابل (المتجانس) عند غيره تقريباً، لأنه مَثَّل له بالقاف والكاف، وهما وان وصفا بأنهما لهويان الا انهما ليسا من مخرج واحد.

وتقسيم الأصـوات العـربية الى متماثلة ومتجانسة ومتقاربة، وتقسيم الادغام على وفق ذلك أمر يدل على ادراك لخصائص الأصوات، فهي فعلاً اذا التقت اما أن تكون متفقـة في المخـرج والصفـات فهي حنيئذ متماثلة، واما ان تكون متفقة في المخرج مختلفـة في الصفـات فهي حينئـذ متجانسة، وام أن تتقارب في المخرج أو الصفات ولكن دون أن تكـون متفقـة، فهي حينئـذ متقـاربة. وهي بعد ذلك قد تتباعد في كل شيء فتوصف حينئذ بأنها متباعدة. ولا شك في أن الادغام يتوقف على مقدار القرب والبعد بين الأصوات، فكلما تدانت حسن الادغام، وهكذا.

٤ ـ الادغام الكبير والادغام الصغير:

الادغام هو وصلك حرفاً ساكناً بحرف آخر مثله متحرك، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد يرتفع العضو عنهما ارتفاعة واحدة. [19] فلابد أن يكون الحرف الأول ساكناً، لأنه اذا كان متحركاً فصلت الحركة بين الحـرفين، وحـالت دون حصـول التأثر بينهما. وهذا هو المتبادر الى الذهن عند ذكر كلمة الادغام، ويوصف أحياناً بالادغام الصغير. [20]

وكـان مذهب أبي عمـرو بن العلاء خاصة أنه اذا التقى الحرفان وهما من كلمتين

---

(١٨) كتاب في تجويد القراءة ٧٦ظ.

(١٩) انظر: الزجاجي: الجمل ص ٣٧٨. والداني: الادغام الكبير ٥و. وابن الباذش: الاقناع ١٦٤/١. وعلم الـدين السخـاوي: جمـال القـراء ١٧٥ظ، وابن عصفـور: الممتـع في التصريف ٦٣١/٢.

(٢٠) ابن البـاذش: الاقنـاع ١٩٥/١ و٢٣٨. وابن الجـزري: النشر ٢٧٥/١ والنابلسي: كفاية المستفيد ١٥ظ.

وكانا متحركين أسكن الأول وأدغمه في الثاني، سواء كانا مثلين أم متقاربين. وهو في المثلين لا يحتاج الى أكثر من إسكان الأول، أما في المتقاربين فلابد من قلب الأول الى جنس الثاني، قال الداني: «وحقيقة ادغام الحرف المتحرك في مثله أن يسكن ثم يدغم، وحقيقة إدغام المتقارب أن ينقلب الى لفظ الثاني ثم يدغم». (٢١) فالمثلان نحو قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ (البقرة ١٨٥) و﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ (البقرة ٢٠) والمتقاربان نحو ﴿فالزاجِرَاتِ زَجْراً﴾ (الصافات ٢) و﴿الصالحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ﴾ (النساء ٥٧). (٢٢)

ويُسَمَّىٰ مذهب أبي عمرو هذا في الادغام باسم الادغام الكبير، واختلف في سبب تسميته كبيراً، فقال ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ): «سموه كبيراً لأنه أكثر من الصغير، ولما فيه من تصيير المتحرك ساكناً، وليس ذلك في الادغام الصغير ولما فيه من الصعوبة». (٢٣) وقال أحمد بن أبي عمر: «وانما سمي المتحرك كبيراً والساكن صغيراً لأن المتحرك حي لحركته، والساكن كالميت لسكونه، فللزيادة التي في المتحرك، وهي الحركة، سمى كبيراً، وللنقصان الذي في الساكن وهو عدم الحركة سمي صغيراً». (٢٤)

والادغام منه ما انفرد به بعض القراء، مثل الادغام الكبير، ومنه ما اتفق عليه القراء، مثل ادغام لام التعريف ومعظم أحكام النون الساكنة والتنوين، وادغام المتجانسين، ومنه ما اختلفوا فيه وهو بقية أحكام الادغام الصغير المذكورة في كتب القراءات مثل دال (قد) وذال (اذ) ولام (هل وبل). (٢٥) ولم يعتن علماء التجويد في

---

(٢١) الادغام الكبير ٦و.

(٢٢) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١١٦، والداني: التيسير ص ٢٠، وابن الجزري: النشر ١/٢٧٤.

(٢٣) الاقناع ١/١٩٥. وانظر: ابن الجزرى: النشر ٢/٢٧٤.

(٢٤) الايضاح ١١٠و.

(٢٥) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١١٣-١٢٥، وابن الباذش: الاقناع ١/٢٣٨ وما بعدها، وابن الجزري: النشر ٢/٢-٢١.

كتبهم إلا بالادغام المتفق عليه، وتركوا تفصيلات ما اختلفت فيه القراء من أنواع الادغام الاخرى لكتب القراءات.[٢٦]

وكان ابن جني قد استخدم مصطلح الادغام الأصغر ويريد به (تقريب الحرف من الحرف وإدناءه منه من غير إدغام يكون هناك) وقد مثل له بالامالة وبتقريب السين من الصاد في نحو (سُقْت) وبتقريب الصاد من الزاي في نحو (مَصْدَر) ونحو ذلك مما لا ادغام فيه. واستخدم ابن جني مصطلح الادغام الأكبر وهو يريد به ما سماه علماء التجويد بالادغام الصغير الذي يقلب فيه الحرف الأول الى مثل الحرف الذي يليه ويدغم فيه.[٢٧] وهذا الاستخدام للمصطلحات خاص بابن جني ولم نجد له صدى عند علماء العربية ولا علماء التجويد.

٥ ـ الأقوى والأضعف:

يقسم علماء التجويد الأصوات الى قوية وضعيفة، بحسب ما فيها من صفات القوة والضعف. وسبق أن بيّنا الصفات القوية والصفات الضعيفة لدى علماء التجويد وعلاقة ذلك بقوة الحروف وضعفها.[٢٨] وقد طبق بعض علماء التجويد فكرة القوة والضعف في الحروف على ظاهرة الادغام، فقالوا ان الادغام إنما يحسن في المواضع التي ينقل فيها الأضعف الى الأقوى.

ومثلما كان مكي رائد نظرية القوة والضعف في الأصوات كذلك كان رائداً في تطبيق هذه النظرية على موضوع الادغام، فقد بحث هذا في كتابيه (الرعاية) و(الكشف). فمما قاله في الاول: «والقوي من الحروف اذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبه الى نفسه اذا كان من مخرجه ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة».[٢٩] وقال أيضا: «وانما ينقل أبداً الأضعف الى الأقوى، اذا تقاربت

(٢٦) انظر ص ٧١ من هذا البحث.

(٢٧) الخصائص ٢/١٣٩ـ١٤٥، وانظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٣٩.

(٢٨) انظر ص ٣٢٨ من هذا البحث.

(٢٩) الرعاية ص ١٨٠.

المخارج، ليقوىٰ الكلام، فهذا هو الأكثر في الأصل، وربما خالف اليسير ذلك لعلة توجبه، واذا نقل الأقوى الى الأضعف ضعف الكلام». (٣٠)

ومما قاله مكي في (الكشف): «وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى الى الأضعف، وانما أصولهم في الحروف اذا أبدلوا أن يردوا الأضعف الى الأقوى». (٣١) وهناك نص تضمن عرضاً مفصلاً لموضوع الادغام من ناحية قوة الحروف وضعفها مقروناً بالامثلة، ورد في كتاب (الكشف)، أجد من تمام الموضوع إيراده بنصه، لاسيما أن أحداً من علماء التجويد لم يتطرق الى هذا الموضوع بهذا الشكل من الشمول.

قال مكي: «واعلم أن الادغام انما يحسن في غير المثلين ويقوى اذا سكن الأول، وهو على ضربين:

أحدهما: اذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني، فيصير بالادغام الى زيادة قوة، لأنك تبدل من الأول حرفاً من جنس الثاني، فاذا فعلت ذلك نقل لفظ الضعيف الى لفظ القوة، فذلك حسن جيد.

والضرب الثاني: أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين، فيحسن الادغام، اذ لا ينتقص الأول من قوته قبل الادغام.

وضرب ثالث من إدغام المتقاربين ضعيف قليل، وهو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني، فيصير بالادغام أضعف من حاله قبل الادغام.

فالذي يزداد قوة مع الادغام هو كادغام التاء في الطاء نحو﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ﴾ (آل عمران ٧٢) و﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ﴾ (آل عمران ٦٩) لأن التاء حرف ضعيف للهمس الذي فيه، والطاء حرف قوي للاطباق والجهر والاستعلاء والشدة اللواتي فيها، فهو أقوى من التاء كثيراً، فاذا أدغمت التاء نقلتها من ضعف الى قوة مكررة، فهذا لا تكاد العرب تظهره، وكذلك أجمع القراء على الادغام في هذا.

---

(٣٠) الرعاية ص ١٨١.

(٣١) الكشف ١/٣٤.

فان نقصت قوة الحرف الثاني، وهو مع نقص قوته أقوى من الأول حسن الادغام والاظهار نحو ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ (الحج ٤٠) و﴿حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ (الانعام ١٤٦) لأن الصاد نقصت عن قوة الطاء لعدم الجهر، وكون الهمس فيها، والظاء نقصت عن قوة الطاء لعدم الشدة، وكون الرخاوة فيها.

والـذي تتسـاوى قوة الحـرفين فيـه ادغام الذال في التاء، (٣٢) وذلك أن الذال فيها ضعف وقوة، فالضعف من جهة أنها رخوة، والقوة من جهة أنها مجهورة. كذلك التاء فيها ضعف وقوة، فالضعف من جهة أنها مهموسة، والقوة من جهة أنها شديدة، فقد تقـاربتـا في القـوة، والضعف من صفـاتهـا، فجواز الادغام حسن، والأول حسن في الادغام، لأنك تزيد الحرف الأول قوة بالادغام.

والذي يقبح الادغام فيه لقوة الأول وضعف الثاني نحو إدغام الراء في اللام، (٣٣) وهـو قبيـح لقـوة الـراء بالجهـر والتكرير اللذين فيه، وضعف اللام لعدم التكرير فيه، وضعف الجهر فيه، فاذا أدغمت نقلت الأقوى الى الأضعف، وذلك مكروه ضعيف، فقس عليه هذا فانه الأصل الذي يعتمد عليه». (٣٤)

وكان الداني قد أشـار الى ذلـك المعنى حيث قال: «. . . فلا يدغم الافضـل في الانقص لذلك، ويدغم الانقص في الافضل لانه يخرج بذلك الى الحرف الاقوى، وإخراج الأضعف الى الأقوى جائز لأنه يقوىٰ فيه». (٣٥)

---

(٣٢) مثل ﴿أَخَذْتُمْ﴾ في آل عمران ٨١، و﴿عُذْتُ﴾ في غافر ٢٧.

(٣٣) مثل ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ في نوح ٤.

(٣٤) الكشف ١/١٣٥-١٣٦.

(٣٥) الادغام الكبير ٦ظ.

ثانيا ـ شوائب [1] الحروف :

هذا مصطلح استخدمه عبد الوهاب القرطبي ليدل به على معنى خاص يتعلق بصفات الحروف التي يمكن أن تؤثر في الأصوات المجاورة. فالصوت المجهور يمكن أن يؤثر على الصوت المهموس، والصوت المطبق يمكن أن يؤثر على الصوت المنفتح، والصوت الأنفي (الأغن) يمكن أن يؤثر على الفموي. وقد خصص مبحثاً طويلاً لدراسة الظواهر المتعلقة بهذا الموضوع. [2]

وقد وضح القرطبي في مطلع كلامه السبب الذي من أجله دخلت شوائب الحروف بعضها على بعض فقال: «فأَحْسِن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض، فيكون التنبيه عليه بعد ذكر السبب الموجب له، فنقول: السبب في ذلك أن يجتمع حرفان امتاز أحدهما عن الآخر بمزية ما، إما بتفخيم، أو اطباق، أو تفش أو غير ذلك، مع إمكان تلك المزية فيه لأن الحرف بسبب اتحاده بما جاوره يجذبه الى حيّزه ويسلبه المزية الخاصة به، أو يدخل معه فيها، أو يحدث بينهما حرف يشبههما. والذي ينبغي أن يعتمده القارئ في ذلك حسن التخلص منه بافراد كل منهما بمزيته والتعمل لايراده بخاصيته». [3]

ولم يكن عبد الوهاب القرطبي الوحيد بين علماء التجويد الذي عالج موضوع الشوائب، فهناك عدد من العلماء لاسيما من المتقدمين يشاركونه في ذلك، الا انه يمكن القول، بقدر ما يتيسر من معلومات، ان عبد الوهاب القرطبي انفرد باستخدام مصطلح شوائب الحروف.

وتكاد معظم الحالات التي رصدها علماء التجويد في موضوع الشوائب تندرج

---

(١) الشوب ـ في اللغة ـ الخلط، والشائبة واحدة الشوائب، وهي الأقذار والأدناس (لسان العرب ١/٤٩٢-٤٩٤ شوب) والشائبة ايضا: الشيء الغريب يختلط بغيره (المعجم الوسيط ١/٥٠١ شوب).

(٢) الموضح ١٧٩ظ ـ ١٨٢ظ.

(٣) الموضح ١٧٩ظ.

في الظواهر الصوتية التي لا يقرها الاستخدام اللغوي، حتى على مستوى اللهجات وانما اعتنى بها علماء التجويد حرصاً منهم على تقديم صورة النطق الصحيح، وتوضيح ما يمكن أن يشوب ذلك النطق من شوائب الانحراف، بسبب تجاور الحروف في الكلام المتصل وميلها الى التماثل والاقتصاد بالمجهود، ومع ذلك فان عناية علماء التجويد بمثل هذا النوع من الظواهر الصوتية يدل على عمق النظرة في فهم تلك الظواهر التي لو سمح لها بالظهور لأدت الى تطور النطق العربي دون ضوابط واضحة ولا حدود مرسومة، ولتغير نطق القرآن الكريم، وهو ما جاهد علماء التجويد قروناً من أجل الحيلولة دون وقوعه، وتكلل جهدهم بالنجاح الذي نلمس مظاهره في النطق العربي الفصيح اليوم.

وبامكان الدارس أن يقدم عشرات الأمثلة التي توضح عناية علماء التجويد بما يمكن أن ينتج عن تجاور الأصوات في الكلام، سواء من الظواهر الصوتية المعترف بها في مستوى اللغة الفصيح أم من الظواهر التي تعد من باب اللحن الذي هو في حقيقته تغير صوتي يخضع لقوانين صوتية معينة، وسوف أكتفي هنا بايراد عدد من الأمثلة مبوبة حسب نوع الشائبة الصوتية، أي الصفة التي أثرت في الصوت المجاور، مثل الجهر والهمس، والاطباق والانفتاح، والانفية.

أ ـ الجهر والهمس:

نقلنا في صدر المبحث الأول من هذا الفصل مقولة الداني في تأثير الأصوات المجهورة في المهموسة والمهموسة في المجهورة إذا تجاورت.[4] وهو أمر لا شك فيه، وتؤيده الدراسات الصوتية الحديثة.[5] وهذه أمثلة لتأثر الأصوات المهموسة بمجاروة الاصوات المجهورة، مما لاحظه علماء التجويد:

١ ـ س ج ← زج، قال مكي: «واذا سكنت السين وأتت بعدها جيم، وجب بيان السين، لئلا يذهب اللفظ بها الى الزاي، لأن الزاي بالجيم أشبه من

---

(٤) انظر ص ٣٨٨ من هذا البحث.

(٥) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٨٣.

السين بالجيم، لأن السين مهموسة والجيم مجهورة، والزاي مجهورة فهي بالجيم أشبه، وهي من مخرج السين، فاللفظ يبادر الى الزاي في موضع السين، لاتفاقها مع الجيم في الجهر، ولأنها من مخرج السين. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ﴾ (العلق ١٩) و﴿الْمَسْجِدِ﴾ (البقرة ١٤٤) و﴿ٱسْجُدِي﴾ (آل عمران ٤٣) و﴿يُسْجَرُونَ﴾ (غافر ٧٢) و﴿الْمَسْجُورِ﴾ (الطور ٦) وشبهه. لابد من التحفظ باظهار لفظ السين لئلا تصير زاياً». [٦]

٢ - ص د ←— (ز) د. قال عبد الوهاب القرطبي: «وكذلك اذا سكنت أيضا (أي الصاد) قبل دال في مثل قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ (النساء ٨٧) و﴿تَصْدِيَةً﴾ (الأنفال ٢٥) و﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (الحجر ٩٤). أخلص إطباقها، وإلّا صارت زاياً لأن الزاي أخت الصاد في الصفير وأخت الدال في الجهر، فالدال تجذب الصاد اليها، وهو قبيح عند الجماعة، ما خلا حمزة والكسائي، فانهما يلفظان الصاد مشوبة زاياً». [٧]

وهذا الصوت الذي يحذر منه ليس في الحقيقة زاياً خالصة، انما هو مجهور الصاد، وهو أحد الحروف الفرعية المستحسنة، الذي يوصف بأنه الصاد التي كالزاي، أي الصاد التي لحقها الجهر. ومثله الشين التي كالجيم في مثل (أَشْدَق) حيث تصير الشين مجهورة. [٨]

وهناك أمثلة أخرى نكتفي بالاشارة اليها من غير نقل ما قاله علماء التجويد عنها، وذلك مثل تحذيرهم من جهر الحاء في نحو قوله تعالى ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ (الزخرف ٨٩). [٩] وجهر التاء التي قبل الدال في نحو قوله: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ (النساء ١٨). [١٠]

---

(٦) الرعاية ص ١٨٨، وانظر: الداني: التحديد ٣٥و، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨١ظ.

(٧) الموضح ١٨٠. وانظر: السعيدي: التنبيه ٥٠ظ، ومكي: الرعاية ص ١٩٢، والداني: التحديد ٣٤ظ.

(٨) انظر سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٢، والقرطبي: الموضح ١٥٤و.

(٩) مكي: الرعاية ص ١٤٠، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٧٦و.

(١٠) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٢و.

ومن أمثلة تأثر الأصوات المجهورة بمجاورة المهموسة:

١ - ع ث ←— ح ث: قال الداني: «وكذا إن التقى (العين) بالثاء والفاء والتاء والشين والصاد وسائر حروف الهمس لُخّصَ وبُيِّنَ، وإلاّ ربما انقلب حاء، لِمَا بين الحاء وبينهن من المشاركة في الهمس. نحو قوله تعالى ﴿يومُ البعْثِ﴾ (الروم ٥٦)، ﴿ولا يَعْثُكُم﴾ (لقمان ٢٨)، ﴿ولا تَعْثَوْا﴾ (البقرة ٦٠)، و﴿أعْثَرْنَا﴾ (الكهف ٢١)، و﴿فَاَعْفُوا﴾ (البقرة ١٠٩)، ﴿وَلْيَعْفُوا﴾، (النور ٢٢)، و﴿يَعْفُونَ﴾ (البقرة ٢٣٧)، و﴿فاَعْتَرفوا﴾ (الملك ١١)، و﴿فاَعْتِلُوه﴾ (الدخان ٤٧)، و﴿يَعْتَدون﴾ (البقرة ٦١)، و﴿لا تَعْتَدوا﴾ (البقرة ١٩٠)، و﴿يامَعْشَر﴾ (الانعام ١٢٨)، و﴿مَنْ يَعْشُ﴾ (الزخرف ٣٦)، و﴿مِعْشَار﴾ (سبأ ٤٥)، و﴿مَنْ يَعْص﴾ (النساء ١٤)، و﴿إعْصَار﴾ (البقرة ٢٦٦)، و﴿المُعْصِرات﴾ (النبأ ١٤)، و﴿يَعْصِرون﴾ (يوسف ٤٩)، و﴿أُمتِّعْكُنَّ﴾ (الاحزاب ٢٨)، و﴿يُمَتِّعْكُم﴾ (هود ٣)، وشبهه». [١١]

٢ - غ ش ←— خ ش: قال عبد الوهاب القرطبي: «وكذلك الغين اذا سكنت وبعدها شيء من حروف الهمس، في مثل قوله تعالى: ﴿فاَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (المائدة ٦)، ﴿فأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ (يس ٩)، ﴿مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾ (ص ٤٢)، ﴿إلا مَن اَغْتَرَفَ﴾ (البقرة ٢٤٩)، ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ (النساء ١٠٢)، ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا﴾ (الكهف ٢٨)، ﴿ويَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (آل عمران ٣١)، ﴿أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبه ٦)، ﴿بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ (ص ٤٤)، وما أشبه ذلك. وجب أن يؤتى بها بألطف ما يمكن لتخلص من شائبة الخاء لقرب الغين من الخاء ومشاركة هذه الحروف للخاء في الهمس، سيما مع الشين في مثل قوله تعالى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ (يس ٩) و﴿اَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ (نوح ٧)، فان ذلك أوقع في الشائبة: فَنُبِّهَ عليه من أجله». [١٢]

---

(١١) التحديد ٢٦ظ، وانظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٢و.

(١٢) الموضح ١٨٢و، وانظر السعيدى: التنبيه ٥٠و، ومكي: الرعاية ص ١٤٤، والداني: التحديد ٢٧و.

٣ ـ ج ت ←—— (ش) ت. قال السعيدي: «ومما يحفظ أيضاً بيان الجيم عند التاء في قوله ﴿ٱجْتَبَاهُ﴾ (النحل ١٢١)، و﴿كذلك يَجْتَبِيكَ﴾ (يوسف ٦)، و﴿فَٱجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ (الحج ٣٠)، و﴿ٱجْتَنِبوا قولَ الزورِ﴾ (الحج ٣٠) و﴿الذين ٱجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ (الجاثية ٢١)، و﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ (الروم ٣٠)، وما أشبهها، يؤمر القارئ ببيان ذلك جيداً لئلا تختلط بالشين»[١٣]
والجيم اذا اختلطتْ بالشين فان ذلك يعني أنها صارت مهموسة، وهي حينئذ تمثل أحد الحروف الفرعية العربية غير المستحسنة.[١٤]

وهناك أمثلة اخرى لتأثر الأصوات المجهورة بمجاورة المهموسة، نحو الدال اذا جاورت الخاء تصير تاء اذا لم يتعمل لاظهار جهرها،[١٥] وذلك في مثل ﴿يَدْخُلُونَ﴾ (النساء ١٢٤)، وكذلك الظاء اذا جاورتها الفاء تصير (ثاء مطبقة) اذا لم يعتن بجهرها،[١٦] في مثل ﴿ٱذْكُرْ﴾ (الفتح ٢٤). وكذلك الذال الساكنة اذا أتى بعدها كاف في مثل ﴿ٱذْكَرَ﴾ (آل عمران ٤١) وجب أن تصان عن شائبة الثاء.[١٧] والزاي الساكنة اذا أتى بعدها تاء في مثل ﴿كَنَزْتُمْ﴾ (التوبة ٣٥) تهيأت أن تصير سيناً بمجاورة التاء[١٨]

ب ـ الاطباق والانفتاح:

في العربية أربعة أصوات مطبقة هي الطاء والظاء والصاد والضاد، فاذا وقع قبل أحد هذه الأصوات صوت ساكن منفتح، وكان له نظير مطبق، انقلب الى نظيره

---

(١٣) التنبيه ٥٠و، وانظر: مكي: الرعاية ص ١٥١، والداني: التحديد ٢٨ظ، والقرطبي: الموضح ١٨١ى. والعطار: التمهيد ١٥٢ظ.
(١٤) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٢/٤. والقرطبي: المؤضح ١٥٥و، والسيوطي: همع الهوامع ٢٩٥/٦.
(١٥) السعيدي: التنبيه ٥٠و، والداني: التحديد ٣٢و، والقرطبي: الموضح ١٨٠ظ.
(١٦) الداني: التحديد ٣٣و، والقرطبي: الموضح ١٨٢ظ.
(١٧) الداني: التحديد ٣٣ظ، والقرطبي: الموضح ١٨٠ظ.
(١٨) مكي: الرعاية ص ١٨٤، والقرطبي: الموضح ١٨١ظ.

المطبق بتأثير الاطباق في الصوت الذي يليه. وكذلك تؤثر حروف الاستعلاء مثل تأثير حروف الاطباق. وكذلك تفعل الراء المفخمة، لأن الاطباق والاستعلاء والتفخيم من واد واحد. وهذه أمثلة تبين إدراك علماء التجويد لتلك الظاهرة.

١ - س ص ← ص ط. قال عبد الوهاب القرطبي: «ومن ذلك السين اذا كانت ساكنة مع حرف من حروف الاطباق في كلمة، كقوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بالقِسْطَاس﴾ (الاسراء ٣٥)، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ (الكهف ٩٧)، ﴿يَسْطُونَ بالذين﴾ (الحج ٧٢)، ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ﴾ (الكهف ٨٢)، ﴿بَسْطَةً في الْعِلْمِ﴾ (البقرة ٢٤٧)، ﴿ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (الاسراء ٢٩)، وكذلك ان تحركت في مثل قوله ﴿بَسَطَ الله الرِّزْقَ﴾ (الشورى ٢٧) و﴿بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ﴾ (المائدة ٢٨) فَتَوَصَّلْ الى تخليص السين من الاطباق في رفق وتؤدة لئلا تصير صاداً بالقرب من حروف الاطباق.

وكذلك ان أتى قبله أو بعده حرف من حروف الاستعلاء، مثل قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بيومِ القيامةِ﴾ (القيامة ١)، ﴿وأَقْسَمُوا بالله﴾ (الانعام ١٠٩)، ﴿ولا يكاد يُسِيغُهُ﴾ (ابراهيم ١٧)، ﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (البلد ١٤)، ﴿إنْ تَسْخَرُوا منا فإنا نَسْخَرُ منكم﴾ (هود ٣٨)، فتوصل الى اللفظ به برقة في حال سكونه وحركته كراهية أن يتحول صاداً، لأن مجاورة الاستعلاء كمجاورة الاطباق.

وكذلك إن اتصل براء مفخمة توصل الى النطق به في رقة ورفق لئلا يصير صاداً بتفخيم الراء، لأن التفخيم والاطباق والاستعلاء من واد واحد، في مثل قوله تعالى: ﴿سَرْمَداً﴾ (القصص ٧١)، ﴿وَقَدِّرْ في السَّرْدِ﴾ (سبأ ١١)، ﴿وأَسْرَرْتُ لهم إسْرَاراً﴾ (نوح ٩)...»[19]

٢ - ت ط ← ط ط: قال عبد الوهاب القرطبي أيضا: «التاء اذا جاورت حرفاً من حروف الاطباق فَبَيِّنْ همسها وأحسن تخليصها من الاطباق، والا صارت طاء في مثل قوله تعالى ﴿فآختلطَ به نباتُ الارضِ﴾ (الكهف ٤٥)، ﴿مَنِ آستطعتَ منهم﴾ (الاسراء ٦٤) ﴿ولا تُطِع﴾ (الكهف ٢٨)، ﴿لا تَظْلِمُون ولا

(١٩) الموضح ١٨٠و، وانظر: مكي: الرعاية ص ١٨٦، والداني: التحديد ٣٤ظ.

﴿تُظْلَمُـون﴾ (البقـرة ٢٧٩)، ﴿حتى تضـعَ الحـربُ﴾ (محمـد ٤)، ﴿وأنْ تَصْبِـرُوا﴾ (النسـاء ٢٥) وكـذلـك ﴿أعـرضتم﴾ (الاسـراء ٦٧)، ﴿وخُضْتُمْ﴾ (التـوبـة ٦٩)، ﴿أَوَعَظْتَ أم لم﴾ (الشعـراء ١٣٦) وشبهه. وذلك لأن التاء من مخـرج الطـاء، وانمـا تمتـاز الطـاء بالاطباق، فاذا جاورها إطباق شابتها شائبة لذلـك. و﴿وَسَيُجَنَّبُهَـا الأتقى﴾ (الليـل ١٧)، و﴿رَتْقـاً﴾ (الانبيـاء ٣٠)، و﴿أَتْقَنَ﴾ (النمل ٨٨)، فانه يخاف عليها أن تشوبها الطاء، لما قدمناه من أن الاستعلاء نظير الاطباق»[٢٠]

٣ ـ ذ ر ← ظ ر: قال الـداني: «فـان التقى (الـذال) بالـراء فيلزم إنعـام بيـانه وتكلف تلخيصـه، ويلفـظ به رقيقـاً وبـالراء بعده مفخمة ولا يتساهل في ذلك، والا ربمـا انقلب الـذال ظاء... وذلك نحوقوله تعالى: ﴿أَنذرتكم﴾ (فصلت ١٣) و﴿اذ أَنذرَ قَوْمَهُ﴾ (الاحقاف ٢١) و﴿نَذَرُ ما كان يَعْبُدُ﴾ (الاعراف ٧٠)...»[٢١].

وكما أن الصوت المطبق يؤثر في الصوت المنفتح اذا جاوره، كذلك لاحظ علماء التجويد أن الصوت المطبق يتأثر بمجاورة الصوت المنفتح، ويزول عنه الاطباق اذا لم يتحفظ ببيانه، وهذه أقوال علماء التجويد التي توضح ذلك:

١ ـ ط ف ← ت ف: قال الداني: «واذا وقع قبله (أي قبل الفاء) طاء أنعم بيان الطـاء، لئـلا ينقلب تاء، لمـا بين التـاء والفاء من الاشتراك في الهمس. وذلك نحـو﴿مِن نُطْفَـة﴾ (النحـل ٤)،و﴿الخطفـةَ﴾ (الصافات ١٠)، ﴿والأطفال﴾ (النور ٥٩)، و﴿ليُطْفِئُوا﴾ (الصف ٨)، و﴿أطفأها الله﴾ (المائدة ٦٤) وما أشبهـه»[٢٢]. ولا شـك في أن انفتـاح الفـاء يؤثـر على الظـاء فيؤدي الى زوال الاطباق فيها فتصير تاء، اذا لم ينعم بيانها.

(٢٠) الموضح ١٨١ظ، وانظر: مكي: الرعاية ص ١٨٠، والداني: التحديد ٣٢و-٣٢ظ.

(٢١) التحديد ٣٣و وانظر: مكي: الرعاية ص ١٩٨، والقرطبي: الموضح ١٦٠و.

(٢٢) التحديد ٤٠و.

٢ ـ ص ت ←س ت : قال مكي : «واذا وقع بعد الصاد تاء المخبر أو تاء المخاطب بادر اللسان الى لفظ السين في موضع الصاد، لأن السين أقرب الى التاء من الصاد الى التاء، إذ السين والتاء ليس فيهما إطباق ولا استعلاء مثل ما في الصاد، وكلاهما مهموس. . . وذلك نحو قوله ﴿حَرَصْتُم﴾ (النساء ١٢٩)، و﴿لو حَرَصْتَ﴾ (يوسف ١٠٣) وشبهه».[٢٣]

ج ـ الانفية (الغنة) :

يتميز النون والميم بأنهما أنفيان، أي أن النفس يخرج أثناء النطق بهما من الأنف، وهو ما يسميه علماء العربية وعلماء التجويد بالغنة. ولما كانت النون يعتمد لها بطرف اللسان فقد شاركت مجموعة كبيرة من الأصوات في ذلك. ومن ثم فان غنة النون ربما لحقت أصوات طرف اللسان إذا وقعت ساكنة قبل النون، وهو أمر يُحَذِّرُ منه علماء التجويد كثيراً لأنه يؤدي الى خلل في نطق الألفاظ. ولدينا عدة نصوص توضح عناية علماء التجويد بأصوات طرف اللسان اذا وقعت ساكنة قبل النون خشية أن تلحقها صفة الأنفية، منها:

١ ـ ل ن ←ن ن : حضيت هذه الحالة بعناية علماء التجويد، ويكفي أن أشير الى أن الجيل الأول لكبار علماء التجويد قد أشبع هذه الحالة بحثاً، مثل السعيدي، ومكي، والداني، والقرطبي. وسوف أقتبس بعضاً من أقوالهم من غير محاولة تقصي كل ما قالوه في ذلك فانه يخرج بنا الى إطالة لا يحتملها البحث.

قال السعيدي: «ومما يحفظ أيضا تخليص اللامات اذا سكنت عند النونات، وتخفيف النون بعدها، في مثل قوله: ﴿أَنْزَلْنَا، وأَرْسَلْنَا، وجَعَلْنَا، وقُلْنَا﴾، وشبههن. ويحتاج ذلك الى حذق، لأن كثيراً من الناس ربما يتكلف لسكونها فيحركها وهو لا يدري. فاذا أردت اللفظ بها على حسب ما يجب ألصقت طرف لسانك بما يليه من الحنك من مخرج اللام، ثم نطقت بنون فتحرك بها لسانك حركة

(٢٣) الرعاية ص ١٩٣.

خفيفة من غير أن تضطرب اللام عند خروج النون، فان ذلك يؤدي الى الحركة، ويتكلف عندها لئلا تتشرب غنة النون، لانهما قريبتا المخرج فربما يختلطان». [٢٤]

وقال مكي: «واذا سكنت اللام وأتت بعدها نون وجب التحفظ ببيان اللام ساكنة، لئلا تندغم في النون للتناسب الذي بينهما...». [٢٥]

وروى أبو عمرو الداني عن أحمد بن نصر بن منصور الشذائي، تلميذ ابن مجاهد، أنه قال: «وجدت جماعة قرأوا على شيخنا (يعني ابن مجاهد) وعلى غيره من القراء لا يفرقون بين ﴿أَلَنَّا﴾ (سبأ ١٠) و﴿أَسَلْنَا﴾ (سبأ ١٢)...». [٢٦] ثم بين الداني الفرق بينهما، وهو ينحصر في أن لام الفعل في ﴿أَلَنَّا﴾ نون وفي ﴿أَسَلْنَا﴾ لام، واذا لم يعتن القارئ بها ربما صارت في اللفظ (أَسَنَّا) وهو لحن.

٢ ـ ر ن ⟵ ن ن: قال الداني: وان التقى (الراء) بالنون تَعَمَّلْ بيانه، وإلا صار نوناً مدغمة، نحو: ﴿فَبَشَّرْنَاه﴾ (الصافات ١٠١) و﴿بَشَّرْنَاكَ﴾ (الحجر ٥٥)...». [٢٧]

٣ ـ ظ ن ⟵ ن ن: قال عبد الوهاب القرطبي: «الظاء اذا سكنت وبعدها نون في مثل ﴿حفِظْنَاهَا﴾ (الحجر ١٧) ينبغي أن تَشُحَّ [٢٨] عليها لئلا تنقلب نوناً وتندغم في النون فتصير: حفنّاها، وهو عادة قبيحة». [٢٩]

٤ ـ ذ ن ⟵ ن ن: وقال الداني: «وكذلك ينبغي أن يتعمل بيانه (أي الذال) عند النون في نحو قوله: ﴿وإذْ أَخَذْنَا﴾ (البقرة ٦٣) و﴿أَخَذْنَ﴾ (النساء ٢١)... و﴿إذْ نَادَىٰ﴾ (مريم ٣) وشبهه، وإلا ربما اندغم». [٣٠]

---

(٢٤) التنبيه ٥٠ظ، وانظر: القرطبي: الموضح ١٧٤ظ، والعطار: التمهيد ١٥٤و.

(٢٥) الرعاية ص ١٦٢، وانظر: الداني: التحديد ٣٨و، وابن الباذش: الاقناع ١٩٣/١.

(٢٦) التحديد ٢٣و.

(٢٧) التحديد ٣٦و. وانظر: القرطبي: الموضح ١٧٧و.

(٢٨) شح عليه: حرص (المعجم الوسيط ٤٧٦/١ شح).

(٢٩) الموضح ١٧٦ظ.

(٣٠) التحديد ٣٣ظ.

٥ ـ د ن ← ن ن: قال مكي: «فـاذا سكنت الـدال واتت بعـدهـا نون وجب أن تبين الـدال، لئـلا تخفى عنـد النون لسكونها، واشتراكهما في الجهر، وتقارب مخارجهما. وذلك نحو قوله ﴿أَدْنَىٰ﴾ (البقرة ٦١)، و﴿وَاعَدْنَا﴾ (البقرة ٥١)، و﴿فَـوَجَدْنَاهَا﴾ (الجن ٨)، و﴿أَمْدَدْنَاكُمْ﴾ (الاسراء ٦)، و﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ﴾ (آل عمران ١٢٣)، و﴿رَدَدْنَا﴾ (الاسراء ٦) وشبهه». (٣١)

* * *

ان عناية علماء التجويد بما تحدثه الحروف بعضها في بعض، اذا تجاورت في الكلمـة الـواحـدة أو عنـد اتصال الكلمات في الكلام المتصل، من تأثير ـ يدل على الحس المـرهف والمـلاحظـة الدقيقة التي كانوا يتمتعون بها، فهذه الظواهر الصوتية هي من اللحن الخفي الذي لا يقف على حقيقته الا نحارير القراء ومشاهير العلماء.

وكـان لاهتمـام علماء التجويد بوصف تلك الظواهر الصوتية أثر في ترسيخ النطق الصحيـح واجتنـاب بوادر اللحن الخفي التي وضـع تحـذير علماء التجويد منها حداً لجـريـانهـا على الألسنـة وحـال دون غلبتهـا، لأن ألسنة الناطقين تميل نحو السهولة والاقتصـاد بالمجهـود ولـو ترك الأمر من غير ضوابط لأدى تراكم تلك الانحرافات الى تغير النطق العربي وابتعاده عن صورته الأولى التي كانت سائدة في وقت نزول القرآن الكـريم، لكن جهـود علمـاء القـراءة في التلقي الشفوي، وجهود علماء التجويد في دراسـة الأصـوات العربية وتوضيح خصائص النطق الفصيح تكاملت مع جهود علماء العـربيـة التي أدت مجتمعة الى المحافظة على اللغة العربية حية، بعيدة عن التطور الصوتي الذي يؤدي الى تغيير ملامحها الأساسية.

وكـان تحليـل علمـاء التجـويـد لتلك الظـواهـر الصـوتيـة ينبني على معـرفة تامة بخصـائص الأصـوات، وخبـرة واسعـة في طرائق النطق، فلم يكن اكتشـاف تلك الظواهر الصوتية ورصدها وتوضيحها وتحذير الناطقين منها إلا دليلاً على تلك المعرفة وهذه الخبرة، وهذا أمر ينتقل بالدرس الصوتي العربي الى المستوى التطبيق العملي الذي لا تزال الدراسات الصوتية العربية الحديثة تفتقر اليه.

---

(٣١) الرعاية ص ١٧٥.

ثالثا ـ ظواهر الادغام التي عالجها علماء التجويد:

كانت عناية علماء التجويد الأوائل مثل مكي والداني وعبد الوهاب القرطبي متجهة الى ظواهر الادغام المتفق عليها بين القراء، خاصة ادغام لام التعريف، والنون الساكنة والتنوين، أما ما اختلف القراء في إدغامه فانهم لم يتعرضوا له في كتب علم التجويد، انما يذكره العلماء في كتب القراءات.

وظل ذلك منهج علماء التجويد في دراسة موضوع الادغام، الا أن بعض المتأخرين من علماء التجويد صاروا يشيرون الى بعض ظواهر الادغام المختلف فيها. وسوف ألخص وجهة نظر محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) في هذا الموضوع، وهو يمثل رأى علماء التجويد المتأخرين في طريقة دراسة ظواهر الادغام.

قال المرعشي: «واعلم أن بيان الادغام على رأى أهل العربية مستوفى في كتب التصريف. والمقصود في هذه الرسالة بيان ما وقع في القرآن من الادغام مما اتفقت القراء وأهل الأداء واختلفوا فيه، ولا نذكر من المختلف فيه الا الادغام الصغير، لأن الادغام الكبير لم يقع في قراءة عاصم أصلاً. وهنا فصلان:

الفصل الأول: في اذغام المثلين:

اعلم أن المثلين اذا سكن أولهما يجب الادغام عند أهل اللغة والقراء وأهل الأداء، بلا خلاف سواء كانا في كلمة نحو ﴿**يُدْرِكْكُمُ الموتُ**﴾ (النساء ٧٨) أو في كلمتين نحو ﴿**اضربْ بِعصاكَ الحجرَ**﴾ (البقرة ٦٠) و﴿**إذ ذَّهبَ**﴾ (الانبياء ٨٧)، و﴿**آوَوْا وَّنصروا**﴾ (الانفال ٧٢)، الا اذا كان الأول حرف مد...

الفصل الثاني: في ادغام المتقاربين اللذين سكن أولهما، والواقع منه في القرآن أحد عشر نوعاً...».[1] ثم بين المرعشي تلك الأنواع، وهذا ملخص ما قاله فيها:[2]

---

(١) جهد القل ٢٥و-٢٥ظ.

(٢) جهد المقل ٢٦ظ-٢٨و. وينظر أيضا عن القراءات الواردة هنا: مكي: الكشف ١/١٤٤-١٦٠، والداني: التيسير ص ٤١-٤٥.

النوع الاول: ادغام الذال المعجمة في مقاربها، اتفق القراء على ادغام ذال (اذ) في الظاء في نحو ﴿إذ ظلموا﴾ (النساء ٦٤). ثم إن القراء اختلفوفي إدغام الذال في التاء في نحو ﴿نَبَذْتُهَا﴾،[٣] و﴿عُذْتُ﴾ (غافر ٢٧)، و﴿ٱتَّخَذْتُمْ﴾ (البقرة ٥١) وأمثالها. وكذا اختلفوا في إدغام ذال (اذ) في ستة أحرف: في التاء، والدال، والسين، والصاد، والزاي، والجيم، وقد أظهرها عاصم في الجميع.

النوع الثاني: إدغام الثاء المثلثة في مقاربها، ولم يأت في القرآن بعدها من مقاربها الا الذال والتاء. أما الذال ففي ﴿يَلْهَثْ ذَلِكَ﴾ (الاعراف ١٧٦) لا غير، وقد اختلفوا في إدغام الثاء واظهاره. وعاصم يدغمه. وأما في التاء ففي ﴿لَبِثْتَ﴾ (البقرة ٢٥٩)، و﴿لَبِثْتُمْ﴾ (الاسراء ٥٢)، و﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ (الاعراف ٤٣)، اختلفوا في إدغام الثاء في التاء، وعاصم يظهره.

النوع الثالث: إدغام الدال المهملة في مقاربها. اتفق القراء على إدغام الدال في التاء إذا كانا في كلمة نحو ﴿عَبَدْتُمْ﴾ (الكافرون ٤)، و﴿أَرَدْتُ﴾ (هود ٣٤). واختلفوا في إدغامه في الثاء في قوله ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ﴾ (آل عمران ٤٥)، وعاصم يظهره.

أما دال (قد) فقد اتفقوا على إدغامها في التاء نحو ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾ (البقرة ٢٥٦) واختلفوا في إدغامه في ثمانية أحرف: الجيم، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والظاء. واختار عاصم في الجميع الاظهار.

النوع الرابع: إدغام التاء في مقاربها. اتفق القراء على إدغام التاء في الطاء والدال نحو ﴿قالت طائفة﴾ (آل عمران ٧٢) و﴿ودت طائفة﴾ (آل عمران ٦٩) و﴿أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ (يونس ٨٩). واختلفوا في إدغام تاء التأنيث

---

(٣) في سورة طه آية ٩٦ (فنبذتها).

المتصلة بالفعل في ستة أحرف: الثاء، والجيم، والزاي، والسين، والصاد، والظاء. واختار عاصم في الجميع الاظهار.

النوع الخامس: إدغام الطاء في مقاربها، والواقع منه في القرآن ادغامها في التاء فقط، نحو ﴿أَحَطْتُ﴾ (النمل ٢٢) و﴿بَسَطْتَ﴾ (المائدة ٢٨)، و﴿فَـرَّطْتُ﴾ (الزمر ٥٦)، و﴿فَرَّطْتُمْ﴾ (يوسف ٨٠). اتفق القراء على ادغام الطاء في التاء مع إبقاء صوت الاطباق، وسموه إدغاماً ناقصاً. واختلفوا في حقيقته، وسوف أعود الى مناقشته بعد أن أفرغ من عرض ملخص ما قاله المرعشي في أنواع الادغام.

النوع السادس: إدغام الباء في مقاربها. اختلف القراء في إدغامها في الميم في ﴿يابُنَيَّ ٱركَبْ مَعَنَا﴾ (هود ٤٢)، أدغمه عاصم وبعض القراء.
واختلفوا أيضا في إدغامها في الفاء حيث وقع، نحو قوله تعالى: ﴿أو يَغْلِبْ فَسَوف﴾ (النساء ٧٤) وشبهه. أظهره عاصم وبعض القراء.

النوع السابع: إدغام الفاء في مقاربها، اختلفوا في إدغامها في الباء في قوله تعالى ﴿نَخْسِفْ بهم﴾ (سبأ ٩). أدغمه الكسائي وأظهره الباقون.

النوع الثامن: إدغام القاف في مقاربها، اتفق مشايخ الأداء على ادغام القاف في الكاف في نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾ (المرسلات ٢٠)، لكن اختلفوا في بقاء استعلاء القاف مع الادغام وعدم بقائه، وسوف أناقش ذلك في موضوع الادغام التام والادغام الناقص بعد قليل.

النوع التاسع: إدغام اللام في مقاربها، اعلم أن اللام إما حرف تعريف أو لا. فاذا لم يكن حرف تعريف فالقراء اتفقوا على ادغامها في الراء نحو ﴿بل رَّانَ﴾ (المطففين ١٤) و﴿قُل رَّبي﴾ (المؤمنون ٩٣) إلا حفصاً فانه يسكت على (بل)، ومن ثم فات الادغام.

واختلفوا في ادغـام (هـل وبـل) في ثمـانيـة أحرف هي : التاء، والثاء، والزاي، والسين، والضـاد، والطـاء، والظاء، والنون. وقد اختار عاصم الاظهار في الجميع. وليس كل من (هل وبل) تلتقي في القرآن مع كل من الحروف الثمانية، وانما تختص كل واحدة منهما ببعض الحروف وتشتركـان في بعض.

وإذا كانت اللام حرف تعريف فانهم يدغمونها وجوباً في أربعة عشر حرفاً، وهي : الـلام والتـاء والثـاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والنون. وأسماء الحروف كافية عن الأمثلة كما يقول المرعشي. وتسمى هذه الحـروف شمسيـة. ويظهـرونهـا وجـوباً فيما عداها، وهي أربعة عشر حرفاً، وتسمى قمرية، والألف لا تقع أولاً لأنها مدة، ومن ثم لم تدخل عليها لام التعريف.

تتميم لكـلام المـرعشي عن لام التعـريف: عد بعض علماء التجويد المتقدمين الحروف التي تدغم فيها لام التعريف ثلاثة عشر حرفاً، باسقاط اللام.[٤] وقد عدها بعضهم أربعة عشر حرفاً.[٥]

ويبدو أن تسمية ما تدغم فيه اللام بالحروف الشمسية وتسمية ما عداها بالقمرية ليست قديمة، فأقدم من ذكرها من المصادر التي اطلعت عليها هو ابن الجزري (ت ٨٣٢هـ) وعبـارتـه تشيـر الى أنـه ليس أول من استخـدمهـا.[٦] وعلل ناصـر الـدين الطبـلاوي (ت ٩٦٦هـ) تلك التسميـة بقـولـه : «وتسميتهـا شمسيـة وقمرية من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهو لام الشمس والقمر».[٧]

وعلل مكي ادغام لام التعريف فيما أُدغمت فيه بقوله : «وعلة ادغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم، فلما سكنت ولزمها السكون أشبهت اجتماع المثلين. والأول ساكن، وكثرة الاستعمال لها. مع أن أكثر

---

(٤) الداني : التحديد ٣٨و، والقرطبي : الموضح ١٧٢ظ.
(٥) مكي : الكشف ١/١٤١.
(٦) النشر ١/٢٢١-٢٢٢.
(٧) مرشدة المشتغلين ٥و.

هذه الحروف أقوى من اللام، ليس منها ماينقص عن قوة اللام الا التاء، فكان في ادغامها فيهن قوة لها، فأدغمت فيها لذلك. ولا تدغم في باقي حروف الفم لتباعدها عن مخرج الفم منهن أو في الصفة أو في القوة.(8) وقد حذر بعض علماء التجويد من ادغام لام التعريف في الجيم في مثل (الجنة) لمبادرة اللسان الى ذلك، لان الجيم أدنى الحروف القمرية الى اللام.(9)

النوع العاشر: إدغام الراء في مقاربها، ولم يأت في القرآن إدغامها في مقاربها إلا في اللام نحو﴿يَغْفِرْ لَكم﴾ (آل عمران 31) و﴿ٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (الطور 48). ولم يدغم فيها غير أبي عمرو بن العلاء.

النوع الحادي عشر: إدغام النون الساكنة ولو تنويناً في مقاربها. أما الميم الساكنة فلم تدغم في مقاربها بل مثلها.

قال المرعشي: «ولما جرت العادة في كتب هذا الفن بافراد أحوالهما بالتبويب نسلك مسلكهم ونضع بابين، الباب الأول في النون الساكنة والتنوين... الباب الثاني في الميم الساكنة».(10)

ومذهب المرعشي في دراسة الظواهر الصوتية المتعلقة بالأصوات الانفية (النون والميم) في بابين منفصلين مذهب مقبول من حيث كثرة الأحكام التي تتعلق بالموضوع، الى جانب أن معظم تلك الأحكام مما اتفق عليه القراء. وإفراد أحكام النون الساكنة والتنوين بباب مستقل اتجاه قديم يرجع الى مؤلفات علم التجويد الاولى، مثل (الرعاية) لمكي، و(التحديد) للداني اللذين تضمن كل منهما باباً مستقلا في ذلك.(11) وما زال هذا المنهج مناسباً لدراسة الموضوع فيما أعتقد.

---

(8) الكشف 1/141.

(9) السعيدي: التنبيه 50و.

(10) جهد المقل 28و.

(11) انظر: الرعاية ص 236، والتحديد 20و.

وقبـل أن نعـرض أحكـام الاصـوات الانفيـة (الغنّ) لابد من بيان حقيقة الادغام الناقص، لكي يتضح ادغام الطاء في التاء والقاف في الكاف المذكورين في النوعين الخامس والثامن من أنواع الادغام التي ذكرها المرعشي .

رابعا ـ حقيقة الادغام الناقص:

يقسم علماء التجويد الادغام الى كامل وناقص، على نحوما ذكرنا من قبل . والادغام الناقص «هو ادغام الحرف المفخم في المرقق اذا تجانس الحرفان أوتقارب المخرجان، مع ابقاء صفة التفخيم، نحو أحطت، وبسطت» .(1) وكذلك يدخل فيه ادغام الحرف المستعلي في الحرف المستفل والاغن في غيره مع بقاء صفتيهما. قال المرعشي : «والصفة الباقية من الحرف الأول:

إما غنة،وهي في إدغام نون الساكنة والتنوين في الواو والياء.
وإما إطباق، وهو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية نحو(أَحَطْتُ) .
وإما استعلاء، وهو في إدغام القاف في الكاف في ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾...(2)

وسوف نعالج إدغام النون الساكنة مع بقاء الغنة في الفقرة الآتية من هذا المبحث، حيث نناقش أحكام الأصوات الانفية. ونكتفي هنا بتوضيح موقف علماء التجويد من ادغام الصوت المستعلي والصوت المطبق، لاسيما أن إبقاء الغنة يختلف عن إبقاء صفة الاطباق والاستعلاء، وذلك راجع للاختلاف بين طبيعة الصوت المطبق والصوت المستعلي وبين طبيعة الصوت الأغن (الانفي)..

والكلام في هذا الموضوع قديم، ناقشه علماء العربية الأوائل، ولكن كلامهم فيه كان موجزاً، ولم يتوغلوا فيه كما فعل علماء التجويد. وكان سيبويه قد أشار الى جواز إبقاء الاطباق وجواز إذهابه، فقال وهو يتحدث عن إدغام الطاء في الدال، وهو ما ينطبق على حكم إطباق الطاء في التاء، وقد صرح سيبويه نفسه بذلك: «الطاء مع الدال، كقولك: آضْبِدَّ لَماً (= آضْبِطْ دَلَماً) لأنهما من موضع واحد، وهي مثلها في الشدة الا أنك قد تدع الاطباق على حاله فلا تُذهبه... ومثل ذلك ادغامهم النون فيما تدغم فيه بغنة. وبعض العرب يُذهب الاطباق حتى يجعلها كالدال سواء، أرادوا أن لاتخالفها اذ آثروا أن يقلبوها دالاً، كما أنهم أدغموا بلا غنة. وكذلك الطاء مع التاء

(1) النابلسي: كفاية المستفيد ١٧ظ.
(2) جهد المقل ٢٥و.

الا أن اذهاب الاطباق مع الدال أمثل قليلاً، لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة. وكلٌ عربيٌ». [3] وأكد سيبويه هذا الموقف حين تحدث عن ادغام الصاد في السين في مثل (افْحَصْ سَالِماً)، وقال: «تدع الاطباق على حاله، وإن شئت أذهبته». [4]

وتحدث عن هذا الموضوع أيضاً الفراء في كتابه (معاني القرآن)، ويتضمن حديثه موقفاً جديداً. فكلام سيبويه السابق يندرج في باب الادغام المدبر (الرجعي) الذي هو أصل الادغام في العربية، لكن كلام الفراء يذكر مذهباً للعرب في إدغام الحرف المطبق في مجانسه يندرج في باب الادغام المقبل (التقدمي)، وذلك حيث قال: «وقوله: (فقالَ: أحطتُ بما لم تُحِطْ به وجئتكَ). [5] قال بعض العرب: أَحَطُّ، فأدخل الطاء مكان التاء. والعرب اذا لقيت الطاء التاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء. فيقولون: أَحَتُّ، كما يحوّلون الظاء تاء في قوله (أَوَعَتَّ أم لم تكنْ مِنَ الواعظين)[6] . . . ». [7] وذلك في (أَوَعَظْتَ). [8]

ويتلخص من كلام سيبويه والفراء أن للعرب في ادغام الطاء الساكنة اذا جاءت بعدها التاء في مثل (أحطت) ثلاثة مذاهب:

١ - جعل الطاء تاء وإدغامها في التاء فيكون اللفظ (أَحَتُّ)، وهو من باب إدغام الأول في الثاني إدغاماً خالصاً، وهو الأصل في الادغام.
٢ - جعل التاء طاء وإدغام الطاء الأُولىٰ فيها فيكون اللفظ (أَحَطُّ)، وهو من باب إدغام الثاني في الأول، أعني قلب الثاني الى جنس الأول.

---

(٣) الكتاب ٤/٤٦٠.

(٤) الكتاب ٤/٤٦١.

(٥) سورة النمل ٢٢.

(٦) سورة الشعراء ١٣٦.

(٧) معاني القرآن ٢/٢٨٩. وانظر أيضا ١/١٧٢

(٨) قال علم الدين السخاوي (جمال القراء ١٩٣ظ): «وقد روى نصير وجماعة عن الكسائي (أوعتّ) بادغام الظاء وصوتها كما تقول (أوعدت) من الوعد». قال الداني (التحديد ٣٢ظ): ان ذلك «لا يصح في الاداء ولا يؤخذ به في التلاوة». وانظر: ابن الباذش: الاقناع ١/١٨٧.

٣ - إدغام الطاء في التاء مع المحافظة على إطباقها فيكون اللفظ (أَحَطْتُ) بحيث يرتفع اللسان بالطاء والتاء ارتفاعة واحدة، مع المحافظة على إطباق الطاء وإخلاص لفظ التاء. وهذه الحالة هي التي سماها علماء التجويد بالادغام الناقص، وهي مدار الكلام.

ولم ترد القراءة إلا بالوجه الثالث، قال الداني: «فان التقت الطاء وهي ساكنة بتاء أدغمت فيها بيسر وبُيِّنَ إطباقها مع الادغام، واذا بُيِّنَ امتنعت من أن تنقلب تاء خالصة، لأنها بمثابة النون والتنوين، اذا أُدغما وبقيت غنتهما. هذا مذهب القراء. وقد يجوز إدغامها وإذهاب صوتها كما جاز ذلك في النون والتنوين، وذلك نحو: (فَرَّطْتُم، وأَحَطْتُ، وبَسَطْتُ) وما أشبهه». [٩]

وقال عبد الوهاب القرطبي: «الطاء اذا سكنت وبعدها تاء فان الادغام يجب لتقارب المخرج، ويبقى صوت من الاطباق، كقوله تعالى (أَحَطْتُ) و(فرطْتُ) و(فرطْتُمْ) وكان قياسه قلب الطاء تاء وادغامها في التاء، كما في الحروف المتقاربة مثل ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ (المطففين ٣٦) و﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٥) وما أشبه ذلك. الا أنه لما كان من أحكام الادغام أن الحرف اذا كان له فضيلة ومزية على مقاربه امتنع الادغام، وكان للطاء فضيلة ومزية على التاء بالاطباق الذي في الطاء كُرِهَ ذهاب إطباقها بالادغام مع القلب المحض، فغادروا فيه صويتاً من الاطباق لئلا يجحفوا بها ويسلبوها مزيتها فأدغمت في التاء مع إبقاء شائبة من الطاء لذلك». [١٠]

وذكر ابن الجزري في كتابه (التمهيد في علم التجويد) هذا النص: «قال شريح في نهايته: [١١] من العرب من يبدل التاء طاء، ثم يدغم الطاء الأُولىٰ في الثانية فيقول: أحطّ، وهذا مما يجوز في كلام الخلق لا في كلام الخالق». [١٢]

(٩) التحديد ٣١ظ، وانظر: مكي: الرعاية ص ١٧٣.

(١٠) الموضح ١٧٢و، وانظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء ١٩٣و.

(١١) هو شريح بن محمد الرعيني صاحب كتاب (نهاية الاتقان في تجويد القرآن) انظر رقم ٩ من مصادر علم التجويد في هذا البحث.

(١٢) التمهيد ص ٤٤.

واعترض ابن الحاجب، وهو نحوي من القراء، [١٣] على النحويين في اطلاقهم الادغام في الحروف المطبقة واشتراطهم بقاء الاطباق، وكذلك اعترض على تشبيههم بقاء صوت الاطباق مع الادغام ببقاء الغنة، لأن الغنة في رأيه لا يتوقف حصولها على مجيء النون لأنها من الخيشوم والنون من الفم، وليس كذلك الاطباق لأنه لا يستقيم إلا بنفس الحرف، ثم قال: «وأشبه ما يجاب به (أنه) في الحقيقة ليس بادغام، ولكنه لما اشتد التقارب وأمكن النطق بالثاني بعد الأول من غير نقل اللسان كان كالنطق بالمثل بعد المثل، فأطلق عليه الادغام لذلك، ولذلك يحس الانسان من نفسه ضرورة عند قوله (أحطت) النطق بالطاء حقيقة وبالتاء بعدها، فلا يجوز أن يقال ان الطاء مدغمة، لأن ادغامها يوجب قلبها الى ما بعدها. وقد علم أنها لم تقلب، ولا يصح أن يقال أن ثم حرفاً آخر أدغم في التاء مع بقاء الطاء الأُولىٰ، لِمَا يؤدي اليه من إدغام الحرف وإظهاره في حالة واحدة، ولمَا يؤدي اليه من التقاء الساكنين، وذلك فاسد. فثبت أن الأمر على ما ذكرناه من أن الطاء مبينة، وانما اشتد التقارب حتى نطق بالتاء بعدها من غير فصل، فأطلق لفظ الادغام لذلك». [١٤]

وقد أكد ابن الحاجب اعتراضه على تسمية مجيء الطاء الساكنة قبل التاء مع المحافظة على إطباق الطاء، إدغاماً، فقال: «والاطباق في نحو (فرطت) إن كان مع إدغام فهو إتيان بطاء أخرى، وجمع بين ساكنين». [١٥] وقد نقل الاستراباذي أن ابن الحاجب قال: «والحق أنه ليس مع الاطباق إدغام صريح بل هو إخفاء يسمى بالادغام لشبهه به» [١٦] ولا نعلم أين ذكر ابن الحاجب هذا القول، فلم نعثر عليه في (الايضاح في شرح المفصل)، كما أنه ليس في الشافية.

(١٣) ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية ١/٥٠٨.

(١٤) الايضاح في شرح المفصل ٢/٥٠٩. وانظر: الجاربردي: شرح الشافية ص ٢٥٥، والوفائي: الجواهر المضية ٥١و.

(١٥) انظر: الاستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٨٠. وقد أشكل على طاش كبرى زاده فهم هذه العبارة، وذهب الى أن إبقاء الاطباق مع الادغام يقتضي زيادة طاء قبل التاء المشددة، (انظر: شرح المقدمة الجزرية (له) ٢٢ظ) وقد بالغ علي القارى في الرد عليه (المنح الفكرية ص ٣٠).

(١٦) شرح الشافية ٣/٢٨٢.

ويبدو لي أن إطلاق مصطلح (الادغام الناقص)(١٧) على الحالة السابقة أدق من استخدام كلمة (الاخفاء) التي لها معنى محدد يتصل بأحكام النون الساكنة فقط، والقول بأن (الاخفاء) حالة بين الادغام والاظهار ليس كافياً في توضيح الطبيعة الصوتية لما يجري في مثل (أحطت).

وقد نقل المرعشي قول ابن الحاجب السابق، عن الجاربردي: «ولذلك يحس الانسان من نفسه ضرورة عند قوله (أحطت) النطق بالطاء حقيقة، وبالتاء بعدها، انتهى»، ثم علق عليه المرعشي بقوله: «أقول لكن تعدم قلقلة الطاء حينئذ، اذ هي لا تحصل الا برفع اللسان عن المخرج».(١٨)

وتعليق المرعشي يفتح الباب لتوضيح طبيعة الصوت في نطق (أحطت)، فمن المعلوم أن الصوت الشديد (الانفجاري) يتكون من حبس النفس ثم إطلاقه. وقد اجتمع في (أحطت) حرفان شديدان من مخرج واحد هما الطاء والتاء، ونطقهما يقتضي حبس ثم إطلاق، يليه حبس ثم إطلاق، لكن الذي يحصل عند نطق (أحطت) حبس واحد للنفس يليه إطلاق. وهو عين ما يسميه العلماء بالادغام حين يرتفع اللسان عن الحرفين ارتفاعة واحدة، لكن زمن حبس النفس في حالة الادغام أطول من زمن حبسه في الصوت الواحد الشديد.

وتداخلُ نطقِ صوتي الطاء والتاء في (أحطت)، بحيث صار نطق الصوتين يتكون من حبس واحد للنفس يليه إطلاق واحد، يفسر لنا قول المرعشي (تعدم قلقلة الطاء حينئذ) لأن القلقلة ما هي الا الصوت الناتج عن إطلاق نفس الصوت الشديد بعد حبسه، واطلاق النفس في هذه الحالة صار للتاء، وهو ليس من حروف القلقلة.

فقول علماء العربية وعلماء التجويد في وصف نطق الطاء والتاء في (أحطت) وكل الأمثلة التي تشبهه بأنه ادغام قول صحيح. وقول علماء التجويد بأنه ادغام ناقص قول دقيق وصائب، لبقاء شائبة إطباق في النطق. وتفسير ذلك أن الطاء والتاء

---

(١٧) علي القاري: المنح الفكرية ص ٢٩، والنابلسي: كفاية المستفيد ١٧ظ، والمرعشي: جهد المقل ٢٦ظ.

(١٨) جهد المقل ٢٧و.

من مخـرج واحـد وأن الطـاء يتميـز عن التـاء بالاطبـاق، والقراء يحرصون على عدم الاجحـاف بهـذه الصفـة، ويتحقق لهم ذلـك مع حصـول الادغام الذي يهدف الى الاقتصـاد بالجهـد، ويتم ذلـك بأن يشـرب حبس النفس صوت الاطباق، وهو يمثل صوت الطـاء، ويعـدم الاطباق في الجزء الثاني من الصوت وهو اطلاق النفس الذي يمثل صوت التاء. فالصوت الناتج من ادغام الطاء في التاء يتألف، فيما يبدو لي، من نصف طاء، ونصف تاء، مع مكـوث أطـول بين حبس النفس واطـلاقه، فقول علماء التجـويـد ان هذا ادغـام ناقص قول له ما يسـوغه من ناحية النطق لبقاء بعض صفات الصوت الأول الذي يجب أن يفنى في الصوت الثاني لو كان ادغاماً كاملاً خالصاً.

واذا وقعت القـاف السـاكنـة قبـل الكاف في مثل (نخلقكم) من قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماء﴾ (المـرسـلات ٢٠) فان بعض القراء يدغم القاف في الكاف ادغـامـاً محضـاً لا يبقى للقاف معه أثر، ويصير النطق (نَخْلُكُّمْ) بكاف مشددة. مثل إدغام الطاء في التاء في (أحطت) ادغاما كاملا، فيكون النطق (أحتُّ) بتاء مشددة، وبعض القـراء يدغم القـاف في الكـاف مع إبقـاء صفـة الاستعـلاء التي يتصف بهـا القاف، فيكون حينئذ إدغاماً ناقصاً ينطبق عليه ما ذكرناه مع إدغام الطاء في التاء مع إبقـاء صفـة الاطبـاق. قال ابن البـاذش: «وأنت مخيّر في إبقاء الصفة مع الادغام أو إذهابها، وكأن إجماعهم على إبقاء الاطباق في (أحطت) يقوّي إبقاء الاستعلاء هنا، وكلا الوجهين مأخوذ به، والله أعلم». (١٩)

قال ابن الجـزري: «فأمـا اذا كانت ساكنـة قبـل الكاف كما هي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾ فلا خلاف في إدغامها، وانما الخلاف في إبقاء صفة الاستعلاء مع ذلـك، فذهب مكي وغيـره الى أنهـا باقية مع الادغام كهي في أحطت وبسطت. (٢٠) وذهب الداني وغيره الى ادغامه إدغاماً محضاً. (٢١) والوجهان صحيحان». (٢٢)

---

(١٩) الاقناع ١/١٨٣-١٨٦.

(٢٠) الرعاية ص ١٤٥.

(٢١) التحديد ٢٧ظ - ٢٨و.

(٢٢) النشر ١/٢٢١. وانظر: المرعشي: جهد المقل ٢٧و.

فمذهب من أدغم القاف في الكاف مع ابقاء صفة الاستعلاء في القاف يكون من باب الادغام الناقص الذي يبقى معه للحرف الأول بعض صفاته. وهو في ذلك نظير الادغام في (أحطت) مع ملاحظة أن الطاء والتاء من مخرج واحد، بينما القاف والكاف من مخرجين، لكن تدانيهما في المخرج ييسر ارتفاع اللسان بهما ارتفاعة واحدة من غير فصل بينهما. فيحمل الاحتباس للنفس صفة الاستعلاء المقترن بالقاف، بينما يتميز اطلاق النفس بالاستفال المتصف به صوت الكاف.

خامساً ـ أحكام الأصوات الأنفية (الغُنّ):

الأصوات الأنفية هي النون والميم، وهي التي سماها علماء العربية وعلماء التجويد بحروف الغنة، قد عدّها بعض العلماء ثلاثة أصوات فأضاف اليها التنوين، وهو في الحقيقة نون ساكنة.[1] قال المرادى (ت ٧٤٩هـ): «اعلم انه جرت عادة القراء بالتنصيص على التنوين مع أنه مندرج في قولهم النون الساكنة، وانما أفردوه بالذكر لأنه يسقط خطاً، بخلاف غيره من أقسام النون الساكنة».[2]

وقد قال أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، وهو يتحدث عن الحروف التي تصحبها الغنة فقال: «وهي: التنوين والنون والميم، فهذه ثلاثة، و(هي) في الحقيقة حرفان: النون والميم، لأن التنوين نون خفيفة في المخرج والصفة، وانما الفرق بينهما عدم ثبات التنوين في موضع الوقف وفي صورة الخط، وأنه لا يكون إلا زائداً على هجاء الكلمة، فلهذا يعتني القراء بالتنصيص عليه كقولهم: باب أحكام النون الساكنة والتنوين. . . وأما سيبويه وأتباعه فلم يذكروا الا النون والميم».[3]

ووضح الشيخ زكريا الانصاري (ت ٩٢٦هـ) خصائص كل من النون الساكنة والتنوين فقال: «فالنون الساكنة تثبت لفظاً وخطاً، ووصلاً ووقفاً، متوسطة ومتطرفة، وتكون في الأسماء والافعال والحروف. والتنوين نون ساكنة زائدة تلحق الآخر لفظاً لا خطاً، ووصلاً لا وقفاً، لغير توكيد، ولا تكون إلا في الأسماء».[4]

والأصوات الانفية أكثر الأصوات العربية تأثرا بمجاورة غيرها، لاسيما النون الساكنة والتنوين، ومن ثم كثرت أحكامها، واعتنى بها علماء التجويد عناية كبيرة، ولعل تطرف مخرج الميم (من بين الشفتين) وتوسط النون مخارج حروف الفم (من بين طرف اللسان واللثة) هو الذي جعل أحكام النون أكثر من أحكام الميم، على

---

(١) انظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩و. وزكريا الانصاري: تحفة نجباء العصر ص ٢.

(٢) المفيد ١١١و. وانظر: الطبلاوي: مرشدة المشتغلين ٢و.

(٣) ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٧.

(٤) تحفة نجباء العصر ص ٢.

الرغم من أن الصوتين كليهما أنفيان، وقد بلغ من عناية علماء التجويد بأحكام النون الساكنة والتنوين أن أفردها كثير منهم برسائل مستقلة (انظر رقم ٣١ من مصادر علم التجويد).

١ ـ أحكام النون الساكنة والتنوين:

يذهب بعض علماء التجويد الى جعل أحكام النون الساكنة والتنوين اذا وقعت قبل غيرها من الأصوات أربعة أحكام، هي: الاظهار (البيان)، والادغام، والقلب والاخفاء.[٥] وهذ هو الاتجاه الغالب عند من درسوا الظواهر الصوتية المتعلقة بالنون الساكنة. ولكن بعض علماء التجويد عدّل في ذلك التقسيم فزاد في العدد حتى صارت خمسة أوستة، وبعضهم أنقص حتى صارت الأحكام ثلاثة.

فذكر الشيخ زكريا الانصاري أن الجعبري (ت ٧٣٢هـ) جعل الاحكام ثلاثة هي: إظهار، وإدغام محض وغيره، وإخفاء محض مغ قلب ودونه.[٦]

أما الذين زادوا في الأحكام على الأربعة فان منهم من يجعل الادغام قسمين هما: إدغام كامل بلا غنة في الراء واللام، وإدغام ناقص لبقاء الغنة مع بقية حروف الادغام، فتلك مع الاظهار والقلب والاخفاء خمسة أجكام.[٧] ومنهم من يجعل إدغام النون ثلاثة أقسام: إدغامها في الراء واللام قسم، وفي النون والميم قسم، وفي الياء والواو قسم، فيكون مجموع الأحكام حينئذ ستة، وهو مذهب مكي بن أبي طالب.[٨]

وقد قال البقري (ت ١١١١هـ)، وهو يتحدث عن تلك المذاهب: «ان بعض العلماء جعل للنون الساكنة والتنوين أحكاما خَمسة، وبعضهم جعلها أربعة،

(٥) الداني: التحديد ٢٠و، ٣٥ظ. وابن الباذش: الاقناع ٢٤٧/١. والعطار: التمهيد ١٥٦ظ.

(٦) تحفة نجباء العصر ص ٢. وانظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ٤٥.

(٧) آبـن الجزرى: التمهيد ص ٥٢-٥٣.

(٨) الرعاية ص ٢٣٦، والكشف ١٦١/١.

وبعضهم جعلها ثلاثة، والأمر في ذلك سهل. فأما من جعلها خمسة فقال: هي إدغام بغنة، وإدغام بلا غنة، وإظهار، وإقلاب، وإخفاء. ومن جعلها أربعة أسقط الادغام الذي بلا غنة وأبهم الادغام، فشمل الشيئين. ومن جعلها ثلاثة فعل كذلك وأسقط الاقلاب وأدخله في الاخفاء، فعلى كلامه يكون الاخفاء معه قلب أو لا قلب معه. والأَوْلَىٰ أن تعد خمسة، تقريباً للمبتدئين وتسهيلاً عليهم». [٩]

أ ـ الإظهار:

معنى الاظهار هو أن يكون مخرج النون الساكنة والتنوين من الفم. [١٠] وذلك بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة ويجري الصوت غنة في الخيشوم، على نحو ما مرّ في تحديد مخرج النون.

وانما يظهران اذا لقيهما حرف من حروف الحلق الستة: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء. أما الألف فلا يكون ما قبلها إلا متحركا، فلذلك خرجت عن نظائرها. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَنْأَوْنَ﴾ (الانعام ٦)، و﴿مَنْ آمَنَ﴾ (البقرة ٦٢)، و﴿مِنْ شيءٍ إلا﴾ (الحجر ٢١)، ونحو ﴿يَنْهَوْنَ﴾، (آل عمران ١٠٤)، و﴿مَنْ هَاجَر﴾ (الحشر ٩)، و﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾ (التوبة ١٠٩)، ونحو ﴿أَنْعَمْتَ﴾ (الفاتحة ٧)، و﴿مَنْ عَمِلَ﴾ (الانعام ٥٤)، و﴿مِنْ عَلَق﴾ (العلق ٢)، ونحو (تَنْحِتُونَ﴾ (الاعراف ٧٤)، و﴿مَنْ حَادَّ الله﴾ (المجادلة ٢٢)، و﴿نارٌ حَامية﴾ (القارعة ١١)، ونحو ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ (الاسراء ٥١)، و﴿مِنْ غِلٍّ﴾ (الاعراف ٤٣) و﴿قوماً غيركم﴾ (محمد ٣٨)، ونحو ﴿المُنْخَنِقَة﴾ (المائدة ٣)، و﴿مِنْ خَيْلٍ﴾ (الحشر ٦) و﴿يومئذٍ خَاشعة﴾ (الغاشية ٢). [١١]

وكان علماء العربية قد درسوا أحكام النون الساكنة إذا لقيت غيرها من الحروف،

---

(٩) غنية الطالبين ص ٤٧.

(١٠) سيبويه: الكتاب ٤/٢٥٤، وابن الباذش: الاقناع ١/٢٥٤.

(١١) انظر: مكي: الرعاية ص ٢٣٦، والداني: التحديد ٢٠و، وابن الباذش: الاقناع ١/٢٥٣.

فنص سيبويه على إظهارها عند حروف الحلق الستة وعلل ذلك ببعدها عن مخرج النـون. [١٢] وذهب علمـاء التجـويد المذهب نفسه في تفسير عدم تأثر النون بمجاورة حروف الحلق. فقال السعيدي: «انما ظهرت النون الساكنة عند حروف الحلق لأنها تخـرج من ذلق اللسـان، وهي بعيـدة من الحلق، ولا يكـون الاخفـاء والادغـام الا لمقاربة الحرفين أو تزاحمها في المخرج الواحد». [١٣] وقال مكي: «والعلة في إظهار ذلـك عنـد هذه الحـروف أن الغنـة والنون بَعُدَ مخرجهما من مخرج حروف الحلق، وانمـا يقـع الادغـام في أكثـر الكلام لتقارب مخارج الحروف فلما تباعدت المخارج وتباينت وجب الاظهار، الذي هو الأصل، ولم يحسن غيره». [١٤]

وذكر سيبويه أن «بعض العرب يُجري الغين والخاء مجرى القاف». [١٥] في إخفاء النون قبلها، وقال: «ألا ترى أنه يقول بعض العرب: مُنْخل ومُنْغل فيخفي النون كما يخفيهــا مع حروف اللســان والفم لقـرب المخـرج من اللسـان». [١٦] وذكـر علمـاء القـراءات أن من القـراء من قرأ باخفاء النون الساكنة والتنوين عند الخاء والغين، في بعض الروايات. [١٧]

وعلل عبد الوهاب القرطبي ما يلحق النون قبل الخاء والغين من الاخفاء في لغة بعض العـرب ومـذهب بعض القـراء، فقال: «فأما الغين والخاء فانهما أقرب حروف الحلق الى حروف الفم، فتأثـرا بذلــك القـرب حتى جاز فيهمـا الاخفـاء والاظهـار جميعاً. وقد قرئ بهما. فمن أخفى النون عندهما أجراهما مجرى حروف الفم، ومن

---

(١٢) الكتاب ٤/٤٥٤. وانظر: المبرد: المقتضب ١/٢١٦.
(١٣) اختلاف القراء ٦٠ظ.
(١٤) الرعاية ص ٢٣٦-٢٣٧.
(١٥) الكتاب ٤/٤٥٤.
(١٦) الكتاب ٤/٤٥١.
(١٧) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٢٥.

أظهرها معهما فكأنه اعتبر قربهما من باقي حروف الحلق، فأجرى عليهما حكمها من الاظهار». [18]

وقَسَّمَ الداني حروف الحلق بالنسبة لاظهار النون عندها قسمين: ما تظهر معه النون بتَعَمُّل، وما تظهر معه بغير تَعَمُّل. وذلك حيث قال: «وانما بُيِّنَتِ النون والتنوين عند هذه الحروف لبعد المسافة التي بينهما وبينهن، إلا أن بيانهما عندهن على ضربين: بتَعَمُّلٍ وغير تَعَمُّلٍ.

والتي يُتَعَمَّلُ بيانهما عندهن ثلاثة: الهمزة والغين والخاء، لأنه متى لم يتعمل ذلك عندهن ولم يتكلف انقلبت حركة الهمزة عليهما وسقطت من اللفظ، وخفيا عند الغين والخاء، لأن ذلك قد يستعمل فيهن، كما رواه ورش عن نافع في الهمزة (...). [19] ورواه المسيبي عنه في الغين والخاء، لقربهما من حرفي أقصى اللسان.

والتي لا يُتَعَمَّلُ بيانهما عندهن، اذ لابد منه ضرورة ثلاثة أيضا: الهاء والعين والحاء. كما حدثني الحسين بن علي، حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: النون الساكنة والتنوين تبينان عند الحاء والهاء والعين ضرورة من غير تعمل». [20]

والتعمل في بيان النون الساكنة والتنوين عند الهمزة هو لأجل ألا تسقط، لا خشية الاخفاء كما في الغين والخاء، وذلك لأن ورشاً كان يلقي حركة الهمزة على الساكن قبلها فيتحرك بحركتها وتسقط هي من اللفظ، وذلك اذا كان الساكن غير حرف مد ولين، وكان آخر كلمة والهمزة أول كلمة أخرى، فالتنوين مثل ﴿كُفُواً أَحَدٌ﴾

---

(18) الموضح 178و.

(19) كلمة غير واضحة في الأصل.

(20) التحديد 20و-20ظ. وقال السيرافي (شرح كتاب سيبويه 532/6): سمعت أبا بكر بن مجاهد رحمه الله يقول: حروف الحلق التي تبين النون قبلها ستة، فأما ثلاثة فان النون الساكنة تبين عندها ضرورة من غير تعمل، وهي الحاء والهاء والعين...».

(الاخـلاص ٤) و﴿مُبينٌ. أنِ اعبـدو الله﴾ (نـوح ٢-٣)، والنـون السـاكنـة مثل ﴿مَنْ آمن﴾ و﴿مِنْ إسْتبـرق﴾ (الـرحمن ٥٤). [٢١] فيكـون النطق على قراءة ورش (كُفُـوَنَ حَد). و(مِنِ سْتبرق). ولهذا نجد عبد الوهاب القرطبي يقول: «إن إخفاء النون عند الهمزة مستحيل غير ممكن، ولو تكلف متكلف ذلك لسقطت حركة الهمزة على النون وذهبت الهمـزة. وإخفـاؤهـا عنـد العين والحـاء والهـاء كذلك، ولو أمكن لأمكن مع قبـح، واخفـاؤهـا مع الغين والخـاء ممكن مستحسن فجاز معهما أعني الغين والخاء الاظهار والاخفاء، وامتنع الاخفاء ووجب الاظهار فيما عداهما». [٢٢]

وممـا يجب أن يقف عنـده الـدارس قول ابن مجـاهـد: «النون الساكنة والتنوين تبينـان عنـد الحـاء والهـاء والعين ضرورة من غيـر تعمـل». [٢٣] ويمكن ان يفسر قوله (ضرورة) بأنه لا يتأتى عند نطق النون قبل هذه الحروف الا إظهارها، أي أن إخفاءها قبلهن (مستحيل غير ممكن) كما جاء في قول عبد الوهاب القرطبي السابق. واذا كان ذلـك هو مراد ابن مجـاهـد، فكيف يمكن تفسيره من النـاحيـة الصـوتية، وهل يؤيده الدرس الصوتي الحديث؟

إن عنـايـة دارسي الأصـوات العـربيـة المحـديثن بالظـواهـر الصوتية الناشئة عن التـركيب محـدودة جداً. [٢٤] ومن ثم فان ما نجـده عن أحكـام النون الساكنة والتنوين لديهم لا يسعف الدارس في تقويم قول ابن مجاهد. ذلك القول الذي كان مجهولاً لم يطّلـع عليه أحد من دارسي الأصوات العربية المحدثين الذين اطلعنا على أعمالهم.

---

(٢١) انظر: الداني: التيسير ص ٣٥-٣٦.

(٢٢) الموضح ١٧٨ظ.

(٢٣) وَهِمَ محقق كتاب الاقناع لابن الباذش حينما نقل قول ابن مجاهد (١/٢٥٦) هكذا (. . . عند الهاء والخاء والغين) وقد قال في الهامش رقم (٢): «في الاصل (عند الهاء والحاء والعين) وما أثبته من حاشيته» فانه بذلك حذف الصحيح وأثبت المصحّف.

(٢٤) كان الـدكتـور ابـراهيم أنيس أكثـرهم عناية بذلك (انظر الاصوات اللغوية ص ٦٩-٧١) وعلى نحو أقل جان كانتينو: دروس ص ٦٠-٦١. ثم أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٤.

ويمكن أن نجد في طبيعة إنتاج أصوات الحلق وصوت النون تفسيراً لقول ابن مجاهد، فأصوات الحلق، وبشكل أكيد الهمزة والهاء والعين والحاء، تخرج من نقطة أعمق من تلك النقطة التي يمكن أن يتخذ فيها النفس مجراه عبر الخيشوم، وهو ما يحصل عند نطق النون، ومن ثم لا يمكن أن تنطق الأصوات الأربعة مع الغنة، لأنها تتشكل قبل أن يصل النفس منطقة اللهاة التي تفتح مجرى النفس الى الخيشوم لانتاج صوت الغنة، وقد يمكن سد مجرى النفس نهائياً من الفم وفتحه عبر الخيشوم (الأنف) في أثناء نطق تلك الأصوات ويكون الصوت الحاصل حينئذ صوتاً سَمِجاً لا وجود له في أصوات اللغة.

ومن هنا يعد قول ابن مجاهد صحيحاً، إذ لا يمكن أن تتأثر النون بأصوات الحلق الأربعة: الهمزة، مع الحرص على عدم تسهيلها، والهاء والحاء والعين. فتخرج النون الساكنة قبلها بينة مظهرة من غير تعمل، اذ لا يُخْشَىٰ عندها من الادغام أو الاخفاء.

أما الخاء والغين فانهما أقرب حروف الحلق الى اللسان (الفم)، ويترجح لديّ أنهما يخرجان من نقطة تقع بعد النقطة التي يمكن أن يتخذ فيها النفس مجراه عبر الأنف، ومن ثم يمكن أن تتأثر النون بمجاورتهما اذا لم يتعمل باخراجها من مخرجها، فتخفى عندهما كما تخفى عند القاف، وسوف نوضح معنى الاخفاء بعد قليل ان شاء الله تعالى.

فاذا صح هذا التفسير لقول ابن مجاهد فان ذلك يدل على ادراك علماء التجويد للصفات الدقيقة للأصوات، ويكون ابن مجاهد بذلك قد سبق الى تقرير حقيقة لم تدر في خلد علماء الأصوات المحدثين الذين درسوا أصوات اللغة العربية.

وذهب بعض علماء التجويد الى أن الغنة ساقطة من النون والتنوين اذا أُظهرا قبل حروف الحلق، قال ابن الجزري: «قد ذكر بعض القراء في كتبهم أن الغنة باقية فيهما. وذكر شيخ الداني (ت ٤٤٤هـ)، فارس بن أحمد (ت ٤٠١هـ)، في مصنف له أن الغنة ساقطة منهما اذا أُظهرا، وهو مذهب النحاة وبه صرحوا في كتبهم». [٢٥]

(٢٥) التمهيد ص ٥٢.

وعلّق علي القارى على قول ابن الحزري السابق بما نصه: «أقول يمكن أن يكون النزاع لفظياً، لأن مَنْ قال ببقائها أراد في الجملة لعدم انفكاك أصل الغنة عن النون. ومن قال بسقوطها أراد عدم ظهروها». (٢٦) وعقب المرعشي على ذلك بقوله: «أقول فظهر أن غنتهما حينئذ كغنتهما متحركتين». (٢٧)

واذا كانت الغنة هي الصوت الذي يخرج من الخيشوم فانها حينئذ لا تنفك عن النون، كما قال علي القارى، ويكون قول بعض العلماء بأنها تسقط من النون الساكنة والتنوين اذا أظهرا قبل حروف الحلق لا معنى له، إلا اذا فسرنا بقاءها أو سقوطها على نحو آخر، مثل أن يراد بكونها باقية إطالة الصوت بها، وأن يراد بكونها ساقطة عدم اطالة الصوت بها. وقد قال بعض المحدثين: «وليست الغنة إلا إطالة الصوت بالنون مع تردد موسيقي محبب فيها». (٢٨) لكن نحتاج حينئذ الى إثبات أن معنى الغنة إطالة الصوت بالنون، وهو ما يتعارض مع تعريف علماء التجويد للغنة. (٢٩) والى اثبات أن من قال بسقوط غنة النون المظهرة أراد عدم إطالة الصوت بها، وهو ما لا نملك دليلاً عليه.

وكل ما يمكن قوله بصدد هذه القضية أن اظهار النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق معناه اعتماد طرف اللسان على مخرج النون في الفم، وهو اللثة، ومرور النفس أثناء ذلك من الخيشوم محدثاً صوت الغنة المصاحب لنطق النون.

ب ـ الأدغام:

اذا تجاوزنا الحروف الستة التي تظهر النون الساكنة والتنوين قبلها فاننا نجد أنهما اذا وقعتا قبل بقية حروف العربية، يلحقهما نوع من التأثر، بتلك المجاورة. وقد

(٢٦) المنح الفكرية ص ٤٢.
(٢٧) جهد المقل ٢٨ظ.
(٢٨) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٧١.
(٢٩) انظر موضوع (الغنة) ص ٣٠٩.

يكـون ذلـك التأثـر كامـلاً (كليـاً)، وقـد يكون ناقصاً (جزئياً). والنون تميزت بأن لها معتمـداً في الفم، حيث يعتمـد طرف اللسـان على ما فويق الثنـايـا (أواللثـة)، ولها مجرى للنفس من الخيشوم ينتج عنه الصوت المصاحب للنون والذي يسميه العلماء بالغنـة. وتأثـر النـون بالمجـاورة قد يقتصـر على تغير معتمد اللسان في الفم، ويبقى مجرى النفس من الأنف. وقد يشمل المعتمد والمجرى حين يفنى صوت النون في الصوت الذي يليه فناء تاماً.

وقـد ميّـز علمـاء التجـويـد بين تينك الحالتين اللتين تتعرض النون فيهما للتأثر، فسمـوا التأثـر الكـامل بالادغام، وسموا التأثر الناقص المتمثل بتغير المعتمد في الفم بالاخفـاء، وبحثـوا كل حالة على نحو مستقل. الا أن بعض الأصوات يمكن أن تؤثر في النـون تأثيـراً كامـلاً وتأثيراً ناقصاً في الوقت نفسه، وهي حينئذ تتأرجح بين حالتي الادغام والاخفاء، لكن علماء التجويد وعلماء العربية بحثوا تلك الأصوات في باب الادغام. ونحن هنا نتبع منهجهم ونبين وجهة نظرهم، ولا يمنع ذلك من أن نبدي في الموضوع رأياً بعد أن نستكمل توضيح موقفهم.

والحـروف التي تدغم فيهـا النـون السـاكنـة ستة عند أكثر علماء التجويد وعلماء العـربيـة، وقد جمعها بعضهم بقوله (يرملون)، [٣٠] وبعضهم بقوله (ولنمير)، [٣١] وقد عدهـا أبـوعمرو الداني خمسة وجمعها بقوله (لم يرو)، وقال: «والقراء يزيدون حرفاً سادسـاً وهـو النـون، نحو﴿مِنْ نُورٍ﴾ (النور ٤٠) و﴿يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (الغاشية ٨). ولا معنى لذكرها معهن، لأنها اذا التقت بمثلها لم يكن غير إدغامها كسائر المثلين». [٣٢] وهـذا ما يفهم من كلام سيبـويـه. [٣٣] وهو ما نص عليه المبرد بقوله: «النون تدغم في خمسـة أحـرف: الـراء والـلام واليـاء والـواو والميم». [٣٤] ولعـل الـذين ألحقوا النون بحـروف الادغـام أرادوا أن تكـون أحكـام النـون السـاكنـة والتنوين شاملة لجميـع الحروف، لا يشـذ منها شيء.

---

(٣٠) مكي: الرعاية ص ٢٣٧، وانظر: ابن خالوية: الحجة ص ٤٤. والأستراباذي شرح الشافية ٣/٢٧٣.

(٣١) القرطبي: الموضح ١٧٠ظ.

(٣٢) التحديد ٢٠ظ، وانظر: ابن الباذش: الاقناع ١/٢٤٦ و٢٦١.

(٣٣) الكتاب ٤/٤٥٢-٤٥٣.

(٣٤) المقتضب ١/٢٢١، وانظر: السيرافي: ما ذكره الكوفيون من الادغام مجلة المورد، مج

ويعلل علماء التجويد ادغام النون الساكنة والتنوين في هذه الحروف للتقارب بينها في المخارج أو التناسب في الصفات، قال الداني: «وانما أُدغمت النون والتنوين في هذه الحروف للقرب الذي بينهما وبينهن والتشاكل والمشابهة: فأدغما في الراء واللام لقرب مخرجهما من مخرجهما على طرف اللسان، وقد قيل: إنهن من مخرج واحد.

وأُدغما في الميم للمشاركة التي بينهما وبينها في الغنة، حتى كَأنك تسمع النون كالميم والميم كالنون لنداوة صوتهما.

وأُدغما في الواو للمؤاخاة التي بين الواو والميم في المخرج، إذ كانا يخرجان من بين الشفتين، وأيضاً فان المد الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم.

وأُدغما في الياء لمؤاخاتها الواو في المد واللين، ولقربها أيضا من الراء، لأنه ليس يخرج من طرف اللسان أقرب الى الراء من الياء، ولذلك يجعل الألثغ الراء ياء». (٣٥)

ولا يبتعد ما قدمه مكي في تعليل ادغام النون الساكنة والتنوين في الحروف الستة عما قاله الداني، فقال عن ادغامهما في اللام والراء: «والعلة في ذلك قرب مخرج النون من مخرج اللام والراء». (٣٦) وقال عن ادغامهما في النون والميم: «والعلة في ادغامها (أي النون) في النون اجتماع المثلين، والأول ساكن، فلابد من الادغام في كل مثلين التقيا، والأول ساكن. . . والعلة في ادغامها في الميم أن الميم تشاركها في الغنة، فتقاربا للمشاركة فحسن الادغام». (٣٧) وقال أيضا: «والعلة في ادغامهما في الياء والواو أن الغنة التي في النون أشبهت المد واللين اللذين في الياء والواو، فوجب الادغام لهذه المشابهة». (٣٨)

١٢، ج ٢، ص ١٣٦.

(٣٥) التحديد ٢٠ظ - ٢١و. وانظر: القرطبي: الموضح ١٧٠ظ.

(٣٦) الرعاية ص ٢٣٧.

(٣٧) الرعاية ص ٢٣٨، والكشف ١/١٦٣.

(٣٨) الرعاية ص ٢٣٩، والكشف ١/١٦٤.

ويقسم علماء التجويد الحروف الستة الى ما تدغم فيه النون الساكنة إدغاماً تاماً لا تبقى معه غنة، والى ما تدغم فيه إدغاماً ناقصاً بغنة. «فأما الراء واللام فيدغم النون والتنوين فيهما بغير غنة، هذا المأخوذ به في الأداء، فينقلبان من جنسهما قلباً صحيحاً، ويدغمان ادغاماً تاماً، ويصير مخرجهما من مخرجهما، وذلك باب الادغام». (٣٩) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ (الحجرات ١١) و﴿خَيْراً لَّهُمْ﴾ (آل عمران ١١٠) و﴿مِنْ رَّبِّهِم﴾ (البقرة ٥) و﴿غَفُورٌ رَّحِيم﴾ (البقرة ١٨٢).

وقد ذكر سيبويه أن النون تدغم في الراء واللام بغنة وبغير غنة. (٤٠) وقال المبرد: «وإدغامهما فيهما على وجهين: بغنة، وبغير غنة، وإظهار الغنة أحسن لئلا تبطل، وإن شئت أذهبت الغنة». (٤١) وقال السيرافي: «الأجود في إدغام النون في الراء أن تكون بغنة». (٤٢) لكن الاستراباذي قال: «الأَوْلَىٰ ترك الغنة». (٤٣)

واكثر علماء الأداء يأبون إظهار غنة النون حين تدغم في الراء واللام، وذكر المرادي أن المهدوي ادّعىٰ الاجماع على ذلك. (٤٤) وقال مكي: «وأجاز النحويون إظهار الغنة مع اللام خاصة، والذي أجمع عليه القراء ادغام الغنة مع الراء واللام، وذلك نحو قوله ﴿مِن لَّدُنْه﴾ (النساء ٤٠) و﴿مِن رَّبهم﴾. وذلك إجماع من القراء، والاظهار في مثل هذا يعده القراء لحناً لبعده من الجواز. وقد أتت به روايات شاذة غير معمول بها». (٤٥)

ومع ذلك نجد ابن الباذش يذكر في كتابه (الاقناع في القراءات السبع) الروايات التي جاء من طريقها إدغام النون في الراء واللام مع إبقاء الغنة، ثم يقول «والآخذون

(٣٩) الداني: التحديد ٢١و.

(٤٠) الكتاب ٤/٤٥٢. وانظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٥١٧.

(٤١) المقتضب ١/٢١٧.

(٤٢) شرح كتاب سيبويه ٦/٥١٥، وانظر: المرادي: شرح التسهيل ٣٠٨ظ.

(٤٣) شرح الشافية ٣/٢٧٣.

(٤٤) شرح التسهيل ٣٠٨ظ.

(٤٥) الكشف ١/١٦٢.

بالغنـة في الـراء والـلام كثيـر جداً عن جميع القراء. وانما ذكرت من قرأت له بها من طرق هذا الكتاب، وهو مذهب مشهور، لا ينبغي أن نستوحش منه، لتظاهر الروايات به، وصحتـه في العـربيـة، وبعضهم يرجحه على اذهابها، كما كان ذلك في حروف الاطباق، وكذلك أيضاً عند الواو والياء. وسألت أبي رضي الله عنه: أيهما أحب إليك في الراء واللام؟ فقال: الأمر في هذا متقارب. قال: وانما أميل الى ذهاب الغنة». [٤٦]

قال الـداني: «وأمـا اليـاء والـواو فيـدغمـان فيهمـا وتبقى غنتهمـا، وهذا مذهب الجماعة من القراء غير حمزة، فانه اختلف عنه في ذلك. واذا بقيت غنتهما لم ينقلبا قلبـاً صحيحـاً، ولا أدغمـا إدغاماً تاماً، وإنما يتمكن ذلك فيهما إذا ذهبت تلك الغنة بالقلب الصحيـح». [٤٧] وذلـك مثـل قولـه تعـالى ﴿وَمَنْ يَقُلْ﴾ (الانبياء ٢٩) و﴿بَرْقٌ يَجْعَلُونَ﴾ (البقرة ١٩) و﴿مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد ١١) و﴿يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (الحاقة ١٦).

وقـال الـداني «وأمـا الميم فيـدغمـان فيهمـا إدغاماً تاماً، ويقلبان من جنسها قلباً صحيحـاً، مع الغنـة الظـاهـرة. وانمـا خصت الميم بذلـك لأن فيها غنة كهما، فان ذهبت غنة النون والتنوين بالقلب بقيت غنتها. وكذا حالهما مع النون كالميم سواء.

حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا ابن مجاهد، قال: لا يقدر أحد أن يأتي (بِعَمَّنْ) بغير غنة، لعلة غنة الميم.

قال ابن كيسان: اذا أدغمت النون في الميم فالغنة غنة النون.

وقـال غيـره: الغنة للميم، وبذلك أقول، لأن النون قد زال لفظها بالقلب، فصار مخرجها من مخرج الميم، فالغنة لا شك للميم لا لها». [٤٨] وهو ما نص عليه بعض دارسي الأصوات من المحدثين. [٤٩]

---

(٤٦) الاقناع ٢٥١/١. وقد قال السيرافي (شرح كتاب سيبويه ٥١٨/٦): «وقد جاءت القراءات وكلام العرب بالأمرين جميعا».

(٤٧) الداني: التحديد ٢١و. وانظر: مكي: الرعاية ض ٢٣٩.

(٤٨) الداني: التحديد ٢١ظ. وانظر: مكي: الرعاية ص ٢٣٧.

(٤٩) ابرهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٧٤.

وتحـدث عبـد الـوهاب القرطبي عن تفسير ما أدغم بغنة وما أدغم بغير غنة فقال: «ووجـه الادغـام بغيـر غنـة أن الادغـام في المتقـاربين يوجب قلب النـون الى جنس الحرف الذي أدغمت فيه، فتنقلب مع الراء راء، ومع اللام لاماً، ومع الياء ياء، وهذه الحروف لا غنة فيها فلم يجب مع ذلك إبقاء غنة كسائر الحروف المتقاربة. وأما من أدغم بغنة فلأن الحرف اذا كان له مزية على الحرف امتنع إدغامه فيه والنون لها غنة في نفسهـا سواء كانت من الفم أو من الأنف، لأن الغنـة صوت من الخيشـوم يتبـع الحـرف، وكـان خروجه من الفم، فاجتمع فيها مقاربتها لهذه الحروف ومزيتها عليها بالغنـة، فجـذبها كل واحد منهما الى حكمه، فأدغمت للمقاربة وبقيت الغنة لحفظ المـزيـة التي يمنـع ذهـابها الادغام، وكأنهم كرهوا ذهاب الغنة حتى لا يكون لها أثر البتة، وهم يجدون سبيلاً الى الاتيان بها. فأما اذا أدغمت في مثلها أو في الميم فانك غير محتاج الى غنة، لأن في كل واحدة من الميم والنون غنة».(٥٠)

وكـان سيبـويـه قد نص على أن النون اذا وقعت قبل حروف الادغام المذكورة في كلمة واحدة وجب اظهارها، وذلك حيث قال: «وتكون ساكنة مع الميم اذا كانت من نفس الحرف بيّنة. والواو والياء بمنزلتها مع حروف الحلق. وذلك قولك: شاة زَنْماء، وغنم زُنْم، وقَنْـواء، وقُنْيـة، وكُنْيـة، ومُنْية. وانما حملهم على البيان كراهية الالتباس فيصير كأنه من المضاعف، لأن هذا المثال قد يكون في كلامهم مضاعفاً، ألَا تراهم قالـوا إمَّحىٰ حيث لم يخـافـوا التباساً، لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم... ولا نعلم النون وقعت ساكنة في الكلام قبل راء ولا لام».(٥١)

وأورد علمـاء التجـويـد تلك الفكـرة مع شيء من التـوضيـح والأمثلة من كلمات القـرآن فقـال الـداني: «هذا الذي ذكرناه من الادغام في حروف (لم يرو) انما يكون ذلـك اذا كانت النـون معهن من كلمتين، فان كانت معهن من كلمـة لم يجز الادغام نحـو ﴿قِنْـوان﴾ (الانعـام ٩٩) و﴿صِنْـوان﴾ (الرعد ٤)، و﴿بُنْيَانه﴾ (التوبة ١٠٩)،

---

(٥٠) الموضح ١٧١و.

(٥١) الكتاب ٤/٤٥٥. وانظر: المبرد: المقتضب ١/٢٢٠.

و﴿الـدُّنْيـا﴾ (البقرة ٨٥)، وكذا شاة زنماء وما أشبهه. وذلك مخافة أن يشتبه ذلك اذا أدغم بالمضاعف الذي على مثال (فعّال) نحو: صَوَّان، وحَيَّان، وشاة جَمَّاء، فعدل عن الادغام لذلك». (٥٢)

وقال عبد الوهاب القرطبي بعد أن أسهب في توضيح الفكرة: «وهذا وإن قلّ مثله في القرآن إلا أنا ذكرناه لئلا يتوهم من يسمعه أنه لحن خفي، فنبهنا عليه ليسلم منه». (٥٣)

وكـان سيبـويـه قد ذكـر في (الكتـاب) قضيـة كانت مثـار جدل من بعده لدى بعض العلمـاء، فقـد قال وهـو يتحـدث عن النـون: «وهي مع الـراء والـلام والياء والواو اذا أدغمت بغنـة فليس مخـرجهـا من الخياشيم، ولكن صوت الفم أُشْرِبَ غنة. ولو كان مخـرجهـا من الخيـاشيم لمـا جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام، حتى تصير مثلهن في كل شيء». (٥٤) وهذا النص ليس من الوضوح بما فيه الكفاية، ويفهم منه أن الغنـة الظـاهـرة عنـد إدغـام النون بغنة ليست غنة النون «ولكن صوت الفم أشرب غنـة» وليس واضحـاً ما يريـده سيبويه من (صوت الفم) هنا، أهو الصوت الذي تدغم فيه النون أم شيء آخر؟

وكان الاستراباذي قد نقل رأي سيبويه، وذكر أن مراد سيبويه من (صوت الفم) هو الصـوت الـذي تدغم فيه النون. لكن الاستراباذي لا يوافق سيبويه على ذلك. وهذا نص كلامه: «ومذهب سيبويه وسائر النحاة أن إدغام النون في اللام والراء والواو والياء مع الغنـة أيضـا إدغـام تام. والغنـة ليست من النـون، لأن النـون مقلوبة الى الحرف الـذي بعـدهـا، بل إنمـا أشرب صوت الفم غنة... أما على ما اخترناه فالغنة للنون التي هي كالمدغمة. وأما على ماقال النحاة فلاشراب الواو والياء المضعفين غنة». (٥٥)

---

(٥٢) التحديد ٢١ظ.

(٥٣) الموضح ١٧١ظ.

(٥٤) الكتاب ٤/٤٥٤.

(٥٥) شرح الشافية ٣/٢٧٤.

وظهـرت فكـرة سيبـويـه السـابقـة عنـد بعض علمـاء التجـويـد، وإن لم يزايلها الغمـوض. قال مكي، وهـويتحدث عن النون الساكنة والتنوين: «إنهما يدغمان في الياء والواو من كلمتين، مع إظهار الغنة في حال اللفظ بالمشدد، لا في نفس الحرف الأول. . . بخـلاف إظهـار الغنـة مع الادغـام في الميم والنـون، فيكون ذلك أيضا إدغـامـاً غيـر مستكمل التشديد، لبقاء بعض الحرف، وهو الغنة. وانما لم تكن الغنة في نفس الحرف الأول كما كانت مع النون والميم، لأنك اذا إدغمت الأول في الياء أبدلت منه ياء، ولا غنة في الياء. وكذلك اذا أدغمته في الواو أبدلت منه واواً، ولا غنة في الواو، فصارت الغنة تظهر فيما بين الحرفين لا في نفس الحرف الأول. وصارت مع الميم والنون تظهر في نفس الساكنة عند حروف الفم» . (٥٦)

ويتميـز كلام مكي في النص السـابق عن فكـرة سيبـويه أنه يجعل الغنة تظهر بين الحـرفين، وفكـرة البينيـة هذه جديدة على الموضوع. وقد صرح بها مكي مرة أخرى في كتابه (الكشف)، حيث قال: «لكن الغنة ظاهرة مع اللفظ بالمشدد، لا في نفس الحـرف الأول، كأنهـا بين الحـرفين المـدغمين» . (٥٧) وأشـار ابن البـاذش في كتابه (الاقناع) الى هذه الفكرة وقال: ان الغنة بين الحرفين، وليست في نفس الحرف الأول. (٥٨)

ولم تنل هذه الفكرة عند علماء التجويد إلا قليلاً من الاهتمام، على الرغم من أن بعضهم نص على أن الغنـة الظـاهـرة عند إدغام النون في الواو والياء هي غنة النون، لكن ذلـك لم يكن في معـرض الحـديث عن الفكـرة التي ذكـرهـا سيبويه. قال عبد الوهاب القـرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «فالغنة تقدر باقية من النون، وان كانت قد انقلبت واواً أو ياء. ومثله (أحطت) و(فرطت) فان الطاء تدغم بابقاء شائبة منها مع أنها تنقلب تاء، والاطبـاق لهـا لا للتـاء» . (٥٩) وقال السمرقندي (ت ٧٨٠هـ): «وهذه الغنة التي

---

(٥٦) الرعاية ص ٢٣٩ .

(٥٧) الكشف ١/١٦٤ .

(٥٨) الاقناع ١/٢٥٣ .

(٥٩) الموضح ١٧١و-١٧١ظ.

بقيت مع الـواو واليـاء غنـة النـون والتنـوين، إذ لا غنـة للواو واليـاء أصلاً». [٦٠] وكان الداني (ت ٤٤٤هـ) قد قال قولاً عاماً في الغنة، وهو «اذ غير ممكن أن تكون منفردة في غير حرف أو مخالطة لحرف لا غنة فيه، لأنها مما تختص به النون والميم لا غير». [٦١]

وكـلام القـرطبي والسمرقندي هو الذي يتناسب مع حقيقة نطق النون اذا أدغمت بغنـة في الـواو واليـاء، فالنـون لهـا معتمـد في الفم، وصوت يخرج من الخيشوم هو الغنـة. وهـذه الغنـة باقيـة مع الادغام الا أن معتمد اللسان في الفم في موضع النون يتحـوّل الى مخـرج الحـرف الـذي تدغم فيـه. وقد عبّر مكي (ت ٤٣٧هـ) عن هذه الفكرة تعبيراً واضحاً، بالرغم من أنه يقول إن الغنة كأنها بين الحرفين. وذلك حيث قال: «والحرف الذي فيه الغنة إن كان ميماً فمن الشفتين يخرج، وإن كان نوناً فمن طرف اللسان وأطراف الثنايا يخرج، فحرف الغنة له مخرجان، فاذا أدغمته أدغمت ما يخرج من الفم منه، وأبقيت ما يخرج من الخياشيم ظاهراً، فلا يتمكن التشديد مع بقـاء الغنـة ظاهـرة، فان أدغمت حرف الغنـة في الـراء والـلام أدغمت ما يخـرج من المخرجين جميعاً، ولم تُبْقِ شيئاً فيتمكن التشديد، إذ لـم تُبْقِ من الحرف شيئاً». [٦٢]

وقـد ذهب جمـاعـة من علمـاء التجـويـد الى أن ما بقيت فيه الغنة «اخفاء وليس بادغام، ولو كان إدغاماً لذهبت الغنة بانقلاب النون الى حرف لا غنة فيه، لأن حكم الادغام أن يكون لفظ الأول من الحرفين كلفظ الثاني». [٦٣] وقد سماه ابن مجاهد إخفاء. [٦٤]

وقـال الـداني: «فَمَنْ بَقَّىٰ غنـة النـون والتنـوين مع الادغـام لـم يكن ذلك ادغاماً صحيحـاً في مذهبـه، لأن حقيقـة باب الادغـام الصحيـح أن لا يبقى فيه من الحرف

(٦٠) روح المريد ١٣٤و.

(٦١) نقلا عن ابن الجزري: النشر ٢/٢٨.

(٦٢) الكشف ١/١٦٤.

(٦٣) ابن الباذش: الاقناع ١/٢٥٢.

(٦٤) كتاب السبعة ص ٦٤٦.

المدغم أثر إذ كان لفظه ينقلب الى لفظ المدغم فيه فيصير مخرجه من مخرجه، بل هو في الحقيقة كالاخفاء الذي يمتنع فيه الحرف من القلب لظهور صوت المدغم وهو الغنة». [65] وقال أيضا: «هو قول الحذاق والأكابر من أهل الأداء». [66]

وقال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) في شرح الشاطبية: «واعلم أن حقيقة ذلك في الواو والياء إخفاء لا إدغام، وانما يقولون له إدغاماً مجازاً، وهو في الحقيقة إخفاء على مذهب من يُبْقِي الغنة، لأن ظهور الغنة يمنع تمحيض الادغام، إلا أنه لابد من تشديد يسير، وهو قول الأكابر، قالوا الاخفاء ما بقيت معه الغنة». [67] ونقل هذ النص السمرقندي في كتابه (روح المريد). [68]

ويأبى جماعة من علماء التجويد وعلماء العربية تسمية ذلك إخفاء، ويقولون انه إدغام، لكنه إدغام ناقص لبقاء الغنة. قال ابن أبي الأحوص الاندلسي (ت ٦٧٩هـ)، مؤلف كتاب (الترشيد في علم التجويد): «هو الصواب بدليل إبقائهم الاطباق في (أحطت) مع أنه إدغام صحيح ولم يقل أحد أنه إخفاء». [69] لكن ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) قال فعلا انه في (أحطت) إخفاء. [70] وقد بينا حقيقة هذا القول من قبل عند الكلام عن الادغام الناقص.

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «الصحيح من أقوال الأئمة أنه ادغام ناقص من أجل صوت الغنة الموجودة معه، فهو بمنزلة صوت الاطباق الموجود مع الادغام في (أحطت، وبسطت)، والدليل على أن ذلك إدغام وجود التشديد فيه، إذ التشديد ممتنع مع الاخفاء». [71]

---

(٦٥) نقلا عن ابن الجزري: النشر ٢/٢٨. وانظر: علي القارى: المنح الفكرية ص ٤٤.

(٦٦) انظر: ابن الباذش: الاقناع ١/٢٥٣، والمرادى: المفيد ١١١ظ.

(٦٧) انظر: المرادي: المفيد ١١١ظ.

(٦٨) روح المريد ١٣٤و.

(٦٩) نقلا عن المرادى: شرح التسهيل ٣٠٨ظ.

(٧٠) انظر: الاسترابادي: شرح الشافية ٣/٢٨٢.

(٧١) النشر ٢/٢٨.

وقال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) : «التحقيق أن الادغام مع عدم الغنة محض كامل التشديد، ومع الغنة غير محض ناقص التشديد». [٧٢]

وهـذا الخـلاف بين علمـاء التجـويـد هو خلاف في الاصطـلاح، لا في حقيقـة النطق، لانهم جميعاً يقولون ان ادغام النون في الواو والياء اذا كان بلا غنة فهو ادغام كامـل، وذلـك بأن تقلب النـون واواً أو ياء وتندغم في الحرف الذي بعدها، واذا كان بغنـة، ومعنـاه انتقال مخرج النون الى مخرج الحرف الذي تدغم فيه مع بقاء جريان النفس من الأنف، فان بعضهم سماه ادغاماً ناقصاً، لبقاء شيء من الصوت الأول، وبعضهم سماه إخفاء لأنه تنطبق عليه صفة الاخفاء. على ما سنوضح ذلك بعد قليل ان شاء الله تعـالى. وقـد سمـاه بعض المحـدثين قلباً ناقصاً، وذلك حيث قال: «فهو نوع من القلب تبعـه إدغـام، ولكنـه قلب ناقص، اذ لم يتحول الصوت المقلوب الى كل صفـات الصـوت المقلوب اليه، مما جعل القدماء يسمون هذا النوع من الادغام إدغاماً ناقصاً». [٧٣] وهذه التسمية لا تحمل معنى جديداً بالنسبة لما قاله علماء التجويد.

ويتلخص من ذلك أن أكثر علماء التجويد يذهبون الى أن النون الساكنة والتنوين يدغمـان في ستـة أحـرف، تجتمـع في (يـرملون). وأنهمـا عنـد هذه الحروف على قسمين، قسم يدغمان فيه بغنة، وهو حروف (يومن)، ولا يلتفت علماء التجويد الى روايـة بعض القـراء ادغـام الواو والياء بلا غنة. وقسم يدغمان فيه بلا غنة، أي ادغاماً كامـلاً، وهـو الـراء واللام، وهم لا يلتفتون أيضا الى مذهب بعض النحاة والقراء في جواز إدغامهما في اللام والراء بغنة.

ج ـ القلـــب:

اذا وقعت النـون السـاكنـة قبـل الباء تتأثر بها، ويتغير نطقها، ولكن لا يصل ذلك التأثـر الى حد الفنـاء التـام في البـاء، انمـا تنقلب النـون الى صوت وسط بينها وبين

---

(٧٢) اللالئ السنية ٢٥و.

(٧٣) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٧٣.

الباء، وهو الميم، فهو من مخرج الباء، ويشارك النون في الغنة وهذا ما قرره علماء العربية منذ سيبويه، الذي قال: «وتقلب النون مع الباء ميما». (٧٤)

وتحدث علماء التجويد عن ذلك، واهتموا بالجوانب الصوتية والأداء فيه، قال الداني: «والحال الثالثة أن يقلبا ميماً من غير إدغام، وذلك إذا لقيا الباء، نحو ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ (النمل ٨)، و﴿أَنْبِئْهُمْ﴾ (البقرة ٣٣)، و﴿جُدَدٌ بِيضٌ﴾ (فاطر ٢٧)، و﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا﴾ (النور ٤٠)، وما أشبهه. وإنما قلبا ميما عند الباء خاصة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة ومشاركتها للباء في المخرج فقلبا ميما من أجل ذلك». (٧٥)

وقال مكي: «ولا تشديد في هذا، والغنة ظاهرة فيه في الحرف الأول، لأنك أبدلت من حرف فيه غنة حرفاً آخر فيه غنة، وهو الميم والغنة التي لازمة للمبدل والمبدل منه في نفسه، فلابد من إظهارها في هذا على كل حال.

والعلة في ابدال النون الساكنة والتنوين ميماً عند الباء ان الميم مؤاخية للباء، لأنها من مخرجها، ومشاركة لها في الجهر والشدة. وهي أيضا مؤاخية النون في الغنة والجهر. فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن إدغامها فيها لبعد المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أبدلت منها ميما لمؤاخاتها النون والباء». (٧٦)

واذا قلبت النون عند الباء ميماً، ويسميه بعض العلماء إبدالا، (٧٧) صار لها حكم جديد، هو حكم الميم إذا لقيت الباء، فان ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ تصير (أم بورك). قال عبد الوهاب القرطبي: «ثم بعد قلبها ميما يتحول اللفظ الى الاخفاء، لأن هذا الميم اذا سكنت أمام الباء الاخفاء، وغنة النون والميم عند الباء تشتبه، فلا يوجد في اللفظ فرق بين قوله ﴿أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الرعد ٣٣)، ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ (سبأ ٨)، وبين

(٧٤) الكتاب ٤/٤٥٣. وانظر: المبرد: المقتضب ١/٢١٨.

(٧٥) التحديد ٢٢و.

(٧٦) الرعاية ص ٢٤٠. وانظر: الكشف ١/١٦٥.

(٧٧) ابن الباذش: الاقناع ١/٢٥٧. وابن الطحان: مرشد القارئ ١١٢ظ.

قوله ﴿أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الأرض﴾ (نوح ١٧)، ﴿أَنْبِئُونِي﴾ (البقرة ٣١). سواء كان قبل الباء نون أو ميم، لا فرق بينهما، كله في اللفظ سواء». [٧٨]

وذكر السيرافي ان الفراء قال: «الْعَنْبَر وكل نون ساكنة قبل الباء مخفية، أخفيت النون قبل الباء». [٧٩] وذكر ذلك ابن الباذش فقال: «قال لي أبي رضي الله عنه: زعم الفراء[٨٠] أن النون عند الباء مخفاة، كما تخفى عند غيرها من حروف الفم. وتأويل قوله أنه سمّى البدل إخفاء. وقد أخذ بظاهر عبارته قوم من القراء المنتحلين في الإعراب مذهب الكوفيين، وتبعهم قوم من المتأخرين، خلطوا بين مذهب سيبويه وعبارة الفراء،[٨١] من القلب والاخفاء فغلطوا». [٨٢]

ويفهم من قول السعيدي (ت في حدود ٤١٠ هـ) الآتي أنه يأخذ بمذهب الفراء، قال: «فلما التقيت النون بباء، أمنوا الادغام أو التشديد، فأخفوها كاخفائها عند سائر الحروف، وبقيت الباء مخففة على جهتها». [٨٣] وقال في مكان آخر: «هي مثل إخفاء الميم عند الباء في قراءة أبي عمرو». [٨٤]

وكان السيرافي قد اعترض على مذهب الفراء السابق، حيث قال: «والذي قاله سيبويه والبصريون: انها ميم وهو الصحيح . . . فان ادّعى مدّع أنها نون مخفاة غير بينة وهي ساكنة بعدها باء، قيل له: اجعلها ميماً، فاذا جعلها ميماً فانظر هل بينها

---

(٧٨) الموضح ١٧٩و.

(٧٩) ما ذكره الكوفيون من الادغام، مجلة المورد، مج ١٢، ج ٢، ص ١٣٨.

(٨٠) في الاصل المطبوع (القراء) بالقاف، وهو تصحيف.

(٨١) انظر الهامش السابق.

(٨٢) الاقناع ٢٥٨/١.

(٨٣) اختلاف القراء ٦١و.

(٨٤) التنبيه ٤٦ظ.

وبين النون المخفاة فرق؟ لا يوجد فرق بينهما اذا تأملته. واذا كانت مخفاة مع الباء فهي بمنزلتها مع القاف والكاف ونحوهما، والذي يسمع غير ذلك». (٨٥)

ولم نطلع على رأي الفراء بشكل مباشر، (٨٦) ويفهم من النصوص السابقة أنه يسمي ما يجري للنون عندما تقع ساكنة قبل الباء إخفاء، بينما يسميه غيره قلباً أو إبدالاً، فيكون حكم النون بعد أن تقلب ميماً الاخفاء عند الباء. ولمذهب الفراء وجه من الصواب سوف نوضحه بعد أن نقف على معنى الاخفاء.

د ـ الاخفاء:

اذا وقعت النون الساكنة قبل بقية حروف المعجم كان حكمها الاخفاء، وقد ذكر ذلك سيبويه حيث قال: «وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم، وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الادغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا الى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة اذا لم يكن لبس، وكان أصل الادغام وكثرة الحروف للفم، وذلك قولك: مَنْ كان، ومَنْ قال، ومَنْ جاء». (٨٧)

وعلماء التجويد حين درسوا موضوع إخفاء النون قدّموا تفصيلات قيّمة تتعلق بكيفية أداء النون المخفاة، وبتوضيح مخرجها. فقالوا: ان النون المخفاة لا يكون لها حظ في الفم، وتصير غنة في الخياشيم لا غير. (٨٨) وقال الداني: «وأما اخفاء

(٨٥) ما ذكره الكوفيون من الادغام، مجلة المورد، مج ١٢، ج ٢، ص ١٣٨.

(٨٦) لم أعثر على رأى الفراء في كتابه (معاني القرآن) عند مراجعتي له وقت اعداد مادة هذا البحث.

(٨٧) الكتاب ٤/٤٥٤. وانظر: الفراء: معاني القرآن ٢/٥٦و ٢١٠، والمبرد: المقتضب ٢١٥/١.

(٨٨) انظر: السعيدي: اختلاف القراء ٦٠ظ، ومكي: الرعاية ص ٢٤١.

النـون والتنـوين فحقـه أن يؤتىٰ بهما لا مظهـرين ولا مدغمين، فيكـون مخرجهما من الخيـاشيم لا غيـر، ويبطل عمل اللسان بهما، ويمتنع التشديد لامتناع قلبهما». (٨٩) وقال ابن الطحان وهو يتحدث عن الاخفاء: «وحقيقته أن يبطل عند النطق بها الجزء المعمل لها من اللسان عند التحريك والبيان، فلا يسمع الا صوت مركب على الخيشوم». (٩٠)

وقد علل الداني ظاهرة الاخفاء بقوله: «وانما أُخفيا عندهن لأنهما لم يبعدا منهن كبعـدهمـا من حروف الحلق، فيجب الاظهار للتراخي، ولم يقربا منهن كقربهما من حروف (لم يرو) فيجب الادغام للمزاحمة، فأخفيا فصارا لا مظهرين ولا مدغمين، وغنتهمـا مع ذلـك باقيـة، ومخرجهما من الخيشـوم خاصة، ولا عمل للسان فيهما. والخيشوم خرق الأنف المنجذب الى داخل الفم». (٩١)

وقـول علمـاء التجويد: ان النون المخفاة لاعمل للسان فيها لايوضح بدرجة كافية وضـع اللسـان أثنـاء النطق بهـا. الا أن عبـد الـوهـاب القرطبي أماط اللثام عن ذلك الجـانب الخفي من كلام علمـاء العـربيـة وعلمـاء التجـويـد، وقرر أن مخرج النون المخفاة يتصل بمخارج الحروف التي تقع بعدها، أي أن معتمد اللسان في الفم مع النون ينتقل الى مخرج الحرف الذي تخفى عنده، ولكن يظل صوت الغنة جارياً من الأنف. وقـد ورد ذلـك في نص طويل تضمن التعريف والتعليل والأمثلة، ولذا آثرت نقله بتمامه.

قال عبـد الـوهـاب القـرطبي: «النـون والتنوين تخفيان عند خمسة عشر حرفاً من حروف الفم، وهي: القـاف والكـاف والجيم والشين والضـاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والفاء. (٩٢)

---

(٨٩) التحديد ١٥ظ. وانظر: المحكم (له) ص ٧٥.

(٩٠) مرشد القارئ ١٣٣ظ.

(٩١) التحديد ٢٢و.

(٩٢) أشـرنـا من قبـل الى مذهب بعض العـرب وبعض القراء في اخفاء النون قبل الغين والخاء (انظر ص ٤٢٩ من هذا البحث).

ومعنى خفائها ما قدمنا من اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللسان، (٩٣) وخروج الصوت من الأنف من غير معالجة بالفم، ولذلك اذا لفظ بها اللافظ وسد أنفه بان الاختلال فيها. ولو تكلف متكلف إظهارها وأخرجها من الفم لأمكن ولكن بعلاج، (٩٤) وهذا يبين بالمحنة.

فمثال إخفاء النون مع القاف قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سأُنزِلُ﴾ (الانعام ٩٣)، ومع الكاف ﴿مَنْ كانَ عدواً لله﴾ (البقرة ٩٨). ومع الجيم ﴿مَنْ جَاء بالحسنة﴾ (النمل ٨٩)، ومع الشين ﴿ولَئِنْ شِئْنَا﴾ (الاسراء ٨٦)، ومع الضاد ﴿ومَنْ ضَلَّ﴾ (يونس ١٠٨)، ومع الصاد ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ (الحجر ٢٦) ومع السين ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ (التوبة ٩١)، ومع الزاي ﴿مِنْ زَوالٍ﴾ (ابراهيم ٤٤)، ومع الطاء ﴿عِنْ طَائفة﴾ (التوبة ٦٦)، ومع الدال ﴿مِنْ دُعاءِ الخيرِ﴾ (فصلت ٤٩)، ومع التاء ﴿أَنْ تَبَوَّءا﴾ (يونس ٨٧) ومع الظاء ﴿منهم مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبأ ٢٢)، ومع الذال ﴿مِنْ ذكري بل لما﴾ (سورة ص ٨)، ومع الثاء ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ اذا﴾ (البقرة ٢٥)، ومع الفاء ﴿مَنْ فَعَلَ هذا﴾ (الانبياء ٥٩).

وانما خفيت النون مع هذه الحروف لأنها حروف الفم، والنون أيضاً لها مخرج من الفم، .والاخفاء في طلب الخفة به كالادغام في طلب الخفة به، فلما أمكن استعمال الخيشوم وحده في النون ثم أستعمال الفم وحده فيما بعده كان أخف عليهم من استعمال الفم في اخراج النون ثم عودهم اليه فيما بعدها. وهذا معنى قول سيبويه - رضي الله عنه: (كان أخف عليهم ألا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة(٩٥) ولا يقع لبس في خروجها من الخيشوم. وساغ ذلك في حروف الفم دون حروف الحلق لقرب مدخل الخيشوم ومخرجه من حروف الفم دون حروف الحلق». (٩٦)

ولم يسهم دارسو الأصوات العربية من المحدثين في تجلية حقيقة الاخفاء بشيء

---

(٩٣) قال في الموضح (١٧٤و): وحقيقته السترة، لان المخرج يستتر بالاتصال.

(٩٤) قال المازني: اظهارها عند هذه الحروف لحن. (انظر: ابن الباذش: الاقناع ١/٢٦٠).

(٩٥) الكتاب ٤/٤٥٤.

(٩٦) الموضح ١٧٧ظ.

زيادة على ما قاله علماء التجويد، بل ان النفر القليل الذين تحدثوا عن الموضوع جاء كلامهم فيه من التردد وعدم الوضوح بما يبعده عن مرتبة الحقيقة المقررة. قال الدكتور ابراهيم أنيس: «الدرجة التي تلي اظهار النون هي مااصطلح القدماء على تسميته بالاخفاء، ويكون هذا مع خمسة عشر صوتا عند جمهور القراء هي: القاف. . . والفاء، وليس ما سموه بالاخفاء الا محاولة الابقاء على النون، وذلك باطالتها مما أدى الى ما نسميه بالغنة. هذا الى أننا نلحظ مع ما يسمونه بالاخفاء ميل النون الى مخرج الصوت المجاور لها». [٩٧] وقد لخص الدكتور أحمد مختار عمر النص السابق بقوله وهو يتحدث عن النون المخفاة: «فهي تطول وتميل الى مخرج الصوت الذي بعدها». [٩٨]

ان كون النون المخفاة تطول، وكونها تميل الى مخرج الصوت الذي بعدها أمران لم يوّف النصان السابقان حظهما من الوضوح، ونبدأ بمناقشة كون النون المخفاة تميل الى مخرج الصوت الذي بعدها، ثم نناقش كون النون المخفاة تطول عند الكلام عن مقدار طول الغنة بعد قليل.

إن القول بأن (النون المخفاة تميل الى مخرج الصوت الذي بعدها) لا يتضح منه المقصود بذلك الميل ولا مقداره. بينما يقرر علماء التجويد ان معتمد اللسان في الفم عند النطق بالنون المخفاة ينتقل الى مخرج الصوت الذي بعدها، فهو ليس مجرد ميل، انما انتقال الى مخرج الصوت التالي، كما يحدث عند الادغام، الا أن الغنة باقية في الاخفاء بينما هي تزول في الادغام. يؤكد ذلك ما نسمعه من نطق مجيدي قراءة القرآن الكريم اليوم، وأقوال علماء التجويد التي نقلنا بعضها قبل قليل. ونضيف الى ذلك قول مكي: «فالغنة التي في الحرف الخفي هي النون الخفية، وذلك أن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ومعها غنة تخرج من الخياشيم، فاذا خفيت لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها، وبقي ما كان يخرج من الخياشيم ظاهراً». [٩٩]

---

(٩٧) الاصوات اللغوية ص ٧١-٧٢.

(٩٨) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٤.

(٩٩) الكشف ١/١٦٦.

ان الـدارس حين يتأمـل نطق مثـل (مَنْ قَالَ) و(مَنْ كَانَ) يجد أن معتمد النون قد انتقل من طرف اللسان الى أقصاه حيث يعتمد للصوت التالي للنون. وكذلك الحال في مثل (إنْ جَاء) و(إنْ شَاء) فان معتمد اللسان لصوت النون ينتقل الى مخرج الجيم والشين. ومثل ذلك يحدث في مثل (مَنْ تَاب) و(عِنْ ذِكر) و(مَنْ سَأل) و(مَنْ فَعَل). واللسان يعتمد للنون وللصوت الذي بعدها في كل ذلك اعتمادة واحدة، الا أن الجزء الأول منها مصحوب بغنة هي بقية النون، بينما الجزء الأخير من الاعتمادة هو للصوت الذي يلي النون خاليا من الغنة.

ويلاحظ هنا ان اعتماد اللسان للنون المخفاة اذا كان عند صوت شديد (انفجاري) فان الغنة تخرج خالصة من الخياشيم، وأن اعتماده لها اذا كان عند صوت رخو (احتكاكي) فان النَّفَس في أثناء خروجه من الأنف يكون مصحوباً بتسرب جزء منه من الفم من الموضع الذي يعتمد فيه للحرف الذي يأتي بعد النون، يتأكد ذلك بسد الأنف في أثناء النطق بالحالتين حيث تبطل الغنة في الحالة الأولى، من غير أن يشعر الناطق بجريان النفس من الفم، بينما تبطل الغنة في الحالة الثانية ويظل النفس جارياً في مخرج الحرف. هذا ما نجده من ملاحظة نطق مجيدي قراءة القرآن في زماننا، مع ما نشعر به من حاجة الموضوع الى تحليل صوتي آلي دقيق، لا يتيسر لنا القيام به الآن.

أما كون الاخفاء (محاولة الابقاء على النون وذلك باطالتها مما أدى الى ما نسميه بالغنة) كما ذهب اليه بعض المحدثين فأمر يفتقر الى الوضوح، ولا يخلو من القصور. فالاخفاء ليس محاولة للابقاء على النون انما يمثل درجة من درجات تأثرها بما يجاورها من الأصوات. كما أن القول باطالة النون حتى تؤدئ الى الغنة كلام لا يتناسب مع حقيقة صوت النون الذي لا تنفك عنه الغنة الا اذا أدغم ادغاماً كاملاً.

ولم يترك علماء التجويد الأمر غامضاً، فقد بينوا حقيقة الاخفاء، وحذروا من إطالة الغنة معه، فقال المرعشي: «وليحذر من تطويل غنة الاخفاء». [100] وقال أيضا

(١٠٠) جهد المقل ٥٦ظ. وقد قال النابلسي (كفاية المستفيد ٩و): «وليحترز القارئ من المد قبل اخفاء النون في نحو (كنتم) لئلا يتولد منها واو فتصير: كونتم». وانظر: زكريا الانصاري: تحفة نجباء العصر ص ٤.

«واجعل غنة النون أكمل من غنة الميم، لأنها أغن من الميم، لكن احذر عن تطنين الغنة عند الوقف عليهما لأن اظهار الغنة وان احتاج الى تمديد لكن المبالغة في التمديد لحن، وهو معنى التطنين»، [101] وكان علماء التجويد قد حذروا من تطنين النون، ويعدون ذلك من معايب النطق التي يجب أن يجتنبها القراء. [102]

وحاول بعض علماء التجويد المتأخرين توضيح مقدار الزمن الذي يستغرقه نطق الغنة، على مقدار ما أسعفتهم وسائلهم وقد أشار المرعشي الى أنه لم يرَ في مؤلف تقدير امتداد الغنة، [103] لكنه قال: «لكن لا يصل امتدادها الى قدر ألف أو أزيد». [104] وكان الدركزلي أكثر وضوحاً في ذلك حيث قال: «وأما زمنها فهو أطول من زمن الحرف وأقصر من زمن الحرفين، فيكون قريباً من زمن المد الطبيعي». [105]

وقياس طول الصوت يعد من دقائق علم الأصوات التي لا تزال تفتقر اليها دراسة الأصوات العربية في الوقت الحاضر، ومحاولة علماء التجويد تحديد زمن الغنة أمر جدير بالملاحظة، ولم يكن ذلك مقتصراً على الغنة كما أنه لم يكن محصوراً لدى علماء التجويد المتأخرين. وكان عبد الوهاب القرطبي متميزاً بمعالجة هذا الجانب، مكثراً من الموازنة بين أطوال الأصوات. من ذلك قوله: «ان زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بغيره، كما أن زمان النطق بالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن». [106] وقوله عن المشدد: «ويلزم اللسان أو غيره من المخارج موضعاً واحداً، الا أن مكثه واحتباسه في المشدد لما حدث من التضعيف أكثر من مكثه واحتباسه في المخفف». [107] ثم قوله: «الواجب معرفته من كيفية النطق بالمشدد وصفة التلفظ به وهو أن يكون مقدار زمان النطق بحرفين ساكن

---

(101) جهد المقل ٦٣ ظ.
(102) انظر: السعيدي: التنبيه ٤٦و، ٥١و.
(103) جهد المقل ٣١ظ.
(104) بيان جهد المقل ٥ظ.
(105) خلاصة العجالة ٥و.
(106) الموضح ١٦٦و، وانظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه ٤٦٨/٦.
(107) الموضح ١٦٩و-١٦٩ظ.

ومتحرك، ولا يزيد على ذلك فيصير كأنه نائب مناب أكثر من حرفين، ولا يقصر دونـه» . (١٠٨) ومن ذلـك أيضـا قولـه : «وان زمـان النطق بالتليين أطول من زمان النطق بالتشديد، لان المد يبقى مع التليين ويذهب مع التشديد، فلذلك كان زمان التليين أطول» . (١٠٩)

واذا كان علماء التجويد لم يوفقوا في تحديد زمن كل صوت بالثانية وأجزائها فان هذا أمـر لا تزال الـدراسـة الصوتية المعاصرة تفتقر اليه . ويظل لعلماء التجويد فضل السبق في طرق أبـواب المـوضـوع واستخدام الملاحظة الذاتية في تقريب زمن نطق الأصـوات عن طريق المـوازنـة بينهـا وقيـاس طول الصـوت بالنسبة الى صوت آخر، واعتقـد أن مثـل قول المـرعشي الآتي لا يزال مقبولا تؤيده الملاحظة الذاتية وان كان بحاجة الى التحديد الدقيق، يقول المرعشي : «وبالجملة إن الحروف على أربع مراتب :

آنيّ لا يمتد أصلاً، وهي الحروف الشديدة .
وزمانيّ يمتد قدر ألف، وهي حروف المد .
وزمانيّ يقرب من قدر ألف، وهي الضاد المعجمة وحروف التفشي .
وزمانيّ يقربُ من الآني، وهي بواقي الحروف» . (١١٠)

وما قرره علماء التجويد من كون طول زمن الغنة يقرب من زمن حرف المد، وانه ينبغي التحفظ من إطالة الغنة عند الاخفاء كان شيئاً عاماً حاول بعض علماء التجويد التفصيل فيه، فجعلوا الاخفاء على درجات بحسب قرب أو بعد النون عن الأصوات التي تخفى عندها النون. فقال الداني : «واخفاؤهما على قدر قربهما وبعدهما، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنه» . (١١١) وقال عبد الوهاب القرطبي : «ان حروف الاخفـاء أيضـاً ترتبت في التوسط، فكان فيها أقرب وأبعد، فكان الاخفاء في الأقرب

---

(١٠٨) الموضح ١٦٩ظ.
(١٠٩) الموضح ١٧٤و.
(١١٠) جهد المقل ١٧ظ.
(١١١) التحديد ٢٢و.

أكثر منه في الابعد، فصار الأبعد بين الاخفاء والاظهار». (١١٢)

ووضح المرعشي ذلك بقوله: «الاخفاء يشبه المد، لأن التلفظ بالغنة الظاهرة يحتاج الى التراخي . . . واعلم أن الاخفاء على ثلاث مراتب، يتوقف بيانها على تقديم مقدمة، وهي أن الغنة صفة النون الساكنة وأثرها الباقي عند إخفاء ذاتها فمعنى صغر إخفاء النون كبر أثرها الباقي، ومعنى كبر إخفائها صغر أثرها الباقي، إذ ذاتها معدومة عند الاخفاء على كل حال. وحروف الاخفاء على ثلاث مراتب: أقربها مخرجا الى النون ثلاث: الطاء والدال المهملتان والتاء المثناة الفوقية، وأبعدها القاف والكاف، والبواقي متوسطة في القرب والبعد. . .

أقول (المرعشي): وبالجملة ان مراتب الحروف ثلاث: فاخفاؤهما عند الحروف الثلاث الأُوَل أزيد، وغنتهما الباقية قليلة، بمعنى ان زمان امتداد الغنة قصير. وإخفاؤهما عند القاف والكاف أقل وغنتهما الباقية كثيرة، بمعنى ان زمان امتدادها طويل. وإخفاؤهما عند بواقي الأحرف متوسط، فزمان غنتهما متوسط. ولم أر في مؤلف تقدير امتداد الغنة في هذه المراتب». (١١٣)

وقسم الدركزلي الاخفاء الى كبير وصغير وذلك حيث قال: «الاخفاء نوعان، كبير وصغير أي غير تام. فالأول لايكون إلاّ عند القاف والكاف، والثاني عندما عداهما من باقي الحروف المذكورة». (١١٤)

وتقسيم الاخفاء الى مراتب سواء أمرتبتين كانت أم ثلاثاً مقبول من الناحية الصوتية، وتؤيده الملاحظة الذاتية، لكن الأمر لا يزال بحاجة الى أجهزة مختبر الصوت التي يمكن أن نتبين من خلالها درجات إخفاء النون عند حروف الاخفاء الخمسة عشر، وهذه الملاحظة لا تغض من قيمة ما قدّمه علماء التجويد في دراسة ظاهرة الاخفاء وغيرها من أحكام النون الساكنة، لأن الدراسات الصوتية العربية

---

(١١٢) الموضح ١٧٨و.

(١١٣) جهد المقل ٣١و-٣١ظ.

(١١٤) خلاصة العجالة ٦٤ظ.

المعـاصـرة لـم تصـل الى المرحلة التي وصل اليها علماء التجويد في دراسة كثير من الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب.

رأي في أحكام النون الساكنة والتنوين:

ان علماء التجويد حين اختلفوا في حصر أحكام النون الساكنة والتنوين بين ثلاثة أو أربعـة أو خمسـة أو ستة لـم يكن اختلافهم يتجاوز التقسيم الشكلي الى الاختلاف في حقيقـة فهم الظـواهـر الصوتية، فكان لكل واحد منهم وجهة نظر يعتمد عليها في حصـر أحكـام النـون السـاكنـة من غير أن تتناقض مع مذاهب غيره من العلماء، كما يتضـح من العـرض السـابق لأرائهم. وهـذه محـاولة لاعادة النظر في مذاهب علماء التجـويـد في حصـر أحكـام النون الساكنة من حيث التقسيم لا من حيث المادة، ثم محاولة اختيار المذهب الاكثر انسجاماً مع حقائق الدرس الصوتي.

وهـذه المحـاولـة تعتمد على فهم معين لنطق صوت النون، هذا الفهم يقوم على أساس أن نطق النون يتميز بكون طرف اللسان يعتمد على اللثة فينسد مجرى النفس عبـر الفم، فيتحـول الى الخيشـوم، فتحصل الغنة التي هي جوهر صوت النون مع ما يصاحب ذلك من دوي يحصل في الفم. وحين تتجاور النون ساكنة مع بقية الحروف فانهـا تتأثـر بهـا، ولـذلـك التأثر درجتان: تأثر كامل وناقص، فاذا انحصر التأثر بزوال معتمد طرف اللسان على اللثة وانتقل صوب مخرج الصوت الآتي بعد النون مع بقاء جريان النفس من الأنف، وهو صوت الغنة، فالتأثر حينئذ ناقص. واذا امتد التأثر الى وقف جريان النفس من الانف، وهو يعني زوال الغنة، الى جانب زوال معتمد اللسان من موضـع النـون فان التأثـر حينئـذ كامـل، فينقلب صوت النـون الى جنس الصوت الآتي بعده ويندغم فيه إدغاماً محضاً. وهذا كله مقرر في كلام علماء التجويد، مؤيد بنتـائـج الـدرس الصوتي الحديث، ولكن الأمر الذي تباينت فيه كلمة علماء التجويد هو في استخـدام المصطلحـات وفي نسبـة الأصـوات الى كل حالة من أحوال النون الساكنة، على نحو ما ذكرنا في أول الكلام عن هذا الموضوع.

وتتلخص هذه المحاولة في تقسيم أحكام النون الساكنة والتنوين الى ثلاثة أحكام، وهي: الاظهار والاخفاء والادغام. فاذا حافظت النون على معتمدها في الفم مع بقاء الغنة من الأنف كان إظهاراً، وإذا زال معتمدها في الفم مع بقاء الغنة من الأنف كان إخفاء واذا زال معتمدها مع زوال الغنة كان إدغاماً. وهذه نظرة ذهب اليها بعض علماء التجويد، وقد نسبها زكريا الأنصاري الى الجعبري.[115] وقال علي القاري: «وقد قال بعض المحققين في أحكام النون الساكنة والتنوين: التحقيق أنها ثلاثة: اظهار، وادغام محض وغيره وسبق بيانه، واخفاء مع قلب ودونه».[116]

وما نذهب اليه يختلف جزئياً مع ما ذهب اليه الجعبري ونقله علي القاري، وذلك في جعل الادغام محضاً وغير محض، ونحن لا نرى أن يطلق مصطلح الادغام الا اذا كان محضا، أما اذا كان غير محض، وهو ما بقيت معه الغنة، فالأَوْلَى أن يُسمىٰ إخفاء وقد قال قديماً أحمد بَن نصر الشذائي (ت ٣٧٣هـ) وهو تلميذ ابن مجاهد: «المخفى ما تبقى معه غنة».[117] ومن ثم يمكن أن تدرس أحكام النون الساكنة على هذا النحو:

١ ـ الاظهار، وذلك عند حروف الحلق الستة، بغض النظر عن إخفاء بعض العرب وبعض القراء النون قبل الخاء والغين.

٢ ـ الادغام، وأعني به الادغام التام أو الكامل أو المحض الذي لا يبقى معه للنون أثر، وذلك مع اللام والراء، حيث تصير النون قبل الراء راء، وقبل اللام لاما، من غير أن يُلْتَفَتَ الى مارواه بعض علماء العربية وبعض علماء القراءة من ابقاء الغنة مع اللام والراء.

اما ادغام النون في النون فهذا أمر مفروغ منه على أساس قاعدة أن المثلين اذا التقيا وكان أولهما ساكناً أُدغم الأول في الثاني وارتفع العضو بهما ارتفاعة واحدة وشدد الصوت.

(١١٥) تحفة نجباء العصر ص ٢.

(١١٦) المنح الفكرية ص ٤٤ـ٤٥.

(١١٧) التحديد ١٥ظ.

وأمـا الـواو واليـاء فان جمهور القراء يذهبون الى ادغام النونْ فيهما مع ابقاء الغنة ونحن لهذا السبب نرى أن يلحقا بباب الاخفاء. وهو ما ذهب اليه عدد من كبار علماء التجويد كما ذكرناه عند الكلام عن ادغام النون فيهما من قبل.

وأمـا الميم فان تأثـر النـون السـاكنة بها يمكن أن يسمى إدغاماً لأن النون تحولت الى مثـل الصـوت الـذي بعدها، وهو الميم، وذلك في مثل (مِنْ مَاء) حيث تصير في النطق (مِمْ مَاء). ويمكن أن يسمى إخفاء لأن الاخفاء هو أن يزول معتمد النون في الفم ويبقى صوت الغنة، وهو ما يحصل في هذه الحالة، فان معتمد النون قد زال من طرف اللسان وانتقل الى مخرج الصوت الآتي بعد النون، وهو الميم التي يعتمد لها في الشفتين. لكن حدث هنـا أن الميم صوت يشـارك النـون في الغنة، فحين انتقل معتمـد النـون الى مخرج الميم مع بقاء الغنة بدت النون مثل الميم، لأن معتمدهما صار واحداً، مع جريان الغنة معهما من الأنف، وتوفرت حينئذ شروط الادغام.

٣ ـ الاخفـاء: وهـو ما يزول معـه معتمد النون من الفم وينتقل الى مخرج الصوت الآتي بعـد النـون بأن يتقدم أو يتأخر حسب طبيعة الصوت، مع المحافظة على الغنـة. وهـو حكم ينطبق على النون اذا وقعت قبل الحروف الخمسة عشر التي ذكـرهـا علمـاء التجـويـد، الى جانب الـواو واليـاء، وقـد تحدثنا قبل قليل عن الأسـاس الـذي يلحقـان بمـوجبـه بحروف الاخفاء، والى جانب صوت الباء، ولعل ذكر الباء مع حروف الاخفاء يبدوا أمراً غريباً، لكن لا ينبغي أن نستوحش من ذلك، لأنه من الناحية النطقية ينطبق عليه تعريف الاخفاء. وكان الفراء قد سماه اخفاء كما ذكرناه حين درسنا حكم القلب.

فالنـون السـاكنـة اذا وقعت قبل الباء في مثل (مِنْ بَعْد) لا تدغم في الباء لأنها لم تقرب منها قرب اللام والراء، كم أنها لا تظهر لأن الباء لم تبعد من النون بعد حروف الحلق. ومن ثم كانت النـون في مرتبـة متوسطة بين الاظهار والادغام، فانتقل معتمد النون في الفم الى معتمد الصوت الآتي بعدها وهو الباء، ولكن الصوت الناتج حينئذ من انتقـال معتمـد النـون الى الشفتين مع إبقـاء صوت الغنـة هو مثـل صوت الميم، ومـا حـدث في هذه الحـالة، هو عين ما حدث في مثل (مِنْ مَاء) حين آلت النون الى

صوت الميم، لكن الصـوت الآتي بعـد النـون في (مِنْ مَاء) صوت أنفي أغن بينمـا الصوت الآتي بعد النون في مثل (مِنْ بَعد) صوت ليس فيه غنة.

إننا حين نقول ان النون قلبت ميماً في مثل (من بعد) يجب أن نقول من الناحية النطقيـة ان النـون قلبت ميماً بالطريقة نفسها في مثل (من ماء)، ولكن الميم الناتجة من انتقـال مخـرج النـون الى الشفتين صادفت في الحـالة الاولى صوتا ليس فيه غنة فتوقف تأثر النون عند حد صيرورتها ميماً، وصادف في الحالة الثانية صوتا أنفيا ينتج بنفس الطريقة فتبع قلبَ النونِ ميما ادغامُها في الميم.

ان ما حصـل للنـون السـاكنـة قبل الميم والباء يشبه من الناحية النطقية ما حصل للنـون قبـل القاف والكاف وما سواهما من حروف الاخفاء الخمسة عشر التي يذكرها علمـاء التجـويـد، ومـا يحصل للنون قبل الياء الواو أيضا. فاذا قلنا (مَنْ قال) أو(مَنْ كان) فان معتمـد النـون بدلاً من أن يتقـدم نحو الشفتين كما في مثل (مِنْ بَعد) و(مِنْ مَاء) يتراجع نحو أقصى اللسان، ويظل النفس جارياً من الأنف، وهو ما نسميه بالغنة.

والفرق بين النون المخفاة في (من قال) وبين النون المخفاة في (من بعد) ليس صوتيـاً بالـدرجـة الاسـاس، وذلـك لأن تعـريف الاخفـاء ينطبق على الحالتين فهما متفقتـان نُطْقِيّـاً أوعضـويـاً، من حيث انتقال معتمد النون في الفم مع بقاء الغنة من الأنف. وانمـا الفـرق بينهمـا أن الصـوت النـاتـج من انتقال معتمد النون الى مخرج الصوت الآتي بعدها في (من بعد) يعد حرفاً مستقلاً في اللغة العربية، بينما الصوت النـاتـج من انتقـال معتمـد النون الى مخرج الصوت الآتي بعدها في (من قال) ليس حرفاً أو وحدة صوتية مستقلة انما هو تنوع موقعي لصوت النون.

فالأصـوات الأنفيـة في العـربية اثنان النون ويعتمد لها بطرف اللسان على اللثة، والميم ويعتمـد لهـا بين الشفتين. ويمكن من النـاحيـة النطقيـة انتـاج عدد آخـر من الأصوات الأنفية، وذلك في كل حالة يمكن أن يحصل فيها اعتماد في الفم مع بقاء صوت الغنة جارياً من الأنف، وهو ما ينطبق على جميع الأصوات الناتجة من اخفاء النـون عنـد حروف الفم الخمسة عشر والياء والواو أيضا، ولكن جميع هذه الأصوات

الأنفيـة تعـد تنـوعاً موقعياً لصوت النون، ولا يعد أي منها صوتاً مستقلاً يدخل في بنية الكلمة العربية كأن يقع فاء أو عينا أو لاماً.

ومن ذلـك يتأكـد أن أحكـام النـون السـاكنـة حين تلتقي بغيـرها تعد من الناحية النطقيـة (أي العضـويـة) ثلاثـة أحكـام هي: الاظهـار والاخفاء والادغام ولكن هناك جانب آخـر ينبغي أن يؤخـذ بالحسبـان، وهـو أن جعـل حكم النون الساكنة قبل الباء داخـلاً في الاخفـاء يتعـارض مع مبدأ تبسيط القواعد الذي يتطلبه تعليم المبتدئين. ومن ثم فان هذا المبدأ يقتضي أن نفرد حكم النون الساكنة قبل الباء كما فعل جمهور علماء التجويد حين سموا هذه الحالة بالقلب أو الاقلاب.

ولا شك أن التمييـز بين مستـويين من الـدرس الصـوتي وهما المستوى التعليمي والمستوى التحليلي الوصفي الخالص أمر مطلوب، وقد مر بنا أن البقرى حين عرض أحكام النون الساكنة قال: «والأَوْلَىٰ أن تعد خمسة تقريبا للمبتدئين وتسهيلاً عليهم». (١١٨) ومن ثم فنحن اذا نظـرنـا الى المـوضـوع من الناحية الصوتية المحضة نقـول ان أحكـام النـون الساكنة ثلاثة، واذا نظرنا الى الموضوع من الناحية التعليمية جعلنـاهـا أربعـة باضـافـة حكم القلب أو الاقلاب لأنه من غير اليسير على المبتدئين تصور أن يكون حكم النون الساكنة قبل الباء اخفاء وهم يرون صيرورتها في النطق ميما.

٢ ـ أحكام الميم الساكنة:

ان تأثـر الميم السـاكنـة بمجـاورة غيـرها من الأصوات يكاد يكون معدوماً، على الـرغم من أنهـا تشـارك النون في صفة الأنفية، حيث تنطبق الشفتان عند نطق الميم ويجـري النفس غنـة في الخيـاشيم. وهنـاك عامـلان أثرا في علاقة الميم بغيرها من الأصوات، هما:

العامل الاول: هو أن الادغام يكثر في حروف الفم ويقل في حروف الحلق

---

(١١٨) غنية الطالبين ص ٤٧.

والشفتين،[119] قال الداني: «واعلم أن أصل الادغام انما هو حروف الفم واللسان لكثرتها في الكلام وقرب تناولها، ويضعف في حروف الحلق وحروف الشفتين لقلتها وبعد تناولها».[120] وقال مكي: «يجب أن تعلم أن حروف الحلق لا يدغمن في حروف الفم ولا في حروف الشفتين. وقد تدغم بعض حروف الحلق في بعض لتقارب المخارج. وتعلم أن حروف الفم لا تدغم في حروف الحلق ولا في حروف الشفتين... وتعلم أن حروف الشفتين لا تدغم في حروف الحلق ولا في حروف الفم لبعد ما بينهن في المخرج».[121] وكان السعيدي قد بيّن أساس كل تأثر بين الأصوات حين قال: «ولا يكون الاخفاء والادغام الا لمقاربة الحرفين أو لتزاحمهما في المخرج الواحد».[122]

العامل الثاني: هو أن كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص صوتاً منه لما يلحق الادغام من الاختلال.[123] وقد قال ابن الباذش: «والمزايا التي لا تذهب للادغام خمس، وهي: الاستطالة والتفشي والتكرير والصفير والغنة».[124] ومن العلماء من يعد الأصوات التي تمتنع أن تدغم في غيرها خمسة هي الراء والشين والضاد والفاء والميم، ومن العلماء من يعدها ثمانية يضيف اليها السين والصاد والزاي.[125]

وقد وضح الداني علل امتناع ادغام بعض الأصوات في غيرها، وهي عنده

---

(١١٩) انظر: سيبويه: الكتاب ٤٤٨/٤ و٤٤٩ و٤٥٠ و٤٦٢.

(١٢٠) الادغام الكبير ٦و.

(١٢١) الكشف ١٤٠/١.

(١٢٢) اختلاف القراء ٦٠ظ.

(١٢٣) ابن الباذش: الاقناع ١٧٠/١. وانظر: سيبويه: الكتاب ٤٤٧/٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٣٣/١٠.

(١٢٤) الاقناع ١٨٨/١.

(١٢٥) انظر: القرطبي: الموضح ١٥٩و.

ثمـان،[١٢٦] وذلـك حيث قال: «وكلما تقاربت المخارج وتدانت كان الادغام أقوى، ومـا تكـافأ في المنـزلـة من المتقـاربين فادغـامـه جائـز، لأنـه لا يعرض ما يمنعه من الادغام. وما تفاضل بالادغام في المنزلة بزيادة الصوت فادغامه ممتنع لما يدخله من الاختـلال بذهـاب صوتـه بالادغـام، فلا يدغم الأفضل في الأنقص لذلك، ويدغم الأنقص في الأفضـل لأنـه يخـرج بذلك الى الحرف الأقوى. واخراج الأضعف الى الأقوى جائز لأنه يقوىٰ فيه.

وجملة الحروف التي تمتنع من الادغام لزيادة صوتها ثمانية أحرف، وقد جمعتها في قولـك (فـزم ضرس شص): الشين والضـاد والـراء والصاد والسين والزاي والميم والفاء. أما الشين فمن أجل تفشيها. وأما الضاد فلاستطالتها، وأما الراء فلتكريرها، وأما الصاد والسين والزاي فلصفيرهن، وأما الميم فلغنتها، وأما الفاء فلتفشيها».[١٢٧]

وقـد أثـر هذان العـامـلان في علاقة الميم بغيرها من الاصوات لأن الميم شفوية غنـاء، فالعـامـل الأول يحـد من المجـال الذي يمكن أن يحدث فيه التأثر، ويقصره على حروف الشفتين مثل الباء والواو وتلحق بهما الفاء. والعامل الثاني يمنع أن يقع التأثـر بين الميم والأصـوات الأخـرى التي تشـاركها في المخرج، لتميز الميم عليها بالغنة، ومن ثم يكاد الدارس يسقط من موضوع الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب كل ما يتعلق بأحكـام الميم السـاكنـة لولا بعض المنـاقشـات التي دارت بين علمـاء التجـويـد، ممـا هوجديـر بالوقوف عنده، ولولا بعض الروايات التي يلاحظ فيها تأثر الميم بالاصـوات المجـاورة. وقـد قسم المتأخـرون من علمـاء التجـويد والقراءات أحكام الميم الساكنة الى ثلاثة أقسام هي:[١٢٨]

أ ـ الأدغـــام:

وذلـك اذا لقيت الميم السـاكنـة ميمـاً أخـرى، قال مكي: «واذا لقي الميم وهي

---

(١٢٦) انظر: التحديد ١٩ظ.

(١٢٧) الادغام الكبير ٦و-٦ظ.

(١٢٨) انظر: ابن الجزري: النشر ٢٢٢/١. المرعشي: جهد المقل ٣٤،

ساكنــة ميم أخـرى وجب الادغـام» .[129] وذلـك نحـو ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ﴾ (البقرة ٢٩)، ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ (يونس ٤٠)، و﴿لَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ (يس ٥٧). والميم في هذا مثـل غيـرهـا من الاصـوات المتماثلة اذا التقت، وكان الصوت الأول ساكناً. ولا تدغم الميم في غيرها. قال الداني عن الميم: «فاذا التقى بمثله أدغم فيه لا غير» .[130]

ب ـ الاظهـــار:

وذلك اذا وقع بعد الميم الساكنة بقية حروف المعجم ما عدا الباء. ويجب إنعـام بيـانهـا لا سيمـا اذا وقـع بعـدها فاء أو واو لمشاركتها لهما في المخرج. قال الداني: «وان التقى بالفـاء أو الـواو أنعم بيـانـه للغنـة التي فيـه» .[131] وقال السعيدي: «ومما يحفـظ أيضـا إسكـان الميـم السـاكنـة اذا أردت إظهارها عند الفاء والواو في مثل قوله تعـالى عنـد الفـاء ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ (البقـرة ١٥) . . . وعند الواو نحو قوله ﴿أَنْتُمْ وآبَاؤكُم﴾ (الاعراف ٧١) . . . وما أشبه هذه الحروف. يلفظ بهذه الميمات كلها سَاكنـــة ويُتَــوَقّىٰ فيهـــا من الحـركـة، فاذا أطبقت شفتيـك للميم وأردت النطق بالفـاء ألحقت ثنيتيك بمخرج الفاء من الشفة السفلىٰ، وليكن ذلك عند انفتاح شفتيك من الميم في وقت واحد من غير اضطراب بينهما ولا إبطاء، فان ذلك يؤدي الى تحريك الميم» .[132]

وقـد وضـح عبـد الـوهاب القرطبي حقيقة الاظهار بقوله: «فأما الاظهار فهو حكم يجب عنـد اجتمـاع حرفين تبـاعـدا امـا في المخـرج أو في الخاصية، والاول منهما ساكن. . . فأمـا كيفيـة اللفـظ بالمظهـر فأن يكـون قطعـك مخـرج الحـرف المظهر باسكـانـه وأخذك في الحرف المتحرك بعده في زمان واحد ووقت واحد من غير إبطاء .

(١٢٩) الرعاية ص ٢٠٧.

(١٣٠) التحديد ٤٠ظ.

(١٣١) التحديد ٤٠ظ. وانظر: ابن الباذش: الاقناع ١/١٧٧.

(١٣٢) التنبيه ٥٢ظ ـ ٥٣و. وانظر: القرطبي: الموضح ١٧٦ظ.

يوهم التشديد ولا إزعاج يأخذ بك الى الاقلال والتحريك، وهذا مع اخلاص سكون الساكن واشباع حركة المتحرك». (١٣٣)

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «وإظهارها عند الواو أسهل منه عند الفاء، وذلك لأن الميم توافق الواو في المخرج، فأما عند الفاء فيحتاج الى تكلف لأن الفاء بانحدارها الى الفم باعدت الميم». (١٣٤) ويبدو لي أن ملاحظة العطار صحيحة لكن التعليل لا يمكن القطع به، وذلك لأن البعد في المخرج أدعى الى سهولة الاظهار، ولعل ما في الفاء من التفشي هو السبب في أن إظهار الميم قبل الواو أسهل منه عند الفاء.

وهناك روايات لا يأخذ بها جمهور القراء جاء فيها ادغام الميم الساكنة في الفاء، قال الداني: «على أن أحمد بن أبي سريج قد روى عن الكسائي ادغامه في الفاء، وذلك غير صحيح ولاجائز». (١٣٥) وقال السعيدي: «وهورديء عند أهل الأداء، وقليل من يأخذ به لبعد مخرج الفاء من الميم في الشفة السفلى. وقد قال أبو مزاحم الخاقاني في قصيدته بيتا في هذا العنى وهو: (١٣٦)

ولا تُدْغِمَنَّ الميمَ إنْ جئتَ بعدَها ... بحرفٍ سواها وأقبلِ العلمَ بالشكرِ

وله أيضا بيت آخر في هذا المعنى وهو:

أَدْغِمْ اذا ما قرأتَ اللامَ في الراءِ ... وَبيِّنِ الميمَ عندَ الواوِ والفاءِ (١٣٧)

وقال الشذائي: «ادغام الميم في الفاء لحن». (١٣٨)

كذلك جاء في بعض الروايات إخفاء الميم عند الواو والفاء. وهو يخالف مذهب

---

(١٣٣) الموضح ١٧٤و.

(١٣٤) التمهيد ١٥٥ظ.

(١٣٥) التحديد ٤٠ظ.

(١٣٦) انظر: بحث (علم التجويد: نشأته ومعالمه الاولى) في مجلة كلية الشريعة، العدد السادس ١٩٨٠ ص ٣٥٢.

(١٣٧) التنبيه ٥٣و.

(١٣٨) ابن الباذش: الاقناع ١/١٨١.

الجمهور.[١٣٩] كما أن العلاقة بين الميم وكل من الواو والفاء لا يتضح معها وجه لاخفاء الميم عندهما، لكون الأصوات الثلاثة من مخرج واحد، ومعنى الاخفاء انتقال المخرج وبقاء الغنة، وذلك لا يستقيم الا اذا فسرنا الاخفاء على نحو آخر، قال ابن الباذش: «فأما الفاء والواو فغير ممكن فيهما الاخفاء الا بازالة مخرج الميم من الشفتين، وقد تقدم امتناع ذلك، فان أرادوا بالاخفاء أن يكون الاظهار رفيقاً غير عنيف فقد اتفقوا على المعنى واختلفوا في تسميته إظهاراً أو إخفاء، ولا تأثير لذلك، وأما الادغام المحض فلا وجه له».[١٤٠]

ج - الأخفــاء:

وذلك عند الباء فقط على خلاف بين أهل الأداء. قال الداني: «فانْ التقت الميم بالباء نحو ﴿آمَنتُمْ بِهِ﴾ (البقرة ١٣٧)... و﴿أَمْ بَعِيدٌ﴾ (الانبياء ١٠٩) وما أشبهه فعلماؤنا مختلفون في العبارة عنها معها. فقال بعضهم: هي مخفاة لانطباق الشفتين عليهما كانطباقهما على احداهما. وهذا مذهب ابن مجاهد فيما حدثنا به الحسين ابن علي عن أحمد بن نصر عنه. قال: والميم لا تدغم في الباء لكنها تخفى، لأن لها صوتاً في الخياشيم تواخي به النون الخفيفة. والى هذا ذهب شيخنا علي بن بشر رحمه الله. قال أبو العباس محمد بن يونس النحوي المقرئ: في أهل اللغة من يسمي الميم الساكنة عند الباء إخفاء، قال سيبويه: المخفى بوزن المظهر.[١٤١]

وقال آخرون هي مبينة للغنة التي فيها. قال أبو الحسين بن المنادي: أخذنا عن أهل الأداء بيان الميم الساكنة عند الواو والفاء والباء في حسن من غير إفحاش. وقال أحمد بن يعقوب التائب: أجمع القراء على تبيين الميم الساكنة وترك ادغامها اذا لقيتها باء في جميع القرآن. وقال: وكذلك الميم عند الفاء، وذهب الى هذا جماعة من شيوخنا. وحكاه أحمد بن صالح عن ابن مجاهد، وبالأول أقول».[١٤٢]

---

(١٣٩) الاهوازي: الوجيز ١٣ظ، والسخاوي: جمال القراء ١٩٣ظ.

(١٤٠) الاقناع ١/١٨١-١٨٢.

(١٤١) ما عثرت عليه في الكتاب (٤/٤٣٨) هو أن المخفى بزنة المتحرك.

(١٤٢) التحديد ٤٠ظ، ولخص القرطبي في الموضح (١٧٨ظ) كلام الداني المذكور هنا.

وقال مكي: «واذا سكنت الميم وجب أن يتحفظ باظهارها ساكنة عند لقائها باء أو فاء أو واواً. . . لابد من بيان الميم الساكنة في هذا كله ساكنة من غير أن يحدث فيها شيء من حركة، وانما ذلك خوف الاخفاء والادغام لقرب مخرج الميم من مخرجهن، لأنهن كلهن يخرجن من ما بين الشفتين». (١٤٣)

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «واكثر أهل الأداء على اظهارها أيضاً عند الباء». (١٤٤) وقال المرادي «القول بالبيان أشهر، وعليه الأكثر». (١٤٥)

وقال ابن الباذش: «قال لي أبي ـ رضي الله عنه: المعوّل عليه اظهار الميم عند الفاء والواو والباء، ولا يتجه اخفاؤها عندهن إلا بأن يزال مخرجها من الشفة، ويبقى مخرجها من الخيشوم، كما يفعل ذلك في النون المخفاة. وانما ذكر سيبويه الاخفاء في النون دون الميم، (١٤٦) ولا ينبغي أن تحمل الميم على النون في هذا. . . الا أن يريد القائلون بالاخفاء انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً، فذلك ممكن في الباء وحدها في نحو: أكرم بزيد». (١٤٧)

ويبدو لي أن القول باظهار الميم الساكنة عند الباء هو الصحيح، وذلك لأن انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً لا يكفي لتسمية ذلك بالاخفاء الذي قد يلتبس معناه لا سيما اذا انصرف الذهن الى معنى إخفاء النون عند حروف الفم. وقولنا بالاظهار هنا لا يراد منه قطع نطق الميم عن الباء، لأن ذلك يكون في الغاية من الثقل والاستبشاع. (١٤٨) والمتأمل يجد أن نطق الميم الساكنة قبل الباء يكون واحداً عند من سماه إخفاء وعند من سماه إظهاراً. فالاختلاف على الأرجح لفظي فالأَوْلَى اغفاله واجراء حكم الميم الغالب عليها وهو الاظهار.

---

(١٤٣) الرعاية ص ٢٠٦ـ٢٠٧.

(١٤٤) التمهيد ١٥٥ظ.

(١٤٥) المفيد ١١٥و.

(١٤٦) انظر: الكتاب ٤/٤٥٤.

(١٤٧) الاقناع ١/١٨١.

(١٤٨) انظر: القرطبي: الموضح ١٧٨ظ.

وكـان المـرعشي قد عالج هذا الموضوعَ ودقق في خفاياه وفرّق بين حالة الاخفاء وحـالـة الاظهـار من النـاحية الصوتية، وذلك حيث قال: «ان معنى اخفاء الميم ليس إعدام ذاتها بالكلية بل إضعافها وستر ذاتها في الجملة بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشفتان، لأن قوة الحرف وظهور ذاته انما هو بقوة الاعتماد على مخرجها. . .

وبـالجملة ان الميم والبـاء يخرجان بانطباق الشفتين، والباء أدخل وأقوى انطباقاً كما سبق في بيان المخارج، فتلفظ بالميم في (أَنْ بُورِكَ) بغنة ظاهرةٍ وبتقليل انطباق الشفتين جداً، ثم تلفظ بالباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما وتجعل المنطبق من الشفتين في الباء أدخل من المنطبق في الميم.

فزمـان انطبـاقهمـا في (أَنْبُـورِك) أطـول من زمـان انطبـاقهمـا في (أَبُّـورِكَ)، وزمـان انطباقهما في الميم أطول من زمان انطباقهما في الباء لأجل الغنة الظاهرة حينئذ في الميم، اذ الغنة الظاهرة يتوقف تلفظها على امتداد.

ولـو تلفظت باظهـار الميم هنـا لكـان زمـان انطبـاقهمـا فيه كزمان انطباقهما في الباء لإخفـاء الغنة حينئـذ، ويقوىٰ انطباقهما في إظهار الميم فوق انطباقهما في إخفائه، لكن دون قوة انطبـاقهمـا في البـاء، إذ لا غنـة في الباء أصلاً، بخلاف الميم الظاهرة فانها لا تخلو عن أصل الغنة وان كانت خفية. والغنة تورث للاعتماد ضعفاً»(١٤٩)

ولا يبـدو الفـرق جليـاً بين اخفاء الميم واظهارها في كلام المرعشي السابق، مع تقـديـرنـا لدقـة تحليله، ولا نكـاد نجد تفسيراً لقوله في أول كلامه ان اخفاء الميم هو اضعافها بتقليل الاعتماد على مخرجها، فالناطق لا يحتاج الى تكلف هذا النوع من الاخفاء حين ينطق الميم ساكنة قبل الباء، ويكفيه أن يضم شفتيه ويُجري النفس من الخيشوم حتى تستوفي الميم حظها من الغنة، ثم يضغط الهواء عند الشفتين قبل أن ينفـرجـا حتى ينـال الباء حظه من الشدة، فانطباق الشفتين للحرفين انطباق واحد وهو

---

(١٤٩) جهد المقل ٣٠ظ - ٣١و.

شيء تقتضيه طبيعة الصوتين، وهما في أثناء ذلك يحتفظ كل صوت منهما بخواصه النطقية. (١٥٠)

ويتضح من العرض السابق أن أحكام الميم الساكنة اذا تجاوزنا بعض الروايات الضعيفة تنحصر في الاظهار، فادغام الميم لا يتأتى الا في مثلها، وهذا لا يستلزم افراده بحكم مستقل، واخفاؤها عند الباء لا يظهر له وجه، ويحمله كثير من العلماء على معنى الاظهار. ومن ثم قُلْتُ في أول دراسة هذا الموضوع انه لولا بعض المناقشات ولولا بعض الروايات لما وجد الدارس مسوغا لافراد أحكام الميم الساكنة ببحث مستقل

(١٥٠) يفسر بعض المجودين المعاصرين اخفاء الميم عند الباء على نحو لا يتضح له أصل في كلام علماء التجويد الذين اطلعت على كتبهم. وهو أنهم يرون أن الاخفاء هو أن تجافي بين شفتيك حين تنطق بالميم شيئا قليلا، ثم تطبقهما عند نطق الباء بعدها. وكان الشيخ عامر السيد عثمان، وهو أحد علماء القراءة في الأزهر، ومحقق الجزء الاول من كتاب (لطائف الاشارات لفنون القراءات) للقسطلاني بالاشتراك مع الدكتور عبد الصبور شاهين - لا يقبل ممن يقرأ عنده اطباق الشفتين عند نطق الميم قبل الباء ويأبى الا انفراجهما، وذلك عندّ ترددي عليه للقراءة سنة ١٩٧٥م، وقت اقامتي في القاهرة لدراسة الماجستير. ولكني لم أجد في كتب علم التجويد ما يؤكد هذا الاتجاه في فهم اخفاء الميم.

سادساً ـ حقيقة النطق بالحرف المشدد:

الادغـام يعني النطق بصـوتين متماثلين الأول منهما ساكن والثاني متحرك، سواء حصلت تغييرات صوتية تؤدي الى التقاء المثلين أم أن الصوتين متماثلان أصلاً. قال ابن يعيش: «اذا أدغمت المثلين المتحـركين عملت شيئين أسكنت الأول وأدغمته في الثاني، مثل: جعلَ لَك، وجعلَ لَهم. فان كان الأول ساكناً قبل الادغام عملت شيئـاً واحـداً وهـو الادغـام، مثـل: قُلْ لهم، وآجعـلْ له. واذا أدغمت المتقـاربين المتحركين عملت ثلاثة أشياء: أسكنت الأول منهما، وقلبت الأول الى لفظ الثاني، وأدغمت، نحـو: بَيَّتَ طَائفـةٌ. وان كان أحـد المتقـاربين ساكنـاً في أصله مثـل لام المعرفة فليس إلا عملان: قلب الأول، وادغامه، مثل: الرَّجل والذَّاهب». (١)

ويـراد بالتشـديـد الادغـام، وبالحـرف المشـدد الحـرف المدغم، سواء أكان الادغـام ناتجـا من التـركيب مثل: جَعَل لّك، والرَّجل، أم كان من بنية الكلمة مثل: شدّ ومـدّ وقـدّم وقطّـع. وقـد قال الخليـل ان «التشـديد علامة الادغام». (٢) ويسمّى التشديد أيضا التضعيف، وذكر سيبويه أن علامة التضعيف الشين. (٣)

وكـانت عنـايـة علمـاء التجويد بظاهرة الادغام وبالمشددات كبيرة، وقد وقفنا من قبل على جوانب منها. ونريد أن نختم الحديث عن موضوع الادغام بالنظر في بعض النقـاط التي تتعلق بحقيقـة الصـوت المـدغم أو المشـدد. ولا شك في أن علمـاء التجـويـد كانـوا مدركين أن المشدد هو الصوت المدغم. قال عبد الوهاب القرطبي: «أمـا التشـديـد فيحدث اذا التقى حرفان مثلان أو حرفان متقاربان الأول منهما ساكن والثـاني متحـرك، فيقلب أحـدهمـا الى الآخـر فيجب الادغـام، وذلـك بأن يجعـل الاعتمـاد على الحـرفين مرة، فيكـون النطق بهمـا دفعـة من غير وقف على الأول ولا

---

(١) شرح المفصل ١٠/١٣١.
(٢) العين ١/٤٩.
(٣) الكتاب ٤/١٦٩.

فصل بين الحرفين بحركة ولا روم، ويكون الحرفان ملفوظاً بهما ويصيران بالتداخل كحرف واحد لا مهلة بين بعضه وبعضه، ويلزم اللسان أو غيره من المخارج موضعاً واحداً، إلا أن مكثه واحتباسه في المشدد لما حدث من التضعيف أكثر من مكثه واحتباسه في المخفف، كقولك: قَطٌّ وثَمٌّ، وكان الاصل قَطْطَ وثَمْمَ. وقد جَّعل، وهل ثُّوب، والاصل فيه قَدْ جَعل وهلْ ثُوب». (٤)

وتندرج الموضوعات المتعلقة ببيان حقيقة النطق بالصوت المشدد في نقطتين اثنتين، الأولى تتعلق بطول الصوت المشدد، والثانية تتعلق بمراتب التشديد، وما يتبع ذلك من بيان عناية علماء التجويد بالمشددات اذا تتابعت.

١ ـ طول الحرف المشدد:

كل صوت لغوي يحتاج الى زمن معين لانتاجه، يمكن أن نقول مثلاً إن صوت الدال يحتاج الى ربع الثانية لانتاجه، ومثله صوت التاء. ونحن هنا غير متأكدين من زمن نطق الدال في واقع اللغة، وانما قلنا ربع الثانية ليستقيم لنا المثال، وربما كان في الحقيقة أقل من ذلك أو أكثر. مع علمنا أيضاً أن طول الصوت قد يتأثر بموقعه فلاشك أن الصوت اذا كان ساكناً يختلف عنه اذا كان متحركاً، كذلك يختلف اذا كان موقوفا عليه أو غير موقوف عليه.

والصوت المشدد ينتج من التقاء صوتين ساكن ثم متحرك، والقضية التي كانت موضع نقاش بين علماء التجويد هي هل أن طول الصوت المشدد يساوي ضعف طول الصوت المفرد، أي هل يساوي الدال في (قدّم) والتاء في (بتّ) دالين وتاءين، ويحتاج كل منهما من الوقت ضعف ما يحتاجه الدال المفرد والتاء المفرد، فيستغرقان من الوقت نصف ثانية؟ أم أنهما بسبب الادغام يفقدان بعض خواصهما فيقل زمانهما عن نصف ثانية؟

كان لعلماء التجويد مذهبان في فهم طبيعة الصوت المشدد، الأول هو أن

---

(٤) الموضح ١٦٩و وانظر: الداني: التحديد ١٤ظ.

المشدد يقوم مقام حرفين ويستغرق نطقه ما يستغرقه الحرفان من الوقت. والثاني أن زمان الصوت المشدد أطول من زمان الحرف الواحد، وأقصر من زمان الحرفين.

وكان مكي (ت ٤٣٧هـ) قد أخذ بالمذهب الأول، وذلك حيث قال: «اعلم أن المشدد المفرد في القرآن والكلام كثير، وكل حرف مشدد مقام حرفين في الوزن واللفظ، والحرف الأول منهما ساكن والثاني متحرك». (٥) وقال في موضع آخر: «فاذا اجتمع في اللفظ حرفان مشددان فهما بوزن أربعة أحرف، فيجب على القارئ أن يبين ذلك في لفظه، ويعطي كل حرف حقه من التشديد البالغ، والتشديد المتوسط، ومتى فرّط في ذلك فيهما أسقط حرفين في تلاوته، وان فرط في أحدهما أسقط حرفاً من تلاوته». (٦) وقال مكي أيضا: «فاذا اجتمع في اللفظ ثلاث مشددات متوليات فهن مقام ستة أحرف في الوزن والأصل». (٧) ومثال التشديد المفرد ﴿عَلَّمَ﴾ (البقرة ٣١)، و﴿من ماء﴾ (البقرة ١٦٤)، ومثال اجتماع المشددين: ﴿اطَّيَّرنا﴾ (النمل ٤٧) و﴿ازَّيَّنَتْ﴾ (يونس ٢٤)، ومثال اجتماع الثلاثة ﴿في بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ﴾ (النور ٤٠).

وذهب عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) هذا المذهب أيضاً حيث قال: «الواجب معرفته من كيفية النطق بالمشدد وصفة التلفظ به هو أن يكون مقدار زمان النطق بحرفين ساكن ومتحرك، ولا يزيد على ذلك فيصير كأنه نائب مناب أكثر من حرفين، ولا يقصر دونه فيكون قد أخل من الكلام بحرف، بل يتحرى من ذلك ما يكفيه مؤونة الزيادة والنقصان، وينظم له المقصود في أبهى معرض من الحسن والاحسان». (٨).

وقال طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): «وكيفيته أن يجعل أول الحرفين اللذين يراد إدغام الأول في الثاني من جنس الثاني، وتسلب حركة المتحرك منهما، فأُدْخِلَ

---

(٥) الرعاية ص ٢١٩. وانظر: ابن الجزري: التمهيد ص ٧٤.

(٦) الرعاية ص ٢٢١.

(٧) الرعاية ص ٢٢٥.

(٨) الموضح ١٦٩ظ.

الأول منهما في الثاني تقديراً، ونبا اللسان بهما نبوة واحدة، فصارا لشدة الامتزاج في السمع كالحرف الواحد، وإلا فهو حرفان في الحقيقة، وعوّض التشديد، وهو حبس الصوت في الحيز بعنف، وليس التشديد عوضاً عن الحرف المدغم، بل عما فاته من الاستقلال في اللفظ، وإذا أصغيت الى لفّظك سمعته ساكناً مشدداً ينتهي الى محرك مخفف». (٩)

وقال ابو الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠هـ): «الناطق بالحرف المدغم ناطق بحرفين أولهما ساكن والثاني متحرك» ثم قال: «الصحيح أن الحرفين ملفوظ بهما». (١٠)

اما المـذهب الثاني الذي يُقَدِّرُ الحرف المشدد بأقل من حرفين فيمكن أن يفهم ذلـك من قول الـداني (ت ٤٤٤هـ): «ويلزم اللســان موضعاً واحداً، غير أن احتباسه في موضع الحرف لما زاد فيه من التضعيف أكثر من احتباسه بالحرف الواحد». (١١)

وكان الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) قد صرح بذلك في قوله: «والذي أرى أنه ليس الادغـام الإتيـان بحرفين، بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قويّ، سواء كان الحـرف متحـركـاً نحـو يمـدُّ زيـد، أوساكنـا نحـو يمدّ، وقفاً». (١٢) كما ان الجاربردي قال: «وزمانه أطول مُن زمان الحرف الواحد، وأقصر من زمان الحرفين». (١٣) وقد اخذ بهذا المذهب بعض علماء التجويد المتأخرين فنقلوا قول الجاربردي. (١٤)

وقـال المـرعشي (ت ١١٥٠هـ): «اعلم أن هيئـة الحرف المشدد أن يعتمد على المخرج اعتمادة واحدة قوية فوق الاعتماد في المخفف». فيكون الأول كالمستهلك

---

(٩) شرح المقدمة الجزرية ٢٣ظ.

(١٠) الجواهر المضية ٥٣و، ٥٤ظ.

(١١) التحديد ١٥و.

(١٢) شرح الشافية ٣/٢٣٥.

(١٣) شرح الشافية ص ٢٣٤.

(١٤) أحمد فائز الرومي: شرح الدر اليتيم ١٥و. والمرعشي: جهد المقل ٢٤و.

لعدم استقلاله في التلفظ، «ومعنى عدم استقلاله في التلفظ عدم الفراغ عند تلفظه قبل الثاني، والفراغ انما يكون برفع اللسان في اللساني، والشفة في الشفوي، والحلق في الحلقي، عن مخرج الحرف، وذلك الرفع إن وجد يكون فاصلاً بين الحرفين ويستقل الحرف الأول، وينتفي الادغام. فحقيقة الادغام التلفظ بالمثل الثاني قبل الفراغ عن المثل الأول، ومعنى وحدة الاعتماد في المشدد في قول الرضي هو عدم وجود ذلك الفاصل». (١٥)

ذلك هو رأي علماء التجويد في الحرف المشدد، فأين يقف رأيهم بالنسبة الى الدرس الصوتي المعاصر؟ الواقع أن علماء الأصوات المحدثين لم يبتعدوا كثيراً عما قرره علماء التجويد، بل إنهم لم يتجاوزوه إن أردنا الدقة. ذلك أن بعضهم ذهب الى أن المشدد لا يقابل صوتين مستقلين إنما هو صوت واحد أُطيل زمن الاعتماد عليه. (١٦) وقد قال بعضهم: «التشديد مد للحروف الصامتة نظير لمد الحروف الصائتة». (١٧)

وذهب بعض المحدثين الى ان الصوت المشدد يقابل صوتين اثنين، وقال: «ان طريقة لفظ الأصوات اللغوية ليس هو المقياس لاعتبارها صوتاً واحداً أو صوتين، وانما المقياس هو التحليل الذي يفسر الظواهر اللغوية تفسيراً أفضل. ومن وجهة النظر هذه نجد أنه لابد من اعتبار الصوت المشدد في اللغة العربية صوتين لغويين متماثلين لا صوتاً واحداً، وذلك لأسباب عدة». (١٨) وذكر عدة أسباب تتلخص في أن الصوت المشدد يقابل صوتين في بنية الكلمة العربية. فالدال في (ارتدَّ) تقابل صوتين في (ٱرْتَدَدْتُ) والنون في (أَسِنَّة) تقابل صوتين في (سِنَان). والدال في (مَدَّ) تساوي صوتين لأنها على وزن (فَعَل) بدليل (مَدَدْتُ). وكذلك فان العروض العربي يقتضي اعتبار المشدد صوتين صحيحين متوالين. (١٩)

---

(١٥) جهد المقل ٢٤و. وانظر: الرضي الاستراباذي: شرح الشافية ٣/٢٣٥.

(١٦) انظر: فندريس: اللغة ص ٤٩.

(١٧) برجستراسر: التطور النحوي ص ٣٤.

(١٨) داود عبده: أبحاث في اللغة العربية ص ٣٠.

(١٩) انظر: المصدر نفسه ص ٣٠-٣٣.

ونحن هنا أمام اتجاهين في معالجة الصوت المشدد، الاتجاه الأول يعتمد على التحليل الصوتي فيكون الصوت المشدد على أساسه صوتاً واحداً أطيل الاعتماد عليه، ولكن دون أن يستغرق زمان صوتين اثنين في طوله. والاتجاه الثاني يعتمد على التحليل الصرفي، فيكون الصوت المشدد على أساسه قائماً مقام صوتين متماثلين صحيحين غير ناقصين.

ويبدو لي أن المنهج الصحيح في فهم الصوت المشدد ينبغي أن يراعي نوع الدارسة التي يعالجها الدارس، وعلى أساسها تتحدد طبيعة الصوت المشدد. فالدرس الصوتي يعتمد في تحديد الصوت المشدد على ما هو منطوق ومسموع، بينما الدرس الصرفي يعتمد في تحديد طبيعة الصوت المشدد على دوره في بنية الكلمة.

وذهب الدكتور عبد الصبور شاهين الى أن الصوت المشدد ينبغي أن ينظر اليه من ناحيتين الأولىٰ صوتية (نطقية)، والثانية صرفية، وذلك حيث قال: «. . . فاذا نظرنا في نطق الصامت المضعف الى طبيعة العملية النطقية ووحدتها ـ قلنا: إنه صامت طويل، يشبه الحركة الطويلة التي تساوي ضعف الحركة القصيرة. هذا من الناحية الصوتية.

وأما اذا نظرنا الى أصله من الناحية الصرفية، أي من حيث جواز تقسيمه الى صامتين قصيرين، قلنا: انه صامت مكرر». (٢٠)

ويلاحظ هنا أن كلام دارسي الأصوات المعاصرين عن المشدد يتجه الى القول بأنه صوت طويل أو أنه صوتان متواليان، أكثر من اتجاهه الى تحديد طول الصوت المشدد وتحديد زمان النطق به على نحو واضح ومحدد، كما لاحظنا في كلام علماء العربية وعلماء التجويد حين قالوا: «ان زمان النطق بالمشدد أطول من زمان الحرف الواحد، وأقصر من زمان الحرفين»، فقول المعاصرين ان المشدد صوت طويل لا يوضح الزمان الذي يحتاج اليه نطقه.

---

(٢٠) المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٢٠٧.

ولمـا كان علم التجـويـد يعنى بالنـاحيـة الصوتية والعملية النطقية فاني أميل الى القول بأن الصوت المشدد صوت طويل يحتاج نطقه الى زمان أطول من زمان الصوت الواحد ولكنه اقصر من زمان الصوتين. ولا نستطيع الدخول في التفاصيل واستخدام أجـزاء الثـانية في تحديد زمان النطق بالصوت المشدد، لكون ذلك غير متيسر الآن، وربما مضى وقت غير قصير قبل أن يتمكن دارسو الأصوات العربية من الحديث عن الزمن الذي يحتاجه نطق كل صوت من أصوات اللغة العربية. ويظل علماء التجويد في كلامهم عن طول الصوت والزمان الذي يحتاجه في النطق متقدمين على ما كتبه دارسـو الأصـوات العـربيـة في زمـاننا الذي تقدمت فيه الدراسات الصوتية في العالم تقـدمـاً لم يقف عنـد حد، وصار يعتمد على أدق الأجهزة في اختبار الأصوات وقياس أطـوالهـا، ولكن شيئاً من ذلك لم يوضع في خدمة الدراسات الصوتية العربية بشكل جديٍّ ومتيسر للباحثين.

٢ ـ درجات التشديد:

يتفاوت الصوت المشدد في مقدار التلبث في نطقه تبعاً لطبيعة الصوت المشدد، فلاشك في أن الصوت الشديد حين يشدد يكون نطقه أسرع من نطق الصوت الرخو اذا شدد. وهما أسرع في النطق من الصوت المشدد الأغن. وقد قسم علماء التجويد المشـددات الى مراتب تبعـاً لذلك. وبين أيدينا محاولتان لتقسيم المشددات الأُولىٰ ذكرها مكي في كتابه (الرعاية)، والثانية نقلت عن ابن وثيق.

قال مكي (ت ٤٣٧هـ): «اعلم أن الحروف المدغمات على ثلاثة أضرب:

ضرب مدغم فيـه زيـادة مع الادغـام الـذي فيها، وذلك نحو الراء المشددة، فيها إخفاء تكريرها مع الادغام الذي فيها، فهو زيادة في الادغام، وزيادة في التشديد.

والثـانيـة: إدغـام لا زيـادة فيه، وهو كل ما أدغم لا إخفاء معه ولا إظهار غنة، ولا إطباق ولا استعلاء معه، نحو الياء من (ذُرِّيَّة)، والياء والجيم من (لُجِّيّ) فهذا تشديده دون الراء المشددة، لأجل زيادة الاخفاء للتكرير في الراء.

والثالث: مدغم فيه نقص من الادغام، وذلك نحو ما ظهرت معه الغنة أو الاطباق أو الاستعلاء نحو (مَنْ يُؤْمِن) و(أَحَطْتُ) و(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) فهذا تشديده دون تشديد الثاني الذي لا نقص معه في إدغامه ولا زيادة». (٢١)

والمحاولة الثانية نقلها ابن الجزري في كتابه (التمهيد) على هذا النحو: «قاعدة: ذكر صاحب التجريد، (٢٢) فيما حكاه عن أبي اسحاق ابراهيم بن وثيق (ت ٦٥٤هـ) أن المشددات على ثلاث مراتب:

الأولى: ما يشدد بخَطْرَفَةٍ، (٢٣) وهو بلا غنة فيه.

الثانية: ما يشدد بتَرَاخٍ، قال: وهو ما شدد وبقيت فيه غنة مع الادغام، وهو إدغام الحرف الأول بكماله، وذلك لأجل الغنة.

الثالثة: ما يشدد بتراخي التراخي، وهو إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء، انتهى.

قلت (ابن الجزري): وهذا قول حسن، وتظهر فائدته في نحو (انّ رَبِّي على صِرَاطٍ مّستقيمٍ. وّإن تولوا)(٢٤) فأبلغ التشديد على الباء ثم الميم، ثم الواو». (٢٥)

ويولي علماء التجويد عناية خاصة بالأصوات الغُنّ إذا شددت سواء أكان التشديد خالصاً أم ناقصاً لأجل الغنة التي فيها، والتي تحتاج الى تمهل لأنها تشبه صوت المد. من ذلك قول عبد الوهاب القرطبي: «وينبغي أن يكون التشديد ولا غنة فيه

(٢١) الرعاية ص ٢٢٩.

(٢٢) أبو الحسن علي بن يعقوب بن شجاع، المعروف بالعماد بن أبي زهران الموصلي (ت ٦٨٢هـ) وهو تلميذ ابن وثيق، ومؤلف كتاب التجريد في التجويد (انظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/٥٨٤).

(٢٣) الخطرفة: يمكن أن تفسر بالسرعة (انظر: لسان العرب لابن منظور ١٠/٤٢٦ خطرف).

(٢٤) في المصحف ﴿... صراط مستقيم. فان تولوا﴾ (سورة هود ٥٦-٥٧). لكن الذي ينساب كلام ابن الجزري هو (وان لم)، ومن ثم أبقيت النص على ما مثّل به.

(٢٥) التمهيد ص ٧٥.

بزنة حرفين، ومع الغنة أقل من اظهار حرفين». [٢٦] وكذلك قوله في الميم والنون اذا شددتا: «وينبغي أن يكون تشديد هذا الباب أعني تشديد الميمين آخذاً حالاً متوسطة من غير إشباع ولا ترفيه، لما يحافظ عليه من إبقاء الغنة . . . وكذلك حال النون». [٢٧]

وقال علي القارى: «بَالِغْ في إظهار الغنة الصادرة من نون وميم مشددتين، نحو أنَّ وثُمَّ. وإنما قدرنا المبالغة، لأن الغنة صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا ظاهرتين أو مخافتين أو مدغمتين. . . ». [٢٨]

والناظر في كتب علم التجويد يلاحظ اهتمام علماء التجويد بالمشددات، لاسيما اذا تتباعت، وقد بالغ مكي في العناية بذلك، حتى حملته تلك العناية على أن يفرد باباً مستقلاً طويلاً للمشددات، تحدث فيه عن المشدد اذا جاء مفرداً، وعما اجتمع فيه مشددان، وعما اجتمع فيه ثلاثة مشددات. كما تحدث فيه عن مراتب المشددات وعن الوقف على الصوت المشدد. [٢٩]

ولم يهمل علماء التجويد الآخرون موضوع المشدد، لكن لا يتناسب مع منهجنا في البحث أن ننقل كل ما نجده في كتب علم التجويد عن هذا الموضوع، ولهذا سوف نكتفي بايراد بعض النصوص التي توضح جانباً من جهد علماء التجويد في هذا المجال. وهي وما تقدم في صدر الكلام عن المشدد كافية في إعطاء صورة واضحة عن موقف علماء التجويد من موضوع المشددات.

فمن ذلك قول الداني: «ينبغي أن يُعطىٰ كل مشدد حقه من الادغام، من غير إفراط ولا سكت ولا قطع على أول المدغم». [٣٠] وقول أبي العلاء الهمذاني العطار: «إذا توالىٰ حرفان مشددان أو ثلاثة أحرف مشددة نحو قوله ﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾ (البقرة ١١٨)

---

(٢٦) الموضح ١٧٠ظ.

(٢٧) الموضح ١٧٢و.

(٢٨) المنح الفكرية ص ٣٩.

(٢٩) الرعاية ص ٢١٩-٢٣٥.

(٣٠) التحديد ٣٠ظ.

و﴿زَيَّنَّا﴾ (الانعام ١٠٨) و﴿من شَرِّ النَّفَّاثات﴾ (الفلق ٤)، ونظائرها، فأخلق بتمييزها». [٣١]

وقـد نبّـه عبد الوهاب القرطبي على ضرورة العناية بالمشددات اذا تتباعت، أكثر من العناية بالمشدد المفرد، وذلك حيث قال: «ومما تتعين ملاحظته في باب التشديد ترك التفريط فيه، واعتماد مؤاخاته، فيما اذا توالت عدة تشديدات وتجاورت . . . لأن بعضه يصير كالمثقال للبعض، فيعلم باجتماعه وتواليه ناقصه من زائده، وتصير نسبة الافراط فيه الى التفريط فيه نسبة المشدد الى المخفف، فيبين خلل ذلك، بخلاف ما اذا كان التشديد متفرقاً فانه لا يكون هناك ما يوزن به، فلا يبين الخلل فيه». [٣٢]

(٣١) التمهيد ١٥٢و.

(٣٢) الموضح ١٧٣و.

سابعاً ـ الترقيق والتفخيم :

التفخيم والاطباق والاستعلاء من واد واحد، وقد سبق الحديث عن هذه الصفات وعن أضدادها: الترقيق والانفتاح والاستفال في مبحث صفات الحروف.[1] وانما عدنا الى هذا الموضوع مرة أخرى لأن بعض أحكامه ناشئة عن التركيب. فالاطباق والإستعلاء وضداهما من صفات الأصوات اللازمة، وهي تورث موصوفها التفخيم، لكن بعض الأصوات يلحقها التفخيم أو الترقيق حين تجاور أصواتاً اخرى.

قال المرعشي: «والتفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه. والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد. والترقيق عبارة عن نحول جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه.[2] وحروف الاستعلاء كلها مفخمة، ولا يجوز تفخيم شيء من حروف الاستفالة الا الراء واللام في بعض أحوالهما، وسيجيء بيان ذلك، وإلا الألف المدية فانها تابعة لما قبلها. . .

ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الاطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء. . . وبالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والاطباق».[3]

وهناك اتجاه لدى بعض علماء التجويد نحو تخصيص مصطلح معين يستخدم مع اللام في مقابل الترقيق وهو التغليظ، ومع الراء في مقابل الترقيق وهو التفخيم. كما أن بعضهم استخدم للتعبير عن الترقيق في الراء الامالة بين اللفظين، وهو تجوز اذ الامالة تختص بالألف[4] أو على حد تعبير بعضهم: الترقيق في الحرف دون

---

(١) انظر ص ٢٨٧ من هذا البحث.

(٢) أصل التعريف الوارد هنا لكل من التفخيم والترقيق هو لابن الطحان في كتابه: مرشد القارئ ١٣٥و.

(٣) جهد المقل ١٥ظ، وانظر: على القارى: المنح الفكرية ص ٢٦، والنابلسي: كفاية المستفيد ١١ظ.

(٤) انظر: ابن الجزري: النشر ٢/ ٩٠.

الحركة، والامالة في الحركة دون الحرف.[٥]

وذكر المرادي أن حروف الاستعلاء من غير المطبقة لا تفخيم فيها، وهي القاف والغين والخاء. وذلك حيث قال: «وقول بعضهم إن الخاء مفخمة على كل حال، وكذلك الغين، يعني بالتفخيم ما في صوتها من الاستعلاء. والتحقيق ان المفخم من حروف الاستعلاء أربعة أحرف، وهي المطبقة، وباقي حروف الاستعلاء أعني القاف والغين والخاء لا تفخيم فيها، وبين التفخيم والاستعلاء فرق مذكور في موضعه».[٦]

ومن ثم فان المرادي حين ذكر حروف التفخيم أخرج منها الحروف الثلاثة، وذلك حين قال: «واعلم أن الحروف بالنسبة الى التفخيم والترقيق أربعة أقسام:

١ ـ مفخم مطلقا، وهو حروف الاطباق.

٢ ـ ومرقق مطلقا وهو سائر الحروف الا الراء واللام.

٣ ـ وما أصله التفخيم وقد يرقق، وهو الراء.

٤ ـ وما أصله الترقيق وقد يفخم، وهو اللام».[٧]

وقد خالف المرادي جميع من اطلعت على آرائهم من علماء العربية وعلماء التجويد حين أخرج الحروف الثلاثة من حروف التفخيم. وقوله السابق (وبين التفخيم والاستعلاء فرق مذكور موضعه) لم نقف على الموضع الذي أشار اليه. والذي يفهم من كلام علماء التجويد هو أن التفخيم صفة صوتية ناتجة عن الاطباق والاستعلاء، ومن ثم وجدنا المرعشي يقول: «وبالجملة ان قدر التفخيم على قد الاستعلاء والاطباق».[٨] وقد أكد الدرس الصوتي الحديث ان التفخيم ظاهرة صوتية ناتجة عن الاطباق، حيث يأخذ اللسان شكلاً مقعراً، وعن الاستعلاء حيث يتراجع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك.[٩]

---

(٥) انظر: الداني: التحديد ٣٩و، وعلي القاري: المنح الفكرية ص ٢٦.

(٦) المفيد ١٠٥و.

(٧) شرح الواضحة ص ٥٥.

(٨) جهد المقل ١٦و.

(٩) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٠.

ويبدو أن الوفائي كان يرد على مذهب المرادي السابق حين قال: «ثم اعلم أن الحروف بالنسبة الى التفخيم والترقيق على أربعة أقسام: منها ما هو مفخم مطلقا، وهي حروف الاطباق الأربعة وبقية حروف الاستعلاء على الصواب...»[10] فقوله (على الصواب) فيه أشارة الى مذهب من خالف، وهو المرادي.

وقد قال علي القارى: «وأما الحروف المستعلية فمفخمة كلها من غير استثناء شيء منها».[11] الا ان تفخيم حروف الاستعلاء على درجات، لأن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والاطباق. قال المرعشي: «اعلم ان التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الاطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء، كما صرح به ابن الجزري في نظمه، ولما كانت الطاء المهلمة أقوى في الاطباق من أخواتها كان تفخيمها أزيد من تفخيم أخواتها، كما في الرعاية والتمهيد.

أقول (المرعشي): لما كان الصاد والضاد متوسطتين في الاطباق كما عرفت كانتا متوسطتين في التفخيم أيضا، ولما كانت الظاء المعجمة أضعف حروف الاطباق في الاطباق كان تفخيمها أقل من تفخيم أخواتها، وبالجملة ان قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والاطباق. فالطاء المهلمة أفخم الحروف. ولما كان القاف أبلغ في الاستعلاء من الغين والخاء المعجمتين كما عرفت كان أفخم منها.

قال:[12] وحروف الاستعلاء عن ابن الطحان الاندلسي[13] ثلاثة أضرب في مقدار التفخيم:

الاول: ما تمكن أي قَوِي فيه التفخيم وهو ما كان مفتوحا.

والثاني: ما كان دونه وهو المضموم.

---

(١٠) الجواهر المضية ٥٠ظ.

(١١) المنح الفكرية ص ٢١.

(١٢) انظر: ابن الجزري: التمهيد ص ٣٨، والنشر ١/ ٢١٨.

(١٣) هو عبد العزيز بن علي بن محمد الاندلسي (ت حوالي ٥٦٠هـ) المعروف بابن الطحان، وهو مؤلف كتاب (الانباء في تجويد القرآن) وكتاب (مرشد القارئ الى تحقيق معالم المقارئ). انظر: رقم ١١ من قائمة مصادر علم التجويد في هذا البحث.

والثالث: ما كان دون المضموم وهو المكسور. . .»[١٤]

ويبدو أن كون الحروف الثلاثة: القاف والخاء والغين أقل الحروف المفخمة تفخيماً هو الذي حمل المرادي على إخراجها من المفخمات، وهو الذي حمل بعض المحدثين على القول إن لها بعض القيمة التفخيمية لكنها لا توصف بأنها مفخمة.[١٥] لكن الذي عليه جمهور العلماء هو ان جميع حروف الاستعلاء مفخمة، وقد تقدم بشأنها ما فيه الكفاية. وبقي أن ننظر في الأحوال التي تفخم فيها الحروف الثلاثة: الراء واللام، ثم الالف التي سنتحدث عنها بعد ذلك.

١ ـ تفخيم الراء وترقيقها:

اختلف علماء القراءة والتجويد في أصل الراء هل هو التفخيم أو الترقيق. فذهب الجمهور الى الأول. واحتج له مكي بقوله: «الدليل على أن أصلها التغليظ (أي التفخيم) أن كل راء غير مكسروة فتغليظها جائز، وليس كل راء يجوز فيها الترقيق. ألا ترى أنك لو قلت: رَغَداً، ورَقَدَ، ونحوه، بالترقيق لغيّرت لفظ الراء الى نحو الامالة؟ وهذا لا يمال، ولاعلة فيه توجب الامالة فيه».[١٦]

ولا يتضح وجه لاستدلال مكي على أن أصل الراء التفخيم بقوله: «ان كل راء غير مكسورة فتغليظها جائز» لان هذا القول معناه ان الراء غير المكسورة يجوز فيها الترقيق والتفخيم، وهو ما لا يقوم به دليل، وكلام مكي بنصه السابق لا يخلو من تناقض، لأنه مسوق للاستدلال به على أن الأصل في الراء التفخيم بينما هو يمكن أن يستدل به على العكس. ولو كان النص (كل راء مكسورة فتغليظها جائز، وليس كل راء غير مكسورة يجوز فيها الترقيق) لكان مستقيماً. ونقل القسطلاني عبارة مكي على هذا النحو (كل راء مكسورة تغليظها غير جائز).[١٧] وهو تصرف في العبارة لا يحل الاشكال الموجود في النص.

---

(١٤) جهد المقل ١٥ظ ـ ١٦و.

(١٥) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٦ و١٠١-١٠٢.

(١٦) الكشف ١/٢٠٩، وانظر: ابن الجزري: النشر ٢/١٠٨.

(١٧) لطائف الاشارات ١/٢٠١.

واحتج غير مكي «على أن أصل الراء التفخيم بكونها متمكنة في ظهر اللسان فقربت بذلك من الحنك الأعلى الذي به تتعلق حروف الاطباق، وتمكنت منزلتها لما عرض لها من التكرار حتى حكموا للفتحة فيها بأنها في تقدير فتحتين، كما حكموا للكسرة فيها بأنها في قوة كسرتين.

«وقال آخرون: ليس للراء أصل في التفخيم ولا في الترقيق، وانما يعرض لها ذلك بحسب حركتها فترقق مع الكسرة لتسفلها، وتفخم مع الفتحة والضمة لتصعدهما، فاذا سكنت جرت على حكم المجاور لها. . . وانما كلام العرب على تمكينها من الطرف اذا انكسرت فيحصل الترقيق المستحسن فيها اذ ذاك، وعلى تمكينها الى ظهر اللسان اذا انفتحت أو انضمت فيحصل لها التغليظ الذي يناسب الفتحة والضمة». [١٨]

ومع أن الكلام عن أصل الراء هل هو التفخيم أو الترقيق لا يغير من أحكامها شيئا الا أن القول بأن تفخيمها وترقيقها تابع لحركتها أولى من غيره، فان حكم الراء يتضح ارتباطه بحركتها أو حركة ما قبلها على نحو واضح وأكيد.

وقد لخص ابن الجزرى حكم الراء من حيث الترقيق والتفخيم بقوله: «ترقق مع الكسرة لتسفلها، وتفخم مع الفتحة والضمة لتصعدها». [١٩] وهذا قانون عام في موضوع الراء، وقد تكفلت كتب القراءات وكتب التجويد بشرحه وتفصيل الأحكام التي تنبني عليه على نحو ليس فيه اضطراب ولا غموض. وكانت لعلماء التجويد طرائق متعددة في عرض تلك الاحكام.

فمن علماء التجويد من يقسم أحكام الراء بحسب الاتفاق والاختلاف في التفخيم والترقيق. [٢٠] ومن ذلك قول القسطلاني: «وأنت اذا اعتبرت مذاهبهم فيها وجدتها على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلفوا في تفخيمه عملا بالأصل، وقسم اختلفوا

---

(١٨) النشر ٢/١٠٨-١٠٩، وانظر: الدركزلي: خلاصة العجالة ١٦٤ظ.

(١٩) النشر ٢/١٠٨.

(٢٠) انظر: ابن الباذش: الاقناع ١/٣٢٤، وابن الجزري: النشر ٢/٩١.

فيـه فرققه ورش، وقسم لم يختلفوا في ترقيقه وذلك لموجب، هو اذا كانت الراء مكسورة كسـرة لازمـة أو عارضـة تامـة أو ناقصـة، سواء كانت أولاً أو وسطاً أو طرفاً، منونة أو غير منونة، سكن ما قبلها أو تحرك، وقع بعدها حرف مستفل أو مستعل في اسم أو فعل». (٢١)

ومن علمـاء التجـويد من قسم أحكام الراء بحسب حركتها هي، قال المرعشي: «امـا الـراء فهي إمـا متحـركـة وإما ساكنة، والساكنة إما ساكنة لأجل الوقف أولا فهنا ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الراء المتحركة، وهي إما مكسورة، وهي ترقق بلا خلاف، سواء كانت كسرتها لازمة مثل ﴿رِزْق﴾ (البقرة ٦٠) أم عارضة[٢٢] مثل ﴿ذَرِ الـذين﴾ (الانعـام ٧٠). وسـواء لم يقـع بعدها حرف استعلاء كما في المثـالين المـذكـورين، أو وقـع نحو ﴿الرِّقاب﴾ (البقرة ١٧٧). وإما مفتوحة أو مضمومة، وهما تفخمان نحو ﴿رَبِّ العالمين﴾ (الفاتحة ٢) و﴿رُؤْيَـاكَ﴾ (يـوسف ٥)، كذا قال. أقـول: هذا عنـد جمهـور القراء وعـاصم معهم، وليس عنـد الجميع، لأن ورشا يرقق الراء المضمومة بعـد الكسـرة اللازمة . . . وكذا يرقق المفتوحة مع امالتها قليلا بعد الياء الساكنة . . . وبيان تلك المواضع في كتب القراءات . . .

الفصل الثاني: في الراء الساكنة التي ليس سكونها لأجل الوقف، وهي إما واقعة بعد الفتحة أو الضمة فانها حينئذ تفخم بلا خلاف ولا اشتراط شيء، نحو ﴿العَرْش﴾ (الاعراف ٥٤) و﴿كُرْهٌ﴾ (البقرة ٢١٦) و﴿وَٱنْحَرْ﴾ (الكوثر ٢) و﴿أْمُـرْ﴾ (الاعـراف ١٤٥). وإمـا واقعـة بعد الكسرة فانها حينئذ ترقق بشروط ثلاثة:

الاول: أن تكون الكسرة لازمة غير عارضة.

والثاني: أن تكون الكسرة متصلة بالراء في كلمتها.

---

(٢١) اللآلئ السنية ورقة ١٨و.

(٢٢) في الاصل (وأما متحركة) لكن الذي يناسب السياق هو (أم عارضة).

والثالث: أن لا يكون بعد الراء في كلمتها حرف استعلاء. . .

الفصل الثالث: في حكم الراء الساكنة التي سكونها لأجل الوقف عليها، وانما قيد به لأنها اذا وقف عليها وكانت ساكنة قبل الوقف عليها نحو ﴿وانْحَرْ﴾، ﴿وثيابَكَ فَطَهِّرْ، والرجزَ فاهْجُرْ﴾ فهي كما في الوصل في جميع الأحوال وقد سبق بيانه. واما اذا كانت متحركة قبله وسكنت لأجل الوقف عليها بالروم فهي كما في الوصل. . . وان وقف عليها بالسكون المحض فان كان ما قبل الراء الساكنة مكسوراً فالراء ترقق عند الجميع. . . وان كان ما قبل الراء الساكنة في الوقف مفتوحاً أو مضموماً فانها تفخم حيئذ عند الجميع. . .». [٢٣]

واكتفى عبد الغني النابلسي بحصر المواضع التي ترقق فيها الراء، وذلك حيث قال: «وأما الراء فهي مفخمة حيث وقعت، لا يجوز ترقيقها الا بأحد سببين:

السبب الاول: كسرها مطلقا، ولو كسرة عارضة، نحو: ﴿أنْذِرِ الناس﴾ (ابراهيم ٤٤) و﴿اذكرِ اسمَ ربكَ﴾ (المزمل ٨).

السبب الثاني للترقيق: كسر ما قبلها فيما اذا كانت ساكنة سكوناً لازماً، نحو ﴿فِرْعَوْن﴾ (البقرة ٤٩) أوعارضا نحو ﴿بُعْثِرْ﴾ (العاديات ٩) في حالة الوقف بشرط أن لا يكون بعدها حرف مفخم نحو: ﴿فِرْقَة﴾ (التوبة ١٢٢) و﴿قِرْطَاس﴾ (الانعام ٧)، و﴿بالمِرْصَاد﴾ (الفجر ١٤)، وأن لا تكون الكسرة قبلها عارضة نحو ﴿انِ ارْتبتم﴾ (المائدة ١٠٦)، والا تفخم.

والياء الساكنة تقوم مقام كسر ما قبلها نحو ﴿قدير﴾ (البقرة ٢٠) و﴿خبير﴾ (البقرة ٢٣٤) حالة الوقف. والحرف الساكن بين الراء وبين الكسرة ليس بمانع من الترقيق، نحو ﴿أهْل الذِكْر﴾ (النحل ٤٣) حالة الوقف، ولوكان صادا نحو ﴿ادخلوا مِصْر﴾ (يوسف ٩٩)، (أوطاء)[٢٤] نحو ﴿عينَ القِطْر﴾ (سبأ ١٢) فان الراء ترقق في جميع

(٢٣) جهد المقل ٢١ظ - ٢٣ظ.

(٢٤) زيادة ليست في الاصل يقتضيها السياق، ويدل عليها ما ورد في جهد المقل (ورقة ٢٣ظ) للمرعشي.

ذلك. وفيما عدا ذلك تفخم». [٢٥]

وقد وضّح عبد الوهاب القرطبي كيفية إنتاج الراء المرققة والراء المفخمة، وذلك حيث قال: «واعلم أن الراء يتغير اللفظ بها من حيث أنها نرق في حال وتغلظ في حال وذلك تابع لحركتها وسكونها، فان كانت متحركة فلا تخلو من أن تكون مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة.

فان كانت مكسورة رقت، وكان العمل فيها برأس اللسان، ومعتمدها أدخل الى جهة الحلق في الحنك الأعلى يسيراً، وأخذ اللسان من الحنك أقل مما يأخذ مع المفخمة، فينخفض اللسان حينئذ فلا ينحصر الصوت بينه وبين الحنك فتجيء الرقة...

فان كانت مضمومة أو مفتوحة فخمت، وكان ما يأخذه طرف اللسان منها اكثر مما يأخذه مع الترقيق، وكان معتمد اللسان أخرج في الحنك الأعلى يسيراً، فينبسط حينئذ اللسان وينحصر الصوت بينه وبين الحنك، فيحدث التفخيم لذلك». [٢٦]

وكانت عناية دارسي الأصوات العربية من المحدثين بأحكام الراء محدودة، ويكاد الدكتور ابراهيم أنيس يكون أكثرهم اهتماماً بالموضوع، لكن كلامه الموجز في ذلك جاء مشحوناً بجوانب القصور، فهو يقول: «ورغم اختلاف القراء في تفخيم الراء وترقيقها الى حد يشبه الاضطراب، يمكن أن نستخلص من تلك الآراء المتشعبة ضوابط عامة يكاد يجمع عليها القراء». [٢٧] ولا يقال عن مثل هذا الكلام إلا ما قاله ابن الجزري من قبل: «وهذا كلام من لم يطلع على مذاهب القوم في اختلافهم في ترقيق الراءات». [٢٨] فما هي مظاهر الاضطراب التي يشكو منها الدكتور ابراهيم أنيس، وأين تلك الآراء المتشعبة التي ضل في متاهاتها؟

إن الدارس حين يلاحظ تعدد الحالات المتعلقة بظاهرة ترقيق الراء لا ينبغي أن

---

(٢٥) كفاية المستفيد ١٢و.

(٢٦) الموضح ١٦١و.

(٢٧) الاصوات اللغوية ص ٦٦.

(٢٨) النشر ٢/ ٩٥-٩٦.

يحمله ذلـك على رمي علمـاء القـراءة بالاضطـراب ولا الاعتقاد بان ذلك التعدد من علامات القصور في دراسة الموضوع، بل أن الدارس الحديث يرى في ذلك التعدد المنهـج الصحيـح لدراسة الظواهر اللغوية، ذلك المنهج الذي يعنى بوصف الظواهر اللغوية كما هي من غير أن يكون من هدفه اختصارها أو توحيدها، بل غاية ما يمكن أن يفعله بعد وصفها هو تقديم تفسير لها.

وإذا تجـاوزنـا مقـولة الدكتور ابراهيم أنيس السابقة وانتقلنا الى النظر في الضوابط العـامـة التي وضعهـا وجـدنـاه يقع في أخطاء كان يكفيه في تجنبها أن يرجع الى أي كتـاب من كتب علم التجـويـد أو كتب القـراءات، وينظـر في موضوع أحكام الراء. ولكي لا يُظَنَّ أننـا نبـالـغ حين ننسب التقصيـر الى رائـد الـدراسـات الصوتية العربية الحـديثـة أنقـل نص الضـوابـط التي وضعهـا لأحكـام الراء وذلك حيث قال: «... ويمكن أن نستخلص من تلك الآراء المتشعبة ضوابط عامة يكاد يجمع عليها القراء.

١ ـ تفخم الـراء المفتـوحـة إلا اذا سبقهـا كسرة أو ياء مد، نحو: رَزَقكم ـ صبروا. ولكنها ترقق في مثل: لم يكنِ الله ليغْفِرَ لهم ـ فقد خَسِرَ خسراناً مبيناً ـ وان كانت لكبِيرَة.

٢ ـ ترقق الراء المكسورة مطلقا مثل: رِزْق ـ رِجْس.

٣ ـ تفخم الراء الساكنة اذا سبقها فتح مثل يَرْجعون.

٤ ـ وأما الساكنة التي يسبقها كسر فترقق مثل: فِرْعون، الا اذا وليها صوت استعلاء مثل: قِرْطاس.

أما الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم فحكمها غامض لا نكاد نهتدي فيه الى رأي ينطبق على ما نسمعه من أفواه القراء في الوقت الحاضر». (٢٩)

وأول ما يلاحـظ على هذه الضـوابـط أنهـا تفتقـر الى المنهـج الواضح في عرض أحكام الراء، ثم هي بعد ذلك تتضمن بعض جوانب القصور، فما ورد في رقم (١) يحتـاج الى تعـديـل أو توضيح، فما دام الأمر بصدد وضع ضوابط (يكاد يجمع عليها القراء) فيكفي أن يقال حينئذ (تفخم الراء المفتوحة)، لأن ترقيق الراء المفتوحة التي قبلها كسرة أو ياء انفرد به ورش دون سائر القراء. ولا يناسب واقع الحال إطلاق القول

(٢٩) الاصوات اللغوية ص ٦٦.

بترقيق مثل ﴿لِيَغْفِرَ ـ وخَسِرَ ـ ولَكَبِيرَةٌ﴾ لأن الجمهور يفخمونها على الأصل في تفخيم الراء المفتوحة.

وما جاء في خاتمة الضوابط من كلام عن الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم من أن (حكمها غامض) ـ لا يقوم على دليل، فالنصوص الواردة في كتب علم التجويد والقراءات صريحة في وصف مثل تلك الراء بالتفخيم وهو المسموع من القراء اليوم. يقول مكي (فأما الراء المفتوحة والمضمومة فكل القراء على تغليظها).[30] وقال عبد الوهاب القرطبي: «فان كانت مضمومة أو مفتوحة فخمت».[31] وقال المرعشي: «الراء الساكنة التي ليس سكونها لأجل الوقف، وهي اما واقعة بعد الفتحة أو الضمة فانها حينئذ تفخم بلا خلاف ولا اشتراط شيء».[32]

ان الضوابط العامة التي قدمها الدكتور ابراهيم أنيس لترقيق الراء وتفخيمها تعطي مثالاً لما لحق الدرس الصوتي العربي الحديث من ضرر بسبب عدم الاطلاع على ما كتبه علماء التجويد في دراسة الأصوات، فأحكام الراء التي ذكرها علماء التجويد يمكن أن تلخص، بغض النظر عن التفصيلات، فيما يأتي:

١ ـ ترقق الراء اذا كانت مكسورة أو جاءت ساكنة بعد كسر.
٢ ـ تفخم الراء اذا كانت مضمومة أومفتوحة أو جاءت ساكنة بعد فتح أو ضم.

٢ ـ تفخيم اللام وترقيقها:

الغالب على اللام في العربية الترقيق، وهو الأصل فيها لكثرته.[33] وضد الترقيق التفخيم، ويرادفه التسمين والتغليظ، ويذهب بعض العلماء الى استخدام التغليظ في اللام، والتفخيم في الراء.[34] ويتأتىٰ تفخيم اللام بأن يكون العمل فيها بوسط

---

(٣٠) الكشف ١/٢١٠.
(٣١) الموضح ١٦١و.
(٣٢) جهد المقل ٢٢و.
(٣٣) القرطبي: الموضح ١٦٤و.
(٣٤) ابن الجزري: النشر ٢/١١١.

اللسان، وأدخل قليلاً من مخرجها.[٣٥]

وتفخم اللام في حالتين، الأولى متفق عليها بين جمهور القراء، والثانية انفرد بها ورش عن نافع، وترقق فيما عداهما.

الحالة الأولىٰ:

هي أن اللام من اسم الله المعظم تفخم اذا وقعت بعد ضمة أو فتحة، وترقق اذا سبقت بكسرة. وقد وضح الداني ذلك بقوله: «فأما اللام من اسم (الله) عزوجل فالجميع مجمعون على ترقيقها مع الكسرة من أجلها، عارضة كانت أو غير عارضة، نحو: (بسمِ الله)، و(الحمدُ لله)... فان وليها فتحة أو ضمة أجمعوا على تغليظها من أجلهما، نحو: ﴿قالَ الله﴾ (المائدة ١١٠)، و﴿ضربَ الله﴾ (ابراهيم ٢٤)...».[٣٦]

وقدم بعض علماء التجويد لتفخيم اللام في اسم الله تعالى تعليلاً غير صوتي، فقال عبد الوهاب القرطبي: «والوجه في تفخيم اللام في اسم الله ـ تعالى ذكره ـ ما يحاول من التنبيه على فخامة المسمى به وجلاله، وذلك أصل فيه إلا أن يمنع منه مانع».[٣٧]

وقدم السعيدي تعليلاً صوتيا لترقيق اللام في اسم الله تعالى بعد الكسرة فقال: «وانما كرهوا التفخيم بعد الكسرة لأن الكسرة حرف مستفل والتفخيم فيما تصاعد، فصعب عليهم أن ينتقلوا من التسفل (الى التفخيم)[٣٨] والتفخيم فيما تصاعد، فيكون في ذلك كلفة على اللسان».[٣٩]

ويبدولي أن تفخيم اللام في اسم الله تعالى نطق قديم، وأنه كان يشمل نطق اسم الله المعظم اذا وقعت قبله كسرة أيضا. ولما كان نطق اللام الغالب في العربية

(٣٥) القرطبي: الموضح ١٦٤و. وانظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٥.

(٣٦) التحديد ٣٩و. وانظر: السعيدي: التنبيه ٥١. ومكي: الرعاية ص ١٦٥ والكشف ٢١٩/١.

(٣٧) الموضح ١٦٤ظ.

(٣٨) زيادة ليست في الاصل يقتضيها السياق.

(٣٩) السعيدي: اختلاف القراء ٦٠و. وانظر: أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٩٩و.

الترقيق وأن الكسرة يناسبها الترقيق، كان من المقبول صوتياً أن ترقق اللام بعد الكسرة، وتحافظ على التفخيم بعد الفتحة والضمة اللتين يناسبهما التفخيم. ومن ثم فان تعليل علماء التجويد لترقيق هذه اللام يندرج في ميل الأصوات الى المناسبة والمشاكلة في اللفظ، أما تعليل ظاهرة التفخيم فلا يدخل في مجال الدرس الصوتي، وربما لجأ اليه بعض علماء التجويد حين لم يجدوا تفسيراً صوتياً لهذه الظاهرة.

ورب قائل يقول: لماذا لا يكون أصل اللام في اسم الله تعالى الترقيق، مثل حكم اللام في سائر الكلمات الأخرى، وأنها فخمت قبل الضمة والفتحة لأنهما يناسبهما التفخيم؟ فنقول: إن ذلك احتمال وارد. ولكن نقول: لماذا لم تفخم اللام في سائر الكلمات الاخرى حين تقع بعد ضمة اوفتحة نحو: اللّبن واللحم والليل وغيرها من الكمات المماثلة لولا أن التفخيم أصل في اللام في اسم الله خاصة، وأن الترقيق فيه بعد الكسرة تَحَوُّلٌ لاحق حصل في حقبة سبقت نزول القرآن الكريم.

وهناك رواية جاءت مخالفة لما أجمع عليه القراء من تفخيم اللام من اسم الله تعالى بعد الفتحة والضمة، وهي منقولة عن بعض أهل البصرة، وقد وافقهم فيها أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار البغدادي (ت ٣٥٤هـ). حيث جاء أنهم يقرؤون بترك التفخيم في اسم الله تعالى.

قال السعيدي في ذلك: «وأهل البصرة ينكرون التفخيم ولا يستعملونه في قراءتهم، وكذلك أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم المقرئ من أهل بغداد، وهو صدر في القراءة، فكان ينكر التفخيم انكاراً شديداً، ويقول: يلزمكم أن تقولوا: اللبن واللجام فتفخم كلا اللامين، من هذا الجنس الغالب على أهل بغداد. وسائر الناس (على)[40] التفخيم في القرآن والأذان والكلام.

ورأيت العرب في البادية والحجاز واليمن يفخمون سائر اللامات، فيقولون: ثلاثة، فيفخمونها، وهي لغة أهل الشام والمغرب. ولا يجوز ذلك في القرآن إلا لقوم تلك لغتهم، فلا يقدرون على تحويل لسانهم». [41]

(٤٠) زيادة ليست في الأصل.

(٤١) اختلاف القراء في اللام والنون ٦٠و.

ولا يلتفت أكثـر علمـاء القـراءة الى روايـة من ينكـر تفخيم الـلام في اسم الله المعظم، ويعدون ذلك شذوذاً. فقد روى أحمد بن أبي عمر أن أبا الفضل الخزاعي قال: «الاختيـار التفخيم، وعليـه الأئمة من القراء وأهل اللغة. وإياك أن تفخم اللام اذا انكسـر ما قبلهـا فانـه من أسمـج اللفـظ وأقبـح اللحن، إلا لقـوم تلك لغتهم فلا يقدرون على غيرها». (٤٢)

وقال علم الدين السخاوي: «وقد وقع الاجماع منهم على تغليظ اللام من اسم الله عزوجل، اذا لم يكن قبلها كسرة، وعلى ترقيقها مع الكسرة نحو: (لله). وترقيقها في هذا طلبا للمشاكلة وتفخيمها في غيره من خصائص هذا الاسم الشريف تعظيماً له». (٤٣)

وقـد تحـدث ابن الجـزري عن هذا المـوضوع، ونقل عدة نصوص كلها تؤكد ما ذكـرنـاه من أن جمهـور العلمـاء يقـولون بتفخيم اللام من اسم الله تعالى بعد الضمة والفتحـة. وهـذا نص كلامـه: «قال الحافظ أبوعمرو الداني في جامعه، (٤٤) حدثني الحسن بن شاكر البصري، قال ثنا أحمد بن نصر يعني الشذائي، قال: التفخيم في هذا الاسم، يعني مع الفتحـة والضمـة، ينقله قرن عن قرن، وخـالف عن سالف. قال: واليه كان شيخنا أبو بكر بن مجاهد وأبو الحسين بن المنادي يذهبان، انتهى.

«وقـد شذ أبـو علي الاهـوازي فيمـا حكـاه من ترقيق هذه اللام، يعني بعد الفتح والضم، عن السُّوسِيِّ ورَوْح. (٤٥) وتبعه في ذلك من رواه عنه كابن الباذش في

---

(٤٢) الايضاح ٩٩و.

(٤٣) جمال القراء ١٩٤ظ.

(٤٤) أي (جامع البيان في القراءات السبع المشهورة)، وهو مخطوط، وله عدة نسخ، وكنت قد اطلعت عليه سنة ١٩٧٥م بدار الكتب المصرية في القاهرة (رقم ٣م قراءات).

(٤٥) انظر: الـوجيـز ٩و. والسوسي هو أبو شعيب صالح بن زياد (ت ٢٦١هـ)، روى قراءة أبي عمرو بن العلاء عن اليزيدي (انظر: ابن الجزرى: غاية النهاية ١/ ٣٣٢). وروح هو روح ابن عبد المؤمن البصري (ت ٢٣٤هـ) وهو من جلة أصحاب يعقوب الحضرمي (انظر: غاية النهاية ١/ ٢٨٥).

إقناعه،[٤٦] وغيره. وذلك مما لايصح في التلاوة، ولا يؤخذ به في القراءة». [٤٧]

الحالة الثانية:

روى المصريون عن ورش عن نافع تغليظ اللام اذا تحركت بالفتح ووليها من قبلها صاد أو ظاء أو طاء، وتحركت هذه الحروف الثلاثة[٤٨] بالفتح أو سكنت لا غير. نحو: ﴿الصَّلَاةَ﴾ (البقرة ٣)، و﴿فَيُصْلَبُ﴾ (يوسف ٤١)، و﴿الطَّلَاقَ﴾ (البقرة ٢٢٧)، و﴿مُعَطَّلَةٍ﴾ (الحج ٤٥)، و﴿مَنْ أَظْلَمُ﴾ (البقرة ١١٤)، و﴿ظَلَمُوا﴾ (البقرة ٥٩)، وما أشبهه. والقراء بعد يرققونها من غير إفحاش. [٤٩]

وقد علل ذلك عبد الوهاب القرطبي بقوله: «وأما مذهب ورش فوجهه طلب المناسبة بين الحروف، كما في إمالة الألف وترقيق الراء والقلب والتشديد». [٥٠] وهذا تفسير صوتي صحيح لهذه الظواهر الناشئةاعن التركيب كما أنه تعليل صحيح لظاهرة تفخيم اللام في مذهب ورش، وذلك لأن فتحة اللام تناسب التفخيم، كما أن حروف الاطباق قبلها تقتضي ارتفاع ظهر اللسان وانطباقه على الحنك الأعلى وهو يشبه مايحدث عند تفخيم اللام الى حد كبير. [٥١] وقد قال مكي: «وعلة من فخم هذا النوع انه لما تقدم اللام حرف مفخم مطبق مستعل أراد أن يقرّب اللام نحو لفظه، فيعمل اللسان في التفخيم عملاً واحداً». [٥٢]

ومع أن مذهب ورش في اللام اذا جاورت صوتاً مطبقاً له تفسير صوتي واضح الا أن أحداً من القراء لم يذهب مذهبه. وقد اختص المصريون برواية مذهب ورش في اللام لم يشاركهم فيها سواهم. [٥٣] ومن ثم قال أبو العلاء الهمذاني العطار: «فأما ما

---

(٤٦) الاقناع ١/٣٣٧ـ٣٣٨.

(٤٧) النشر ٢/١١٥ـ١١٦.

(٤٨) ذكر معها عبد الوهاب القرطبي صوت الضاد (انظر: الموضح ١٦٤و).

(٤٩) انظر: الداني: التيسير ص ٥٨ والتحديد ٣٨ظ، ومكي: الرعاية ص ١٦٤. وابن الباذش الاقناع ١/٣٣٩، وابن الجزري: النشر ٢/١١١.

(٥٠) الموضح ١٦٤ظ.

(٥١) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ٦٥.

(٥٢) الكشف ١/١١٩.

(٥٣) النشر ٢/١١١.

رويناه عن . . . ورش . . . من تغليظ اللام اذا انفتحت بعد صاد أو ظاء نحو: الصلاة، وصلوات، وصلى، وظلم، وظلموا، فان ذلك وما يجرى مجراه لا يؤخذ به ما وجد مندوحة منه» . (٥٤)

ولا أستبعد أن تكون لطبيعة التأثر الصوتي السابق الذي وقع من الصوت الأول وهو الصوت المطبق باتجاه الصوت الثاني وهو اللام ـ علاقة بقلة من أخذ بذلك الاتجاه في تغليظ اللام من القراء، لان أكثر صور التأثر بين الأصوات في العربية هي أن تكون من الصوت الثاني باتجاه الصوت الأول.

---

(٥٤) التمهيد ١٥٤و-١٥٤ظ.

المبحث الثالث
الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الذائبة

مضى الحديث عن موقف علماء التجويد من إنتاج الأصوات الذائبة وتحديد مخارجها وتوضيح العلاقة بين الحركات وحروف المد، وكل ما يتصل بالخصائص الصوتية لهذا القسم من أصوات العربية.[1] وهذا المبحث معقود للكلام عن موقف علماء التجويد من الظواهر الصوتية المتعلقة بالأصوات الذائبة الناشئة عن التركيب، وبيان مقدار إدراكهم لأثر التركيب على خصائص تلك الأصوات.

وكان دارسو الأصوات العربية المعاصرون قد رددوا القول بأن علماء العربية القدامى لم يعنوا بالحركات العناية اللائقة بها. وقد أشرت الى خطأ هذه المقولة من قبل.[2] وفي هذا المبحث دليل جديد نضعه بجانب ما أوردناه سابقاً عن الأصوات الذائبة، واني لأعتقد أن الأمر قد تجاز مرحلة تصيد النصوص النادرة لاثبات أن علماء العربية القدامىٰ قد اعتنوا بدراسة الحركات، فالدارس هنا أمام ما لا يحصى من النصوص، لا بل انه أمام فصول وأبواب كاملة تعالج موضوع الأصوات الذائبة (الحركات وحروف المد). على نحو مبوب ومفصل يشمل كل ما يتصل بكيفية نطق الحركات وما يعرض لها في التركيب من ظواهر صوتية. وهذه اشارة الى من خصص فصلاً أو باباً لدارسة ما يتعلق بالحركات مما اطلعت عليه من كتب علم التجويد:

١ - باب ذكر أحوال الحركات في الوقف، وبيان الروم والاشمام - في كتاب (التحديد في الاتقان والتجويد)،[3] لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ).

---

(١) انظر: المبحث السادس من الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذا البحث.

(٣) التحديد ٤١ظ - ٤٣و.

٢ ـ الباب الثالث في الكلام على الحركات والسكون ـ في كتاب (الموضح في علم التجويد). [٤] لعبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢هـ)

٣ ـ فصل في حدود الحركات والسكون ـ في كتاب (مرشد القارئ)، [٥] لأبي الاصبغ عبد العزيز بن علي بن محمد الاندلسي، المعروف بابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ).

٤ ـ الباب التاسع: في كيفية التلفظ حال التلاوة بها (بحروف العربية) ـ في كتاب (التمهيد في التجويد) لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ).

وقد قال في أول هذا الباب: «اعلم أن هذا الباب ينقسم ثلاثة أقسام، فالقسم الأول في حروف المد واللين، والقسم الثاني في الحلقية، والقسم الثالث فيما عداهما. وانما بدأنا باللينة لأنها أكثر دوراً من غيرها، والحركات ناشئة عنها». [٦]

وتلك عناوين تندرج تحتها تفصيلات كثيرة، سوف نتعرف على كثير منها في هذا المبحث، حيث ندرس الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب التي تخص الأصوات الذائبة، والتي يمكن أن نصنفها الى صنفين: ظواهر صوتية تتعلق بالنوعية، وظواهر صوتية تتعلق بالكمية. ولعلماء التجويد كلام عن موقع الحركة بالنسبة للحرف، وعن كيفية نطق الحركات والمحافظة على خواصها حين تكون في التركيب، وأجد من المناسب الحديث عن ذلك قبل دراسة الظواهر الصوتية النوعية والكمية.

١ ـ موقع الحركة من الحرف:

كان ابن جني قد درس في كتابه (سر صناعة الاعراب) موضوع موقع الحركة من الحرف حين النطق بالكلمات، وهل هي في المرتبة قبله، أومعه، أوبعده؟ وقد ناقش هذه الاحتمالات الثلاثة، ورجح أن تكون الحركة منطوقة بعد الحرف، لا قبله

---

(٤) الموضح ١٨٣و ـ ١٨٨و.

(٥) مرشد القارئ ١٣٥ظ ـ ١٣٦ظ.

(٦) التمهيد ١٤٧ظ. وقد استغرق القسم الاول الاوراق ١٤٧ظ ـ ١٥٠ظ.

ولا معه. [7] وأشار في كتابه (الخصائص) الى أن ذلك مذهب سيبويه. [8]

ودرس علماء التجويد هذا الموضوع في كتبهم، لكن بعضهم نحا منحى ابن جني في العرض والاستدلال، على نحو ما فعل عبد الوهاب القرطبي، وبعضهم نحا منحى آخر، كما فعل مكي بن أبي طالب الذي يفهم من كلامه أنه يناقش قضية تاريخية تتلخص في معرفة أيهما كان أسبق في الاستخدام اللغوي الحروف أم الحركات؟ وهو يرجح أن الحروف والحركات لم يسبق أحدهما الآخر في الاستعمال. [9] ويبدو لي أن مناقشة الموضوع على هذا النحو تشبه الكلام عن نشأة اللغة في عدم جدواها من ناحية الدرس اللغوي.

اما عبد الوهاب القرطبي فانه اقتفى أثر ابن جني في مناقشة الموضوع، واستدل بأدلته. [10] وهي معروفة منذ أن تداول الدارسون المحدثون كتاب (سر صناعة الاعراب) بعد طبع الجزء الأول منه. لكن عبد الوهاب القرطبي ختم كلامه عن الموضوع بملاحظة دقيقة استدل بها على أن الحركة تحدث مع الحرف. فهو بعد أن نقل ما ذكره ابن جني من مذهب أبي علي الفارسي الى أن الحركة تحدث مع الحرف، قال مؤيداً هذا المذهب:

«ومما يبينه أيضا أن الحركات الثلاث إنما عملهن بالفم، فاذا ضممته حدث الضم، وان كسرته حدث الكسر، ومتى فتحته حدث الفتح، وفي حال تحريك الحرف بالضم يكون اللافظ به قاطعاً للصوت على مخرج الحرف وضاماً شفتيه معا في حالة واحدة، من غير أن يتخلل بينهما زمان محسوس. وكذلك في حال كسر الحرف يكون كاسراً بفمه مع قطع الصوت على مخرج الحرف المكسور. وكذلك في حال الفتح يكون قاطعاً للصوت على مخرج الحرف مع فتح فمه من غير فصل

---

(7) سر صناعة الاعراب ١/٣٢-٣٧، ونقل السيوطي ذلك في الاشباه والنظائر ١/١٥٢-١٥٦.

(8) الخصائص ٢/٣٢١.

(9) الرعاية ص ٧٧-٨٠. وقد أخذ هذه الفكرة عن مكي كل من: ابن الجزري: التمهيد ص ١٩-٢٠ والقسطلاني: لطائف الاشارات ١/١٨٦-١٨٧.

(10) الموضح ١٥١و-١٥١ظ.

بينهما. وهذا دليل على أن الحركة تحدث مع الحرف المتحرك من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه». [١١]

ولا شك في أن ملاحظة عبد الوهاب القرطبي السابقة صحيحة ودقيقة، فلو تأملنا حالة أعضاء النطق عند التلفظ بهذه الكلمات: قُرْب، وقَوْل، وقِسْم. لوجدنا أن شكل أعضاء النطق عند بداية التلفظ يختلف في كل كلمة عنه في الكلمة الاخرى، على الرغم من أن الكلمات الثلاث تتفق في البدء بصوت القاف. فحين تنطق الكلمة الأولىٰ نجد أن الناطق يضم شفتيه في ذات الوقت الذي يبدأ بنطق صوت القاف، بينما يفتح شفتيه في الكلمة الثانية، ويكسرهما في الكلمة الثالثة. وهذا أمر يؤيد ما ذكره عبد الوهاب القرطبي في النص السابق. ولكني أعتقد أن ذلك لا يدل على أن الحركة تحدث مع الحرف بقدر ما يدل على شدة اتصال الحركة بالحرف بحيث أن أعضاء النطق تبدأ بالتهيؤ للصوت الثاني قبل الفراغ من نطق الصوت الأول. وذلك لأن عملية النطق الاعتيادية سريعة جداً بحيث لا تدع فرصة لنطق الصوت مستقلاً ثم البدء بنطق الصوت الذي يأتي بعده، وذلك لشدة اتصال الأصوات المتجاورة. ولولا ذلك التداخل وشدة الاتصال لما حدث تأثر الأصوات بعضها ببعض بحيث يؤثر الصوت الثاني في الأول.

٢ ـ العناية بكيفية نطق الحركات:

أوْلَىٰ علماء التجويد الحركات عناية خاصة، فوضحوا كيفية نطقها والمحافظة على خواصها عندما تتوالى في التركيب وحين تجاور أصوات اللين خاصة، لما بينها وبين الحركات من تقارب في النطق.

فمن ذلك قول الداني: «فأما المحرك من الحروف بالحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة فحقه أن يُلْفَظَ به مشبعاً، ويؤتى بالحركات كوامل، من غير اختلاس ولا توهين يؤولان الى تضعيف الصوت بهن، ولا إشباع زائد، ولا تمطيط بالغ يوجبان الاتيان بعدهن بألف وياء وواو غير ممكنات فضلا عن الاتيان بهن ممكنات.

(١١) الموضح ١٥١ظ.

وأمـا المسكن من الحـروف فحقـه أن يُخْلَىٰ من الحركات الثلاث ومن بعضهن، من غير وقف شديد ولا قطع مسرف عليه سوى احتباس اللسان في موضعه قليلاً في حال الوصل». (١٢)

ومثل ذلك قول عبد الوهاب القرطبي في أول الباب الثالث الذي خصصه للكلام عن الحركات: «قد بينا أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وكشفنا فيما تقدم عن حقيقـة السكـون، فلاحاجة الى اقتصاصه ثانياً، والذي يخص هذا الباب التنبيه على كيفية أداء ذلك واللفظ به، فنقول: الذي ينبغي أن يعتمده القارئ من ذلك أن يحفـظ مقـاديـر الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتحة بحيث تصير ألفاً، ولا الضمة بحيث تخـرج واواً، ولا الكسـرة بحيث تتحـول ياء، فيكـون واضعـاً للحـرف موضع الحركة، ولا يوهنها ويختلسها ويبالغ فيضعف الصوت عن تأديتها ويتلاشى النطق بها وتتحول سكوناً». (١٣)

وكـذلـك نبـه علماء التجويد على العناية بالحركات حين تتوالى، فَيُؤْتَىٰ بها على وزن واحـد، قال عبـد الـوهـاب القرطبي: «اذا توالت الحركات في مثل ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبـاً﴾ (يـوسف ٤)، ﴿إِلاَّ اللهُ لَفَسَـدَتَا﴾ (الانبياء ٢٢)، ﴿وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ﴾ (التوبة ٩٩)، و﴿رُسُلُكُم﴾ (غافر ٥٠) و﴿رُسُلُهُم﴾ (الاعراف ١٠١)، وما أشبه ذلك من قليـل التـوالي وكثيـره، ينبغي أن يتعمـل للتسـويـة بينهن بحيث لا تنفرد إحداهن باشبـاع وتمطيـط والأخـرى باختـلاس وتـوهين. لان ذلـك يظهر ويبين أكثر من بيانه وظهوره فيما اذا لم تتوال الحركات». (١٤)

ولاحـظ علمـاء التجـويـد أن الحـركات في آخر الكلمات قد يطغىٰ بها اللسان، فحذورا من ذلك واستثنوا بعض المواضع التي يحتاج فيها الى التعمل لاظهار الحركة في أواخـر الكلمـات في الـدرج لا الوقف. وقد جمع ذلك كله عبد الوهاب القرطبي في قوله: «اعلم أن أواخر الكلم اذا كانت متحركة وجب أن تكون حركاتها مطففة لأن

---

(١٢) التحديد ١٢ظ. وأورد الداني هذا النص في شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٨ظ.

(١٣) الموضح ١٨٣و.

(١٤) الموضح ١٨٦ظ. وانظر: الداني: التحديد ٣١ظ.

اللســان عنـد انقضـائهـا يكـاد يطغى، لأن النَّفْسَ لما تستشعره من فراغ الكلمة تجد راحـة من اللفـظ فتلقي بعض ما عنـدهـا من الصـوت المعد العتيد، ويخرج النَّفَس معه، فتتوفر الحركة، فنبه على اجتناب طغيان اللسان بها بترك التمكث فيها لذلك، كقولك ﴿الحمدُ لله﴾ (الفاتحة ٢) ﴿غيرِ المغضوبِ﴾ (الفاتحة ٧).

هذا هو الأصل، إلا أن يمنع مانع، والمانع ينقسم الى ثلاثة أقسام:

أحدهما: أن يكـون آخـر الكلمـة حرفـاً خفياً، والحروف الخفية أربعة: الألف والواو واليـاء والهـاء. وقـد تقـدم ذكـرهـا آنفـاً في هذا الكتـاب، إلا أن الألف لا يتحرك، فمتى كان حرف من هذه الحروف في آخر كلمة أو في أي موضع كان منهـا تعين إشبـاع حركتـه وسكـونـه، لأن الحـركـة والسكـون يخفيان بخفائه، فتعين إظهارهما.

الثاني: أن يكون آخر الكلمة حرفاً من حروف الحلق، فان الحركات والسكنات تثقل بثقلهـا فلا تظهـر، فحض أئمة القراء على إظهارها لذلك، وسواء جاءت هذه الحروف، أعني الخفية والحلقية وسطاً أو طرفاً، فان إشباع حركاتها وسكونها يتعين كقـولـه تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ (الكهف ٨٥)، ﴿أَوْ تَسْمَعُ لهم﴾ (مريم ٩٨)، ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ﴾ (المـائـدة ٦٦)، ﴿ورفعنـاهُ﴾ (مريم ٥٧)، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ (النـور ٣٦)، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّـكَ﴾ (الـواقعة ٧٤) ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ (طـه ١٢) ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَـعَ البَحْرَيْنِ﴾ (الكهف ٦٠) ﴿نَسْلَخُ منهُ النهارَ﴾ (يس ٣٧)، ﴿لِسَبَـإٍ في﴾ (سبأ ١٥)، ﴿واتَّبِـعْ ما يُوحَىٰ إليـكَ﴾ (يـونس ١٠٩)، ﴿أَسْمِعْ بهم وأَبْصِرْ﴾ (مريم ٣٨)، ﴿فان الله يَتُوبُ عليهِ﴾ (المائدة ٣٩)، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الانعام ٩٠) وما أشبه ذلك.

الثالث: اجتمـاع حرفين مثلين في آخـر كلمـة وأول أُخـرىٰ، كقوله تعالى ﴿الرحيمِ مَالِـك﴾ (الفـاتحـة ٣-٤)، ﴿الكتـابَ بِأيـديهم﴾ (البقـرة ٧٩)، ﴿مـا كنتَ تعلمهـا﴾ (هـود ٤٩). وسـواء وقـع المثـلان وسطـاً أو طرفين تتعين توفيـة حركتهمـا، كقـولـه تعالى: ﴿فاقْصُصِ القَصَصَ﴾ (الاعراف ١٧٦)، ﴿أَمْرَ

رَبكم﴾ (الاعراف ١٥٠) ﴿قالَ لهم﴾ (طه ٦١)، ﴿ينشرُ رَحمته﴾ (الشورى ٢٨) ﴿حيثُ ثَقِفْتُمُـوهُمْ﴾ (البقـرة ١٩١)، ﴿ثَـالِثُ ثَلاثـة﴾ (المائدة ٧٣)، ﴿تعـرفُ في﴾ (الحـج ٧٢)، ﴿حقَّ قَدْرِه﴾ (الانعـام ٩١)، ﴿الحقُّ قُل﴾ (الانعام ٦٦) وما أشبه ذلك، لأن تكرار الحرف الواحد ثقيل في اللفظ لما فيه من الشبه بمشي المقيد الذي يرفع رجله ويردها الى الموضع الذي منه رفعها. وهذا دليل الثقل، ولأجله استخف الادغام. ومتى لم توف الحركة حقها سبق السكون والادغام، لأن اللسان يفر الى الأخف ويطلبه، سيما اذا كان الحرفان خفيين، كقوله تعالى ﴿ٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ﴾ (النحل ٩٠)، ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾ (الزمر ٦٩)، أوحرفي حلق، كقوله تعالى: ﴿فُزِّعَ عِن قُلُوبِهِمْ﴾ (سبأ ٢٣)، ﴿لا أَبْرَحُ حَتَّى﴾ (الكهف ٦٠). وقد يكونان حرفي حلق ومن الحروف الخفية، كقوله تعالى ﴿فيهِ هُدى﴾ (البقرة ٢). وذلك أولى أن تكون حركته وافية.

وجميع ما ذكرناه احتياجه الى إظهار الحركة عليه من الحروف هومحتاج الى إظهار السكون عليه أيضاً، فان الحروف الخفية وحروف الحلق يتعين إظهار السكون عليهما كما تعين إظهار الحركة». (١٥)

والحركات اذا أتت قبل الواو والياء أو بعدهما وجب العناية بنطقها خشية ذهابها أو الزيادة في تمكينها حتى يتولد عنها حرف من جنسها. وقد عقد كثير من علماء التجويد فصولاً ومباحث لتوضيح كيفية النطق بالحركات في مثل ذلك. (١٦) وكان السعيدي أكثر علماء التجويد عناية بهذا الموضوع حيث عقد أربعة أبواب في كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) لمعالجة ما يتعلق بهذا الموضوع.

وقد خصص السعيدي الباب الأول للواو إذا انفتحت وما قبلها مضموم حيث قال:

---

(١٥) الموضح ١٨٣ظ - ١٨٤و.

(١٦) انظر: السعيدي: التنبيه ٤٨ظ، ومكي: الرعاية ٢٠٩، والداني: التحديد ٢٩ظ، والقرطبي: الموضح ١٨٥و. والعطار: التمهيد ١٤٨ظ.

«باب الواو اذا انفتحت وما قبلها مضموم، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الذي﴾ (التوبة ٣٣)، و﴿قلْ هُوَ الله أَحَد﴾ (الاخلاص ١)، و﴿لَهُوَ خيرُ الرازقينَ﴾ (الحج ٥٨)، و﴿انهُ هُوَ السميعُ العليمُ﴾ (الانفال ٦١). ينبغي أن تكون الضمة قبل هذه الواوات وما أشبهها مختلسة غير مشبعة، ولا يزاد على لفظها فتزول عن حد الاختلاس الى الاشباع، فانها اذا أُشبعت الضمة قبلها صارت في اللفظ واوين، الأُولىٰ ساكنة والثانية مفتوحة، كقوله: هُوْوَ الذي، وقل هُوْوَ الله أحد، ولَهُوْوَخير الرازقين، وما أشبهها، وذلك غير جائز عند أهل الضبط.

وكذلك اذا كانت الواو مشددة وقبلها ضمة تختلس الضمة قبلها، ولا يُزَاد على لفظها، كقوله تعالى: ﴿ذو القُوَّةِ المتين﴾ (الذاريات ٥٨)، و﴿يَزِدْكُم قوَّةً الى قُوَّتكم﴾ (هود ٥٢)، و﴿النُبوَّة﴾ (آل عمران ٧٩) في قراءة من لا يهمز، وما أشبهها. فانها إن أُزيلت عن حد الاختلاس ضعف تشديد الواو بعدها، وانما تحرك ضمة هذه القاف بمقدار ضمة القاف من قولك: قُدَّ، والصاد من قولك: صُدَّ، وما أشبههما». (١٧)

وبالطريقة نفسها عالج السعيدي في الباب الآخر (الياء اذا انفتحت وما قبلها مكسور). (١٨) وفي البابين الآخرين تحدث السعيدي عن (الواوين اذا اجتمعتا والأُولَىٰ ساكنة مضموم ما قبلها والثانية مفتوحة) وعن (الياءين اذا اجتمعتا والأُولَىٰ ساكنة مكسور ما قبلها والثانية مفتوحة). (١٩)

وذكر الداني في كتابه (التحديد) مجموعة من الحالات التي يجب على القارئ أن يعتني بها ويحافظ على الحركات فيها. (٢٠) وقد أوردها القرطبي في كتابه (الموضح) بعد أن زاد عليها وأعاد ترتيبها على هذا النحو: «والحركة تشبع في الياء والواو اذا كانتا خفيفتين، في أول الكلام كانتا أو في وسطه أو في آخره، مثل قوله

---

(١٧) التنبيه ٤٨ظ.

(١٨) التنبيه ٤٨و.

(١٩) التنبيه ٤٩و.

(٢٠) التحديد ٢٩ظ.

تعـالى: ﴿يـاأيُّهـا الـذين﴾ (البقـرة ١٠٤)، ﴿بٱللَّغْـوِ في أيمانكم﴾ (البقرة ٢٢٥)، ﴿قُـلِ: العفـوَ كذلـك﴾ (البقرة ٢١٩)، ﴿وتَشَاوُر﴾ (البقرة ٢٣٣)... فأشبعها في جميع ذلك.

ولا تتهيب الضمـة في الـواو سواء كانت لالتقـاء السـاكنين أو لغيره، في مثل قوله تعـالى: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَـوْتَ﴾ (البقـرة ٩٤)، ﴿ولا تَنْسَـوُا ٱلْفَضْـلَ﴾ (البقـرة ٢٣٧)، و﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ (التكاثر ٦).

وأشبع بيان حركة الواوين بتلكف وتثبت في مثل قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكتابُ﴾ ﴿وَوَرِثَ سليمان﴾ (النمل ١٦) وما أشبه ذلك.

واذا انضم ما قبـل الـواو السـاكنـة منهما فأشبع ضمة الأُولَىٰ لتخلص الى سكون الثـانيـة، كقـولـه تعـالى ﴿مـا وُوْرِيَ عنهما﴾ (الاعراف ٢٠)، و﴿داوُود وسليمان﴾ (الانعام ٨٤)، وما أشبه ذلك.

وكـذلـك أشبـع الحـركة من غير تشديد في الياءين والواوين في مثل قوله تعالى: ﴿لنحيِيَ به﴾ (الفرقان ٤٩)، و﴿ومن خزيِ يَومئذ﴾ (هود ٦٦)، و﴿البَغْيِ يَعظكم﴾ (النحـل ٩٠)، و﴿مِنَ اللهـوِ وَمِنَ التجـارة﴾ (الجمعـة ١١)، ﴿خـذِ العفـوَ وأْمُـرْ بالعُرْفِ﴾ (الاعراف ١٩٩)، ﴿أن يأتيَ يَوم﴾ (البقرة ٢٥٤).

وإذا كان بعدها حرف مشدد في مثل قوله: ﴿يا صاحِبَيِ السجنِ﴾ (يوسف ٣٩) تعين تخليص تخفيف اليـاء وكسـرها من تشديد السين، وكذلك ﴿من ثلثَيِ الليلِ﴾ (المزمل ٢٠)، ﴿بين يَدَي الله﴾ (الحجرات ١).

ومتى كانت الواو والياء مشددتين وبعدهما مثلهما فدونك الاشباع فيهما من أجل حراسـة الادغـام، كقـولـه تعالى: ﴿بالغدوِّ والآصال﴾ (الاعراف ٢٠٥)، و﴿العشيِّ يُريدون وجهه﴾ (الكهف ٢٨)». [٢١]

ويؤكـد علمـاء التجـويـد ترك التكلف في نطق الحركات حتى لاتخرج عن حدها، وحتى تأتي القـراءة سهلة خاليـة من التكلف. وقـد قال ابن البناء في (باب في تعديل الـوزن والتـرتيـل): «يجب على قارئ القـرآن أن يأتي بحروف القرآن في وزن عادل

(٢١) الموضح ١٨٥و.

وتـرتيـل متمـاثـل، بجعـل مفتـوح الحـروف ومنصـوبها لبقة التعالي خفيفة التوالي، ومضـمـومهـا ومرفوعها اشارة لطيفة، وكذلك مكسورها ومخفوضها حركة خفية، الا ما كان من ذلك محتاجاً الى الاشباع فانه حينئذ يشبع من غير تعد». [٢٢]

(٢٢) بيان العيوب ١٧٦ظ.

أولاً ـ الظواهر النوعية :

تكاد التأثيرات الصوتية النوعية التي تلحق الأصوات الذائبة عند وقوعها في التركيب تنحصر في الألف وأختها الفتحة حيث يلحقهما التفخيم والترقيق تبعاً للاصوات التي تجاورهما، أما الواو وأختها الضمة والياء وأختها الكسرة فانها أقل تأثراً.

وقد وضع علماء التجويد قاعدة في معرفة تفخيم الالف وترقيقها، وهي تنطبق على الفتحة أيضا، قال ابن الجزري: «الألف حرف هوائي لا يوصف بامالة ولا تفخيم». [1] وقال علي القارى: «الألف تتبع ما قبلها في تفخيمها وترقيقها». [2] وقال أيضا: «اذا كانت بعد حرف مستعل فانها تكون تابعة له في التفخيم بناء على القاعدة المقررة من أن الألف لازمة للحرف الذي قبلها». [3] وقال: «اذ يعرف كل من له أدنى دراية أن الحروف اذا فخمت تفخم حركتها واذا رققت رققت فكذا ما يكون تابعاً لحركتها، أعني الالف»[4] وقال الشيخ أحمد فائز الرومي: «والحاصل أن ترقيق الألف وتفخميه يعرف بتطبيق قاعدة تبعية الألف لما قبلها». [5]

وكان قد ظهر بين علماء التجويد في القرن الثامن الهجري اتجاه نحو إخراج الألف من بين حروف التفخيم على كل حال، حتى لو وقعت بعد حرف مستعل. ويبدو أن الجعبري (ت ٧٣٢هـ) هو رائد هذا الاتجاه، فقد قال في قصيدته (تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم) وهو يتحدث عن (متفق التفخيم من الحروف): [6]

---

(١) النشر ٢/٩١.

(٢) المنح الفكرية ص ٢٢.

(٣) المنح الفكرية ص ٢١.

(٤) المنح الفكرية ص ٢٢.

(٥) شرح الدر اليتيم ٣٠ظ.

(٦) تحقيق التعليم ٢٩و ـ ٢٩ظ.

فالاطبـــاقَ فَخِّـمْ باتـفــاقٍ كصــادقٍ وطــابَ وضــاقَ الظــالمــونَ فَفَسِّـرَا
وان فُخــمــتْ غيـنٌ وخــاءٌ وقــافُـهَــا أوِ آنـضـمَّ هذا قولَ تفخيمهــا ٱنْصـرا
وايــاكَ واستصحــابَ تفخيمِ لفظِهَــا الـى الالـفــاتِ الـتــالـيــاتِ فَتَعْثَـرَا

وقد أخذ هذا القول عن الجعبري تلميذه أبو بكر عبد الله بن أيدغدي بن عبد الله الشهير بابن الجندي (ت ٧٦٩هـ) قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «وقال شيخنا ابن الجنـدي رحمـه الله: وتفخيم الالف بعـد حروف الاستعـلاء خطأ، وذلـك نحـو: خائفين، وغالبين، وقال، وطال، وخاف، وغاب، ونحو ذلك». (٧) وأخذ به أيضا ابن الجزرى في أول حياته الغملية، حيث قال في كتابه (التمهيد في علم التجويد) وهو يتحدث عن الخاء: «واحذر اذا فخمتها قبل الألف أن تفخم الألف معها، فانه خطأ لا يجوز». (٨)

ويبدو أن الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) كان يأخذ بهذا الاتجاه أيضا، فقد قال في (شرح الواضحة): «الألف لاحظ لها في التفخيم». (٩) وقال في (المفيد شرح عمـدة المجيـد): «وممـا يجب الاحتـراز منـه تفخيم الألف، وخصـوصـاً عند مجاورة المفخم». (١٠)

ولكن هذا الاتجاه ظهر من يعارضه في القرن الثامن الهجري ذاته. حتى أن ابن بضحـان الـدمشقي (ت ٧٤٣هـ) كتب كتـاب (التـذكـرة والتبصـرة لمن نسي تفخيم الألف أو أنكـره). (١١) وقـد قال فيـه: «اعلم أيهـا القـارئ أن من أنكـر تفخيم الالف فانكـاره صادر عن جهله أو غلظ طبـاعـه، أو عدم اطـلاعـه، أو تمسكـه ببعض كتب التجويد التي أهمل مصنفوها فيها التصريح بذكر تفخيم الالف». وكان قد وقف على هذا الكتـاب استـاذ العـربيـة والقـراءات أبـو حيان الاندلسي، فكتب عليه: «طالعته

---

(٧) التمهيد ص ٣٨.
(٨) التمهيد ص ٣٨، وانظر: الصفاقسي: تنبيه الغافلين ص ٥٦.
(٩) الواضحة ص ٦٦.
(١٠) المفيد ١٠٤و.
(١١) انظر: رقم ٢٦ من قائمة مصادر علم التجويد في الفصل الاول من هذا البحث.

فرأيته قد حاز الى صحة النقل كمال الدارية، وبلغ في حسنه الغاية». (١٢)

وابن الجزري الذي كان متحمساً لنصرة مذهب شيخه ابن الجندي، وشيخ شيخه الجعبري، في كتابه (التمهيد في علم التجويد) الذي ألفه سنة ٧٦٩هـ. (١٣) رجع عن ذلك في كتابه (النشر في القراءات العشر) الذي انتهى من تأليفه سنة ٧٩٩هـ. (١٤) حيث قال فيه: «وأما الالف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها، فانها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فانما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها الى أن يصيروها كالواو، أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه. وأما نص بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة فهو شيء وَهِمَ فيه، ولم يسبقه اليه أحد، وقد رد عليه الأئمة المحققون من معاصريه. ورأيت من ذلك تأليفاً للامام أبي عبد الله محمد بن بضحان سماه: التذكرة والتبصرة لمن نسي تفخيم الألف أو أنكره». (١٥)

ويبدو أن القاعدة القائلة إن الألف تتبع ما قبلها في الترقيق والتفخيم قد استقرت بعد عصر ابن الجزرى وبفضل ما كتبه عن الموضوع في كتابه النشر. وقد قال علي القارى (ت ١٠١٤هـ): «والحاصل أن الصحيح بل الصواب هو الذي مشىٰ عليه الناظم في النشر». (١٦) وقال الصفاقسي (ت ١١١٨هـ): «فالصواب ما في النشر والتعويل عليه لا على ما في التمهيد». (١٧)

وتطرق المرعشي الى ترقيق وتفخيم الواو والياء المديين فقال: «ولما كان في الياء والواو المديين عمل عضو في الجملة كما سبق لم يكونا تابعين لما قبلهما، بل هما مرققان في كل حال، كذا يفهم من اطلاقاتهم، ولعل الحق أن الواو المدية تفخم بعد

(١٢) نقلاً عن ابن الجزري: النشر ١/٢١٥-٢١٦.

(١٣) انظر: التمهيد ص ٨٣.

(١٤) انظر: النشر ٢/٤٦٩.

(١٥) النشر ١/٢١٥.

(١٦) المنح الفكرية ص ٢٢-٢٣.

(١٧) تنبيه الغافلين ص ٥٧.

الحرف المفخم». [18] لكنه عاد الى الموضوع مرة أخرى يتأمله ويتعمق فيه حتى انتهى الى أن قال في كتابه (بيان جهد المقل): «قوله (ولعل الحق أن الواو المدية تفخم بعد المفخم) وذلك لأن ترقيقها بعد المفخم في نحو: الطور، والصور، وقوا، لا يمكن إلا باشرابها صوت الياء المدية بأن يحرك وسط اللسان الى جهة الحنك، كما يشهد به الوجدان الصادق، مع أن الواو ليس فيه عمل اللسان أصلاً، وقد رجوت أن يوجد التصريح بذلك أو الاشارة اليه في كتب هذا الفن لكني أعياني الطلب، فمن وجده فليكتبه هنا. وأما الياء المدية فلا شك في أنها مرققة في كل». [19]

وقد جاء الدرس الصوتي الحديث يؤيد ما ذهب اليه جمهور علماء التجويد من أن الحركات وحروف المد، والألف خاصة، تتبع ما قبلها في الترقيق والتفخيم، فهذا أحد دارسي الأصوات العربية من المعاصرين يقول: «فالفتحة مثلاً قد تكون مفخمة، وقد تكون مرققة وقد تكون بين التفخيم والترقيق، فهي مفخمة مع أصوات الاطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء، ولكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى. فلدينا إذن بحسب النطق الفعلي ثلاثة أمثلة للفتحة أو ستة حين نأخذ الطول والقصر في الاعتبار، اذ أن الفتحة الطويلة يعتريها ما يعترى الفتحة القصيرة من التفخيم واخوته.

وهذا الشيء نفسه يطبق على الكسرة والضمة (طويلة وقصيرة) فهما مفخمتان مع أصوات الاطباق، وبين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء. ولكنهما مرققتان مع الأصوات الاخرى. فلدينا ثلاث كسرات (أوست)، وثلاث ضمات (أوست)، فالحركات العربية اذن بهذا الاعتبار السياقي تسع أو ثماني عشرة». [20]

ويتضح من هذا أن مفهوم الترقيق والتفخيم في الحروف الذائبة (الحركات وحروف المد) يكاد يكون متفقا عليه بين علماء التجويد ودارسي الأصوات من المحدثين. ما عدا نقطتين، والاولى اعتبار الحركات بين الترقيق والتفخيم بعد

---

(١٨) جهد المقل ١٥ظ.

(١٩) بيان جهد المقل ١٨ظ.

(٢٠) كما محمد بشر: الاصوات ص ١٩٢-١٩٣.

القاف والغين والخاء لدى المحدثين بينما هي مفخمة لدى علماء التجويد. ويمكن أن نجد في قول المرعشي: «وبالجملة ان قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والاطباق»،(٢١) ما يُقَـرِّبُ بين وجهـة نظـر الطـرفين. والنقطـة الثانية: شمول الضمة والكسرة، وواو المد وياءه بأحكام الترقيق والتفخيم لدى المحدثين، بينما كان كلام علماء التجويد يدور بشكل أساسي حول الفتحة والألف، لأنه أكثر ظهوراً فيهما، وقد ذهب المـرعشي الى شمـول واو المد بها، بينما عد الياء مرققة. ولا تزال هذه النقطة بحاجة الى مزيد من الدرس فيما يبدو لنا.

---

(٢١) جهد المقل ١٥ظ.

ثانياً ـ الظواهر الكمية :

الأصوات الذائبة في العربية، وهي الحركات وحروف المد، لكل منها مقدار محدد من الطول، كما أن لكل صوت من الأصوات الجامدة مقداراً من الطول أيضاً، ولا يتحقق ذات الصوت الا بعد أن يستوفي حظه من الطول. ويبدو أن الأصوات الذائبة أكثر تعرضاً للزيادة والنقصان في زمن النطق من الأصوات الجامدة، لأن طبيعة نطقها تحتمل ذلك، حيث يمكن للناطق أن يمد صوته بالأصوات الذائبة ما أسعفه النفَس.

وما الفرق بين الحركات وحروف المد إلا بمقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل منها، فالحركة إذا أُطيل زمن النطق بها صارت حرف مد، وكذلك حرف المد اذا قصر زمن النطق به رجع الى الحركة، لأن الفرق بين الحركات وحروف المد فرق في الكمية لا أكثر. وهذا الأمر كان واضحاً عند علماء التجويد وضوحاً لا مزيد عليه.

وكان علماء التجويد قد أدركوا أن الحركات وحروف المد تتعرض للزيادة والنقص في طولها عندما تكون في التركيب، فدرسوا ذلك وحددوا مواضعه، وبحثوا في علله وأسبابه، وحذروا من عوارضه وشوائبه. وكان من ذلك ما هو خاص بالحركات وما هو خاص بحروف المد. على نحو ما يتضح من العرض الآتي.

١ ـ الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بالحركات :

الحركات الرئيسية في العربية ثلاث : الفتحة والضمة والكسرة. ولها في النطق مقدار يجب على الناطق أن يراعيه من غير زيادة ولا نقصان. وقد مضى في صدر هذا المبحث من النصوص التي أكد فيها علماء التجويد على العناية بحفظ مقادير الحركات بلا توهين يؤدي بها الى السكون ولا اشباع يؤول بها الى التمطيط حتى تصير الحركة حرفاً.

وقد لاحظ علماء التجويد أن الحركات يلحقها في التركيب من التغيير ما يؤدي الى حذفها أو تقصيرها، فتحدثوا عن هذه الظاهرة وحددوا مواضعها، وميزوا بين

درجاتها، وكان قد سبقهم الى كثير من ذلك علماء العربية منذ زمن سيبويه، إلا أننا حين ننظر في جهود علماء التجويد في هذا المجال نجدها تتميز ببعض النظرات الشاملة التي تدرك العلاقة بين الظواهر، كما تتميز بدقة التحليل، وعمق إدراك الظواهر.

ومن النصوص المتميزة لدى علماء التجويد التي عالجت ما يلحق الحركات في التركيب من التقصير الفصل الذي كتبه ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ) في كتابه (مرشد القارئ) وجعل عنوانه (فصل في حدود الحركات والسكون) وقال فيه:

«الحركات ثلاث: رفع ونصب وخفض، فحق كل حرف تحرك بأحدها أن يلفظ به ممكناً من مخرجه، معتمداً عليه في مدرجه حتى يحكى بجميع صفته وتمام حركته، معتدلة في الوزن الحسن، يعتمد بعد أدائها حتى يوجب الاعتماد والخروج عن الحد حدوث حرف يقوم عن ذاتها، فبإشباع الفتحة يحدث الألف، وبإشباع الضمة يحدث الواو، وبإشباع الكسرة تحدث الياء.

وتنقسم الحركات الثلاث المذكورة على (أربع)[1] درجات:

الدرجة الأُولَىٰ: الكمال، وهو الحركة التي ذكرناها، حتى يصرفها عن ذلك صارف.

الدرجة الثانية: الاختلاس، وقد حددناه وذكرنا أن حركته تامة في الوزن تمام حركة الكمال ببرهان النظر والاستدلال.

الدرجة الثالثة: الاخفاء، . وهو نقصان الصوت بحرفها.

الدرجة الرابعة: الروم وقد شرحناه. وبمقدار ما يبقى من حركته عند علمائنا حكم حركة الكمال على ما يتحقق في مكانه ان شاء الله.

فيجب على القارئ أن تكون عنايته (تامة)[2] بإكمال الحركة، حتى يُخَاطَبَ بغيره من الدرجات. فمتى استعمل غير الاكمال فيما لم يجئ به توقيف فقد لحن لأن

(١) في الاصل (ثلاث)، لكن الذي يناسب السياق هو (أربع).

(٢) الكلمة غير واضحة في الاصل.

القراءة سنة.

وأما حد السكون، فالسكون نوعان: حي وميت...». [٣]

فالحركات الثلاث تتعرض للتقصير حتى يصل ذلك الى حد السكون، وهو زوال الحركة البتة. وبعض ذلك يرتبط بالوقف وبعضه لا يختص بمكان من الكلام. والمصطلحات التي ذكرها ابن الطحان، وهي الروم والاخفاء والاختلاس، ومثلها الاشمام الذي ذكره ابن الطحان في مكان سابق، [٤] كلها مصطلحات قديمة ذكرها سيبويه في الكتاب. [٥] وقصدنا هنا أن نعرض كيفية معالجة علماء التجويد لهذه الظواهر.

أ ـ الروم والاشمام:

يعرض الروم والاشمام للحركات عند الوقف قال سيبويه: «فأما المرفوع والمضموم فانه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالاشمام، وبغير الأشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم الحركة التحريك، وبالتضعيف». [٦]

وقد فَصَّلَ الداني ذلك تفصيلا في قوله: «اعلموا أن الأصل أن يوقف على الكلم المتحرك في الوصل، اذا كانت حركاتهن إعراباً وبناء، بالسكون لأن الوقف ضد الوصل، لأن معنى الوقف أن يوقف عن الحركة أي تترك، كما يقال وقفت عن كلامك، أي تركته.

واختار عامة شيوخنا ورؤساء أئمتنا في مذهب الجماعة الوقف على ذلك بالاشارة لما فيها من الدلالة على كيفية الحركة في الوصل، طلباً للبيان. والاشارة على ضربين، تكون روماً وتكون إشماماً.

والروم أتم من الاشمام، لأنه تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها،

(٣) مرشد القارئ ١٣٥ظ ـ ١٣٦و.

(٤) مرشد القارئ ١٣٥و.

(٥) الكتاب ٤/١٦٨ و٢٠٢ و٤٣٩.

(٦) الكتاب ٤/١٦٨.

فيسمع لها صويت خفي يدرك معرفته الأعمى بحاسة سمعه، ويستعمل في الحركات الثلاث. إلا أن عادة القراء أن لا يروموا المنصوب ولا المفتوح لخفتهما وسرعة ظهورهما اذا حاول الانسان الاتيان ببعضهما، فيبدو الاشباع لذلك.

وأما الاشمام فلرؤية العين لا غير، اذ هو إيماء بالشفتين الى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف، فلا يقرع السمع، ولذلك لا يعرفه إلا البصير، ويستعمل فيما يعالج بالشفتين من الحركات، وهو الرفع والضم لا غير». [٧]

وقد لخص المرعشي موانع الاشمام والروم في الحركات وذلك حيث قال: «اعلم أن الروم والاشمام لا يكونان في هاء التأنيث، ولا في ميم الجمع، ولا في الحركة العارضة في الوصل. والمراد من هاء التأنيث تاء التأنيث المبدلة هاء في الوقف والمراد بميم الجمع ما يوصل بواو عند بعض القراء. والحركة العارضة هي الحركة العارضة لالتقاء الساكنين، نحو: لم يكنِ الذين». [٨]

ومذهب النحاة أن الروم يكون في الحركات الثلاث، الا أنه في المنصوب والمفتوح يحتاج الى رياضة لخفة الفتحة وتناول اللسان لها بسرعة. [٩] ولذلك لم يجزه القراء فيه. [١٠] قال عبد الوهاب القرطبي: «وانما كان الروم في المكسور والمضموم إعراباً كان أو بناء دون المفتوح وإن كان الأصل استواءهما في الروم، لأن المفتوح أخف، وحركته أسرع ظهوراً، فلورام الرائم الاتيان ببعضها وجزئها جاء كلها وجملتها». [١١]

أما الاشمام فان جمهور النحاة والقراء لا يرون جوازه في غير المرفوع، وما نقل عن بعض القراء من جوازه في المجرور يحمل على الروم. [١٢] وقد أطلق بعض العلماء كلمة الاشمام على خلط الضمة بالكسرة في مثل (قِيل وسِيء) في بعض

(٧) التحديد ٤١ظ - ٤٢و. وانظر: مكي: الكشف ١٢٢/١، والقرطبي: الموضح ١٨٧ظ.

(٨) جهد المقل ٥٤ظ.

(٩) ابو حيان: ارتشاف الضرب ص ١٧٣.

(١٠) المرادى: شرح التسهيل ٣١٢ظ.

(١١) الموضح ١٨٧ظ، وانظر: المرعشي: جهد المقل ٥٤و.

(١٢) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ١٧٣.

القـراءات . وقـد قال مكي : «وهي ترجمـة على مذهب الكوفيين لأنهم يترجمون عن الاشمام الذي لا يسمع بالروم ويترجمون عن الروم الذي يسمع بالاشمام» . (١٣) كما أن بعض العلماء أطلق كلمة الاشمام على خلط الصاد بالزاي في مثل (الصراط) . (١٤)

وعلل علمـاء التجـويد وجه انحصار الاشمام بالضمة دون الفتحة والكسرة ، فقال عبـد الـوهـاب القـرطبي : «واختص به المـرفوع والمضموم دون المكسور والمجرور والمفتـوح والمنصـوب لأن الضم من الشفتين ، واذا أومأ بشفتـه نحـوه أمكن الايمـاء وأدركـه الـرائي وان انقطع الصوت ، لأن الرائي يدرك مخرج هذه الحركة وهو الشفتان ، فأمكن أن يدركهـا ، أمـا في المجرور والمكسور والمنصوب والمفتوح فانما امتنع لأن الكسر ليس من الشفة ، وانما من مخرج الياء ، ومخرج الياء من شجر الفم ، والنظر لا يدرك حركتـه ، وكـذلـك الفتح من الألف ، ولا آلة للألف يدركها النظر ، لأن مخرجها من الحلق . والرائي لا يدركه ولا يدرك حركته ، والصوت ينقطع دون الشروع في هذا الجزء من الحركة ، فلم يبق للنظر ولا للسمع وصول الى ادراكه فامتنع الاشمام فيه لذلك» . (١٥)

والاشمـام لا يكـون خاصاً بالوقف ، بل قد يكون في الوصل أيضا ، قال الداني : «وأما المشم من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومئ بالعضو ، وهما الشفتان . . . » . (١٦) وقال ابن الطحان : «والاشمام عبارة عن ضم الشفتين ، وهـو بالأوائـل والأواسـط والأطـراف ، يكـون دليـلا على الضمة . . . فيكـون صوغـه بأوائـل الكلم مع الشـروع في كسـر الحـرف المشم ، ويكون صوغه بأوسـاطهـا (عنـد)(١٧) سكـونهـا الخالص في مدغماتها ، ويكون صوغه بأطرافها عند سكـونهـا الـوقفي واثـر حصـولـه . ولا يقصـد به أن يقرع سمعاً في جميعها ، فان حد

---

(١٣) مكي : الكشف ١/١٢٢ وانظر: الداني : التحديد ١٣ظ .

(١٤) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٠٥-١٠٦ والمرعشي : جهد المقل ٥٤ظ .

(١٥) الموضح ١٨٧ظ . وانظر: ابن الباذش: الاقناع ١/٥٠٥ .

(١٦) التحديد ١٣ظ .

(١٧) ساقطة من الاصل المخطوط .

الاسماع غير مقصود، فلعلة خافية إلا على من اقتدى بسنة التجويد العالية». [18]

ويعلل علماء التجويد ظاهرة الروم والاشمام في الوقف بالدلالة على كيفية الحركة في الوصل، قال مكي: «اعلم ان الروم والاشمام انما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة، كيف كانت في الوصل. وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الاشمام، لأن الروم يُسْمَعُ ويُرَىٰ، والاشمام يُرَىٰ ولا يُسْمَعُ. فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل، ومن أشم الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك». [19]

ولا نلاحظ اليوم أحداً من متكلمي العربية الفصحى يحرص على روم أو اشمام في وقفه، حتى بدا ذلك أمراً غريباً على المسامع، اللهم إلا اذا كان ذلك لدى نفر قليل من علماء القراءة المتمسكين بالرواية.

ب ـ الاختلاس والاخفاء:

هذان المصطلحان يشيران الى تقصير يلحق الحركات لكنه غير محدد بمقدار واضح، ويبدو أنهما أعم دلالة على ذلك من الروم، وان كانا من جنسه، قال الداني: «فأما ما ضعفت صوتك بحركته ولم تتمه فنحو الروم والاخفاء والاختلاس، وقد قدمنا أنه محرك في الحقيقة». [20]

ويعرّف علماء التجويد الاختلاس بأنه «عبارة عن الاسراع بالحركة إسراعاً يحكم السامع به أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن». [21] وقال الداني: «وأما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعاً، يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الاسراع، وهي كاملة في الوزن تامة في الحقيقة، الا أنها لم تمطط، ولا ترسل بها، فخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها». [22]

---

(١٨) مرشد القارئ ١٣٥و.

(١٩) الكشف ١/١٢٢. وانظر: القرطبي: الموضح ١٨٧و.

(٢٠) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٨ظ.

(٢١) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٥ظ.

(٢٢) التحديد ١٣و.

وقـال الـداني أيضـا بعـد أن ذكـر المختلس والمرام: «وكذا المخفى حركته من الحروف سواء. قال سيبويه: المخفى بوزن المظهر.[٢٣] وقال غيره: هو بزنته الا أنه أنقص صوتاً منـه. وحقيقتـه في اللغة الستر، ومن ذلك قوله تعالى ﴿إنَّ الساعةَ آتيةٌ أكـادُ أُخْفِيهَـا﴾ (طـه ١٥) أي: أسترهـا. والمخفىٰ شيئـان: حرف وحركة. فاخفاء الحرف نقصان صوته، واخفاء الحركة نقصان تمطيطها».[٢٤]

وتحـدث الـداني عن إخفـاء الحـركـات أيضـا وقـال: «فأما إخفاء الحركات فهو اختـلاسهـا والاسـراع باللفـظ بهـا من غير تسكين ولا تشديد، وهو عند النحويين بزنة متحـرك، يعنـون أن الصـوت يضعف لا أنـه[٢٥] يسكن رأساً، وذلك في قوله تعالى: ﴿قـالـوا ياأبـانـا مالَـكَ لا تَأْمَنَّـا﴾ (يـوسف ١١) في قول الجمـاعة.[٢٦] وقوله ﴿شَهْرُ رَمَضَـان﴾ (البقـرة ١٨٥) و﴿يُحِلُّ لَكُم﴾ (النساء ١٩) و﴿مِنَ الرِّزْقِ قُلْ﴾ (الاعراف ٣٢)، وشبه ذلك من مذهب أبي عمرو».[٢٧]

ويبـدو من ذلـك أن الـروم والاختـلاس والاخفـاء من حيث تقصيـر الحركة شيء واحد، حتى قال أحمد بن أبي عمر، وهو يتحدث عن الاخفاء: «وهو بين الأمرين، كالاختـلاس بين الحـركة والسكون، وكالاشمام بين الحركة والروم».[٢٨] ولكن يبدو أن كُلًّا من الاختـلاس والاخفـاء يستعمـل في موضع معين، وكلاهما يرتبط بمذهب أبي عمرو بن العلاء في القراءة.

فمصطلح الاختلاس يستخدم للاشارة الى مذهب أبي عمرو في مثل ﴿بارِئكم﴾ (البقـرة ٥٤) و﴿يُشعِـرُكُم﴾ (الانعـام ١٠٩). قال ابن مجـاهـد: «واختلفوا في كسر الهمزة واختلاس حركتها واشباعها في قوله (الى بارئكم) فكان ابن كثير ونافع وعاصم

---

(٢٣) الكتاب ٤/٤٣٨.

(٢٤) التحديد ١٣و-١٣ظ.

(٢٥) في الاصل (لانه).

(٢٦) انظر: الداني: التيسير ص ١٢٧. والتحديد ٣٥ظ، والمرعشي: جهد المقل ٥٥و.

(٢٧) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٧ظ.

(٢٨) الايضاح ١١٤و.

وابن عامر وحمزة والكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف. واختلف عن أبي عمرو... وقال سيبويه: (٢٩) كان أبو عمرو يختلس الحركة من (بارئكم) و(يأمركم) وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات، فيرى من سمعه أنه قد أسكن، ولم يكن يسكن... وقال اليزيدي في ذلك كله أنه كان يسكن اللام من الفعل في جميعه. والقول ما أخبرتك به من أنه كان يؤثر التخفيف في قراءته كلها، والدليل على إيثاره التخفيف أنه كان يدغم من الحروف ما لا يكاد يدغمه غيره، ويلين الساكن من الهمز، ولا يهمز همزتين، وغير ذلك...». (٣٠)

وأما إخفاء الحركة فيستخدم في ما أدغمه أبو عمرو بن العلاء من الادغام الكبير وقبل الحرف الأول حرف ساكن، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مِنَ الرِّزْقِ قُل هي﴾ وقوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ وما كان مثله. قال سيبويه: «واذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواء، حرف ساكن لم يجز أن يسكن، ولكنك إن شئت أخفيت وكان بزنته متحركاً». (٣١)

وقال الداني: «وأهل الأداء يقولون ترام حركة أول المدغم في ذلك، فيجعلونه إخفاء، والمخفى بمنزلة المتحرك، وهو الوجه في العربية، وبذلك قرأت وبه آخذ». (٣٢) وقال في موضع آخر: «قال أبو عمرو: وقد اختلف علماؤنا من القراء والنحويين في كيفية الاشارة الى حركة المدغم. فقال بعضهم يكون إيماء اليها بالشفتين من غير إحداث شيء في جسم الحرف، فجعلوا ذلك إدغاماً صحيحا، لأن الايماء بالعضو لا يكون الا بعد تسكين الحرف رأساً.

وقال آخرون: حقيقة الاشارة في ذلك أن تكون بالحركة الى الحرف لا بالعضو اليها لأن ذلك آكد في البيان عن كيفيتها فجعلوا ذلك إخفاء لا ادغاماً صحيحاً،

---

(٢٩) انظر: الكتاب ٤/٢٠٢.

(٣٠) كتاب السبعة ص ١٥٤-١٥٦. وانظر: الداني: التيسير ص ٧٣. وابن الباذش: الاقناع ٤٨٥/١.

(٣١) الكتاب ٤٣٨/٤.

(٣٢) الادغام الكبير ١٢و.

لأن الحرف إذا أُشير إليه بحركته لم تذهب حركته رأساً بل يضعف الصوت بها تضعيفاً لا غير. وهي مع ذلك في زنة المتحرك التام الممطط اللفظ، والى هذا ذهب في ذلك عامة أهل الأداء ابن مجاهد وسائر أصحابه: أبي طاهر بن أبي هاشم، وأبي بكر الشذائي، وأبي الفرج الشنبوذي، وغيرهم.

وهو اختيار شيخنا أبي الفتح نضر الله وجهه،(٣٣) أُشِيرُ بالعضو الى حركة الحرف المدغم فلا يقرع سمعه، وكان ضريراً، فيردده عليّ حتى أُسمعه صوت الحركة فيستحسن ذلك ويرضاه. وكان ربما لفظ لي بذلك كذلك ووقفني عليه». (٣٤)

وذكر ابن يعيش أن ابن مجاهد قال: «يترجمون عنه بادغام وليس بادغام، انما هو إخفاء، والاخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت». ثم قال ابن يعيش: «وعلى هذا الأصل ينبغي أن يحمل كل موضع يذكر القراء انه مدغم، والقياس يمنع منه، على الاخفاء، مثل (شهر رمضان) وما أشبه ذلك من حرف مدغم قبله ساكن صحيح». (٣٥)

وقال الاستراباذي: «وأما ما نسب الى أبي عمرو من الادغام في نحو ﴿خُذِ العفوَ وَأْمُرْ﴾ و﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ فليس بادغام حقيقي، بل هو إخفاء أول المثلين إخفاء يشبه الادغام». (٣٦)

وليس غرضنا هنا الدخول في تفصيلات هذا النوع من الادغام الكبير لأنا ذكرنا من قبل أن الادغام الكبير درسه القراء في كتب القراءات، ولم يتعرض له علماء التجويد في كتبهم. وانما نريد أن نوضح أن إخفاء الحركات يستخدم في مثل هذا النوع من التركيب، حيث قال عنه بعض القراء بانه إدغام صحيح، بينما قال عنه بعضهم وأكثر النحويين بأنه ليس بادغام ولكن يحمل على إخفاء الحركة. ولكن لابد من أن نذكر قولين من أقوال أئمة النحاة أنصفا ولم يتعصبا، وهما ابن الحاجب وأبو حيان، وكلاهما من القراء، فهما أدرى بمذاهب الفريقين.

---

(٣٣) يعني فارس بن أحمد، ت ٤٠١هـ، انظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٥-٦.

(٣٤) الادغام الكبير ٢٦و- ٢٦ظ. وانظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه ٦/٦٢٩.

(٣٥) شرح المفصل ١٠/١٤٧، وانظر أيضا ١٠/١٢٣ و١٤٠.

(٣٦) شرح الشافية ٣/٢٤٧، وانظر أيضا ٣/٢٧٤.

قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) «والأَوْلَىٰ الرد على النحويين في منع الجواز، وليس قولهم بحجة إلا عند الاجماع، ومن القراء جماعة من النحويين، فلا يكون إجماع النحويين حجة عليهم مع مخالفة القراء لهم، ثم ولو قُدِّرَ أن القراء ليس فيهم نحوي فانهم ناقلون لهذه اللغة، وهم مشاركون للنحويين في نقل اللغة، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم. واذا ثبت ذلك كان المصير الى قول القراء أَوْلَىٰ، لأنهم ناقلوها عمن ثبتت عصمته عن الغلط في مثله، ولأن القراءة ثبتت تواتراً، وما نقله النحويون آحاد، ثم ولو سلم أنه ليس بتواتر فالقراء أعدل وأكثر، فكان الرجوع إليهم أَوْلَىٰ». (٣٧)

وقال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): «والذي قرأناه وتلقيناه عن المشايخ أهل الأداء إدغام ما ذكرناه. والذين رووا ذلك عن أبي عمرو أئمة ثقاة، منهم علماء بالنحو كأبي محمد اليزيدي وغيره، فوجب قبوله، وإن لم يجزه البصريون غير أبي عمرو، فأبو عمرو رأس في البصريين، ولم يكن ليقرأ إلا بما قرأ وروى، لأن القراءة سنة متبعة، غاية مافي ذلك أن يكون قليلاً في كلام العرب». (٣٨)

وقد وازن بعض علماء التجويد بين الحركة المختلسة والحركة المرامة. قال أبو بكر أحمد بن الجزري: «والاختلاس والروم يشتركان في التبعيض، وبينهما عموم وخصوص، فالروم أخص، من كونه لا يكون في الفتح والنصب، ويكون في الوقف دون الوصل، والثابت من الحركة أقل من المحذوف. (٣٩) والاختلاس أعم، من كونه يتناول الحركات الثلاث ولا يختص بالآخر. والثابت من الحركة أكثر من المحذوف،

---

(٣٧) الايضاح في شرح المفصل ٢/٤٧٩. وانظر: الجاربردي: شرح الشافية ص ٢٤٠.

(٣٨) انظر: المرادي: شرح التسهيل ٣٠٧و، والسيوطي: همع الهوامع ٦/٢٨٥.

(٣٩) قال ابن الطحان (مرشد القارئ ١٣٥و): «والروم عبارة عن النطق ببعض الحركة، ويكون الفاني منها أكثر من الباقي».

وذلك أن تأتي بثلثيها كأن الذي تحذفه أقل مما تأتي به، وهذا لا تحكمه الا المشافهة» . (٤٠) وقال بعض علماء التجويد: ان الروم هو الاتيان بثلث الحركة. (٤١) وهو يوافق قول أحمد بن الجزرى ان الذاهب من الحركة أكثر من الثابت.

ويلاحظ الدارس في بعض النصوص استخدام كلمة (الاختلاس) بمعنى غير المعنى الذي ذكرناه هنا، وهو الاتيان ببعض الحركة. فقول السعيدي مثلا في باب الواو اذا انفتحت وما قبلها مضموم، نحو قوله تعالى ﴿هُوَ الذي﴾ وما كان مثله: «ينبغي أن تكون الضمة قبل هذه الواوات وما أشبهها مختلسة غير مشبعة، ولا يزاد على لفظها فتزول عن حد الاختلاس الى الاشباع، فانها اذا أشبعت الضمة قبلها صارت في اللفظ واوين، الأولَى ساكنة، والثانية مفتوحة، كقوله: هُوْوَ الذي . . . »(٤٢) فلا يراد بالاختلاس هنا إنقاص الحركة حقها من المد، وانما يقصد به إعطاؤها حقها مع التحفظ من الاشباع والزيادة في المد، لانه موضع تميل الضمة فيه الى الطول، فيتولد منها حينئذ حرف من جنسها وهو الواو، وفي ذلك إخلال بالتلاوة.

وقال عبد الوهاب القرطبي: «ويفرق بين المشبع والمختلس في اللفظ ككسرة ما قبل الياء في (إِنِي أخاف) و(يَدِيَ إليكَ). . . فان هذه الكسرات تُشْبَعُ مادامت الياء ساكنة، فاذا تحركت بالفتح عادت الحركة التي قبلها الى الاختلاس، لأنك لو أشبعت كسرة ما قبلها مع الفتح فيها صارت في تقدير ياءين، وذلك مستكرة». (٤٣)

ومن ثم قال عبد الوهاب القرطبي نفسه: «فاذا سمعت حض أئمة القراءة وأصحاب الأداء على اختلاس الحركة في موضع ما فانما ذلك لأن الحركة تظهر على ذلك الحرف، وفي ذلك المكان، وينطاع بها اللسان أكثر من انطياعه بها على حرف آخر وفي موضع آخر، فيكون الاشباع اليها أسرع». (٤٤)

---

(٤٠) الحواشي المفهمة ٧٧ظ. وانظر: طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ٤٦و.

(٤١) عبد الدائم الازهري: الطرازات المعلمة ٧٥ظ. والبقرى: غنية الطالبين ص ٨٢.

(٤٢) التنبيه ٤٨ظ.

(٤٣) الموضح ١٨٤ظ.

(٤٤) الموضح ١٨٣و.

الوقف وأثره على الحركات:

قال أبو حيان: «الوقف قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة.[٤٥] وهو اختياري، وهو غير الوقف الذي يكون استثباتاً وإنكاراً وترنماً. وغالبه تلزمه تغييرات إما في الحركة بحذف، وهو السكون، أو بروم أو إشمام. وإما في الكلمة بزيادة عليها، إما بتضعيف، وإما بهاء السكت. أو بنقص بحذف حرف العلة، أو بقلب آخر الكلمة الى حرف علة، وبابدال حرف صحيح منه».[٤٦]

والحرف الذي يوقف عليه لا يكون إلا ساكناً، لأن الوقف أول السكوت الذي ينقطع فيه عمل اللسان ويسكن، كما أن الذي يبتدأ به لا يكون إلا متحركاً، وقد استعمل العرب في الوقف الروم والاشمام والتضعيف والنقل الى جانب السكون.[٤٧] وقد تحدثنا عن الروم والاشمام من قبل. والوقف بالتضعيف والنقل لا يأخذ به القراء.[٤٨] وبقي أن نوضح موقف علماء التجويد من الوقف على السكون.

والسكون معناه سلب الحركة،[٤٩] أو هو عدم الحركة.[٥٠] عند علماء العربية وعلماء التجويد وكذلك هو عند المحدثين.[٥١] وحقيقة اللفظ بالسكون أن تخلي الحرف المسكن من الحركات الثلاث، من غير وقف شديد ولا قطع مسرف عليه، سوى احتباس اللسان في موضعه قليلاً في حال الوصل.[٥٢]

وقال عبد الوهاب القرطبي: «وكذلك السكون ينبغي ألَّا تستوفيه إشباعاً فيخرج الى التشديد أو السكوت ومساواة حال قطع الكلام بوصله، ولا يزعجه وينفر فيصير

---

(٤٥) انظر أيضا: ابن الجزري: النشر ١/٢٤٠. والنابلسي: كفاية المستفيد ٢٠و.

(٤٦) ارتشاف الضرب ص ١٧٠.

(٤٧) ابن الباذش: الاقناع ١/٥٠٤.

(٤٨) انظر: المصدر السابق ١/٥١١-٥١٢.

(٤٩) ابن يعيش: شرح المفصل ٦٧/٩. وعلي القاري: المنح الفكرية ص ٧١.

(٥٠) الدركزلي: خلاصة العجالة ١٨٩ظ.

(٥١) انظر: كمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة ١/٢٠١.

(٥٢) الداني: شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٨ظ، والتحديد ١٣و.

حركة أو بعضها، بل يجعل الحركات والسكنات وزناً واحداً، وقدراً معلوماً، وكيلا سواء، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، (٥٣) هذا مسلك هذا الباب الذي ينبغي أن يركبه، وعماده الذي يجب أن يتطبع به». (٥٤)

وتنبه علماء التجويد الى ما يمكن أن يلحق الحرف الساكن من محاذير عند الوقف، فقال ابن البناء : «ويحذر في الساكن من عيبين:

أحدهما: السرعة به حتى يصير متحركاً.

والثاني: التشديد له حتى يزيده ثقلاً». (٥٥)

وقال عبد الوهاب القرطبي: وفيما قدمناه من قوله تعالى: ﴿لاشِيَةَ﴾ (البقرة ٧١)، و﴿الهاوِيَة﴾، (٥٦) و﴿واهِيَة﴾ (الحاقة ١٦) وما أشبه ذلك، ينبغي أن يتوقى الافراط في إشباع فتحة الياء، وان كانت الياء حرفاً خفياً، سيما في الوقف، فان الوقف موضع استراحة واستنفاد للصوت وقطع له. وكثيراً ما ترى القَرَأَةَ في هذا الزمان(٥٧) اذا وقفوا على مثل هذا أشبعوا الفتحة ومططوا حتى تصير ألفاً، فيقولون: ما هياه، نار حامياه. فقس على هذا جميع ما يرد عليك من الحركات التي تكون على الحروف قبل أواخر الكلم مثل ﴿الأَبْتَر﴾ (الكوثر ٣)، و﴿الصَّمَد﴾ (الاخلاص ٢)، و﴿البَلَد﴾ (الاعراف ٥٨) وما أشبه ذلك فان الحكم فيه واحد لا يختلف». (٥٨)

ونبّه علماء التجويد على التحفظ في الوقف على المشدد، قال مكي: «اعلم أن الوقف على الحرف المشدد فيه صعوبة على اللسان، لاجتماع ساكنين في الوقف غير منفصلين، كأنه حرف واحد، فلابد من إظهار التشديد في الوقف في اللفظ،

---

(٥٣) مثل يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. والقذة: ريش السهم. (انظر: لسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٩ قذذ).

(٥٤) الموضح ١٨٣و.

(٥٥) بيان العيوب ١٧٥ظ.

(٥٦) القارعة ٩: (فأمه هاوية).

(٥٧) توفي عبد الوهاب القرطبي سنة ٤٦٢هـ.

(٥٨) الموضح ١٨٤ظ، وانظر أيضا ١٦٧ظ.

وتمكين ذلك حتى يظهر في السمع التشديد». [٥٩]

ولم يغب عن ذهن علماء التجويد أن بعض الكلمات لها أحكام خاصة في الوقف، وذلك مثل المنون المنصوب، فانه يوقف عليه بألف ممكنة سواء كان ممدوداً أو غير ممدود نحو ﴿عليماً حكيماً﴾ (النساء ١١) و﴿فيذهب جفاء﴾ (الرعد ١٧) وما أشبه ذلك، إلا أن يكون في آخر الموقوف عليه تاء التأنيث، فان الألف لا تلحقه حينئذ، لأن هذه التاء تنقلب في الوقف هاء ساكنة في كل الأحوال. [٦٠]

---

(٥٩) الرعاية ص ٢٣٣.

(٦٠) انظر: القرطبي: الموضح ١٧٨و. المرعشي: جهد المقل ٥٣و.

٢ ـ الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بحروف المد:

حروف المد هي الألف، ولا يكون ما قبلها الا مفتوحا، والواو التي قبلها ضمة، والياء التي قبلها كسرة. وتتعرض حروف المد في التركيب للتقصير حتى تصير حركة، وتتعرض للتطويل حتى تصير ضعف طولها الأصلي أو أكثر. ولكل حالة من ذلك موضع معين في التركيب. وكانت عناية علماء التجويد بظاهرة التطويل (أي المد) أكثر من عنايتهم بظاهرة التقصير، وذلك لتنوع أسباب المد، وتعدد درجاته، واختلاف القراء فيه. أما تقصير حروف المد فله موضع واحد، ولا اختلاف فيه بين القراء، ومن ثم فقد أغفل كثير من العلماء ذكره، استغناء بشهرته عن تكلف الكلام عنه.

وتقصير حروف المد، ويعبرون عنه قديماً بحذف حروف المد، وردت الاشارة اليه في كلام علماء العربية، لكن ليس في سياق الحديث عن المد، وانما في سياق الكلام عن تميز حروف المد الثلاثة عن سائر الحروف. قال المبرد: «وهي حروف بائنة من جميع الحروف، لأنها لا يمد صوت إلا بها، والإعراب منها، وتحذف لالتقاء الساكنين في المواضع التي تحرك فيها غيرها، نحو قولك: هذَا الغلام، وأنت تغزُو القوم وترمِي الغلام. ولو كان غيرها من السواكن لحرّك لالتقاء الساكنين، نحو: اضربِ الغلام، وقلِ الحق». (١)

وقال الأزهري، وهو يتحدث عن الواو والياء اذا لم يكن قبلهما حركة من جنسهما: «والواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، وإذا تحركتا كانتا أقوى ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة اذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن. كقولك: عبد الله ذو العمامة، كأنك قلت: ذُلْ. وتقول: رأيت ذا العمامة كأنك قلت: ذَلْ. وتقول: مررت بذي العمامة، كأنك قلت: ذِلْ، ونحو ذلك كذلك في الكلام أجمع. والياء والواو بعد الفتحة اذا سكنتا ولقيهما ساكن بعدهما فانهما يتحركان ولا يسقطان أبدا، كقولك: لوِ آنطلقتَ يا فلان. وقولك

---

(١) المقتضب ١/٢١٠.

للمرأة: ٱخْشَيِ الله، وللقوم: ٱخْشَوُا الله. واذا وقفت قلت: اخشَوْا، واخشَيْ». [٢]

وتحدث بعض علماء التجويد عن ذلك، لكن في سياق الكلام عن المد، فقال علم الدين السخاوي، وهو يتحدث عن حروف المد الثلاثة: «ولقاؤها الساكن على ثلاثة أضرب: ساكن مدغم، نحو: الضالّين. وساكن غير مدغم، نحو: نون ولام وميم، وما جاء في فواتح السور، فانها تمد في ذلك كله مداً ممكناً. فان كان الساكن في كلمة اخرى نحو ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ (النمل ٤٧) حذف حرف المد لانفصاله، وكذلك ان كان الساكن مظهراً نحو: ﴿أُولُوا ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران ١٨)، و﴿كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ (النساء ١٧٦)، و﴿عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا﴾ (المائدة ٢٣)». [٣]

أما موضوع تطويل حروف المد فقد حظي بعناية كبيرة من علماء التجويد المتقدمين والمتأخرين على السواء، فوضحوا وعللوا، وقسموا وبالغوا في التقسيم. وقد وضح المرادي خطة لدراسة الموضوع فقال: «والكلام على ذلك يتضح ببيان ستة أشياء هي: المد، وحروفه، وعلة اختصاصها به، والأصل منها، وأمكنها فيه، وسببه». [٤] وقد وضح المرادي موضوع المد على أساس هذه الخطة، وهي تستغرق أكثر المباحث المتعلقة بالموضوع، ونحن ندرس الموضوع في الفقرات الآتية:

أ ـ تعريف المد:

عرّفه المرادي بقوله: «المد هو تطويل صوت الحرف لاشباع مخرجه» [٥]

وعرفه عبد الدائم الأزهري بقوله: «وأصل المد في اللغة الزيادة، يقال: مددت الشيء إذا زدته، ومنه ﴿يُمْدِدْكُم ربكم﴾ (آل عمران ١٢٥). واصطلاحاً: عبارة عن إطالة الصوت بالحرف الممدود». [٦]

---

(٢) تهذيب اللغة ١/٥٢.

(٣) جمال القراء ١٨٨ظ. وانظر: ابن الباذش: الاقناع ١/٤٦٣.

(٤) المفيد ١٠٣ظ.

(٥) المفيد ١٠٤و.

(٦) الطرازات المعلمة ٥٠و. وانظر: ابن بلبان: بغية المستفيد ٥٦و.

وعرفه القسطلاني بقوله: «المد عبارة عن زيادة المط في حروف المد على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات الحرف الا به. والقصر عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله». (٧)

وعرفه طاش كبرى زاده بقوله «المد في الاصطلاح طول زمان صوت الحرف». (٨)

وهذه التعريفات تقاربت في اللفظ، وتطابقت في الدلالة، فهي تجمع على أن المد إطالة صوت المد زيادة على ما فيه من مد طبيعي لا تقوم ذات الحرف الا به، ولتلك الزيادة أسباب، ولها مقدار، نوضحها بعد قليل ان شاء الله.

وكان علي القارى قد قال: «ولا يخفى أن المد ليس حرفاً ولا حركة، بل زيادة على كمية حرف المد». (٩) وهذه ملاحظة ذات معنى بعيد في فهم حقيقة ظاهرة المد. فقول علي القاري ان المد ليس بحرف ولا حركة معناه أنه لا يؤدي الى تغيير المعاني. فالحروف الذائبة في العربية لها درجتان من الطول قصيرة وهي الحركات، وطويلة وهي حروف المد. وكل زيادة في مد الصوت بعد ذلك لا تؤدي الى درجة ثالثة يكون لها شأن في تغيير المعنى، انما تكون تلك الزيادة نوعا من التأثر الناتج عن التركيب حين تقع حروف المد في سياقات معينة، وتكون زيادة المد مثل بقية الظواهر التي تلحق الأصوات في التركيب سواء أكانت جامدة أم ذائبة.

وكان ابن الطحان قد جمع المصطلحات التي تتعلق بموضوع المد والقصر، وقدّم تعريفاً موجزاً لكل منها. وهو في ذلك يعرّف المد بأنه الصوت الجاري في حروف المد، سواء كان ذلك الصوت يمثل ذاتها أو ما يعرض لها من الزيادة. ويبدو لي أن نقل تلك التعريفات ضروري لتوضيح بعض النصوص القديمة التي تعالج موضوع المد.

قال ابن الطحان:

«والمد: عبارة عن أصوات حروف المد واللين، وهو نوعان: طبيعي وعرضي.

---

(٧) اللالئ السنية ٢٦ظ.

(٨) شرح المقدمة الجزرية ٣١ظ. وانظر: النابلسي: كفاية المستفيد ١٢ظ.

(٩) المنح الفكرية ص ٤٥.

فالطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه.

والعرضي هو الذي يعرض زيادة على الطبيعي لموجب يوجبه، يرد في مكانه، ان شاء الله.

والمط: هو المد نفسه لغة ثانية فيه.

واللين: عبارة عن ما يجري من الصوت في حرف المد ممزوجاً بالمد طبيعة وارتباطاً، لا ينفصل أحدهما في ذلك عن الآخر، وهو أجرى في الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما. كما أن المد أجرى فيهما اذا انكسر ما قبل الياء، وانضم ما قبل الواو.

والقصر: عبارة عن صيغة حرف المد واللين، وهو المد الطبيعي.

والاعتبار: عبارة عنه أيضاً في بعض القراءات، وذلك أن بعضهم يعتبر حرف المد واللين مع الهمزة. فان كانا منفصلين لم يزد على الصيغة شيئاً.[10]

والتمكين: عبارة عن الصيغة أيضا. وقد يعبر به عن المد العرضي، يقال منه: مَكِّنْ، اذا أُريدت الزيادة.

والاشباع: عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصيغة لمن له ذلك. ويستعمل أيضاً عبارة عن أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مختلسات». [11]

ويرى بعض علماء التجويد أن الألف أمكن حروف المد، بينما يرى بعضهم أن الواو أمكن ثم الياء ثم الألف. قال ابن الباذش: «ولا خلاف في تمكين حروف المد واللين، وان لم يلقهن شيء مما ذكرنا، تمكيناً وسطاً، من غير اشباع ولا زيادة، نحو (قال، وقولوا، وقيل، وتاب، ويتوب) وشبهه. وإن سُمِّيَ هذا مقصوراً فعلى معنى أنه قصر عن المد المشبع، لا أنه[12] لامد فيه البتة. وأمكنهن في المد الألف ثم الياء، ثم الواو. وكان أبو القاسم يحكي لنا عن أبي بكر الصقلي[13] أنه

(١٠) ذكره ابن الباذش في كتابه الاقناع ١/٤٦٥.

(١١) مرشد القارئ ١٣٣و.

(١٢) في الأصل (لانه)، وهو يعارض معنى سياق الكلام.

(١٣) هو محمد بن أبي الحسن، يعرف بابن نبت العروق (عاش في القرن الخامس). انظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/١٢٧.

كان يذهب الى أن أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف. وهكذا وضع هذا أبو بكر في كتابه المعروف بالاقتداء». (١٤)

وقال المرادي: «والأصل في حروف المد الألف، لأنها حرف مد، ولأنها أوسع مخرجاً من الواو والياء. وأمكن حروف المد فيه الألف ثم الياء ثم الواو. وهذا مذهب سيبويه. ولذلك اختار بعض القراء تفضيل الألف على الياء، والياء على الواو في التلاوة. والذي أخذ به أكثر الأئمة استواء الثلاثة في مقدار المد، وهو الذي قرأنا به. وما ذهب اليه الصقلي من أن أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف بعيد». (١٥)

ولا شك في أن حروف المد الثلاثة متفاوتة في سعة المخرج، فبينما تضم الشفتان في الواو. ويقترب ظهر اللسان من وسط الحنك الاعلى في الياء، يكون مجرى الهواء في الحلق والفم مفتوحاً، لا يعترض الصوت معه عارض في نطق الألف، (١٦) لكن ذلك لم يؤثر في مقدار الزيادة التي تلحق كل حرف من حروف المد، ومن ثم قال المرادي: (والذي أخذ به أكثر الأئمة استواء الثلاثة في مقدار المد).

ب ـ سبب المد:

أشار علماء العربية الى ظاهرة المد، فقد قال ابن جني: «ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توامّ كوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض. وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما. فاذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً...». (١٧)

---

(١٤) الاقناع ١/٤٦٨.

(١٥) المفيد ١٠٤و.

(١٦) انظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب ١/٨.

(١٧) سر صناعة الاعراب ١/١٩-٢٠.

وردد علماء التجويد ما ذكره ابن جني من أسباب المد، لكنهم أفاضوا في التقسيم والتمثيل والتعليل. قال مكي، وهو يتحدث عن الألف: «فاذا لاصقته همزة لم يكن بد من تمكين مده. ومده اذا كانت الهمزة بعده آكد، نحو جاء، وشاء. وكذلك يمد إذا كان بعده ساكن مشدداً وغير مشدد. وزيادة تطويل المد ونقصه فيه على حسب ما ذكرناه في غير هذا الكتاب مع اختلاف القراءة عن القراء». [١٨]

ومثل ذلك قول الداني، وهو يتحدث عن الألف أيضا: «وإن لقي همزة أو حرفاً ساكناً، مظهراً أو مدغماً، زيد في تمكينه واشباع مده، بياناً للهمزة لخفائها، وليتيمز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعا. وكذلك حكم الياء المكسور ماقبلها، والواو المضموم ما قبلها مع الهمزة والساكن ومع غيرهما كحكم الألف سواء». [١٩]

وقال عبد الوهاب القرطبي: «أما المد فهو حكم يجب لحروف المد واللين اذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر: كالسماء، والبناء، وقائل، وبائع. وكالضالّين، والعادّين، والصاخّة. ونستعين، والأبرار، ويوقنون، ويعلمون، اذا وقفت عليها. وما أشبه ذلك». [٢٠]

قال المرادي: «وسبب المد أحد شيئين، وهما: الهمزة والسكون». [٢١]

وأضاف بعض علماء التجويد سبباً آخر، وهو السبب المعنوي، فقالوا: السبب المقتضي لزيادة المد قسمان: معنوي ولفظي، فالمعنوي هو قصد المبالغة في النفي في مثل (لا ريب فيه) ومنه مد التعظيم في نحو (لا اله الا الله). واللفظي هو ما مد من أجل الهمزة والسكون. لكن المعنوي سبب ضعيف اذا لم يعاضده سبب آخر كما في (لا اله الا الله). [٢٢] وكلام علماء التجويد عن المد يدور على ما كان سببه الهمزة أو السكون.

---

(١٨) الرعاية ص١٣٤.

(١٩) التحديد ٢٤ظ.

(٢٠) الموضح ١٦٦و.

(٢١) المفيد ١٠٤و.

(٢٢) انظر: ابن الجزري: النشر ١/٣٤٤. والطبلاوي: مرشدة المشتغلين ١٠و.

جـ ـ تعليل ظاهرة المد:

تفسير الظواهر الصوتية جزء من مهمات دارس الأصوات، وذلك لاكتشاف الأسباب التي تكمن وراء الظواهر، ولا يتأتى ذلك دائماً. وكان لعلماء التجويد محاولات في تعليل الظواهر الصوتية، معظمها مبني على أسس صوتية. وقد مر منها في هذا البحث شيء غير قليل.

وكان ابن جني قد حاول تعليل المد قبل الهمزة والمشدد. فقال في تعليل زيادة المد قبل الهمزة: «انما تمكن المد فيهن مع الهمزة أن الهمزة حرف نأىٰ منشؤه، وتراخىٰ مخرجه، فاذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن في الصوت، فوفين له وزدن في بيانه ومكانه، وليس كذلك اذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدد. ألا تراك اذا قلت: كتاب، وحساب، وسعيد، وعمود، وضروب، وركوب، لم تجدهن لدنات ولا ناعمات، ولا وافيات مستطيلات، كما تجدهن اذا تلاهن الهمزة أو الحرف المشدد». (٢٣)

وقال أيضا في تعليل المد قبل المشدد: «وأما سبب نعمتهن ووفائهن وتماديهن اذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن ـ كما ترى ـ سواكن وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقي ساكنان حشواً في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها، اذا لم يجدوا عليه تطرّقاً، ولا بالاستراحة اليه تعلقاً. وذلك نحو شابّة ودابّة...». (٢٤)

واشتغل علماء التجويد بتعليل ظاهرة المد، فكانوا بين موجز ومطيل، فالداني اكتفى بقوله وهو يتحدث عن الألف: «وان لقي همزة أو حرفاً ساكناً مظهرا أو مدغما، زيد في تمكينه واشباع مده، بيانا للهمزة لخفائها، وليتيمز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعا». (٢٥)

(٢٣) الخصائص ٣/١٢٥.

(٢٤) الخصائص ٣/١٢٦. وانظر: السيوطي: الاشباه والنظائر ١/١٦٦.

(٢٥) التحديد ٢٤ظ.

وقـال مكي في تعليـل المـد قبل الهمزة: «ان هذه الحروف خفية، والهمزة حرف جلد بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفاً خفياً خيف عليه أن يزداد بملاصقـة الهمـزة له خفـاء، فبين بالمـد ليظهر». [٢٦] وتعليل مكي هذا يختلف عن التعليل السابق، لان المد في رأي مكي هو حفاظ على حرف المد لخفائه، لا حفاظ على الهمزة.

وعلل مكي المـد قبـل الحـرف المشدد بقوله: «فلما وقع بعد حروف المد واللين وحـرفي اللين[٢٧] حرف مشـدد وأوله ساكن، وحروف المد واللين وحرفا اللين سواكن لم يمكن أن يوصـل الى اللفـظ بالمشـدد بسـاكن قبله، فاجتلبت مدة تقـوم مقـام الحـركـة، يوصـل بهـا الى اللفـظ بالمشـدد. وكانت المدة أَوْلَىٰ لأن الحرف الذي قبل المشـدد حرف مد، فزيـد في مده، لتقـوم المـدة مقـام الحركة، فيتوصل بذلك الى اللفظ بالمشدد، وهذا إجماع من العرب ومن النحويين.

والعلة في المد للساكن غير المشدد يقع بعد حروف المد واللين كالعلة في المد للمشـدد، لأن بالمـدة يوصـل الى اللفظ بالساكن بعد حرف المد واللين، فليس في كلام العرب ساكن يلفظ به الا وقبله حرف متحرك، أو مدة على حرف مد، تقوم مقام الحركة». [٢٨]

وعلل عبـد الـوهاب القرطبي المد ببيان الهمزة، وبالفرق بين الساكنين. ولولا ما في كلامه من الوضوح والعمق وبعد النظرة لاكتفيت بالنصوص السابقة. قال: «العلة في وجـوب المـد تختلف. فعلة وجـوبـه فيمـا اذا كان بعد حرف المد همزة أن حرف المـد في غايـة الخفاء والخفة، والهمزة في غاية الظهور والثقل، فهما ضدان، فجاء المـد مقـرّبـاً لهذه الحروف ومظهراً لخفائها، لتحصل هناك مناسبة ما تحصن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف وتتلاشى.

فأمـا اذا انفتـح ما قبـل اليـاء والـواو فانهمـا لا يمـدان اذا عقبتهما الهمزة في مثل

---

(٢٦) الكشف ١/٤٦.

(٢٧) يريد الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما. وفي مدهما اختلاف سوف نذكره.

(٢٨) الكشف ١/٦٠.

﴿خَلَوْا إلى﴾ (البقرة ١٤)، و﴿تَعَالَوْا إلىٰ﴾ (آل عمران ٦٤)،و﴿ٱبْنَيْ آدم﴾ (المائدة ٢٧)، و﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾ (الفرقان ٤٠)، لأن اللسان ينبسط بهما فتثقلان ولا تخفيان خفاء الواو والياء والألف مع حركاتهن، فلم يجب المد لذلك.

فالحاصل أن هذه الحروف انما مدت لئلا يكون اللسان منتقلاً عن الأخف الى الأثقل دفعة، فلا يتحقق مخرج الهمزة، فقويت بالمد إرادة لبيان الهمزة، وقصداً لتحقيق مخرجها، وتوخي تمكن النطق بها، ولهذه العلة استحب إظهار السكون قبلها ابرازاً بيّناً شافياً. وسيأتي ذلك.

فأما اذا كان بعدها حرف ساكن مظهر أومدغم فانما وجب فيه المد للفرق بين الساكنين لما التقيا، لأن الممدود نظير المتحرك، من حيث إن زمان النطق بالحرف المدود أطول من زمان النطق بغيره، كما أن زمان النطق بالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن، فصار المد في كونه فاصلاً كالحركة. وهومعنى قول سيبويه: ان الادغام حسن لأن حرف المد بمنزلة المتحرك في الادغام.[٢٩] يعني أن الممدود صار بزيادته وطوله كالمتحرك، ولهذا لو أردنا تطويل الحرف أيّ زمان شئنا لم يمكن الا في حروف المد، والمدغم في مثله ينحى بالحرفين فيه نحو الحرف الواحد، فاجتمع فيه مد الحرف الذي هوقائم مقام الحركة وكون الحرفين كالحرف الواحد، وفي الثاني حركة، فحسن الادغام لذلك. فصار كأنه لم يلتق ساكنان».[٣٠]

ويتلخص من ذلك أن علماء العربية وعلماء التجويد يجعلون علة المد قبل الهمزة لبيانها هي، وقبل المشدد للفصل بين الساكنين، الا أن مكيا جعل المد قبل الهمزة من أجل المحافظة على حرف المد لا لبيان الهمزة، وهوخلاف ما أجمعوا عليه، وقد نقل علم الدين السخاوي أنه: «قال الزجاج وابن قتيبة موجب تمكين المد بيان الهمزة لا بيان المدود، لان الهمزة خفية، ومع خفائها ففي إخراجها كلفة، لأنها تخرج من الصدر كالسعلة لشدتها وبعد مخرجها فقويت بتمكين المد في حرف المد قبلها. وأما زيادة تمكين المد مع الساكن فلأجل التقاء الساكنين، فكان المد

(٢٩) انظر: الكتاب ٤/٤١٩ و٤٣٨.

(٣٠) الموضح ١٦٦و- ١٦٦ظ.

كالحركة، لانه يتميز به أحدهما عن الآخر». [٣١]

ولم تلق ظاهرة المد عناية من قبل دارسي الأصوات العربية المحدثين، ومن ثم فانها لم تمتحن بوسائل الدرس الصوتي الحديث، الا ما قاله الدكتور ابراهيم أنيس في تعليل ظاهرة المد، وهو تعليل مبني على الملاحظة الذاتية: «أما السر في هذه الاطالة فهو - كما يبدو لي - الحرص على صوت اللين وطوله، لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الادغام لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حراً طليقاً، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يسلتزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة، فاطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزةالتي تحتاج الى مجهود عضوي كبير والى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين.

«وهذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم، لأن طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة (أي حروف المد) حين يليها صوتان ساكنان، فحرصاً على صوت اللين وابقاء على ما فيه من طول بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها، من ميل صوت اللين الى القصر حين يليه صوتان ساكنان». [٣٢]

وتعليل الدكتور ابراهيم أنيس لظاهرة المد قبل الحرف المشدد يوافق ما ذهب اليه جمهور علماء التجويد، لكن مذهبه في تعليل المد قبل الهمزة لا يوافق الا ما ذهب اليه مكي بن أبي طالب، ومع ذلك فان تحليل الدكتور ابراهيم أنيس لظاهرة المد قبل الهمزة والصوت المشدد يصب في نفس الاتجاه الذي سار فيه علماء التجويد، وهو يؤكد موقفهم، فالتحليل للظاهرة واحد، ثم قال علماء التجويد ان المد من أجل المحافظة على الهمزة، وقال الدكتور ابراهيم أنيس انه من أجل المحافظة على صوت المد.

---

(٣١) جمال القراء ١٨٨ظ.

(٣٢) الاصوات اللغوية ص ١٥٩-١٦٠.

ولا يعني الاختلاف في تعليل ظاهرة ما الشك في وجودها، فسواء ثبتت صحة ما قاله جمهور علماء التجويد في تعليل ظاهرة المد أو ما قاله غيرهم فان ذلك لا يغير شيئاً من أصالة المد في العربية عموماً وقراءة القرآن خصوصاً، فقد ذكر المد علماء العربية، ورواه علماء القراءة مشافهة، وأكدوا ذلك بأحاديث مرفوعة الى النبي - ﷺ - تتضمن وصف قراءته بالمد. (٣٣)

ونحن اليوم اذا أصغينا الى قراء القرآن المتقنين وهم يطبقون المدود في مواضعها ويعطون كل حرف حقه من المد وجدنا ذلك لطيفاً سائغاً لا تكلف فيه ولا اضطراب، واذا سمعنا قارئاً يمد في غير مواضع المد بدا ذلك نابياً معيباً ثقيلاً على الآذان، مما يدل عى أن أحكام المد انما بنيت على أساس صوتي صحيح.

وأثار بعض علماء التجويد قضية قل من تعرض لها، وهي أن مراعاة أحكام المد ليست لازمة في كل أشكال النطق العربي، وأنها تلزم في قراءة القرآن فحسب، فقد قال مكي بن أبي طالب: «والهمزة اذا وقعت بعد حرف المد واللين لك أن تدع إشباع المد في الكلام، فتقول: صائم وقائم بغير إشباع، قد ثبتت الألف والهمزة ولا تشبع، فأما في القرآن فلابد من إشباع المد اتباعاً للرواية». (٣٤) وما قاله ابن جني من أن حروف المد الثلاثة: «اذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً». (٣٥) يشير الى أن المد ثابت في كلام العرب. كل ما في الأمر أن قراءة القرآن يجب أن تتوفر فيها كل مظاهر العناية والاتقان في توفية الحروف حقوقها من الاحكام الخاصة بها، بينما تتفاوت درجة عناية المتكلم بنطقه فيما عدا القرآن الكريم.

---

(٣٣) انظر: الداني: التحديد ٤و، والعطار: التمهيد ٦١ظ، ٧٠و. والسيوطي: الاتقان ١/٢٧١.

(٣٤) الكشف ١/٦٨.

(٣٥) سر صناعة الاعراب ١/٢٠.

د ـ أقسام المدود:

ترتبط ظاهرة المد بسببين هما: وقوع الهمزة أو الساكن بعد حرف المد، وقد قسم علماء التجويد المتقدمون المد على هذا الأساس، لكن غلب على كثير من المتأخرين منهم الحرص على تنويع تلك الأقسام حتى خرج الأمر الى ما لا فائدة منه.

وكان الداني (ت ٤٤٤هـ) من أوائل علماء التجويد الذين حاولوا وضع مصطلحات محددة لأقسام المد، وذلك حيث قال: «واما الممدود فعلى ضربين: طبيعي ومتكلف.

فالطبيعي: حقه أن يؤتى بالألف والياء والواو التي هي حروف المد واللين ممكنات على مقدار ما فيهن من المد الذي هو صيغتهن، من غير زيادة ولا إشباع، وذلك اذا لم تلق واحدة منهن همزة ولا حرفاً ساكناً، وُيَسَمِّي هذا الضربَ القراءُ مقصوراً...

والمتكلف حقه أن يزاد في تمكين الألف والياء والواو على ما فيهن من المد الذي لا يوصل الى النطق بهن إلا به، من غير إفراط في التمكين، ولا إسراف في التمطيط، وذلك اذا لقين الهمزات والحروف السواكن لا غير...». (٣٦)

واستخدم ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ): المد الطبيعي والمد العرضي، حيث قال: «وهو نوعان طبيعي وعرضي، فالطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه. والعرضي هو الذي يعرض زيادة على الطبيعي لموجب يوجبه». (٣٧)

وقد سمّى بعض المتأخرين من علماء التجويد قسمي المد المذكورين باسم المد الأصلي والمد الفرعي. (٣٨) لكنهم لم يكتفوا بلك، بل فصلوا في ذكر أقسام المد الفرعي حتى جاوزت عند بعضهم العشرين قسماً.

---

(٣٦) التحديد ١٤و ـ ١٤ظ.

(٣٧) مرشد القارئ ١٣٣و.

(٣٨) انظر: زكريا الانصاري: تحفة نجباء العصر ص ٥. والوفائي: الجواهر المضية ١٠ ـ. وابن بلبان: بغية المستفيد ٥٦و.

وهناك رواية تجعل أقسام المد الفرعي عشرة، أقدم من ذكرها من علماء التجويد ممن اطلعت على كتبهم هو علم الـدين السخـاوي (ت ٦٤٣هـ)، لكنـه لم يعين القائل بذلك واكتفى بالقول: «وقد سمّى قوم من القراء المد بأسماء مختلفة باختلاف مواضعه، وجعلوه متفاوتاً على حسب مواقعه، وجعلوه عشرة أنواع، فقالوا. . .». ثم ذكـر تلك الأنـواع مع التـوضيـح والتمثيـل، وهي مد الحجـز، والعـدل والتمكين، والفصـل، والـروم، والفـرق، والبنية، والمبالغة، والبدل، والأصل. ثم قال: «فهذه عشرة أسماء ما أرى لها كبيرة فائدة». [٣٩]

ونقل السيوطي تلك الرواية منسوبة لأبي بكر بن مهران النيسابوري، وذلك حيث قال «قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري: مدات القرآن على عشرة أوجه. . .». [٤٠] ثم ذكرها على نحو ما وردت في الرواية التي نقلها علم الدين السخـاوي. وابن مهـران هو مؤلف كتاب (الغاية في القراءات العشر)، وغيره، وكان قد توفي سنة ٣٨١هـ.

ويبـدو أن الـروايـة السابقة هي جزء من كتاب لابن مهران وضعه في المدود. فقد قال ابن الجزرى في كتابه (النشر) وهو يتحدث عن مد المبالغة: «قال ابن مهران في كتـاب المـدات له: انمـا سمي مد المبـالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلٰهية سوى الله سبحانه». [٤١] وذكر ابن الجزرى كتاب (المدات) في ترجمة ابن مهران في كتاب (غاية النهاية). [٤٢] واذا صح أن تلك الأقسام العشرة للمد وردت في كتاب (المدات) لابن مهران، فان ذلك يعني أن هذه الأقسام كانت معروفة قبل القرن الخامس حين

(٣٩) جمال القراء ١٨٨ظ.

(٤٠) الاتقـان ١/٢٧٥، وهـذه أمثلة تلك الأنـواع كمـا ذكـرهـا السيـوطي: فمـد الحجـز نحـو (أأنـذرتهم)، ومـد العـدل نحـو (الضـالين)، ومـد التمكين نحـو (المـلائكة)، ومد البسط ويسمى مد الفصـل أيضـا نحـو (بمـا أنـزل)، ومـد الـروم نحـو (ها أنتم)، ومد الفرق نحو (آلآن)، ومـد البنيـة نحـو (مـاء)، ومد المبالغة نحو (لآ إله إلا الله)، ومد البدل نحو (آدم)، ومد الأصل نحو (جاء).

(٤١) النشر ١/٣٤٤.

(٤٢) غاية النهاية ١/٥٠.

ظهرت المؤلفات الكبرى في علم التجويد، لكن لم ترد أي اشارة الى تلك الأقسام في كتب علم التجويد التي ظهرت في ذلك القرن مثل (الرعاية) لمكي (ت ٤٣٧هـ) و(التحديد) للداني (ت ٤٤٤هـ) و(الموضح) للقرطبي (ت ٤٦٢هـ). وقد أشرت قبل قليل الى أن أقدم مصدر ذكرت فيه، من المصادر التي اطلعت عليها هو كتاب (جمال القراء) لعلم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ.

وقد أثرت الرواية المنقولة عن ابن مهران في ألقاب المدود وأقسامها على طريقة تقسيم المد عند المتأخرين من علماء التجويد فقد أخذوا بتلك الألقاب وزادوا فيها، فجعلها خالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ) أربعة عشر قسماً.[٤٣] وذكر السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) ستة عشر قسماً.[٤٤] وذكر أبو الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠هـ) أن بعضهم ذكر للمد تسعة وعشرين لقباً».[٤٥]

وكان علم الدين السخاوي قد قال عن أسماء المد العشرة المذكورة في الرواية التي نقلها: «فهذه عشرة أسماء ما أرى لها كبيرة فائدة».[٤٦] وقال علي القارى: «وأما ما ذكره خالد من أن أقسام المد أربعة عشر، وكذا عد غيره تسعة وعشرين فكلها مندرجة فيما ذكر إجمالاً، وانما اختلف باختلاف الاسماء».[٤٧] وقال الوفائي بعد أن ذكر التسعة والعشرين لقباً: «واذا تأملت وجدت أكثر هذه الالقاب متداخلاً، وأكثر التعاليل غير ناهض، ومرجع ما عد منها زيادة على المد الطبيعي الى الهمزة والسكون».[٤٨] وقال المرعشي: «والاشتغال بمعرفة تلك الأسامي قليل الجدوى».[٤٩] واعتقد أن هؤلاء العلماء أنصفوا ولم يتجاوزوا الحقيقة في موقفهم من تلك الأقسام.

---

(٤٣) الحواشي الازهرية ص ٣٧.

(٤٤) روح المريد ١٣٨و، وانطر: الطبلاوي: مرشدة المشتغلين ١١ظ.

(٤٥) الجواهر المضية ٨٠ظ.

(٤٦) جمال القراء ١٨٨ظ - ١٨٩و.

(٤٧) المنح الفكرية ص ٥٠.

(٤٨) الجواهر المضية ٨٢ظ.

(٤٩) جهد المقل ٣٧ظ.

وكـان بعض المتأخـرين أكثـر اعتـدالا ممن ذكـرنـا في موضـوع ألقاب المدود. فقسمـوا المـدود باعتبـار السبب، فما كان بسبب الهمزة قسموه الى متصل ومنفصل، ومـا كان بسبب السكـون قسمـوه الى لازم وعـارض. (٥٠) وبعضهم قسم الـلازم الى كلميّ مثقل نحو (الصاخّة)، والى حرفيّ مخفف نحو (صاد وقاف). (٥١)

ومن الجـديـر بالـذكـر هنـا أن نشيـر الى عنـاية علماء التجويد بموضوع الحروف المقطعة، وكيفية نطقها، ومقدار المد فيها. وقد أفرد لها بعضهم باباً مستقلاً. (٥٢) وقد أدرج المتأخـرون هذه الحـروف في أنـواع المدود التي ذكروها على نحوما سبق من قريب. وقد لخص عبد الوهاب القرطبي أحوال تلك الحروف في المد حيث قال:

«فالحاصل أن هذه الحروف على ستة أضرب:

ضرب لا مد فيه ولا تمكين، وهو ألف.

وضرب دون الممكن المقصور وفوق الحركة، وهو العين.

وضرب ممكن مقصور، وهو الطاء والحاء والهاء، وما أشبه ذلك

وضرب فوق ذلك بأدنى مد، وهو الكاف والقاف وصاد ونون في قراءة من أظهر، ونستعين في حال الوقف بغير روم.

وضرب ممدود أتم المد في (لم) و(صاد ذكر) و(نون والقلم) في قراءة من أمحض الادغام. وكذلك (زكرياء) و(السماء) و(الضالين) وما أشبهه.

وضرب ممدود مداً وسطاً بين مد القاف والكاف، وبين مد (لم) و(صاد ذكر) في قراءة من أدغم، وهو النون اذا أدغمت بغنة في (نون والقلم) وفي (نستعين) اذا وقف عليها بروم أو اشمام». (٥٣)

ويشيـر بعض علمـاء التجويد الى أن الواووالياء اذا انفتح ما قبلهما وكانتا ساكنتين أو متحركتين خرجتا عن مضارعة الألف ودخلتا في شبه الحروف الصحاح في خلو

---

(٥٠) المرادى: المفيد ١٠٤و.

(٥١) انظر: زكريا الانصاري: تحفة نجباء العصر ص ٥، والوفائي: الجواهر المضية ٨٠و.

(٥٢) انظر: السعيدي: التنبيه ٥٣و، والعطار: التمهيد ١٥٧و.

(٥٣) الموضح ١٦٩و.

المـــد. (٥٤) قال المـرعشي: «انّ حرفي اللين لمـا اشتـركـا مع حروف المـد في عدم الصـلابـة وضعف ضغط المخرج، وهذا معنى اللين، سهل فيهما إحداث المد وان لم يكن لهمـا مد أصلي، فقـد يسبق اللسان الى(٥٥) إحداث المد معهما بدون سبب يدعو اليه. وهذا لحن. ولذا يلفظ بعض الناس الياء في الشيطان وعليهم، والواو في يوم وأمثالها كالمد الطبيعي. وبعض من أراد الحذر يسكت على الواو والياء، وذلك لا يجـوز. فطريق الحذر عن ذلك سرعة التلفظ في الواو والياء، وعدم السكت عليهما قدر ألف اذ بذلك يحدث مد طبيعي البتة. وانما قيدنا عدم المكث بقدر ألف لأن حروف الرخو لا تخلو عن مكث قليل عليها لأنها زمانية يجرى فيها الصوت زماناً». (٥٦)

ويشتـرط لحصـول المـد في الـواو واليـاء اذا انفتـح ما قبلهمـا أن تقعا قبل ساكن عارض للوقف، سواء كان السـاكن همـزة نحـو شَيْء وسَـوْء بفتـح السين، أم لم يكن همـزة مثـل الصيف وخـوف. والقـراء مختلفون في مقدار مده على تفصيل يمكن أن يعرف من كتب القراءات. (٥٧)

هـ ـ مقادير المدود:

ان أهم ما تتميز به حروف المد هو قابليتها على الامتداد بعد أن تستوفي نصيبها من المد الذي ينقلها من الحركة الى الحرف، بخلاف غيرها من الأصوات الجامدة، لاسيمـا الشـديدة (أي الانفجارية) فانها آنية الحدوث، وكذلك الرخوة (الاحتكاكية) فانها وإن كانت زمانية يمتد بها الصوت مدة، لكن ذلك الامتداد لا يبلغ مقدار ألف، أي مقدار نطق حرف المد.

وقـد لخص المـرادي مذاهب القـراء في اعتبـار الزيادة في المد وعدم اعتبارها،

(٥٤) انظر: الداني: التحديد ٤٣و. والعطار: التمهيد ١٤٨ظ، وابن بلبان: بغية المستفيد ٥٧و.

(٥٥) في الاصل (عن).

(٥٦) جهد المقل ٦٢ظ ـ ٦٣و.

(٥٧) انظر: مكي: الكشف ١/ ٤٥، والسمرقندي: روح المريد ١٣٧و. وابن الجزرى: النشر ١/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠، والمرعشي: جهد المقل ٣٧ظ ـ ٣٨ظ.

فقـال: «وسبب المـد أحد شيئين، وهما الهمز والسكون. أما الهمز فقسمان: لاحق وسـابق. فالسـابق نحـو (آمنوا). وهذا لم يعتبره من القراء الا ورش في بعض طرقه. والـلاحق نوعـان: متصـل مثـل (جاء)، ومنفصل مثل (يا أيها). والمتصل معتبر عند جميع القراء، والمنفصل معتبر عند أكثرهم، ولم يعتبره ابن كثير والسوسي. واختلف في ذلـك عن قالـون، والدوري. (٥٨) ومنهم من أجرى في المتصل الخلاف المذكور في المنفصل. (٥٩)

وأمـا السكـون فقسمـان لازم وعـارض للوقف. فالـلازم معتبـر عنـد الجميـع، والعارض للوقف يجوز اعتباره وعدم اعتباره، وتفصيل ذلك في كتب القراءات». (٦٠)

وفـرّق بعض علمـاء التجـويـد بين ما كان سبب المد فيه همزة وبين ما كان سبب المد فيه التشديد، قال السعيدي «تجعل المدة التي جاءت للتشديد، نحو: ﴿يَبْلُغَـانِّ﴾، (٦١) و﴿الصَّـاخَّـةُ﴾ (عبس ٣٣)، و﴿الطَّـامَّةُ﴾ (النـازعـات ٣٤)، و﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾ (الانعام ٨٠)، وما أشبهها دون المدة التي تجيء للهمزة: نحو قوله: ﴿قَـائِمـاً﴾ (آل عمـران ١٨)، و﴿قَـائِلُونَ﴾ (الاعـراف ٤)، و﴿نَـائِمُونَ﴾ (الاعراف ٩٧)، و﴿تَائِبُونَ﴾ (التوبة ١١٢) وما أشبهها». (٦٢)

لكن عبـد الـوهـاب القـرطبي قال: «وسـواء كان المـد موجـوداً في كلمـة واحـدة كـ﴿السَّمَـاءِ﴾ (البقـرة ١٩)، و﴿الْبِنَـاءِ﴾، (٦٣) و﴿الأَخِـلَّاءُ﴾ (الـزخـرف ٦٧)، و﴿الضَّـالِّينَ﴾ (الفـاتحـة ٧)، و﴿الْعَـادِّينَ﴾ (المؤمنـون ١٣)، و﴿الصَّافَّاتِ﴾ (ص ٣١)، أومتـركبـاً من كلمتين كقـولـه تعـالى: ﴿مِنَ الـربـا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقـرة

---

(٥٨) السوسي يروى قراءة أبي عمرو بن العلاء، وقالون يروى قراءة نافع، والدوري يروى قراءة الكسائي. (انظر: الداني: التيسير ص ٤-٧).

(٥٩) أنكر ابن الجزري أن يكون هناك خلاف في اعتبار المد المتصل (انظر: النشر ١/ ٣١٥).

(٦٠) المفيد ١٠٤و.

(٦١) الاسـراء ٢٣، قرأ حمـزة والكسـائي (يبلغانّ) بألف قبل النون المشددة والباقون بدون ألف (انظر: الداني: التيسير ص ١٣٩).

(٦٢) التنبيه ٤٧ظ، ومثله: أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٧١و.

(٦٣) في القرآن (بناء) البقرة ٢٢، وغافر ٦٤.

٢٧٨)، و﴿الـزنىٰ إنَّـه كان﴾ (الاسـراء ٣٢)، و﴿صَادْ ذِكْرُ﴾ (مريم ١ ـ ٢)، و﴿نُونْ والقلمِ﴾ (القلم ١) مدغماً أومظهراً فكله في وجوب المد فيه على حد سواء، وانما يختلف في الطول والقصر باختلاف اللغات ويزيد وينقص بحسب طرق القراءات.

وذكر بعض المتأخرين ان المد فيما مده لأجل الساكنين في مثل قوله تعالى: ﴿الضالّين﴾، و﴿الظانّين﴾ (الفتح ٦)، وما أشبه ذلك ـ أقصر من المد فيما مده لأجل الهمز كالسماء، وزكرياء، وما أشبه ذلك. قالوا: من أجل ان المد فيه بدل من حركة. وأكثر القراء وجمهورهم على التسوية بين البابين في المد، وهو الوجه، لأن المـد إنمـا جعـل بدلاً من الحـركـة ليقوى به الساكن، كذلك أيضا أُلحق قبل الهمز ليقوىٰ به الحرف الضعيف. فقد استويا في استيجابه من وجه واحد، فلا وجه للفرق». (٦٤)

وذكر عبد الوهاب القرطبي أيضا «أن المد يقصر في حروف المد واللين، اذا كان بعـدهـا ساكن يوقف عليه في مثـل قوله تعـالى: ﴿يـوم الـدين﴾ (الفـاتحـة ٤)، ﴿نستعين﴾ (الفـاتحـة ٥)، ﴿الظـالمـون﴾ (البقـرة ٢٢٩)، ﴿الخاسرون﴾ (البقرة ٢٧)، (القنطار)، (٦٥) ﴿الكفار﴾ (المائدة ٥٧)، ﴿الابرار﴾ (آل عمران ١٩٣)، وما أشبـه ذلـك ـ عن المـد في ﴿دابّة﴾ (البقرة ١٦٤)، و﴿الضالّين﴾ (الفاتحة ٧)، وان كان المراد به الفصل بين الساكنين. وانما قصر عنه وان استويا في السبب من أجل أن الساكن ها هنا موقوف عليه، والجمع بين الساكنين في الوقف غير ممتنع، فلم تمس الحاجة الى الفصل بينهما بالمد في الموضع الذي يجوز فيه الجمع بين الساكنين، وهـو الـوقف، كمـا مست الى الفصل به في الموضع الذي لا يجوز فيه الجمع، وهو الوسط. فجعل المد في حرف المد واللين اذا كان الساكن بعده وسطاً أتم منه اذا كان بعـد حرف المـد واللين حرف ساكن يوقف عليه للمعنى الذي أشرنا اليه، وهو لطيف جداً، فتدبره ان شاء الله». (٦٦)

ويـلاحـظ أن كلام متقـدمي علمـاء التجـويد ينحو منحى عاماً في تحديد مراتب

(٦٤) الموضح ١٦٨و.

(٦٥) آل عمران (بقنطار).

(٦٦) الموضح ١٦٧و. وانظر: ابن الجزرى: النشر ١/٣١٨.

المـدود، بينمـا يغلب على كلام المتأخرين النزوع نحو تقييد أنواع المدود وقياسها. فالداني (ت ٤٤٤هـ) حين ذكر المد الطبيعي قال عنه: «ويقدرونه مقدار ألف ان كان ألفا، ومقدار ياء ان كان ياء، ومقدار واو ان كان واوا». وقال عن المتكلف: «وحقيقة النطق بذلـك أن تمـد الاحـرف الثـلاثـة ضعفي مدهن في الضـرب الأول، والقـراء يقدرون ذلك مقدار ألفين، إن كان حرف المد ألفاً، ومقدار يائين إن كان ياء، ومقدار واوين إن كان واواً، لما دخلته من زيادة التمكين وإشباع المد دلالة على تحقيقه وتفاضله». (٦٧)

ثم تغلب على علمـاء التجـويـد نزعـة التفصيـل كلمـا تقدمنا مبتعدين عن عصر الـداني. فنجـد أبـا العـلاء الهمـذاني العطار يقول عن مقدار المد فيما كان المد فيه لأجـل السـاكن المشـدد: «واختلف أهـل الأداء في مقدار هذا المد: فأهل التحقيق يمدونه على قدر أربع ألفات، وبعضهم على قدر ثلاث ألفات. وأهل الحدر يمدونه على قدر ألفين إحـداهمـا حرف المـد الساكن، والثانية الفاصلة بين الساكنين، فأما المحققـون فعذرهم في تطويل المد في هذا الباب أن الحادرين يمدونه بقدر ألفين. وشرط التحقيق أن يزاد على الحدر مثله. ثم كل من نقص تحقيقه نقص مده». (٦٨)

وتكـاد مقـادير المد الزائد على أنواعها تنحصر بين المد مقدار ألفين، أي ضعف المـد الطبيعي، وبين المـد قدر خمس ألفـات، وبين ذلـك مراتب من المد بحسب مذاهب القراء، وبحسب نوع المد ومكانه، وبحسب أسلوب القراءة من الحدر والتحقيق. (٦٩)

ويشيـر علمـاء التجـويد أن ضبط تلك المقادير هو من باب التقريب لا التحديد، قال السمـرقنـدي: «وذلك يكون تقريبا لا تحديدا، فمن يحقق القراءة ويمكنها فمده

(٦٧) التحديد ١٤و.

(٦٨) التمهيد ١٥٩و.

(٦٩) انظر: المرادى: المفيد ١٠٤ظ، والسمرقندي: روح المريد ١٣٧ظ - ١٣٨و. وأحمد بن الجزرى: الحواشي المفهمة ٥١ظ - ٥٣و. وعلي القارى: المنح الفكرية ص ٥٠. والوفائي: الجواهر المضية ٧٦و - ٧٨و. وتفصيل ذلك كله عند ابن الجزرى: النشر ٣١٣/١-٣٦٢.

على قدر تحقيقه، ومن يحدر مده على قدر حدره، وذلك يفهم من أفواه الرجال مشافهة وعياناً». [70] وقال أحمد بن الجزري: «وهذا كله تقريب لا تحديد، ولا يضبطه الا المشافهة والادمان». [71]

وحاول بعض علماء التجويد المتأخرين ابتكار وسائل لقياس مقادير المد وضبطها، فالقول ان مقدار المد ألف أو ألفان مثلا لا يكفي لبيان الزمن الذي يحتاجه نطق المد، فلابد من ايجاد وسيلة تساعد في ضبط زمن نطق الوحدة المستعملة في قياس طول المد وهي الألف، أي زمن نطق صوت الألف. ولدينا نصان حول الموضوع، لاثنين من شراح المقدمة الجزرية، وليس لديّ دليل الآن على وجود محاولة أقدم منهما.

قال طاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ): «ويعرف مقدار المدات:

إما بقولك (آ) مرة أو مرتين، الى غير ذلك.

أو تعد عدداً، وتمد صوتك بقدر ذلك.

أو تعقد الأصابع وتمد بقدر ذلك.

لكن هذا كله تقريب، ولا يضبطه الا المشافهة من لفظ المشايخ والسماع من فم الاستاذ الراسخ. ثم الادمان على ذلك». [72] وفي هذا النص ثلاث طرق لقياس زمن نطق الألف.

وقال علي القاري (ت ١٠١٤هـ): «واما معرفة مقدار المدات المقدرة بالالفات فأن تقول (آ)[73] مرة أو مرتين أو زيادة. وتمد صوتك بقدر قولك: ألف ألف، أو كتابتها، أو بقدر عقد أصابعك في امتداد صوتها. وهذا كله تقريب لا تحديد للشأن. إذ لا يضبطه الا المشافهة والادمان». [74] وفي هذا النص أربع طرق لقياس زمن نطق الألف.

(٧٠) روح المريد ١٣٨و.

(٧١) الحواشي المفهمة ٥٣و.

(٧٢) شرح المقدمة الجزرية ٣٣و.

(٧٣) (آ) ليست في الاصل، وأثبتها استنادا الى النص السابق.

(٧٤) المنح الفكرية ص ٤٨.

ويتحصل من الجمع بين النصين خمس طرق لقياس زمن نطق الألف الذي اتخذه علماء التجويد أساساً لقياس مقادير المدود وتلك الطرق هي :

١ ـ أن تقول (آ) مرة أو مرتين أو أكثر، كل مرة تساوي نطق ألف.

٢ ـ العقد بالأصابع، ولعل معناه الطرق بأي من الأصابع على الابهام، كل طرقة تقابل نطق ألف.

٣ ـ أن تعد عدداً، فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة. . . الخ. وقد انفرد بذكر هذه الطريقة طاش كبرى زاده، وهي موضع نظر، لأن كل واحد من الأعداد المذكورة يتضمن صوت الألف الى جانب أصوات أخرى، فكل كلمة تعادل في النطق أكثر من ألف.

٤ ـ ان تمد صوتك بقدر قولك: ألف ألف.

٥ ـ أو كتابتها، أي كتابة (ا)، وليس كتابة (ألف) فيما نرجح، وانفرد علي القارى بذكر هاتين الطريقتين.

وإذا كان استخدام أجهزة القياس الدقيقة في ضبط مقادير المدود غير متيسر الآن،[٧٥] فان الطرق السابقة التي ذكرها علماء التجويد تظل صالحة للاستخدام حتى يتيسر استخدام طرق أكثر دقة وتحديداً لقياس مقادير المدود.

وكان واضحاً لدى علماء التجويد أن مقادير المدود تختلف باختلاف أسلوب القراءة، فالقراءة بالتحقيق تحتاج الى وقت أطول من القراءة بالحدر، وهو ما ينعكس على زمن نطق المدات. على نحو ما سنذكر عند بحث موضوع أساليب القراءة ان شاء الله تعالى.

و ـ محاذير المدود:

حروف المد تقبل التمطيط والزيادة ما أسعف النَّفَس في ذلك، لكنّ للمد عند علماء الأداء حداً اذا تجاوزه أخل بالقراءة، وصار ذلك لحناً، وقد درس علماء

(٧٥) انظر: ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٥٩.

التجويد مايمكن أن يعرض للمد من محاذير وعيوب. ويمكن أن نلخص ما قالوه في النقاط الآتية:

١ ـ الافراط في المد:

قال ابن البناء في كتابه (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء): «وكذلك يحذر من زيادة الممدود الذي يخرجه عن حده، فيعتقد أنه تجويد، وانه فيه من المحسنين، ولا يعلم أنه من المسيئين». (٧٦)

والتحذير من الزيادة في المد قديم، فقد روى السعيدي أن عبد الله بن صالح العجلي (ت في حدود ٢٢٠هـ) قال: «قرأ أخ لي أكبر مني على حمزة فجعل يمد، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أن ما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة». (٧٧)

وتحدث الحسن بن قاسم المرادي عن ذلك فقال: «الافراط في مد حروف المد، وهو تجاوز الحد. يقال أفرط في الامر، أي جاوز فيه الحد، وليس من التجويد في شيء، بل هو من اللحن الخفي، وربما خرج الى الجلي. وللمد حد يوقف عنده ومقدار لايصح تجاوزه. ومراتب القراء فيه مختلفة بحسب تفاوتهم في الترتيل والحدر والتوسط. وأطولهم مداً ورش وحمزة، ومقدار مدهما ثلاث ألفات تقريباً. ولا تحصيل لمن قال: مقدار خمسة». (٧٨)

وقال علي القاري: «والحاصل أنه لا يجوز الزيادة على مقدار خمس ألفات إجماعاً، فما يفعله بعض الأئمة، وأكثر المؤذنين فمن أقبح البدع، وأشد الكراهة». (٧٩) ويقصد علي القارى إطالتهم المدود فوق ما هو مقرر لذلك.

---

(٧٦) بيان العيوب ١٧٥ظ.

(٧٧) التنبيه ٤٦و.

(٧٨) المفيد ١٠٣و.

(٧٩) المنح الفكرية ص ٥٠.

وقال المرعشي وهو يعلق على كلام لابن الجزري في الترقيق والتفخيم: «تبين من كلام ابن الجزري في النشر(٨٠) أن أكثر غلطات قراء الزمان في تفخيم الحروف المرققة... أقول (المرعشي): ينبغي أن يزاد ويقال أكثر غلطاتهم أيضا في زيادة المد الطبيعي في غير محل زيادة، وترك الزيادة في محلها، واحداث مد فيما ليس فيه مد أصلاً». (٨١) ولا يزال كلام المرعشي ينطبق بدرجة كبيرة على قراء زماننا، وإن كانت النسبة تتفاوت بين بلد وآخر وقارئ وآخر.

٢ ـ الترعيد:

من عيوب المد ترعيد الصوت بالمدات. وهو مكروه منهي عنه. وقد وضح ابن البناء الترعيد بقوله: «ومن العيوب الترعيد، وصفته تعليق الصوت بترديد الحنجرة، كأنه يروم منزلة من التطريب والحدر في افساد الحروف، ومنع لمدارج الكلام من امضائها على سواء». (٨٢) وقال عبد الوهاب القرطبي: «أما الترعيد في القراءة فهو أن يأتي بالصوت اذا قرأ مضطربا كأنه يرتعد من برد أو ألم». (٨٣)

وقد حذر من ذلك السعيدي حيث قال: «ومما يحفظ أيضا ترعيد المدات في مثل قوله ﴿بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ مِنْ قبلِكَ﴾ (البقرة ٤)... وكذلك ﴿السفهاء﴾ (البقرة ١٣)، و﴿الشعراء﴾ (الشعراء ٢٢٤)، و﴿الفحشاء﴾ (البقرة ١٦٩)، و﴿ما يشاء﴾ (آل عمران ٤٠)، و﴿جاء﴾ (النساء ٤٣) وما أشبه هذه الحروف، تمد مدّاً حسناً مستوياً مستقيماً، بلا ترعيد ولا تهزيز ولا اضطراب عند اخراجهن». (٨٤)

وقال عبد الوهاب القرطبي بعد أن تحدث عن أحكام المد: «وقد بقي الآن أن نبين ما يستكره في المد وننبه عليه ليتجنب، ونمثله في مواضع قريبة ليستدل بالأقل

---

(٨٠) النشر ١/٢١٥-٢٢٢.
(٨١) جهد المقل ٥٧ظ.
(٨٢) بيان العيوب ١٧٥ظ.
(٨٣) الموضح ١٨٨و، وانظر: ابن الباذش: الاقناع ١/٥٥٦.
(٨٤) التنبيه ٥٢ظ.

على الأكثر. فنقول: ينبغي أن يكون الصوت في حال المد سليماً من ترعيد وتمطيط. خالصا من اضطراب وتهزيز، صافياً في إجراء النفس معه وتكدير رونقه به». (٨٥)

٣ ـ اشراب المد غُنَّة:

يحدث في بعض الأحيان أن يجري نَفَس من الأنف أثناء نطق حروف المد فيؤدي ذلك الى سماع غنة خفيفة تلابس أصوات حروف المد: وهذا هومعنى إشراب المد غُنَّة.

وقد حذر علماء التجويد من ذلك وعدوه لحناً يجب أن تبرأ القراءة منه. وقد قال أحمد بن أبي عمر: «فان سكنت الياء وانكسر ما قبلها أو سكنت الواو وانضم ما قبلها أشبعتهما من غير غنة نحو يؤمنون، والمؤمنون، والمؤمنين». (٨٦)

وقال الحسن بن شجاع التوني: «ويحترز من ادغام حرف المد، نحو﴿في يوسف﴾ (يوسف ٧) و﴿قالوا وهم﴾ (الشعراء ٩٦). واذا وقفت على مثل (يعلمون، ويؤمنون) فاحذر من الغنة فيها». (٨٧)

وكان المرعشي أكثر علماء التجويد عناية بهذه الظاهرة والتحذير منها، فقد قال: «وليحذر عن . . . إعطاء الغنة لغير حروفها، كما يفعله بعض الناس في الياء المدية والواو المدية، في مثل: نستعين، وطس، ويستهزءون، تبعاً لغنة النون». (٨٨)

وقال في مكان آخر: «ان الغنة لما أشبهت المد . . . يلائم إحداث الغنة مع تلفظ المد، ولذا يلفظ بعض الناس المد مصحوبا بالغنة. في مثل (نستعين) وهو لا يشعر بذلك، وهو لحن. وطريق معرفة حدوثها في مثل ذلك أن تلفظه مرة مع الامساك على أنفك، ومرة بدونه، فان اختلف صوت المد في الحالين فاعلم أنه مصحوب بها.

---

(٨٥) الموضح ١٦٨و.

(٨٦) الايضاح ٧١و.

(٨٧) المفيد في علم التجويد ١٠و.

(٨٨) جهد المقل ٦١ظ.

وطريق الحذر عنها منع النفس الجاري مع المد من التجاوز الى الخيشوم، وامتحان صوته بالامساك على الأنف وتركه الى أن يتعود تخليص المد عنها». (٨٩)

وكلام المرعشي عن ظاهرة إشراب المد صوت الغنة يدل على فقه عميق بانتاج الأصوات وما لها من صفات، وما يلحقها في التركيب من شوائب وانحرافات، وقد عز أن توجد مثل هذه النصوص فيما كتب الدارسون المحدثون عن الأصوات العربية، فلله دَرّ المرعشي كم عنده من دقائق الأقوال وعظيم الافكار!

وما يتصل بما نحن بصدده من إشراب المدود غنة ما قاله أحمد بن أبي عمر عما يلحق الألفات في اللحن: «ويختلف اللحن في الألفات عند الوقف عليها، كقوله: لشتى، اليسرى، والعسرى، وقديرا، عليما، ونحو ذلك. فمن الناس من يقف عليها وعلى أمثالها بنبرة الالف. ومنهم من يقف عليها بالغنة، ومنهم من يقف عليها بالهاء، وكلها لحن». (٩٠)

---

(٨٩) جهد المقل ٦٢ظ.

(٩٠) الايضاح ٧٢و.

الملحقــات

ملحق رقم (١)
علم التجويد في القرن الرابع الهجري

المتأمـل فيمـا ذكـرنـاه في الفصـل الأول عن نشأة علم التجويد يجد أن مدة من الـزمن تفصـل بين ظهـور قصيـدة أبي مزاحم الخاقاني (ت ٣٢٥هـ) وبين ظهور أول كتاب في علم التجويد يؤلف بعدها، وهو كتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسعيدي (ت في حدود ٤١٠هـ)، ولا نجد خلال تلك الفترة التى قد تبلغ خمسا وثمانين سنة أي ملمح عن نشاط تأليفي في علم التجويد، على الرغم من أن هذه المـدة التي تستغـرق معظم سني القـرن الرابع للهجرة تعد من الفترات المتميزة في تاريـخ الحضـارة الاسـلاميـة. فهل كانت هذه الفترة خالية فعلا من أي جهد في علم التجويد أو ان هناك جهوداً ذهبت أخبارها واندثرت نصوصها عبر القرون؟

لا نجد في المصادر التاريخية المتيسرة ما يساعدنا على الاجابة عن ذلك السؤال على نحـو مفصـل وأكيـد، وقـد عثرت على نص في أحد كتب أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) المخطوطة يمكن أن يكون أساسا ينبني عليه الجواب عن السؤال السابق. أمـا الكتـاب فهـو الارجـوزة المسمـاة (المنبهـة في الحـذق والاتقـان وصفة التجويد للقرآن) التي مطلعها:

الـحـمـدُ لله الـعـليِّ الـفـردِ　　　أهـلِ الـمـعـالـي والثنـا والمجـدِ

وهي تتألف في الأصـل من ألفين وستمـائـة بيت، لكن النسخة التي نعتمد عليها ناقصة، ولا تتضمن الا أربعمائة واثنين وستين بيتاً من أولها.[1]

(١) تحتفظ الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط بهذه النسخة تحت رقم ٢٨٠٩ (د ٢١٨٦).

أمـا النص فهـو أحـد الفصـول الباقية من (المنبهة) وهو الفصل الرابع عشر الذي جعـل المؤلف عنـوانـه : (القول في أهل الأداء)، وهويتألف من واحد وعشرين بيتاً، وتحـدث في الفصـول الثـلاثة التي تسبقه عن القراء السبعة وشيوخهم والرواة عنهم، وقـراء الشـواذ من غيـرهـم، وتحـدث في الفصـل الـذي يليه عن المصنفين للحروف الـذين جمعـوا في كتبهم وجـوه القـراءات، ولا يساورنا شك في ان مراد الداني بقوله (أهـل الأداء) هو أهـل التجـويد أي علماء التجويد، لاسيما أنه يستخدم هذه العبارة في كتـابـه (التحـديد في الاتقان والتجويد) مريدا بها علماء التجويد.[2] فهويريد ان يتحـدث اذن عن علماء التجويد الذين سبقوه، وعاشوا في الحقبة التي نحن بصددها، وهـو قد خصص فصـلا آخـر للحـديث عن المؤلفين في القـراءات وميزه عن الفصل الـذي تحـدث فيـه عن أهل الأداء. وسوف نورد أولاً نص ذلك الفصل، ثم نعود اليه ندرسه بعد ذلك.

قال أبو عمرو الداني بعد أن ذكر القراء السبعة وأئمتهم ورواتهم وغيرهم من القراء:[3]

القول في أهل الأداء

١ ـ وقـد سَمَـا[4] في هذه الصنـاعـه ... قَوْمٌ هُمُ أئـمـةُ الـجـمـاعـه
٢ ـ مَنِ اقـتـدى بقـولـهـم مُسَـدَّدُ ... موفـقٌ لرشـدهـم مؤيـدُ
٣ ـ فَأبـنُ مجـاهـدٍ بهـذا الـعـلـمِ ... مضطـلـعٌ مشـتـهـرٌ بالـفـهـمِ

---

(٢) انظر مثلا: التحـديـد ورقـة ٢٣و، ٢٥و، ٤١و، ٤٢ظ، ٤٣و. وانظر أيضا: كتاب الادغام الكبير (له): ١٣و، ٢٠ظ، ٢١و. وقد قال المرعشي في كتابه (ترتيب العلوم ص ٥٧): «وأما علم التجويد، ويسمى علم الأداء...».

(٣) المنبهة ص ١٦-١٧.

٤) رسمت في الأصـل المخطـوط باليـاء، وقـد قرأتهـا في أول وهلة (تسمى) وهكـذا ثبتهـا في الرسالة، لكن الدكتور حسام النعيمي نبهني وقت مناقشة هذه الرسالة الى أن الوزن لا يستقيم معهـا، وحين عدت الى النسخـة المصـورة للمخطـوطة وجدت أنها (سمى)، وهوما يستقيم معـه الوزن لكن رسمها الاصطلاحي يكون بالألف لأن أصلها الواو.

٤ - وبعده محمدُ بنِ الصلتِ　　وأحمدُ بن جعفرٍ ذو الثبتِ
٥ - ومثلهم في الضبط والاتقانِ　　محمدُ النقاش ذو البيانِ
٦ - ومثله محمدُ المعدّلُ　　وَهْوَ رويسٌ ضابطٌ مفضلُ
٧ - ومثله ابن عابدِ الرزاقِ　　إمامُ مصرهِ أبو اسحاقِ
٨ - ومثلهم محمدُ الداجوني　　وأحمدُ المعروف باليقطينِ
٩ - وأحمدُ التائب والصوافُ　　وجعفرُ بن أحمدَ الخصافُ
١٠ - وابنُ عبيد الله ذو الاتقانِ　　موسى أبو مزاحمِ الخاقاني
١١ - وأحمدُ بنُ الفضلِ وابنُ مُقْسَمْ　　وكلهم مفضلٌ مقدّمْ
١٢ - وأحمدُ بن جعفر الحوفيُّ　　وابن أبي هاشم النحويُّ
١٣ - وابن بُنَان واسمه بكّارُ　　وهو جليلٌ وله مقدارُ
١٤ - ومثلهم عليٌّ القزازُ　　وأحمدَ بن صالح البزازُ
١٥ - وابنُ علي زيدُ الكوفيُّ　　والشنبوذيُّ الفتىٰ الذكيُّ
١٦ - وصالحٌ وابنُ الجلَنْدَىٰ الموصلي　　وأحمدُ الجلاءُ ذو التبتلِ
١٧ - وأحمدُ (الدقني)[٥] وابن أشته　　ولستَ مثلهم تراه البته
١٨ - وأحمدُ بن نصر الشذائي　　وهؤلاء جلة القراء
١٩ - في عصرهم فكل ما رووهُ　　لنا قبلناهُ كما أدّوْهُ
٢٠ - إذ كلهم أئمة ثقاتُ　　لفضلهم كأنهم ما ماتوا
٢١ - أخبارهم موضوعةٌ موقوفه　　مشهورةٌ مرويةٌ معروفه

ولست أقصد هنا تقديم ترجمة مفصلة لهؤلاء العلماء الذين ذكرهم الداني، ولكني سوف أتحدث عن أربعة منهم فقط أذكر بعض أخبارهم وأتتبع نشاطهم المتعلق بعلم التجويد وهو الأمر الذي نهدف الى الكشف عنه في هذه المحاولة، بقدر ما تسعف به المصادر:

---

(٥) كلمة غير واضحة في الأصل.

١ ـ ابن مجاهد :

هو أحمد بن موسى بن العباس البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، وهو كما وصفه ابن الجزري : «شيخ الصنعة ، وأول من سبّع السبعة» .[٦] ولا نجد من بين الكتب التي ألفها وذكرها ابن النديم كتاباً يمكن أن يكون في علم التجويد ،[٧] ومع ذلك فهناك عدد من الروايات التي نقلت عن ابن مجاهد وهي تعالج أدق القضايا الصوتية ، ولا نجدها في كتابه المطبوع (السبعة في القراءات) .

من ذلك ما رواه الداني عنه انه قال : «اللحن لحنان ، جلي وخفي ، فالجلي لحن الاعراب ، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه» .[٨] وقد صارت هذه المقولة أساساً لدراسات علماء التجويد . ومن ذلك ما نقله الداني أيضا عنه من قوله : «النون الساكنة والتنوين تبينان عند الحاء والهاء والعين ضرورة من غير تعمل» .[٩]

٢ ـ احمد بن جعفر (ورد ذكره في البيت الرابع) :

أرجح أنه ابن المنادي المتوفى سنة ٣٣٦هـ ، قال ابن النديم : «وله مائة ونيّف وعشرون كتابا في علوم متفرقة ، وكان الغالب عليه علوم القرآن» ،[١٠] ولا نعرف عن تلك الكتب شيئاً محدداً ، لكني وجدت ابن البناء (ت ٤٧١ هـ) يقول عن ابن المنادي بعد أن ذكر جملة من (عيوب الاصوات) : «وهذا وما أشبهه من المعايب كرهها العلماء بالقراءة وذوو المعرفة بالأخذ ، وذكروا فيها التصانيف ، وناهيك بصاحبنا أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادي ـ رحمه الله ـ فانه أخذ من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر» .[١١]

---

(٦) غاية النهاية ١/١٣٩ ، وانظر: كحالة: معجم المؤلفين ٢/١٨٨ .

(٧) انظر: الفهرست ص ٣٤ .

(٨) التحديد ٢٢ظ .

(٩) المصدر نفسه ٢٠ظ .

(١٠) الفهرست ص ٤١ .

(١١) بيان العيوب ١٧٦و.

ووجدت محمداً المرعشي (ت ١١٥٠هـ) يقول في أول كتابه (جهد المقل): «ومتى قلت علماء الأداء، وأهل الأداء فالمراد منهم علماء هذا الفن كمكي وابن المنادي وأبي عمرو الداني». [١٢] ونجد في كتاب (التحديد) لأبي عمرو الداني عدداً من النصوص منقولة عن ابن المنادي من ذلك «قال أبو الحسين بن المنادي: «أخذنا عن أهل الاداء بيان الميم الساكنة عند الواو والفاء في حسن من غير إفحاش». [١٣] ومن ذلك أيضا ما نقله الداني عن أحمد ين نصر الشذائي أنه قال: «والى هذا كان يذهب ابن مجاهد، في هذه القراءة وغيرها، وبه قرأنا، وبه كان يختار، وبمثله كان يأخذ ابن المنادى، رحمة الله عليهما». [١٤]

٣ ـ ابن أشته (ورد ذكره في البيت السابع عشر):

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الاصبهاني (ت بمصر سنة ٣٦٠هـ)، قال عنه ابن الجزري: «أستاذ كبير، وامام شهير، ونحوي محقق، ثقة، سكن مصر، قال الداني: ضابط مشهور مأمون ثقة عالم بالعربية بصير بالمعاني، حسن التصنيف، صاحب سنة، قلت: وكتابه المحبّر كتاب جليل يدل على عظم مقداره وله كتاب المفيد في الشاذ، قرأ على أبي بكر بن مجاهد...». [١٥]

وقد صرح ابن خير الاشبيلي في فهرسته أن كتاب المحبر في القراءات، [١٦] ولكن يبدو أنه بحث في مقدماته بعض المباحث المتعلقة بعلم التجويد كمخارج الحروف وصفاتها، نستدل على ذلك بما ذكره نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) في مقدمة معجمه المسمى (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) في فصل (مخارج الحروف وتقسيمها) فقد قال «وحروف الاستعلاء سبعة، يجمعها قولك: قظ ضغط خص. جمع ذلك أبو بكر بن أشته البغدادي في كتاب

---

(١٢) جهد المقل ٢و.

(١٣) التحديد ٤١و.

(١٤) المصدر نفسه ١٢ظ.

(١٥) غاية النهاية ٢/١٨٤.

(١٦) فهرسة ابن خير ص ٢٤.

المحبر. . .». [17]

٤ ـ أحمد بن نصر الشذائي (ورد ذكره في البيت الثامن عشر):

هو أبو بكر أحمد بن نصر بن منصور الشذائي البصري (ت ٣٧٣هـ)، قال عنه الداني: «مشهور بالضبط والاتقان، عالم بالقراءة بصير بالعربية». [18] وذكر الذهبي أن فارس بن احمد قال: «أَمَنُّ أصحاب ابن مجاهد أربعة: أبو طاهر بن أبي هاشم، وأبو بكر بن أشته، وأبو بكر الشذائي، ونسي الرابع». [19]

وقد نقل الداني في كتاب (التحديد) كثيراً من النصوص عن الشذائي، كما نقل بواسطته كثيرا من الروايات عن ابن مجاهد، فمما أسنده الداني اليه قوله: «حدثني الحسين بن علي حدثنا أحمد بن نصر بن منصور، ووصف قراءة أئمة القراءة السبعة، فقال: فأما صفة قراءة. . .». [20] وقوله: «وقال لي الحسين بن علي: قال لنا احمد بن نصر: المخفى ما تبقى معه غنة». [21]

ومما نقله عن ابن مجاهد من طريق الشذائي النصان اللذان اوردناهما قبل قليل عند حديثنا عن ابن مجاهد، ومن ذلك أيضا قوله: «. . . وهذا مذهب ابن مجاهد فيما حدثنا به الحسين بن علي، عن احمد بن نصر، عنه، قال: والميم لا تدغم في الباء لكنها تخفى، لأن لها صوتاً في الخياشيم، تواخي به النون الخفيفة». [22]

وانما اكتفيت بالحديث عن هؤلاء الأربعة، مع ما تقدم من كلامنا عن أبي مزاحم في الفصل الأول، من مجموع من ذكرهم الداني، وهوم ستة وعشرون، لأني وجدت عن هؤلاء الأربعة روايات توضح جانباً من نشاطهم في الدرس الصوتي أكثر

---

(١٧) شمس العلوم ١/٢٢.

(١٨) نقلا عن الذهبي: معرفة القراء ١/٢٥٨.

(١٩) المصدر نفسه ١/٢٥٨.

(٢٠) التحديد ١٢و.

(٢١) المصدر نفسه ١٥ظ.

(٢٢) المصدر نفسه ٤٠ظ ـ ٤١و. وانظر أيضا: ٢٢ظ، ٢٣و، ٢٤و.

مما وجدت عمن سواهم، كما أني وجدت الداني نفسه يكثر من ذكرهم في كتابه (الادغام الكبير)، قال مرة: «واختلف اهل الاداء في قوله في غافر (وإنْ يَكُ كَاذِباً) فكان ابن مجاهد وابن المنادى يختاران فيه الاظهار». [٢٣] وقال وهو يتحدث عن منع إمالة الالف قبل الراء في مثل (النهار): «وهذا مذهب ناس من البصريين النحويين، وقوم من أهل الاداء المتصدرين، منهم أبو الحسين بن المنادي، وأحمد بن نصر الشذائي، ومحمد بن عبد الله بن أشته، والحسين بن محمد بن حبش الدينوري... وقال آخرون وهم الأكثر الامالة ثابتة». [٢٤]

وينبغي ان أشير هنا الى أن الوثيقة التاريخية الموجودة أمامنا، وهي الفصل الذي نقلناه عن (المنبهة) جاءت عن عالم خبير متخصص في هذا الشأن، وكان قد كتب كتاب مستقلا في طبقات القراء، [٢٥] فاتنا بفقدانه علم كثير، ولم يبق منه الا روايات تضمنتها بعض الكتب لا سيما (معرفة القراء) للذهبي، و(غاية النهاية) لابن الجزري.

والنتيجة التي نستخلصها مما ذكره الداني في (المنبهة) عن أهل الأداء، ومن النصوص التي أوردناها عن بعض من ذكرهم الداني هي أن النشاط المتعلق بعلم التجويد لم ينقطع في تلك الفترة الفاصلة بين ظهور قصيدة أبي مزاحم الخاقاني وظهور أول كتاب في علم التجويد بعدها، وما النصوص والروايات التي ذكرناها عن ابن مجاهد وابن المنادى وابن أشته والشذائي الا دليل أكيد ومعلم بارز من معالم ذلك النشاط، وغاية ما في الامر أن ذلك النشاط غابت عنا تفصيلاته وحجبت عنا مؤلفاته.

ولنا ان نتسائل هنا عن النصوص التي نقلناها قبل قليل هل أوردها المصنفون في كتب القراءات التي ألفوها، أو أنهم ذكروها في كتب مستقلة صنفوها في علم

(٢٣) الادغام الكبير ١٣و.

(٢٤) المصدر نفسه ٢٠ظ.

(٢٥) انظر: ابن خير: فهرسة ابن خير ص ٧٢، والذهبي: معرفة القراء ١/٣٢٦، وابن الجزرى: غاية النهاية ١/٥٠٥.

التجـويـد؟ الاجـابة القاطعة عن هذا التساؤل غير متيسرة الآن، لأن ما وصل إلينا من كبت القراءات المؤلفة في تلك المدة قليل جداً بل نادر لا يوضح لنا شيئاً من الأمر، ومـع ذلـك فاني أميـل الى القول بوجود كتب مستقلة عالجت موضوع الأصوات العربية في إطـار علم التجـويـد، ترجـع الى ذلـك العصر، إما انها ذهبت، أو أن وقت ظهورها وكشفها لم يحن بعد، ويمكن الرجوع الى ما نقلته عن مؤلفات ابن المنادى، وقول ابن البناء فيه، للوقوف على أساس ملينا الى هذا القول.

وسـواء أكـان ذلـك النشـاط التجويدي قد وقـع في كتب مستقلة أم تضمنتـه كتب القـراءات فانـه يشيـر الى أن القـرن الـرابـع الهجري قد شهد نشأة علم التجويد وأن القصيـدة الخـاقـانيـة لم تكن العمل الوحيد الذي أنتجته جهود علماء الاداء في هذا القـرن، وانمـا كانت بدايتـه المتميـزة التي انتهت الى العـديـد من الكتب في القرن الخامس للهجرة وما تلاه من قرون.

ملحق رقم (٢)
أساليب القراءة

يتفاوت النطق بالألفاظ عند الكلام بين السرعة والتمهل حسب حاجة المتكلم وما يقتضيه المقام، ويمكن للمتكلم أن يرفع صوته وأن يخفضه كما يريد. وقد درس علماء التجويد الكيفية التي يجب أن يسلكها قارئ القرآن في نطق ألفاظ الذكر الحكيم من حيث السرعة والتمهل، ووضحوا الطرائق المأثورة التي التزمها القراء وتناقلوها، وبينوا مذهب القراء السبعة في ذلك، وحددوا المختار لدى كل واحد منهم.

وقد سمى بعض علماء القراءة والتجويد الكيفية التي يجب أن يقرأ بها القرآن باسم (أسلوب القراءة)، فقال ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) في (باب اختلاف مذاهبهم في كيفية التلاوة وتجويد الاداء): «اعلم أن القراء مجمعون على التزام التجويد، وهو إقامة مخارج الحروف وصفاتها، فأما أسلوب القراءة من حدر وترتيل، بعد إحراز ما ذكرنا، فهم فيه متباينون غير مستوين». (١)

وقد سماها بعضهم باسم (مراتب القراءة) فقال ابن الكيال (ت ٩٢٩هـ): «واعلم ان التجويد على ثلاثة مراتب: ترتيل وتدوير وحدر باسكان الدال». (٢) وسماها أبو الفصل الرازي (ت ٤٥٤هـ) بأوجه القراءة، حيث قال: «القراءة على ثلاثة أوجه: ترتيل وحدر وزمزمة». (٣)

وسواء أكانت الكلمة المستخدمة في ذلك: أسلوباً أم مرتبة أم وجهاً، فان القرآن كما قال ابن الجزري: «يقرأ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير، الذي هو التوسط بين

---

(١) الاقناع ١/٥٥٢.
(٢) الانجم الزواهر ٨٢ظ.
(٣) نقلا عن أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٦٧و.

الحالين، مرتلًا مجوداً بلحون العرب وأصواتها وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة». (٤)

ويفهم من النصوص السابقة أن الترتيل يستخدم مرادفاً للتحقيق، فبعض علماء التجويد يستخدم التحقيق في مقابل الحدر، وبعضهم يستخدم الترتيل في مقابل الحدر. وأما التدوير فللتوسط بين المنزلتين. وقد قال أبو العلاء الهمذاني العطار بعد أن ذكر مذاهب القراء في كيفية القراءة: «ومن بعد فاعلم أن هذه الأوجه التي ذكرناها تؤول الى ضربين: أحدهما التحقيق، والآخر الحدر». (٥)

١ ـ التحقيق:

أما التحقيق فهو «مصدر من حَقَقْتُ الشيء، أي عرفته يقيناً. والعرب تقول: بلغت حقيقة هذا الأمر، أي بلغت يقين شأنه. والاسم منه الحق، فمعناه أن يؤتى بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه». (٦)

ومعنى التحقيق في الاصطلاح هو كما يقول الداني (ت ٤٤٤هـ): «التحقيق الوارد عن أئمة القراءة حده أن تُوَفَّى الحروف حقوقها من المد إن كانت ممدودة، ومن التمكين إن كانت ممكنة، ومن الهمز إن كانت مهموزة، ومن التشديد إن كانت مشددة، ومن الادغام إن كانت مدغمة، ومن الفتح إن كانت مفتوحة، ومن الامالة إن كانت ممالة، ومن الحركة إن كانت متحركة، ومن السكون إن كانت مسكنة، من غير تجاوز ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف. على ما نبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى. فأما ما يذهب اليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الافراط في التمطيط، والتعسف في التفكيك والاسراف في إشباع الحركات وتخليص السواكن الى غير ذلك من الألفاظ المستبشعة والمذاهب المكروهة ـ فخارج عن مذاهب الأئمة وجمهور سلف

---

(٤) النشر ١/ ٢٠٥.

(٥) التمهيد ٨٨و.

(٦) التحديد ٢ظ ـ ٣و. وانظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٢٠٥، وابن منظور: لسان العرب ١١/ ٣٣٣ حقق

الأمة. وقد وردت الآثار بكراهة ذلك وبكيفية حقيقته . . . ». [٧]

وقد أكد الداني هذا المعنى في كتاب آخر من كتبه حيث قال: «ينبغي لمن أخذ نفسه من القراء بالتحقيق أن لا يفرط في ذلك، وأن يكون جميع ما يلفظ به من الممدود والممكن والمدغم والمظهر والمهموز والمشدد والمسكن وإشباع الحركات وغير ذلك على وزن ومقدار، ولا يجاوز به الحد الذي علم من مذاهب الأئمة، ولا يتعدى في ذلك المنهاج والطريق الذي عليه الأكابر من علماء هذه الصناعة، فان استعمل خلاف ما ذكرناه وأفرط في جميع ذلك، وتكلف الزيادة في التمطيط والتعسف في التفكيك فقد خرج بفعله ذلك عما عليه الجمهور من أئمة القراءة، وعن السائر الموجود المتعارف عليه في لغة العرب». [٨]

وذكر أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) أركان قراءة التحقيق حيث قال: «ومعناه ان يقرأ القرآن فيؤدي كل حرف منه حقه من التشديد والتخفيف، والمد والقصر، والتسكين والتحريك، والوصل والقطع، والاشباع والاختلاس، والاظهار والادغام والاخفاء، والتفخيم والاضجاع، والهمز وترك الهمز، لازيادة في كل ذلك ولا نقصان. فحد الحرف المشدد أن لا يكون مخففا، وحد الحرف المخفف أن لا يكون مشدداً. . . فهذه الأشياء التي وصفناها هي حدود التحقيق». [٩]

وما ذكره أحمد بن أبي عمر لا يخرج عما ذكره الداني من صفة قراءة التحقيق، فقد اتضح من هذا الوصف العام لها أنها تقتضي العناية بتأدية الأصوات من مخارجها وتوفيتها صفاتها وما لها من أحكام تنشأ عن التركيب، ولا يؤخذ في قراءة التحقيق بالسرعة بل بالتمكث والاناة مع عدم الخروج عن حدها بالمبالغة في أداء ما للحروف من أحكام مثل المد والادغام والتشديد ونحوها بل تُوَفَّىٰ هذه الأحكام بقدر ما تحتاج من العناية.

---

(٧) التحديد ٩و.

(٨) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٦و- ١٣٦ظ.

(٩) الايضاح ٦٦و.

٢ ـ الترتيل:

أما الترتيل فقد نقلنا في أول هذا الملحق بعض النصوص التي يفهم منها أن الترتيل والتحقيق واحد، وهناك نصوص أخرى في هذا الاتجاه فقد نقل أحمد بن أبي عمر عن أبي العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب أنه قال: «التحقيق والترتيل واحد». [١٠] ويفهم من كلام أحمد بن أبي عمر أنه يأخذ بقول ثعلب حيث قال: «فالترتيل مأمور به، ومرغوب فيه، وهو مثل التحقيق والتفخيم، وهو المختار عندنا في قراءة القرآن، لأن الذي بلغنا من صفة قراءة رسول الله ـ ﷺ ـ أنها كانت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً». [١١]

ونقل أحمد بن أبي عمر أيضا عن الشيخ أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤هـ) أنه قال: «القراءة على ثلاثة أوجه: ترتيل وحدر وزمزمة، والتجويد والاحسان مصحوباها. فالترتيل للفكرة والافادة والرياضة، والحدر للاستكثار والدراسة. والزمزمة القراءة في النفس خاصة. [١٢] وهي ضرب من الحدر». [١٣] وواضح من هذا النص أن الرازي استخدم الترتيل في معنى مطابق لمعنى التحقيق.

وذهب بعض علماء التجويد الى التمييز بين التحقيق والترتيل، فبعضهم يجعل الترتيل صفة من صفات التحقيق، وبعضهم يجعله درجة أقل من التحقيق. قال الداني: «والترتيل مصدر من رتّل فلان كلامه: أتبع بعضه بعضاً على مُكْثٍ وتُؤَدَةٍ، والاسم منه الرَّتَلُ. والعرب تقول: ثغر رَتَل، اذا كان متفرقاً. وهو صفة من صفات التحقيق وليس به، لأن الترتيل يكون بالهمز وتركه والقصر لحرف المد، والتخفيف والاختلاس، وليس ذلك في التحقيق». [١٤] وقال في موضع آخر: «والترتيل يكون

---

(١٠) الايضاح ٦٦ظ.

(١١) الايضاح ٦٦ظ.

(١٢) قال ابن البناء (بيان العيوب ١٨٠ظ): «والهمهمة اخراج أدنى صوت لا تفهم معه الحروف. والزمزمة افهام بعض الحروف دون بعض».

(١٣) الايضاح ٦٧و.

(١٤) التحديد ٢ظ. وانظر: ابن منظور: لسان العرب ١٣/٢٨١ رتل.

للتدبر والتفكر والاستنباط، والتحقيق لرياضة الألسن وترقيق الألفاظ الغليظة، واقامة القراءة، وإعطاء كل حرف حقه من المد والهمز والاشباع والتفكيك، ويؤمن معه تحريك ساكن، واختلاس حركة متحرك». [١٥]

ونحا هذا المنحى أيضا أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ)، وذلك حيث قال: «اعلم أن التحقيق والترتيل يتفقان من وجه ويفترقان من وجه. فأما وجه اتفاقهما فمن حيث إن الترتيل صفة من صفات التحقيق وليس به، وذاك أنه مصدر رتّل الرجل كلامه اذا أتبع بعضه بعضاً على تؤدة وتمهل، والتحقيق مصدر حققت الشيء والاسم منه الحق، ومعناه أن يؤتى بالشيء على حقه. وقد علمت أن اعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها الى غير ذلك مما أوضحناه قبل موجود في كلا المذهبين.

وأما وجه افتراقهما فمن حيث ان الترتيل يكون بتحقيق الهمزات وتخفيفها واختلاس الحركات وإقرارها، والتحقيق بخلاف ذلك». [١٦]

والفرق عند من ميز بين التحقيق والترتيل ليس كبيراً كما ترى، ومن ثم تغاضى كثير من علماء التجويد عن ذلك الفرق وعدوهما مترادفين. وقد قال الشيخ أحمد فائز الرومي في شرحه على (الدر اليتيم): «كيفية التلاوة لها حالات ثلاث: تحقيق، وهو عند الجمهور بمعنى الترتيل، فسره به فقال: أي ترتيل. وفرق بعضهم بينهما بان التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين... والترتيل يكون للتدبر والتفكر». [١٧]

٣ ـ الحدر:

أما الحدر «فأصله الحط، وكل ما حَطَطْتَهُ من عُلْو الى سُفْل فقد حدرته». [١٨] وهو «مصدر من حَدَر بالفتح يَحْدُر بالضم، اذا أسرع، فهو من الحدور الذي هو الهبوط، لأن الاسراع من لازمه، بخلاف الصعود». [١٩] ولدينا عدة نصوص قديمة في بيان

(١٥) التحديد ٣و.

(١٦) التمهيد ٨٩ظ.

(١٧) شرح الدر اليتيم ٢٧و.

(١٨) العطار: التمهيد ٨٧و.

(١٩) ابن الجزري: النشر ١/٢٠٧. وانظر: ابن منظور: لسان العرب ٥/٢٤٤ حدر.

معنى الحدر في الاصطلاح.

من ذلـك قول أحمـد بن الحسين بن مهـران (ت ٣٨١هـ): «هـو أن يقرأ القارئ قراءة سهلة سريعة خفيفة... من غير أن يخل بحرف، بل يؤدي كـل حرف حقه من السكون والحركة والمد والتشديد، وهو يمر في قراءته مع هذه الشرائط مراً سريعاً». (٢٠)

قال ابن البناء في (باب وصف حدر القراءة): «يجب أن يراعي في حدره المفتوح فيـدنيـه عن التبليغ، والمخفوض والمرفوع فيوقعهما بلا تخفيف، ويمرن لسانه على المشـدد والمهموز والمنون والممدود والمقصور والمدغم والمظهر في إعطاء كل نوع من ذلك حقه في سرعة غير قلقة ولا رخوة، ولا يستلن مدارج النفس يطلب غايته دون استيداع الحروف مقارها.

وليحـذر أن يفسـد باسـراعـه الحروف المأخوذ عليه رعايتها، فليس الحدر يوجب ترك ممـدود، ولا منـون مظهـر، ولامدغم، ولا مخفى، وانمـا روى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يترك الهمز إذا أدرج القراءة تخفيفاً. فمن لـم يحرس في درجه ما ذكرت كان خلله كثيرا وفساده عظيما». (٢١)

وقال أبو علي الأهوازي في وصف قراءة الحدر: «وأما الحدر فانه القراءة السهلة السمحـة الـرتلة، العـذبـة الالفاظ، اللطيفة المعنى، التي لا يخرج القارئ فيها عن طبـاع العـرب، وعمـا تكلمت به الفصحـاء بعـد أن يأتي بالرواية عن الامام من أئمة القـراءة على ما نقـل عنـه من المـد والهمز، والقطع والوصل، والتشديد والتخفيف، والامالة والتفخيم، والاختلاس والاشباع، فان خالف شيئاً من ذلك كان مخطئاً». (٢٢)
وقد وضح ابن الجزرى معنى الحدر أيضا بما لا يخالف ما ورد في هذه النصوص من وصف الحدر بادراج القراءة وسرعتها وتخفيفها. (٢٣)

---

(٢٠) نقلا عن: أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٦٦ظ.

(٢١) بيان العيوب ١٧٧و.

(٢٢) انظر: القرطبي: الموضح ١٨٨ظ. وابن الباذش: الاقناع ١/٥٥٩. والمرادى: المفيد ١٠٠ظ.

(٢٣) النشر ١/٢٠٧.

ويـذكـر علمـاء التجـويـد أن الغرض من القراءة حدراً هو كثرة القراءة وسرعتها لمن يرغب في ختم القـرآن وكثـرة الحسنـات . قال الخزاعي : «انما يستعمل القارئ الحدر وسرعة القراءة مع تقويم الألفاظ لتكثر حسناته اذ كان له بكل حرف عشر حسنات ، وذلك بعـد معـرفتـه بالمـد من غيـر تمطيـط وبالهمز من غير لكز لساكنه ومتحركه ، بل يأتي بها بسهولة من غير عنف ولا صعوبة» . (٢٤)

وقـال الـداني «فأمـا الحـدر والهـذرمة فلا بأس أن يستعملها من أراد درس القرآن لكي تكثـر حسنـاتـه . اذ له بكل حرف عشر حسنات ، أو من رغب في كثرة الختم لِمَا لِمَنْ ختم من الأجر لنزول الرحمة عند الختم» . (٢٥)

العلاقة بين الحدر والتحقيق :

التـدويـر هو عبـارة عن التـوسـط بين المقامين من التحقيق والحدر . (٢٦) ولم يطل علماء التجويد في الكلام عنه ، لأن المهم أن يضبط طرفا القراءة : التحقيق والحدر ، وقـد اتضـح بمـا سقناه من النصوص أن صفة التحقيق هي التأني في القراءة مع إيفاء الاصـوات حقـوقهـا من المخـارج والصفـات وما ينشأ لها عن التركيب من الأحكام ، وصفة الحدر هي السرعة في القراءة ، الى الحد الذي لا تختل به صفة القراءة وتبطل أحكـامهـا . وكـل أوجـه القـراءة ، كمـا قال أبـو العـلاء الهمـذاني العطار «تؤول الى ضربين : أحدهما التحقيق ، والآخر الحدر» . (٢٧)

ولا تتضح من النصوص السابقة حدود فاصلة بين قراءة التحقيق وقراءة الحدر الا ما ذكـرنـاه من اقتـران التحقيق بالتأني ، واقتران الحدر بالسرعة ، وما يناسب ذلك من المحافظة على أحكام التركيب ، لكن أبا العلاء الهمذاني العطار قدّم لنا ميزاناً دقيقاً نادراً للفصل بين الحدر والتحقيق ، وهو أن «شرط التحقيق أن يزاد على الحدر مثله» .

---

(٢٤) نقلا عن أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٦٦ظ ـ ٦٧و.

(٢٥) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٢٠و.

(٢٦) ابن الجزري: النشر ١/٢٠٧ .

(٢٧) التمهيد ٨٨ظ.

فقـد قال وهـو يتحدث عن المد بسبب الساكن المشدد: «واختلف أهل الأداء في مقدار هذا المـد. فأهـل التحقيق يمـدونـه على قدر أربع ألفات، وبعضهم على قدر ثلاث ألفـات. وأهـل الحـدر يمدونه على قدر ألفين إحداهما حرف المد الساكن، والثانية المدة الفاصلة بين الساكنين. فأما المحققون فعذرهم في تطويل المد في هذا الباب أن الحادرين يمدونه بقدر ألفين، وشرط التحقيق أن يزاد على الحدر مثله، ثم كل من نقص تحقيقه نقص مده» . [٢٨]

وهذه القاعدة التي ذكرها أبو العلاء الهمذاني العطار (شرط التحقيق أن يزاد على الحـدر مثله) يمكن أن تطبق على المـدود بشكـل واضح، لكن تطبيقها على الظواهر الصوتية الأخرى لا يخلو من إشكال، لأن الزمن الذي يستغرقه نطق بعض الظواهر لا يحتمل مثل هذه النسبة، ولعل ما كانت الغنة فيه ظاهرة يمكن أن تطبق عليه القاعدة السابقة، على اعتبار أن الغنة تشبه المد في طول الزمن الذي يستغرقه نطق صوتها.

ويؤكد علماء التجويد على أن مراعاة أحكام التجويد مطلوبة في الحدر كما هي مطلوبة في التحقيق، فقال بعضهم: «أحق الناس بالتجويد من راعاه في الحدر» . [٢٩] وينقلون أن ابن مجاهد سئل: «من أقرأ الناس؟ فقال: من حقق في الحدر» . [٣٠]

وقال المرادي في ذلك المعنى: «والقراء مجمعون على التزام التجويد في جميع أحـوال القـراءة من ترتيـل وحـدر وتـوسط، وربما توهم قوم أن التجويد انما يكون مع الترتيل، لاعتقادهم أن التجويد إنما هو الافراط في المد وإشباع الحركات ونحو ذلك مما لا يتأتى مع الحدر، وليس كم توهموه. وانما حقيقة تجويد القراءة ما قدمته لك. [٣١] وذلك متأت مع الحدر كما يتأتى مع الترتيل. ولا ينكر أن الآخذ بالترتيل أتم مداً وتحـريكـاً واسكـانـاً من الآخـذ بالحـدر، ولكن في جميع ذلك من إقامة مخارج

---

(٢٨) التمهيد ١٥٩و.

(٢٩) العطار: التمهيد ٨٨ظ.

(٣٠) أحمد بن أبي عمر: الايضاح ٦٧و. والعطار: التمهيد ٨٨ظ.

(٣١) يشير الى قوله قبل هذا النص: «ان التجويد هو اعطاء كل حرف حقه من مخرجه وصفته» .

الحروف وصفاتها». [٣٢]

تقسيم الأهوازي لأساليب القراءة:

وقد نُقلت عن أبي علي الاهوازي رواية جعل القراءة فيها على عشرة أضرب وهي قوله: «اعلم أن القرآن يقرأ على عشرة أضرب: بالتحقيق، وباشتقاق التحقيق، وبالتجويد، وبالتمطيط، وبالحدر، وبالترعيد، وبالترقيص، وبالتطريب، وبالتلحين، وبالتحزين.

قال الأهوازي: سمعت جماعة من شيوخي يقولون: لا يجوز للمقرئ أن يقرئ منها بخمسة أضرب: بالترعيد، والترقيص والتطريب، والتلحين والتحزين. وأجازوا الاقراء بالخمسة الباقية، اذ ليس للخمسة أثر، ولا فيه نقل عن أحد من السلف، بل ورد الينا أن بعض السلف كان يكره القراءة بذلك». [٣٣]

أما الخمسة التي تجوز القراءة بها فقد تحدثنا عن اثنين منها، وهما التحقيق والحدر. والثلاثة الباقية بين التحقيق والحدر على هذا الترتيب: الحدر، والتجويد، والتمطيط، واشتقاق التحقيق، والتحقيق. ومع أننا نعتقد أن هذا التقسيم لا يخرج عما حددناه من قبل فان توضيح المصطلحات الثلاثة صار أمراً ضرورياً حتى يعرف القارئ حقيقتها.

أما التجويد عند الأهوازي، وهو هنا يستخدمه بمعنى خاص فهو «أن يضيف الى ما ذكرت في الحدر مراعاة تجويد الاعراب، وإشباع الحركات، وتبيين السواكن وإظهار بيان حركة المتحرك بغير تكلف ولا مبالغة». [٣٤]

«وأما التمطيط فهو أن يضيف الى ما ذكرت زيادة المد في حروف المد واللين، مع جري النَّفَس في المد، ولا تدرك حقيقة التمطيط الا مشافهة». [٣٥]

---

(٣٢) المفيد ١٠٠ظ.

(٣٣) نقلا عن: القرطبي: الموضح ١١٨و، وابن الباذش: الاقناع ١/٥٥٥. والمرادي: المفيد ١١٧ظ.

(٣٤) المصادر الثلاثة السابقة ١٨٨ظ، ١/٥٦٠، ١١٨و على الترتيب السابق.

(٣٥) المصادر الثلاثة السابقة ١٨٩و، ١/٥٦٠، ١١٨و.

«وأما اشتقاق التحقيق فهو أن يزيد على ما ذكرت من التجويد روم السكوت على كل ساكن ولا يسكت، فيقع للمستمع أنه يقرأ بالتحقيق، وكذلك جميع ما نذكره من التحقيق فانه يرومه. وهي تقرأ بعد القراءة بالتحقيق ليعلم أنه قد ضبط ذلك». (٣٦)

وربما كان كلام الأهوازي عن ضروب القراءة الخمسة التي لا تجوز بها القراءة أكثر فائدة للدارس وهو يبحث في تاريخ الظواهر الصوتية، لأنها تشير الى شيوع ظواهر صوتية معينة في عصر معين، قلّ أن يعثر على نصوص تتحدث عنها. وسبق أن ذكرنا الترعيد في محاذير المد.

«واما الترقيص فهو أن يروم السكوت على السواكن، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة. وربما دخل ذلك على من يطلب التجويد والتحقيق، وهو أدق معرفة من الترعيد».

«وأما التطريب فهو أن يتنغم بالقراءة ويترنم، ويزيد في المد في موضع المد وغيره، وربما أتى في ذلك بما لا يجوز في العربية، وربما دخل ذلك على من يقرأ بالتمطيط».

«وأما التلحين فهو الأصوات المعروفة عند من يغني بالقصائد وانشاد الشعر، وهي سبعة ألحان . . .

«وقد اختلف السلف في جواز ذلك، فكرهه قوم وأجازه آخرون. فأما الاقراء به فلا يجوز، ولا بالتطريب، ولا بالترقيص، ولا بالتحزين، ولا بالترعيد على ذلك وجدت علماء القراءة في سائر الأمصار. . .

«وأما التحزين فانه ترك القارئ طباعه وعادته في الدرس اذا تلا، فيلين الصوت، ويخفض النغمة كأنه ذو خشوع وخضوع، ويجرى ذلك مجرى الرياء، لا يؤخذ به، ولا يقرأ على الشيوخ الا بغيره».

قال الأهوازي: وإنكار شيوخنا الأخذ بما ذكرت عنهم نقل نقلوه، لأنهم متبعون غير مبتدعين». (٣٧)

(٣٦) المصادر الثلاثة السابقة ١٨٩و، ١/٥٦١، ١١٨و.

(٣٧) المصادر الثلاثة السابقة: ١٨٨و-١٨٨ظ، ١/٥٥٦-٥٥٨، ١١٧ظ-١١٨و. على الترتيب السابق.

القراءة بالألحان:

ومـا ذكـره الاهـوازي من عدم جواز قراءة القـرآن بالتلحين أمـر أجمع عليه علماء التجـويـد بالقـراءة، ولم ينفـرد به، حتى لقـد ألّف أبـو البركات محمد بن أحمد بن محمـد المعـروف بابن الكيـال.(٣٨) كتاباً مستقلاً، سماه (الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر) قال في أوله: «وبعد فهذا كتاب مختصر مفيد في تحـريم قراءة القـرآن المجيـد بلحـون أهـل الفسق والكبـائـر الـداخلين في الوعيد، واستحبـاب قراءتـه وفضلهـا بلحـون العرب وأصواتها، بالترتيل والتجويد، وردع قراء المحافل والجنائز الجهلة الطغام، الذين لم يستضيئوا بنور القرآن...».(٣٩)

وكـان الـداني قد قال: «فـاذا قرأ القـرآن فليستعمـل عند قراءته الخشية والتباكي والتفهم لمـا يتلو، وليـزيّنـه بصـوته الذي خصه الله عزوجل به، ووهبه إياه، وليتجنب عنـد ذلـك الألحان المطربة والأصوات المستعملة والنغمات الملهية، فانها مكروهة عند أهل العلم حديثاً وقديماً».(٤٠)

وقال ابن البناء في (باب وصف قراءة الألحان): «وقد كرهها جماعة من العلماء وأئمـة القـرآن لخروجها عن سنن القراءة المألوفة وشرائطها الموصوفة ومراعاة أصوات مصنـوعـة وأدوات موضـوعـة. وهم في الاهتمـام بمـراعـاة شرائط التلاوة أَوْلَىٰ، فان استعملوهـا أَخَلُّوا بمـا وضعـوه، وان لم يستعملوها أخلوا بواجب فيها لابد منه، فكم فيهـا من قصـر لممدود ومد لمقصور وتحريك لساكن وتسكين لمتحرك وهمز لمخفّف ومخفّف لهمّـز، واظهـار لمـدغم ومـدغم لمظهـر، مع أشيـاء كثيـرة يطـول شرحهـا وتعدادها حققها العلماء وميّزها القراء.

فان سمعهـا سامـع فأنكـر نسب الى الفظـاظـة والغلظ، وان أقرهم على ذلك مع

(٣٨) ذكـر البغـدادي في ايضـاح المكنـون (١/١٣١)(أنـه توفي سنـة ٩٢٩هـ، لكن ذكـره مع اختلاف يسير في الاسم.

(٣٩) الانجم الزواهر ٧٩ظ.

(٤٠) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٥و.

الكراهة فهو إقرار على الخطأ مع العلم به، وان غلب عليه هواه بتحسين ما يلحنون، وهم في التحقيق عنده يلحنون، فصدف عن الكراهة وأقر المكروه عند اللذة الداخلة على سمعه وقلبه فهذا ممن غلب هواه، وكان من الغاوين. والأسلم على جميع الأحوال مجانبتها، كما ذكر العلماء، وحذر منها الأتقياء: سفيان بن عيينة، وأحمد ابن حنبل، وابن المبارك وغيرهم». (٤١)

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «وتزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها على ما بيناه قبل، لا ما أحدثه العمي المقبريون، والغثر الأعجميون، لأن ذلك يفضي الى تغيير المقاصد والمعاني ويقرب قراءة الوحي المنزل من ألحان الأغاني». (٤٢)

وينبغي أن يفرق بين القراءة بالألحان وبين الأمر بتحسين الصوت بالتلاوة، فتحسين الصوت مطلوب وردت فيه الأحاديث عن رسول الله، ﷺ، وأجمع العلماء على مراعاة ذلك في قراءة القرآن، فقد رووا أن النبي، ﷺ، قال: (زينوا القرآن باصواتكم) وأنه قال: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن). وتأويل ذلك عند أكثر العلماء أنه تزيين الصوت وتحسينه وتحزينه. وقد قيل لابن أبي مليكة: يا أبا محمد أرأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع. (٤٣)

وطريق تحسين الصوت في القراءة هو مراعاة أحكام التجويد لا مراعاة ما تقتضيه الألحان. وتزيين القراءة هو باعطاء الحروف حقوقها من المخارج والصفات لا بما أحدثه العمي المقبريون والغثر الأعجميون، كما وصفهم من قبل أبو العلاء الهمذاني العطار رحمه الله تعالى، ورحم من سواه من علماء التجويد، الذين بفضل جهودهم ظل القرآن يقرأ بلحون العرب وأصواتها مميزاً عن الألحان المخترعة التي تناسب الغناء، ولا تليق بكلام الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

---

(٤١) بيان العيوب ١٧٨و.

(٤٢) التمهيد ١١ظ.

(٤٣) انظر: الداني: شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٥و، وأحمد بن أبي عمر: الايضاح ٦٥و. والعطار: التمهيد ٤٦و.

التنغيـــم :

يمكن تعـريف التنغيم بأنـه (ارتفـاع الصـوت وانخفـاضـه أثنـاء الكـلام). (٤٤) وتستخـدم كلمـة (مـوسيقى الكـلام) مكان التنغيم عند بعض الدارسين. (٤٥) أو كلمة التلوين المـوسيقي عنـد بعضهم. (٤٦) وكـل لغـة لهـا، بالنسبـة لكـل مجمـوعـة من الكلمات أو الجمل، نماذج للتنغيم متميزة تماماً الى الحد الذي يمكّن الشخص من أن يتعرف على اللغة المتكلمة أمامه، حتى اذا لم يميز فعلا واحدة من كلماتها. (٤٧)

ودراسـة التنغيم جديـدة على الـدرس الصـوتي العـربي، نقلهـا دارسو الأصوات العـربيـة المحدثون عن الدرس الصوتي الغربي، ولا تزال البحوث التطبيقية الخاصة باللغة العربية محدودة. وهناك شكوى من صعوبة البحث عن نظام التنغيم في العربية. (٤٨) حتى أن بعضهم قال: «ان تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلاً»، لأن معظم أمثلة التنغيم في العـربيـة ولهجـاتهـا من النـوع غير التمييزي الذي يعكس اما خاصة لهجية أو عادة نطقية للافراد. (٤٩)

وتكاد الأمثلة القليلة لتطبيق دراسة التنغيم في اللغة العربية تنحصر في استخدام التنغيم للتفـريق بين الجملة الخبـريـة والجملة الاستفهـاميـة، وكـذلـك الجملة التعجبيـة، فالتنغيم عنصـر أسـاسي في تمييز هذا النوع من الجمل، على الرغم من وجود عناصر أخرى تركيبية تساعد في الوصول الى ذلك التميز. (٥٠)

إن من الأمـور التي لم يعـرفهـا دارسـو الأصـوات العربية من المحدثين أن علماء التجويد أدركوا ظاهرة التنغيم وعرفوا أمثلتها، واستخـدم بعضهم كلمة النغمة، بينما

---

(٤٤) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٦٤.

(٤٥) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٧٦.

(٤٦) كمال محمد بشر: الاصوات ص ٢٤٥.

(٤٧) ماريوباي: أسس علم اللغة ص ٩٥.

(٤٨) ابراهيم أنيس: الاصوات اللغوية ص ١٧٦.

(٤٩) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٥.

(٥٠) انظـر: كمـال محمد بشر: الاصوات ص ٢٤٥-٢٤٦، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٥.

اكتفى آخرون باستخدام عبارة (رفع الصوت وخفضه) وهو معنى التنغيم عند المحدثين.

ومن أقدم النصوص المتعلقة بظاهرة التنغيم، مما اطلعت عليه من مصادر علم التجويد، ما قاله أبو العلاء الهمذاني العطار وهو يتحدث عن اللحن الخفي: «وأما اللحن الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته الا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته الا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية. وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات والملطفات والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والاثبات، والخبر والاستفهام، والاظهار والادغام، والحذف والاتمام، والروم والاشمام، الى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ الا من أهل الاتقان والضبط». (٥١) فقول أبي العلاء: الفرق بين النفي والاثبات، والخبر والاستفهام داخل في موضوع التنغيم، وان جاءت العبارة عامة موجزة.

وكان محمد بن محمود بن محمد السمرقندي الأصل، الهمذاني المولد، البغدادي الدار، المتوفى سنة ٧٨٠هـ قد فصّل هذا الموضوع تفصيلاً لم يسبق اليه، فيما عرفت من كتب هذا العلم، كما أن أحداً من الذين جاءوا بعده لم يبلغوا مبلغه، ولا أبالغ ان قلت: ان كلام المحدثين في الموضوع لا يصل اليه من حيث القيمة العملية لا التفصيلات النظرية، فيما نجده مكتوباً عن الموضوع بالعربية.

قال السمرقندي في قصيدته (العقد الفريد):

اذا (ما) لنفيٍ أو لجَحْدٍ فصوتُهَا آرْ فَعَنْ وللاستفهام مَكِّنْ وَعدِّلا
وفي غيرِ اخفضْ صوتَها والذي بما شبيهٌ بمعناه فقِسْهُ لتفضُلا
كهمزةِ الاستفهام مَعْ مَنْ وأن وان وأفعلَ تفضيل وكيفَ وهَلْ ولاَ

قال في الشرح: «مثال ذلك: (ما قلتُ)، ويرفع الصوت بـ(ما) يعلم أنها نافية، واذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية، واذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية. وهذه

(٥١) التمهيد ١١٩ظ - ١٢٠و.

العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن». [٥٢] وهذا كلام غاية في الوضوح والدقة، وهو يتميز بنظرة شمولية نادرة، تتجاوز المثال الجزئي الواحد الى عموم اللغة، وتتجاوز اللغة الواحدة الى غيرها من اللغات، وقوله: «وهذه العادة جارية في جميع الكلام، وفي جميع الألسن» دليل أكيد على ما نقول.

وقَد طَبَّقَ السمرقندي فكرة رفع الصوت وخفضه على عدة صور نطقية متماثلة في البنية ولا يفرق بينها الا طريقة التنغيم. من ذلك صيغة (أفعل) التي تكون للتفضيل، فقد قال: «فينبغي أن يفرق بالصوت بين الذي بمعنى التفضيل، والذي ليس بمعنى التفضيل». [٥٣] وكذلك الفرق بين (لا) النافية و(لا) الناهية. [٥٤] وكذلك اللام التي لتأكيد الفعل وبعدها همزة وصل مثل (لاتبعتم) تشتبه بلا النافية التي بعدها همزة وصل في التلفظ نحو (لا آنفصام لها)، وقال السمرقندي: «والفرق بينهما انه في نحو (لا انفصام) يكتب بألفين، وفي نحو (لاتبعتم) يكتب بألف واحدة، ويرفع الصوت على (لا) ويخفض على اللام . . . فهذا ما وصل إلينا من الأئمة رواية ودراية ومشافهة وبياناً». [٥٥]

واستخدم المرعشي كلمة (النغمة) نقلا عن النسفي صاحب التفسير المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وذلك حيث قال: «قال صاحب المدارك في قوله تعالى: ﴿قالَ: الله على ما نقولُ وكيلٌ﴾ (يوسف ٦٦): بعضهم يسكت على (قال) لأن المعنى: قال يعقوب، غير أن السكت يفصل بين القول والمقول. وذا لا يجوز، فالأَوْلَىٰ أن يفرق بينهما بالصوت، فيقصر بقوة النغمة اسم الله تعالى، انتهى. [٥٦] أقول (المرعشي): قوله (فيقصر) معناه: يمنع اسم الله تعالى عن أن يكون فاعلا لقال بقوة النغمة، فيعلم أنه ليس بفاعل لقال». [٥٧]

---

(٥٢) روح المريد في شرح العقد الفريد ١٣٩ظ.

(٥٣) روح المريد ١٤١و- ١٤١ظ.

(٥٤) روح المريد ١٤١ظ.

(٥٥) روح المريد ١٤١ظ.

(٥٦) انظر: مدارك التنزيل (طبعة دار الكتاب العربي - بيروت) ٢ / ٢٣٠ .

(٥٧) جهد المقل ٥٦و.

وكـذلـك استخـدم الـدركـزلي كلمـة (نغمـات) وذلـك حيث قال: «قـال بعض المحققين: ينبغي أن يُقْـرَأ القـرآن على سبـع نغمـات: فمـا جاء من أسمـائـه تعالى وصفـاتـه فالتعظيم والتوقير، وما جاء من المفتريات عليه فبالاخفاء والترقيق، وما جاء في ردها فبالاعلان والتفخيم، وما جاء من ذكر الجنة فبالشوق والطرب، وما جاء من ذكـر النـار والعـذاب فبالخوف والرهب، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة والرغبة، وما جاء من ذكر المناهي فبالابانة والرهبة. انتهى».[٥٨] ولا شك في أن أكثر هذه الأقسام يتضح فيها إمكانية تنويع النغمة عند نطقها، لكن بعضاً منها لا يتبين فيه ذلك.

ومهمـا تكن هذه المـلاحظـات التي أبـداهـا علمـاء التجويد في موضوع التنغيم موجزة وبحاجة الى التدقيق والتوضيح فانها تبدو أسعد حظاً مما كتبه دارسو الأصوات العـربيـة في كثيـر من الجـوانب. لا سيمـا ما كتبـه السمـرقندي الذي له كتاب اسمه (نجـوم البيـان في الـوقـوف، ومـاءات القرآن) ذكره في (روح المريد في شرح العقد الفـريـد) أثنـاء كلامـه عن الماءات.[٥٩] لا أستبعد أن يكون فصّل فيه فكرته عن رفع الصوت وخفضه التي ذكرها في (روح المريد).

---

(٥٨) خلاصة العجالة ٢١٣و.

(٥٩) روح المريد ١٤٠و.

ملحق رقم (٣)
عيوب النطـــق

يعجز بعض الناس عن نطق صوت معين أو أكثر من أصوات اللغة، فيبدل الصوت الـذي يعجـز عنـه بصـوت آخـر، وتتفاوت درجات العجز، ويظل هذا العجز مصاحباً للانسـان، وقـد ينفـع في تجـاوزه العـلاج والمران. وتدرس هذه الظاهرة في إطار ما يسمى بأمراض الكلام أو عيوب النطق.

وعلى الرغم من أن كثيـراً من الـدارسين المعاصرين لا يعدون البحث في عيوب النطق وعلاجها من اختصاص علماء الأصوات، انما يدخل في أبحاث علم النفس وحقـل الطب، الا أن الـدراسات الصوتية تظل ضرورية لهذا النوع من البحث، لأن تشخيص عيـوب النطق ومحـاولـة علاجهـا يتطلب معرفة تامة بطبيعة الصوت اللغوي وكيفيـة إنتـاجـه وفهم خواصـه، مثـل ما يتطلب معرفة بوسائل العلاج النفسي والطبي على حد سواء.(١)

وقـد كان يظن أن اللغـة العـربيـة لم تعـرف هذا اللون من البحث ولا التأليف فيه حتى الـوقت الحـاضـر، فقـد قال أحـد المشتغلين في هذا الميـدان: «عندما تقلب الطـرف في المكتبـة العـربيـة يلفت نظرك أمر له شأنه وخطورته، وترى في جانب من جوانبها ثغرة تتطلع الى من يسدها، وفراغاً ينتظر من يملؤه، وأحسسنا جميعاً بالحاجة الى كتاب يتناول عيوب النطق والكلام».(٢)

وظهـر لي بعـد تتبـع كتب علم التجـويـد ودراستها أن علماء التجويد كانوا قد درسوا موضـوع عيـوب النطق وكيفيـة علاجهـا، وألفوا في ذلك كتباً مستقلة منذ ما يقرب من

---

(١) انظـر: عبـد الـرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٢٤. وكمال محمد بشر: الاصوات ص ٢٢ هامش ١. وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٥٣.

(٢) مصطفى فهمي: أمـراض الكـلام ص ٣. وانظـر أيضـا مقـدمـة تحقيق كتـاب (سر صناعة الاعراب) لابن جني ص ١٥

ألف سنة، إلا ان جهودهم في هذا المجال لم تكن معروفة لدى المعاصرين، مثل ما كانت جهودهم في دراسة موضوع علم الأصوات بشكل عام مهملة ومجهولة أيضا.

وقد كتب عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) فصلاً موجزاً عن عيوب النطق في آخر كتابه (الموضح في التجويد). (٣) وألف ابن البناء (وهو أبو علي الحسن بن أحمد ابن عبد الله البغدادي، المعروف بابن البناء ت ٤٧١هـ) كتابا مستقلا في عيوب النطق هو كتاب (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، وإيضاح الأدوات التي بني عليها الاقراء). (٤) ويبدو أن كتاب (بيان العيوب) لم يكن الكتاب الوحيد المؤلف في هذا الموضوع قديماً. (٥) فقد قال ابن البناء، بعد أن ذكر جملة من عيوب الأصوات: «وهذا وما أشبهه من المعايب كرهها العلماء بالقراءة وذوو المعرفة بالأخذ، وذكروا فيها التصانيف، وناهيك بصاحبنا أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادي، رحمه الله، فانه أخذ من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر». (٦)

وابن المنادي هذا هو أحد أعلام بغداد في القرن الرابع الهجري (ت ٣٣٦هـ). قال عنه ابن النديم: «وله مائة ونيف وعشرون كتاباً، في علوم متفرقة». (٧) ولكن لم يصل الينا من تلك الكتب سوى كتاب واحد، هو كتاب (متشابه القرآن). (٨) ونرجح اعتماداً على قول ابن البناء السابق أن من بين كتب ابن المنادي المفقودة ما عالج فيه موضوع (عيوب النطق) لاسيما ان ابن البناء نقل مادة (باب وصف العوارض باللسان

---

(٣) الموضح ١٨٩ظ - ١٩٠ظ.

(٤) توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل. ضمن مجموع رقمه (٥/٢٠ مخطوطات المدرسة الاسلامية) وتقع في عشر ورقات.

(٥) هناك كتاب (اللثغة) لابي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي المتوفى سنة ٢٥٢هـ. توجد منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، تحت رقم ١٦٣ فلسفة ومنطق، وقد ورد وصف لمحتوياته في كتاب (في البحث الصوتي عند العرب) للدكتور خليل ابراهيم العطية. ص ٩٤-٩٦.

(٦) بيان العيوب ١٧٦و.

(٧) الفهرست ص ٤١.

(٨) انظر: فوائد سزكين: تاريخ التراث العربي ٢١٣/١.

والحيلة في إذهاب بعضها من الانسان) عن ابن المنادي). [٩]

ويمكن أن نصنف الظواهر التي درسها علماء التجويد في باب عيوب النطق الى الأصناف الآتية:

١ ـ أمراض الكلام:

وهي الناشئة عن خلل في آلة النطق، وذلك مثل: التَّمْتَمَة وهي الترديد في التاء، والفَأْفَأَة وهي الترديد في الفاء، والحُبْسَة وهي تعذر الكلام عند إرادته، واللُّثْغَة أن تعدل بحرف الى حرف، والغُنَّة أن تشرب الحرف صوت الخيشوم، والخُنَّة أشد منها. [١٠]

٢ ـ عيوب الاصوات:

وهي العيوب التي يقع فيها المتكلم لا بسبب خلل في آلة النطق، وانما بسبب عادات نطقية منحرفة للمتكلم يسهل علاجها بالتنبيه عليها، وذلك مثل: الترعيد الذي ذكرناه في محاذير المدود، ومثل اللُّكز وهو خاص بالهمز وهو «دفع الحرف بالنفس عن شدة إخراج له به». [١١] وقد قال علماء التجويد: «ان الهمزة يجب أن تخرج إخراجاً سهلاً على تؤدة من غير لكز ولا اعتماد عليها». [١٢]

٣ ـ عيوب الجوارح والهيئات:

وذلك مثل تحريك الرأس عن يمين وشمال، كالالتفات، أو تحريكه بزعزعة من سفل الى علو أو علو الى سفل، كالايماء بنعم ولا في المخاطبات. ومنه عبوس الوجه وتقطيبه ونحو ذلك من هيئات الجوارح. [١٣]

---

(٩) بيان العيوب ١٨١ظ.

(١٠) انظر: القرطبي: الموضح ١٨٩ظ. وابن البناء: بيان العيوب ١٨٢ظ.

(١١) ابن البناء: بيان العيوب ١٧٥و.

(١٢) العطار: التمهيد ١٥١ظ. وانظر: السعيدي ٥٢و.

(١٣) ابن البناء: بيان العيوب ١٧٤ظ ـ ١٧٥و.

٤ ـ انحرافات النطق اللهجية :

وذلك مثل الكَشْكَشَة، والتَّلْتَلَة، والطُمْطُمَانِيَّة، والعَنْعَنَة. (١٤)

ولم يكتف علماء التجويد الذين درسوا موضوع أمراض الكلام الناشئة عن نقص آلة النطق بوصف العيوب، بل حاولوا علاجها. وقد عقد ابن البناء باباً في كتابه (بيان العيوب) عن (وصف العوارض باللسان والحيلة في اذهاب بعضها من الانسان) نقله عن ابن المنادي. وهذا مقطع مما ورد في ذلك الباب: «فان كان القارئ أَرَتّاً، وهو الذي يدغم حرفاً في حرف، فانه يجب أن يُصِرَّ حين القطع ليتمكن بمدافعة النفس علواً، ثم يأخذ في قراءته وليُعْلِ من صوته قليلاً في تعاهد حسن وإقدام على درسه. وان كان تَمْتَاماً، وهو الذي يكرر التاء فانه يستعمل مثل ما ذكرناه من الأَرَتّ وزيادة بحسب قوة العارض من كل ما يدفعه به، فيشدد صوته، ويمد نفسه، ويصلب فكيه...». (١٥)

وختم ابن المنادي كلامه في معالجة أمراض الكلام بقوله: «فان جاهد ذلك بطول السعي وتكرير التثقيل فانتفع به والا فلابد له من الدنو الى الصواب فان لم يغلب شهوته لدفع ذلك عنه فَلْيَخْفِضْ صوته بالحرف المعلول، وليجهر بما سواه، فان تجويده للعليل زيادة في علته، وان كان كذلك فهمسه أصلح من جهره». (١٦)

ولا يقلل من قيمة كلام علماء التجويد في موضوع أمراض الكلام وعيوب النطق أن دراسة هذا الموضوع تقدمت في عصرنا كثيراً، فان عناية علماء التجويد بهذا الموضوع دليل على بعد نظرهم وعمق تفكيرهم. ويكفي أنهم درسوا هذا الموضوع

---

(١٤) القرطبي: الموضح ١٩٠و.

(١٥) بيان العيوب ١٨١ظ ـ ١٨٢و.

(١٦) بيان العيوب ١٨٢ظ.

منذ عشرة قرون، [١٧] بينما لم يعرف العالم هذا النوع من الدراسة الا منذ وقت قريب.

(١٧) كان الجاحظ (عمرو بن بحرت ٢٥٥هـ) قد ذكر بعض عيوب اللفظ في كتابه (البيان والتبيين)، انظر: ١/١٢ و٣٤ و٣٩ و٧٣ من الطبعة التي حققها عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٨م. كذلك فعل المبرد (محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) في كتابه (الكامل في اللغة والادب) انظر ٥٧٨/٢-٥٨٢ من الطبعة التي حققها د. زكي مبارك، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٣٧م. وذكر ثابت بن أبي ثابت في كتابه (خلق الانسان) بعض تلك العيوب (انظر ص ١٨٢-١٨٦).

الخاتمـــة

استـوفيت في الفصـول الثلاثـة التي يتألف منهـا هذا البحث الكـلام عن علم التجـويـد من جانبيـه التـاريخ والموضوعي ، فقد تتبعت في الفصل الأول تاريخ علم التجـويـد نشأة وتأليفـاً ومنهجـاً ، وتناولت في الفصل الثاني جهود علماء التجويد في دراسـة الأصـوات من حيث كيفيـة نطقهـا وتحديد مخارجها وصفاتها . ثم تناولت في الفصـل الثـالث جهودهم في دراسة الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب ، وهذه هي الموضوعات الرئيسية لعلم الأصوات النطقي ، قد أشبعها علماء التجويد بحثاً وتأليفاً .

ان أهم نتـائج هذا البحث من النـاحية اللغوية الكشف عن علم التجويد مصدراً أصيـلاً من مصـادر الـدراسـة الصوتية العربية ، وهذه النتيجة ليست مبنية على أساس كثـرة الكتب المؤلفـة في علم التجويد ، ولا على أساس المادة الغزيرة التي تتضمنها تلك الكتب فحسب ، وانمـا على الانجـازات القيمـة التي حققها علماء التجويد في مجال دراسة الأصوات أيضاً . واذا كان من غير الممكن أن نذكر كل تلك الانجازات على نحو مفصل في الخاتمة فان تلخيص أهمها أمر يكفي في تأكيد النتيجة المذكورة .

في الفصـل الأول وردت جملة حقـائق تتعلق بتـاريـخ علم التجويد وكتبه ومنهج علمـاء التجـويـد في دراسـة الأصوات اللغوية . وقد تبين في المبحث الأول أن نشأة علم التجويد ترجع الى أوائل القرن الرابع الهجري ، حين ظهرت قصيدة أبي مزاحم الخـاقـاني (ت ٣٢٥هـ) التي قالها في حسن أداء القرآن ، كما ظهر أول مرة مصطلح (التجويد) حين استخدمه ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ، ولم يحل القرن الخامس حتى كانت أكبـر كتب علم التجـويـد قد ظهـرت في مشرق العالم الاسلامي ومغربه . مثل

(الرعاية) لمكي، و(التحديد) للداني، و(الموضح) للقرطبي، و(التجريد) لابن البناء.

وفي المبحث الثاني الذي تتبعت فيه الكتب المؤلفة في علم التجويد تجلت كثرة تلك المؤلفات وتنوع موضوعاتها وطريقة التأليف فيها، نظماً ونثراً، عامة وخاصة. وهذا أمر له دلالة كبيرة في الدراسة الصوتية العربية، اذ انه يعني وجود علم موضوعه دراسة الأصوات له كتبه المستقلة الخاصة به.

وفي المبحث الثالث تبين الأساس الذي قامت عليه الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، وهو اجتناب اللحن الخفي، وكان ابن مجاهد قد قسم اللحن قسمين: اللحن الجلي واللحن الخفي. فالجلي هو تغيير حركات الاعراب، والخفي هو ترك إعطاء الحرف حقه من مخرجه وصفته، وقد صارت قضايا اللحن الجلي ميدان دراسة علماء النحو، وقضايا اللحن الخفي ميدان دراسة علماء التجويد. وقد اتضح من هذا المبحث أن الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ليست وسيلة لدراسة معجمية أو صرفية، كما هو الحال عند علماء اللغة والنحو، بل كانت عندهم لأغراض صوتية خالصة.

وفي المبحث الرابع بيان لمنهج علماء التجويد في دراسة الأصوات، هو منهج يتميز بأنه شامل لكل جوانب الدرس الصوتي، ويتمثل ذلك الشمول بقول الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ): «ان تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدهما: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار».

وكان علماء التجويد قد أفاضوا في بحث هذه الأمور الأربعة، لكن المشتغلين بدراسة الأصوات العربية من المحدثين لم يتمكنوا من إيفاء هذه الأمور حقها من البحث، ولا سيما الأمر الثالث الذي أهمل أكثرهم دراسته.

وقـد تميـز منهـج علماء التجويد أيضا بأنه منهج صوتي خالص لم تخلتط مباحث علم الأصوات فيه بمباحث علوم لغوية أخرى.

واتضح في المبحث الخامس أن علم التجويد علم لغوي محض، وهو يقابل ما يسمى في زماننا بعلم الأصوات اللغوية، وكل ما في الأمر أن ميدان علم التجويد لم يتجاوز نص القرآن الكريم، وكان ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد أعطى هذا العلم حياة متجددة نشطة.

وقد اتضح لنا في الفصل الثاني أن علماء التجويد كانوا مدركين لطبيعة الصوت الانساني، وكيفية إنتاجه، وأسس تصنيفه، وخصائص كل صنف.

فتبين في المبحث الأول ان علمـاء التجـويـد كانـوا على معـرفة تامة بأعضاء آلة النطق ودور كل عضو في إنتاج الأصوات، وقد عرف بعضهم الحنجرة، وان لم تصل تلك المعـرفـة الى حد إدراك دور الـوتـرين الصـوتيين في إنتاج الأصوات، وهو أمر لا يغض من قيمـة كلامهم في المـوضـوع، بل اننـا نلاحـظ في كلامهم عن أعضاء آلة النطق ميزات جديدة قياسا على ما نجده عند علماء العربية، وتتلخص تلك الميزات في:

١ ـ أنهم وصفوا أعضاء آلة النطق ولم يكتفوا بذكر أسمائها.

٢ ـ استعان بعضهم بعلم التشريح في وصفها.

٣ ـ خصص بعضهم فصلاً للحديث عنها.

٤ ـ استعان عدد منهم بالرسم التوضيحي لتوزيع مخارج الحروف على أعضاء آلة النطق.

وفي المبحث الثاني تبيـن أن علماء التجويد عرفوا كيفية إنتاج الأصوات اللغوية بكل تفصيلاتها، فقد عرفوا أن الهواء الخارج من الرئتين هو مادة الصوت الانساني، وأدرك بعضهم أثـر الـوتـرين الصـوتيين فيـه، وقد سمى بعضهم النغمة التي يصدرها الـوتـران مع بعض الأصـوات (صـوت الصـدر) اقتـداء سيبـويه، وسماها ابن البناء (ت ٤٧١هـ) (ترديد الحنجرة)، وسماها طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) ومحمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) باسم (الصـوت القـوي) و(الصـوت الجهـري). وقـد سموا الصوت

الـذي تصـاحب إنتاجه تلك النغمة مجهوراً، والصوت الذي لا تصاحب إنتاجه تلك النغمة مهموساً. وكان علماء العربية قد سبقوا الى استخدام هذين المصطلحين.

وعـرف علمـاء التجـويد أن الذي ميز بين الأصوات بعد ذلك هو اختلاف مواضع القطـع، أي اختـلاف المخـارج، ثم اختـلاف الكيفيـات (الصفـات) المصـاحبة لحدوث الصوت في مخرجه من جهر وهمس، وشدة ورخاوة وتوسط، واطباق وانفتاح.

وفي المبحث الثـالث تبين كيف استخـدم علمـاء التجـويـد مصطلح (الحـروف الجـامـدة) و(الحـروف الـذائبـة) للتعبيـر عن صنفي الأصـوات اللذين اضطـرب المشتغلون بدراسـة الأصـوات العـربيـة من المحـدثين في استخـدام مصطلحين منـاسبين للتعبيـر عنهمـا، فاستخـدم بعضهم (الحـرف والحركة) وبعضهم (الساكن والعلة) وبعضهم (الصـامت والمصـوت)، ولم يجمعـوا على استخـدام شيء معين منها، وذلك لعدم كفايتها في التعبير عن المعنى الذي يريدون التعبير عنه. وقد جاء استخـدام علمـاء التجـويد لمصطلح (الجامد والذائب) في غاية الدقة والوضوح في التعبير عن المقصود، وأرجو أن يشيع بعد الآن استخدام هذين المصطلحين، فلعل دارسي الأصـوات العـربيـة المحـدثين يجـدون فيهمـا المصطلحين اللذين يؤديـان المعنى المقصود بدقة كاملة.

وفي المبحث الرابع اتضحت طريقة علماء التجويد في تحديد مخارج الحروف الجامدة، وهم في ذلك يسيرون على خطى سيبويه بشكل عام، مع بعض الاضافات التي توضـح كلام سيبـويـه، أوتكمله، أوتعـدله على نحومذهب بعضهم في جعل الحـروف العـربية الأصيلة واحداً وثلاثين حرفا بدل التسعة والعشرين، وذلك باضافة ياء المـد وواو المـد على التسعـة والعشـرين، وهـذا مذهب يؤيـده الـدرس الصوتي الحديث. وقد أفرد علماء التجويد حروف المد الثلاثة وخصصوا لها مخرجاً مستقلاً، ولم يعد أكثرهم الألف من حروف الحلق، وميزوا بين الياء والواو الجامدتين، وبينهما حينما تكونان ذائبتين (أي حرفي مد).

ولا يعني التـزام علمـاء التجويد بطريقة سيبويه في ترتيب المخارج أن ذلك ناتج

عن قصور منهم في تحديد المخارج، بل لأن طريقة سيبويه في ترتيب المخارج كانت في غاية الدقة والضبط وهذه حقيقة اعترف بها المحدثون بكل صراحة، ويؤيد هذا أن علماء التجويد حين رأوا أن تحديد سيبويه لمخارج حروف المد غير منضبط لم يترددوا في الخروج عليه.

ونجد في المبحث الخامس الذي بينت فيه تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات طريقة جديدة في دراسة صفات الحروف، وذلك بتقسيمها الى صفات مميِّزة مثل الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاطباق والانفتاح والى صفات محسِّنة مثل القلقلة، والغنة، والصفير، والتكرير، والتفشي، والاستطالة، والانحراف، وهذه الطريقة تدل على ادراك عميق لطبيعة تلك الصفات وأثرها في تنوع الصوت الانساني. وختمت هذا المبحث بتوضيح عناية علماء التجويد بوصف الأصوات وتحديد صفات كل صوت والطريقة المثلى لذلك.

وقد تحدثت في هذا المبحث عن بعض المشكلات الصوتية التي أثارها وصف علماء العربية وعلماء التجويد لكل من الهمزة والقاف والطاء بأنها أصوات مجهورة، وهي الآن ليست كذلك. فبينت موقف علماء التجويد من هذه القضية. وقد اتضح لي أن بعض علماء التجويد كان مدركاً للتحول الذي أصاب صوت الطاء حتى صار صوتاً مهموساً.

وكانت مشاركة علماء التجويد في دراسة مشكلة الضاد العربية مشاركة كبيرة، وقد اتبعوا في معالجة هذه المشكلة منهجاً صوتياً، بخلاف اللغويين والنحاة الذين كانت عنايتهم متجهة نحو إحصاء الألفاظ التي يرد فيها الضاد والظاء. وألف علماء التجويد في هذا الموضوع عدة كتب تتسم بالنظرة الدقيقة لجوانب هذه المشكلة، على نحو ما لاحظنا في كتاب (بغية المرتاد لتصحيح الضاد) لعلي بن محمد المعروف بابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ) وكتاب (كيفية أداء الضاد) لمحمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ).

وفي المبحث السادس يتضح مقدار عناية علماء التجويد بدراسة الأصوات

الذائبة (حروف المد والحركات) سواء أكان ذلك من حيث تخصيص فصول مستقلة في كتب علم التجويد لبحثها، أم من حيث طريقة دراستها. وقد تمكن علماء التجويد من ادراك ما تتصف به الاصوات الذائبة من اتساع مخارجها وحرية مرور الهواء في أثناء النطق بها. وهي تكوّن عندهم مجموعة واحدة من الأصوات تتألف من حروف المد الثلاثة: الالف، والواو والياء اذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما، اضافة الى الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة. ومذهب جمهور علماء التجويد أن الفتحة من الالف، والكسرة من الياء والضمة من الواو. وقد أدرك عدد منهم العلاقة بين الحركة والحرف الذي هي منه، فقال بعضهم الحركة ثلث الحرف، ومذهب الاكثرين أن الحركة نصف الحرف، وأن الالف مركب من فتحتين، والياء مركب من كسرتين، والواو مركب من ضمتين. وقد حددوا مخارج حروف المد وربطوا بين مخارجها ومخارج الحركات، وميزوا بين قيمتين صوتيتين للواو والياء، وذلك حين تكونان حرفي لين مرة (أي جامدتين)، وحين تكونان حرفي مد مرة اخرى (أي ذائبتين).

ولم يستطع دارسو الأصوات العربية المحدثون أن يقدموا في دراستهم للأصوات الذائبة (حروف المد والحركات) شيئاً متميزاً على ما قدمه علماء التجويد. وقد تبين لي أن سبب ما يذكره بعض المحدثين من أن علماء العربية أهملوا دراسة موضوع الأصوات الذائبة أو أنهم قصروا فيه هو عدم تعمقهم في دراسة كتب علماء العربية وعدم اطلاعهم على كتب علم التجويد.

وكانت دراسة الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، وما يلحق الأصوات من تغيير بسبب المجاورة من الأمور التي تميز ببحثها علماء التجويد، فكانت معالجتهم لهذا الموضوع أعمق وأوسع من معالجة علماء العربية، ولم يبحث هذا الموضوع الا عدد قليل من الدارسين المحدثين، على نحو ما بيّنا في الفصل الثالث.

كان علماء التجويد على معرفة تامة بميل الأصوات نحو التماثل عندما تتجاور في الكلام المتصل على ما تبين في المبحث الأول، لأن المجاورة لها تأثير، كما يقول عبد الدائم الازهري (ت ٨٧٠هـ) وأدرك علماء التجويد أن مايحصل للأصوات عند

المجاورة من تغيير هو من باب الاقتصاد بالمجهود والميل نحو الأسهل والأخف في النطق.

ولم يكتف علماء التجويد بذلك بل نجدهم يتعمقون في دراسة ظواهر التأثر الخاصة بالأصوات الجامدة فقسموا التأثر الى ما يسمى بالمقبل والمدبر والمتبادل، والادغام الى صغير وكبير، وناقص وتام، والى ادغام متماثلين ومتجانسين ومتقاربين، والى قوي وضعيف، وقد تميز بعض علماء التجويد بالكلام عن الشوائب الصوتية التي تلحق بعض الحروف بسبب المجاورة، مثل الجهر والهمس، والاطباق والانفتاح والأنفية. ولم تغادر هذه التقسيمات شيئاً من الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب الا شملته.

ويتميز كلام علماءُ التجويد عن الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الجامدة بالشمول والعمق، فلم يدعوا قضية الا درسوها وتعمقوا في فهمها وتفسيرها، وهو أمر قصرت فيه دراسات المحدثين كثيراً، وكتب علم التجويد يمكن أن تسد ذلك النقص الكبير في الدرس الصوتي العربي الحديث، كما وضحنا ذلك في المبحث الثاني.

ولم تقف عناية علماء التجويد بالظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الجامدة بل تجاوزت ذلك الى دراسة ما يتعلق بالأصوات الذائبة. فقد تحدثوا عن الظواهر النوعية والظواهر الكمية حديثاً مفصلاً، تجاوز الظواهر العامة الواضحة الى معالجة قضايا تتميز بالدقة والعمق مثل تحديدهم العيوب الصوتية التي يمكن أن تلحق أصوات المد، على نحو ما ورد في المبحث الثالث.

وإذا ضممنا ما قاله علماء التجويد عن الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الذائبة الى ما قالوه عن كيفية إنتاج هذه الأصوات وأنواعها ومخارجها وصفاتها والعلاقة بينها تكونت لدينا دراسة متكاملة عن الأصوات الذائبة، لا يزال الدرس الصوتي العربي الحديث يفتقر اليها، على الرغم من أن كثيراً من الدارسين المحدثين يأخذون على علماء العربية عدم عنايتهم بهذا النوع من الأصوات.

أما الملحقات فالأول منها يؤكد على أن القرن الرابع الهجري شهد دراسات

صوتية كثيرة قام بها كبار علماء القراءة، ولا يتضح الآن هل قاموا بتلك الدراسات في إطار كتب القراءات أو في كتب خاصة بعلم التجويد، وذلك لاندثار أكثر كتب تلك الحقبة.

وفي الملحق الثاني كان حديث علماء التجويد عن أساليب القراءة شديد الصلة بعلم التجويد، لأن بعض الاحكام التجويدية تتغير تبعاً لطريقة الاداء أو أسلوب القراءة من حدر وترتيل وتحقيق. ويتصل بهذا الموضوع قضية القراءة بالألحان المخترعة المعروفة لدى أصحاب الموسيقى، وقد أنكر علماء التجويد هذا النوع من القراءة، وفرقوا بين القراءة بتلك الألحان وبين الأمر بتحسين الصوت بالقراءة والتغني بالقرآن على نحو لا يخرج عن طريقة العرب المعهودة في النطق التي تكفل علم التجويد ببيانها. ومن الموضوعات الدقيقة التي ألمح اليها علماء التجويد وتتعلق بالأداء موضوع التنغيم، الذي لا تزال مباحثه في اللغة العربية محدودة، وقد وردت اشارات قيمة عنه لدى بعض علماء التجويد.

وفي الملحق الثالث تبينت لنا مشاركة علماء التجويد الواسعة في دراسة موضوع عيوب النطق أو أمراض الكلام. وقد بلغ اهتمام بعض علماء التجويد بهذا الموضوع أن أفرده بتأليف مستقل، كما فعل ابن البناء (ت ٤٧١هـ) في كتابه (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء). وهو عمل كان مجهولاً لدى المحدثين حتى زعم بعضهم أن المكتبة العربية لم تعرف التأليف في هذا الموضوع الا في العصر الحديث.

وقد ظهرت لي من خلال هذا البحث جملة حقائق تتصل بطبيعة الدرس الصوتي في كتب علم التجويد، وبموقف المحدثين من تلك الكتب، وبمستقبل الدراسات الصوتية العربية، منها:

١ - إن علم الأصوات العربي القديم يتمثل بكتب علم التجويد أكثر مما يتمثل بالنصوص المبثوثة في كتب النحو والصرف والمعاجم، وذلك لأن كتب علم التجويد كتب مخصصة لدراسة الأصوات، دون غيرها، وربط علم الأصوات

العـربي بكتب علم التجـويـد، مع عدم اهمـال دراسـات علمـاء العربية، سوف يكون أمراً مفيداً.

٢ ـ إن الاهمـال التـام والتجـاهـل الكامل لكتب علم التجويد من قبل المشتغلين بدراسـة الأصـوات العـربيـة ينـاقض مقتضى المنهـج العلمي الصحيح، ففي الوقت الذي يكثرون فيه من ترديد أقوال الخليل وسيبويه وابن جني لا نجد أحداً منهم يعنى بالمادة الصوتية التي تضمنتها كتب علم التجويد. واذا كان لهم عذر في أن أهم كتب علم التجويد لا يزال مخطوطاً فاني أرجو أن يكون هذا البحث كافياً لاقناعهم بضرورة الالتفات الى تلك الكتب والاحتفال بها دراسة وتحقيقاً.

٣ ـ ان محـافظـة اللغـة العربية على نظامها الصوتي منذ نزول القرآن الكريم حتى عصـرنـا أمـر يعـد من الحالات الفريدة التي يحق للامة أن تعتز بها، وتعود هذه الظـاهـرة في جملتهـا الى ارتبـاط اللغـة العـربية بالقرآن الكريم، وقد أسهمت جهـود علمـاء التجويد في استمرار النطق الفصيح في ألسنة الناطقين بالعربية، وكانت كتب علم التجويد تقدم الاطار النظري الذي ظل يحرس تلك الجهود ويوجهها.

ولا أشـك في أن إهمـال تدريس مبـادئ علم التجـويـد وتـرك العنـاية بالجانب العملي منهـا يعـد من أسبـاب ضعف الملكـة اللغـوية لدى عامة المثقفين في بلادنـا، ويتجلى ذلـك الضعف في تَشَوُّهِ صورة النطق الفصيح على ألسنتهم، ومما يزيد الأمر سوءاً عدم ضبط القواعد النحوية. وما قامت به وزارة التربية في السنـوات الأخيـرة من تدريس القـرآن الكـريم في مرحلتي الـدراسـة الابتدائية والثانوية وفتح دورات لتزويد المعلمين والمدرسين بمبادئ النطق الفصيح ـ يعد خطوة مهمة تبشر بخير كبير. وأعتقد أن العناية بعلم التجويد في مراحل الدراسة المتقدمة خاصة في معاهد إعداد المعلمين ودور المعلمين وأقسام اللغة العربية وكليـة الشـريعـة أمـر ضروري لتـرسيخ النطق العربي الفصيح في ألسنة الذين سوف يتصدون لمهمة تعليم اللغة العربية وتعليم قراءة القرآن في المدارس.

٤ ـ ان هذا البحث هو في الواقع بداية لأبحاث أخرى يمكن أن تعنى بالدراسات الصوتية عند علماء التجويد، اذ أن علماء كباراً مثل مكي بن أبي طالب، وأبي عمرو الداني، وعبد الوهاب القرطبي، ومحمد المرعشي، جديرون بأبحاث مستقلة تهتم بكتبهم وتعنى بابراز جهودهم في دراسة الأصوات العربية.

٥ ـ ان النهوض بالدراسات الصوتية العربية يقتضي عملا مزدوجاً يهتم في أحد جوانبه بالدراسات الصوتية العربية القديمة، لاسيما كتب علم التجويد التي ظل معظمها مجهولاً لدى الدارسين المحدثين. ويهتم في جانبه الآخر بترجمة نتائج الأبحاث الصوتية الحديثة المكتوبة باللغات الأجنبية، مع الاهتمام باستخدام أجهزة الاختبار الصوتي، ولعل انشاء مركز للدراسات الصوتية العربية كفيل بالقيام بأعباء ذلك العمل، ان شاء الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * * * *

الفهارس

الأَعْلَام(*)

(*) جعلتُ هذا ٱلفهرس شاملاً للأعلام الواردة في الهوامش أيضاً، وقد آنتويت في أول الأمر تمييزها بعلامة، ولكني وجدت أنَّ ذلك يُطِيلُ الفهرس لكثرته، والرقم الموضوع بين قوسين يشير إلى عدد مرات ورود الاسم في ٱلصفحة ٱلمذكور رقمها قبل ذلك الرقم، وقد رَتَّبْتُ الأعلام من غير ٱلتفاتٍ الى: آل، وآبن، وأبو، ونحوها.

* * *

المصـــادر

١ ـ آلورد: فهـرس المخطـوطـات العـربيـة بالمكتبـة الملكيـة في برلين (بالالمانية) ج١ـ١٠ برلـيـن ١٨٨٧ـ١٨٩٩م. (فيـه نصــوص عربيــة منقــولــة من المخطوطات، وقد استفدت من هذه النصوص الواردة في الجزء الأول فقط).

٢ ـ ابـراهيم أنيس (دكتـور): الأصـوات اللغـويـة، ط ٤، مكتبـة الأنجلوالمصـريـة، القاهرة ١٩٧١م.

٣ ـ أحمد بن أبي عمر (أبوعبد الله الأندرابي الخراساني ت بعد ٥٠٠هـ): الايضاح في القـراءات العشـر واختيـار أبي عبيد وأبي حاتم. مخطـوط في جامعـة استـانبـول (رقم ١٣٥٠) ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩ قراءات وتجويد).

٤ ـ أحمد مختـار عمـر (دكتور): البحث اللغوي عند العرب، مطابع سجل العرب، توزيع دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

٥ ـ أحمد مختـار عمـر (دكتـور): دراسـة الصـوت اللغـوي، ط ١، مطـابـع سجـل العرب، توزيع مكتبة عالم الكتب، القاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

٦ ـ الأزهري (الشيـخ خالـد بن عبـد الله ت ٩٠٥هـ): الحـواشي الأزهـرية في حل ألفـاظ المقـدمـة الجـزريـة، مكتبـة ومطبعـة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر (د. ت).

٧ ـ الأزهري (عبــد الــدائم بن علي ت ٨٧٠هـ): الطــرازات المعلمــة في شرح المقدمة، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (رقم ٢٠١٦٥).

٨ ـ الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة ج ١، تحقيق عبـد السـلام هارون، الـدار المصـريـة للتأليف والتـرجمـة، القـاهـرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٩ ـ الاسترابادي (رضي الـدين محمـد بن الحسن ت ٦٨٦هـ): شرح شافيـة ابن الحاجب، ج٣، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي بالقاهرة.

١٠ ـ الاصبهاني (محمد حسين): أرجوزة البيان في حكم تجويد القرآن، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (رقم ١٠١٩).

١١ ـ ابن الانباري (أبـو بكـر محمد بن القاسم بن بشارت ٣٢٨هـ): كتاب إيضاح الـوقف والابتـداء في كتاب الله عزوجل، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦م.

١٢ ـ الأنصاري (القـاضي زكـريـا بن محمـد بن أحمـد ت ٩٢٦هـ): تحفـة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ١٢١٢).

١٣ ـ الأنصاري (السـابق): الـدقـائق المحكمـة في شرح المقـدمـة، هامش متن الجزرية لابن الجزري، مكتبة ومطبعة محمد صبيح بمصر ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م.

١٤ ـ الأهوازي (أبو علي الحسن بن علي بن ابراهيم ت ٤٤٦هـ): الوجيز في شرح أداء القـراء الثمـانية أئمة الامصار الخمسة، وهم السبعة المشهورون ويعقوب، مخطوط في مكتبة جستربتي (الرقم ٣٦٠٣) وقد اعتمدت على النسخة المصورة التي يحتفظ بها الدكتور حاتم الضامن.

١٥ ـ أوتو برتزل (مستشـرق ألمـاني): علم القـراءات. مجلة اسلاميكا (بالالمانية) سنـة ١٩٣٤ (ص ١-٤٧ و٢٣٠-٢٤٦ و٢٩٠-٣٣١) (فـي المقـال نصـوص عربيـة منقولة من كتب القراءات والتجويد المخطوطة، وقد استفدت من هذه النصوص).

١٦ ـ ابن البـاذش (أبـوجعفـر أحمـد بن علي بن أحمـد ت ٥٤٠هـ): الاقنـاع في القـراءات السبـع، ط١، تحقيق د. عبـد المجيـد قطامش، من منشورات مركـز البحث العلمي واحيـاء التـراث الاسلامي بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى، مطبعة دار الفكر بدمشق، ١٤٠٣هـ.

١٧ ـ برجستراسر (مستشـرق ألمـاني ت ١٩٣٣م): التطـور النحـوي للغـة العربية، (سلسـة محـاضـرات ألقـاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩م)، عني بطبعها محمد حمدي البكري، مطبعة السماح، القاهرة.

١٨ ـ البغدادي (اسمـاعيـل باشـا بن محمد أمين ت ١٣٣٩هـ = ١٩٢٠م): إيضاح المكنـون في الـذيـل على كشف الظنـون، عني بتصحيحـه وطبعـه محمـد شرف الـدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، ج١، استانبول ١٩٤٥م، ج٢، استانبول ١٩٤٧م.

١٩ ـ البغدادي (السـابق): هديـة العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، طبع بعنـايـة وكـالـة المعـارف الجليلة في مطبعتها البهية، ج١، استانبول ١٩٥١م، ج٢، استانبول ١٩٥٥م.

٢٠ ـ البقاعي (ابـو الحسن ابـراهيم بن عمـر ت ٨٨٥هـ): القـول المفيد في أصول التجـويـد، مخطـوط في الخزانة العامة بالرباط، الرقم ٦٣٤ (٥٠٣د) الأوراق ١٦٧و ـ ١٧٢و.

٢١ ـ البقري (محمـد بن القـاسم ت ١١١١هـ): غنيـة الطـالبين ومنيـة الـراغبين، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١٢٩٧٥).

٢٢ ـ ابن بلبان الحنبلي (شمس الـدين محمـد بن بدر الـدين بن عبـد القـادر ت ١٠٨٣هـ). بغيـة المستفيـد في علم التجـويـد، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (الرقم ١١/٥٤٣٧ مجاميع)، الأوراق ٥٤و ـ ٦٤ظ.

٢٣ ـ ابن البناء (أبوعلي الحسن بن عبد الله ت ٤٧١هـ): بيان العيوب التي يجب أن يجتنبهـا القـراء وإيضاح الأدواث التي بني عليها الاقراء، مخطوط في مكتبـة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٥/٢٠ من مخطوطات المدرسة الاسلامية) الرسالة السادسة من المجموع، الأوراق ١٧٤و ـ ١٨٤و.

٢٤ ـ تمام حسان (دكتـور): اللغـة العـربيـة معنـاها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣م.

٢٥ ـ تمام حسان: منـاهـج البحث في اللغـة، ط٢، دار الثقـافـة، الـدار البيضـاء ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

٢٦ ـ التوني (الحسن بن شجــاع بن محمـد بن الحسن، عاش في القـرن التـاسـع تقـديـراً): المفيد في علم التجويد، مخطوط في مكتبة الفاتيكان (الرقم ٥٨١)، الأوراق ١ـ٢٠.

٢٧ ـ ثابت بن أبي ثابت (من علماء القرن الثالث الهجري): كتاب خلق الانسان، تحقيق عبد الستار فراج، مطبعة الحكومة، الكويت ١٩٦٥م.

٢٨ ـ الجاربردي (فخـر الـدين أبـو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف التبريزي ت ٧٤٦هـ): شرح الشافية، طبعة حجرية قديمة سنة ١٣٠٥هـ.

٢٩ ـ جان كانتينو (مستشـرق فرنسي): دروس في علم أصـوات العـربيـة، ترجمـة صالح القرمادي، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.

٣٠ ـ ابن الجزري (أبـوبكـر أحمـد بن محمـد ت بعـد سنـة ٨٢٩هـ): الحـواشي المفهمـة في شرح المقـدمـة، مخطـوط في مكتبـة الاوقـاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٤).

٣١ ـ ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ): التمهيد في علم التجويد، ط١، القاهرة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م.

٣٢ ـ ابن الجزري (السابق): غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، مكتبة الخانجي بمصرج١ سنة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م، ج٢ سنة ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م.

٣٣ ـ ابن الجزري (السابق): متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية (وهو الارجوزة المسماة بالمقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه)، بهامشه الدقائق المحكمة في شرح المقدمة للقاضي زكريا الانصاري، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بميدان الازهر بمصر ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م.

٣٤ ـ ابن الجزري (السابق): النشر في القراءات العشر، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة مصطفى محمد بمصر.

٣٥ ـ الجعبري (برهان الدين ابراهيم بن عمر ت ٧٣٢هـ): تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم (نظم) مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ١٠٠٢/٣). الأوراق ٢٨ـ٣٥.

٣٦ ـ الجعبري (السابق): الهبات الهنيات في المصنفات الجعبريات، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٣٠١٢٤).

٣٧ ـ ابن جني (ابو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ): الخصائص، ط٢، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت.

٣٨ ـ ابن جني (السابق): سر صناعة الاعرب، ط١، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.

٣٩ ـ حاتم الضامن (دكتور): مقدمة تحقيق كتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك) مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٣، مج ٣١ السنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٤٠ ـ ابن الحاجب (أبـو عمـرو عثمـان بن عمـرت ٦٤٦هـ) : الايضـاح في شرح المفصـل ، ج٢ ، تحقيق د. موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني بغداد ١٩٨٣ ، سلسلة احياء التراث الاسلامي رقم ٥٠ تصدرها وزارة الاوقاف بغداد.

٤١ ـ حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ = ١٦٥٧م) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الـدين يالتقـايـا ورفعت بيلكـه الكليسي ، مج١ ، استـانبـول ١٩٤١م ، مج٢ ، استانبول ١٩٤٣م.

٤٢ ـ حسام سعيد النعيمي (دكتـور) : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، من منشورات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية ١٩٨٠م.

٤٣ ـ حسن ظاظا (دكتور) : كلام العرب ، دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

٤٤ ـ الحسيني (ابـو الفضـائل عباد بن أحمد بن اسماعيل ، كان حياً سنة ٧٠٤هـ) : كاشف المعـاني في شرح حرز الامـاني ، مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل (الرقم ٢/٣ مخطوطات حسن باشا الجليلي).

٤٥ ـ الحميدي (أبـو عبـد الله محمـد بن فتوح ت ٤٨٨هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والادب وذوى النباهة والشعـر ، ط١ ، صححـه محمـد بن تاويت الطنجي ، مكتب نشـر الثقافة الاسلامية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م.

٤٦ ـ أبو حيان الانـدلسي (أثيـر الـدين محمـد بن يوسف بن علي ت ٧٤٥هـ) : ارتشـاف الضـرب من لسـان العـرب ، مخطوط في المكتبة الاحمدية بحلب (الـرقم ٨٩٩) ، وقد اعتمدت على النسخة المصورة عنها التي يحتفظ بها الدكتور حاتم الضامن.

٤٧ ـ الخاقاني (أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى البغدادي ت ٣٢٥هـ): القصيدة الخاقانية، تحقيق غانم قدوري حمد، منشورة ضمن بحث (علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى) في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد السادس ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٤٨ ـ ابن خالوية (الحسين بن احمد): الحجة في القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق بيروت ١٩٧١م.

٤٩ ـ خليل ابراهيم العطية (دكتور): في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم (١٢٤) بغداد ١٩٨٣م.

٥٠ ـ ابن خير الاشبيلي (أبو بكر محمد بن خير بن عمرت ٥٧٥هـ): فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، الطبعة الثانية المنقحة والمنقطة، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٥١ ـ الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ): كتاب الادغام الكبير، مخطوط في مكتبة المتحف البريطاني (الرقم ٣٠٦٧ مشرقيات)، ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (الرقم ٣ قراءات وتجويد).

٥٢ ـ الداني (السابق): التحديد في الاتقان والتجويد، مخطوط في مكتبة وهبي أفندي (ملحقة بالمكتبة السليمانية باستانبول) (الرقم ٤٠/١).

٥٣ ـ الداني (السابق): التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه أوتو برتزل، مطبعة الدولة باستانبول ١٩٣٠م.

٥٤ ـ الداني (السابق): شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، مخطوط في مكتبة جستربتي (الرقم ٣٦٥٣/١٠)، الأوراق ١٢٧-١٤٣.

٥٥ ـ الداني (السابق): المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة والارشاد، دمشق ١٩٦٠م.

٥٦ ـ الداني (السابق): المنبهة في الحذق والاتقان وصفة التجويد للقرآن، مخطوط في الخزانة العامة للكتب في الرباط، الرقم ٢٨٠٩ (د ٢١٨٦).

٥٧ ـ الداني (السابق): الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والامالة، مخطوط في المكتبة الازهرية رقم ١٠٣ (٧٦٦١) قراءات. ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩٦ قراءات وتجويد).

٥٨ ـ ابن أبي داود (أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٣١٦هـ): كتاب المصاحف، ط١، صححه آرثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦.

٥٩ ـ داود عبده (دكتور): أبحاث في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٣م.

٦٠ ـ الدركزلي (حسن بن اسماعيل بن عبد الله الموصلي ت ١٣٢٧هـ): خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٢٣٥١٣).

٦١ ـ ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الازدي ت ٣٢١هـ): كتاب جمهرة اللغة، ط١، مطبعة دائرة المعارف، حيدرآباد الدكن ١٣٤٤هـ).

٦٢ ـ ابن الدهان (أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب ت ٥٩٢هـ): تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء. مخطوط في دار الكتب المصرية (الرقم ٥٢ فقه شافعي). وقد اعتمدت على النسخة المصورة عنها التي يحتفظ بها الدكتور عبد القادر رحيم الهيتي.

٦٣ ـ الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ): معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، ط١، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٩م.

٦٤ ـ رمضان عبد التواب (دكتور): فصول في فقه العربية، ط١، مكتبة دار التراث القاهرة ١٩٧٣م.

٦٥ ـ الرومي (الشيخ أحمد فائز): شرح الدر اليتيم للبركوي (ت ٩٨١هـ) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٦١٠).

٦٦ ـ الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٧٩هـ): الواضح في علم العربية، تحقيق د. أمين علي السيد، دار المعارف بمصر ١٩٧٥.

٦٧ ـ الزجاج (أبو اسحاق ابراهيم بن السرى ت ٣١٦هـ): معاني القرآن واعرابه، ج١، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، منشورات المكتبة العصرية بيروت ـ صيدا، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة ١٩٧٣م.

٦٨ ـ الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ت ٣٣٧هـ): كتاب الجمل، ط٢، تحقيق ابن أبي شنب، مطبعة كلنكسيك، باريس ١٩٥٧م = ١٣٧٦هـ.

٦٩ ـ الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، ط٢، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.

٧٠ ـ السخاوي (علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد ت ٦٤٣هـ): جمال القراء وكمال الاقراء، مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق، الرقم ٣٣٣ (٤٤ القراءات).

٧١ ـ ابن السراج (أبو بكر محمد بن السرى ت ٣١٦هـ): الاشتقاق، ط١، تحقيق محمد صالح التكريتي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٣م.

٧٢ ـ السعيدي (أبو الحسن علي بن جعفر الرازي ت في حدود ٤١٠هـ): اختلاف

القراء في اللام والنون، مخطوط في مكتبة المتحف البريطاني الرقم (٤٢٥٤ مشرقيات) الأوراق ٦٠و- ٦١ظ.

٧٣ - السعيدي (السابق): التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، مخطوط في مكتبة وهبي أفندي (ملحق بالمكتبة السليمانية باستانبول) (الرقم ٤٠/٢)، الأوراق ٤٥-٥٤.

٧٤ - السكاكي (أبو يعقوب بن محمد بن علي ت ٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، ط١، المطبعة الادبية بمصر ١٣١٧هـ.

٧٥ - السمرقندي (محمد بن محمود بن محمد ت ٧٨٠هـ): روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٢٢/٢ مخطوطات مدرسة الحجيات)، الأوراق ١٢٤ظ - ١٤٣ظ.

٧٦ - السمنودي (سعور بن عيسى بن غازي الأنصاري، كان حيا سنة ١٠٨٤هـ): تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين. مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل (الرقم ١٩/٣ مخطوطات جامع النبي شيت)، الأوراق ١-٢٥.

٧٧ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ج٢، دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٨م، ج٣ و٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م، ١٩٧٥م.

٧٨ - السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت ٣٦٨هـ): شرح كتاب سيبويه، ج٦ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٥٢٨ نحو تيمور) نسخة مصورة يحتفظ بها الدكتور محمد البكاء.

٧٩ - السيرافي (السابق): ما ذكره الكوفيون من الادغام، تحقيق صبيح حمود الشاتي، مجلة المورد، مج١٢، ع٢، السنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٨٠ - ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ت ٤٢٨هـ): أسباب حدوث

الحروف، نشره ولاديمير اخوليدياني، دار النشر متسنياربا، تفليس ١٩٦٦.
٨١ ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرت ٩١١هـ): الاتقان في علوم القرآن، ط١، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني القاهرة ١٩٦٧م.
٨٢ ـ السيوطي (السابق): الاشباه والنظائر في النحو، ط٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩هـ.
٨٣ ـ السيوطي (السابق): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج٦، تحقيق د. عبد العال سالم مكزم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
٨٤ ـ أ. شاده (مستشرق ألماني): علم الاصوات عند سيبويه وعندنا (محاضرة ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية) ونشرت في صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١م، العدد الخامس ص ٣-١٩، والعدد السادس ص ١٣-٢٦.
٨٥ ـ أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥هـ): إبراز المعاني من حرز الاماني، مخطوط في مكتبة الاوقاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٧).
٨٦ ـ الشريف الجرجاني (علي بن محمد ت ٨١٦هـ): شرح المواقف، ج٥، ط١، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م.
٨٧ ـ شعلة الموصلي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ت ٦٥٦هـ): كنز التهاني في شرح حرز الاماني، مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد (الرقم ٢٤٠٦).
٨٨ ـ ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٢٣٥هـ): الكتاب المصنف في الاحاديث والاثار ج١، تحقيق محمد جهانكير علي الانصاري، حيدر آباد، الهند ١٣٨٦هـ.

٨٩ ـ الصفاقسي (أبو الحسن علي بن محمد النوري ت ١١١٨هـ): تنبيه الغافلين وارشاد الجاهلين عما يقع من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين تقديم وتصحيح محمد الشاذلي النيفر، المطبعة الرسمية، تونس ١٩٧٤م.

٩٠ ـ طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى ت ٩٦٨هـ): شرح المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٣/٦٢١).

٩١ ـ الطبلاوي (شيخ الاسلام ناصر الدين محمد بن سالم بن علي ت ٩٦٦هـ): مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٦٩٠/٥)، الأوراق ١-١٤.

٩٢ ـ ابن الطحان (أبو الاصبغ عبد العزيز بن علي بن محمد الاشبيلي ت بعد ٥٦٠هـ): مرشد القارئ الى تحقيق معالم المقارئ. مخطوط في مكتبة جستربتي بدبلن (الرقم ٣٩٢٥/٤)، الأوراق ١٢٨-١٣٦.

٩٣ ـ ابن الطحان (السابق): نظام الأداء (مقدمة في الوقف والابتداء) مخطوط في مكتبة جستربتي بدبلن (الرقم ٣٩٢٥/٥)، الاوراق ١٣٧-١٤٤.

٩٤ ـ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري ت ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.

٩٥ ـ عبد الرحمن أيوب (دكتور): أصوات اللغة، ط١، مطبعة دار التأليف، القاهرة ١٩٦٣م.

٩٦ ـ عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٦م.

٩٧ ـ عبد الصبور شاهين (دكتور): في التطور اللغوي، ط١، مكتبة دار العلوم، القاهرة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

٩٨ ـ عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث دار القلم القاهرة ١٩٦٦م.

٩٩ ـ عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

١٠٠ ـ عبد الفتاح اسماعيل شلبي (دكتور): الامالة في القراءات واللهجات العربية، ط٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

١٠١ ـ عبد الهادي الفضلي (دكتور): القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ط٢، دار القلم بيروت ١٩٨٠م.

١٠٢ ـ أبو عبيد (القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ): ؛ غريب الحديث ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الهند ١٩٦٤-١٩٦٧م.

١٠٣ ـ ابن عصفور (علي بن مؤمن ت ٦٦٩هـ): المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧١-١٩٧٢م.

١٠٤ ـ ابن عصفور (السابق): الممتع في التصريف، ط١، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المطبعة العربية، حلب ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م

١٠٥ ـ العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني ت ٥٦٩هـ): التمهيد في التجويد، مخطوط في مكتبة جستربتي بدبلن (الرقم ٣٩٥٤)، وهو منسوب في فهرس المكتبة (ج٤ ص٧٠) الى أبي بكر جعفر بن محمد المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ) (يراجع رقم ١٢ من مصادر علم التجويد في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا البحث)، وقد كتبت بحثاً في تحقيق نسبة الكتاب لأبي العلاء، منشور في مجلة الرسالة الاسلامية ببغداد العددان ١٧٨-١٧٩ بغداد ١٩٨٥م.

١٠٦ ـ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، المكتبة العربية بدمشق ١٩٥٧م.

١٠٧ ـ عياض (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ت ٥٤٤هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق د. أحمد بن بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٠٨ ـ ابن غانم المقدسي (علي بن محمد بن خليل ت ١٠٠٤هـ): بغية المرتاد لتصحيح الضاد، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١١٠٦٨/٧)، الأوراق ١/١٠.

١٠٩ ـ غانم قدوري حمد: علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى، مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد السادس ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م (ص ٣٣١-٩٣٦).

١١٠ ـ غانم قدوري حمد: قضية الجيم في العربية مجلة الاقلام، العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة، بغداد ١٩٧٨م.

١١١ ـ غانم قدوري حمد: مؤلف التفسير المسمى (المباني لنظم المعاني)، مجلة الرسالة الاسلامية، العددان ١٦٤-١٦٥ بغداد ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

١١٢ ـ غانم قدوري حمد: المصوتات عند علماء العربية، مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد الخامس ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م (ص ٣٩١-٤٥٦).

١١٣ ـ ابن فارس (أبو الحسين أحمد ت ٣٩٥هـ): الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م.

١١٤ ـ الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد ت ٣٧٧هـ): الحجة في علل القراءات السبع، ج١، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٥م = ١٣٨٥هـ.

١١٥ ـ الفاسي (أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد ت ٦٥٦هـ): اللآلئ

الفريدة في شرح القصيدة، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١٦٣٤)، وهي مجهولة المؤلف لسقوط الورقة الأولىٰ من المخطوط، وتوصلت الى معرفة المؤلف بمقارنتها بالمخطوط المرقم (٢٤٥٣) في مكتبة الأوقاف في بغداد.

١١٦ ـ الفخر الموصلي (أبو المعالي محمد بن أبي الفرج ت ٦٢١هـ): الدر الموصوف (لعله المرصوف) في صف مخارج الحروف، مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل (الرقم ٥/ ٢٠ مخطوطات المدرسة الاسلامية، الرسالة الخامسة)، الأوراق ١٦٨-١٧٣.

١١٧ ـ الفخر الرازي (محمد بن عمر ت ٦٠٦هـ): التفسير الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران.

١١٨ ـ الفراء (أبوزكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧م): معاني القرآن تحقيق محمد علي النجار وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١١٩ ـ الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد) كتاب العين، ج١، تحقيق د. مهدي المخرومي ود. ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية، مطابع الرسالة، الكويت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

١٢٠ ـ فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة وعلم التجويد، ط١، دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

١٢١ ـ ج. فتدريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠م.

١٢٢ ـ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مج١، ج١، ترجمة د. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١م.

١٢٣ ـ فؤاد السيد: فهرس المخطوطات المصورة، ج١، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٤م.

١٢٤ ـ ابن الفوطي (أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الحنبلي ت ٧٢٣هـ): تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٤، ق٣، تحقيق د. مصطفى جواد، وزارة الثقافة والارشاد، دمشق ١٩٦٥م.

١٢٥ ـ القارى (الملا علي بن سلطان محمد المكي ت ١٠١٤هـ): المنح الفكرية على متن الجزرية، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٢هـ.

١٢٦ ـ ابن القاصح (علي بن محمد بن عثمان ت ٨٠١هـ): نزهة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٦٩٠/٤).

١٢٧ ـ القرطبي (أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ت ٤٦٢هـ): الموضح في التجويد، مخطوط في مكتبة الاوقاف في الموصل (الرقم ٢٢/٢ مخطوطات مدرسة الحجيات)، الأوراق ١٤٤و ـ ١٩٠ظ.

١٢٨ ـ القسطلاني (أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٩٢٣هـ): لطائف الاشارات لفنون القراءات، ج١، تحقيق د. عبد الصبور شاهين، والشيخ عامر السيد عثمان، لجنة احياء التراث الاسلامي في المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

١٢٩ ـ القسطلاني (السابق): اللالئ السنية في شرح المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد (الرقم ٢٤٠٢).

١٣٠ ـ كمال محمد بشر (دكتور): دراسات في علم اللغة، ج١، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

١٣١ ـ كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم الثاني: الاصوات، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

١٣٢ ـ ابن الكيال (أبو البركات محمد بن أحمد بن محمد ت ٩٢٩هـ) : كتاب الانجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر، مخطوط في مكتبة جستربتي الرقم (٢/٣٤١٩)، الأوراق ٧٩ـ١٠٠.

١٣٣ ـ المارديني (شمس الدين محمد بن قيصر النحوي ت ٧٢١هـ) : الدر النضيد في معرفة التجويد (نظم)، مخطوط في مكتبة جستربتي (الرقم ٤/٣٦٥٣)، الأوراق ٦٠ـ٧٥.

١٣٤ ـ ماريوپاي : أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس بليبيا ١٩٧٣م.

١٣٥ ـ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) : المقتضب، ج١، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة احياء التراث الاسلامي في المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة.

١٣٦ ـ ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي ت ٣٢٤هـ) : كتاب السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.

١٣٧ ـ محمد الانطاكي : الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشهباء، حلب ١٩٦٩م.

١٣٨ ـ محمود السعران (دكتور) : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.

١٣٩ ـ المرادي (بدر الدين الحسن بن قاسم المشهور بابن أم قاسم ت ٧٤٩هـ) : شرح التسهيل، نسخة مصورة تحتفظ بها مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٢٠٥٢).

١٤٠ ـ المرادى (السابق) : شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت.

١٤١ ـ المرادى (السابق) : المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد،

مخطوط في مكتبة جستربتي بدبلن (الرقم ٣٦٥٣/٧)، الأوراق ١٠٠-١١٨.

١٤٢ ـ المرعشي (محمد بن أبي بكر المعروف بساجقلي زاده ت ١١٥٠هـ): بيان جهد المقل، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١١٠٦٨/٥)

١٤٣ ـ المرعشى (السابق): جهد المقل، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١١٠٦٨/٤).

١٤٤ ـ المرعشي (السابق): كيفية أداء الضاد. مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١١٠٦٨/٦)

١٤٥ ـ مصطفى فهمي (دكتور): أمراض الكلام، ط٤، مكتبة مصر ١٩٧٥م.

١٤٦ ـ مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ): الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دمشق ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

١٤٧ ـ مكي (السابق): الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

١٤٨ ـ ملا حسين بن اسكندر الحنفي (ت في حدود ١٠٨٤هـ): بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد في القرآن المبين، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٢٤٣٨٠) وهناك نسخ أخرى مخطوطة في المكتبة نفسها.

١٤٩ ـ ملا حسين (السابق): لباب التجويد للقرآن المجيد، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١٠١٠٤).

١٥٠ ـ ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم ت ٧١١هـ): لسان العرب، ط١، بولاق.

١٥١ ـ النابلسي (عبد الغني بن اسماعيل ت ١١٤٣هـ): كفاية المستفيد في علم التجويد، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١٠٨٩٥).

١٥٢ ـ ابن النديم (محمد بن اسحاق): الفهرست، تحقيق رضا ـ تحدد، طهران ١٩٧١م.

١٥٣ ـ نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج١، ق١، تحقيق ك. و. سترستين، مطبعة بريل بليدن ١٩٥٣م = ١٣٧٠هـ.

١٥٤ ـ الهمذاني (المنتجب بن يعقوب ت ٦٤٣هـ): الدرة الفريدة في شرح القصيدة، مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد (الرقم ٢٣٧٩).

١٥٥ ـ هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢٣، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.

١٥٦ ـ هنري فليش (الاب اليسوعي): العربية الفصحى، ط١، تعريب د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦م.

١٥٧ ـ ابن وثيق (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الاشبيلي ت ٦٥٤هـ): كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف، مخطوط في مكتبة أيا صوفيا باستانبول (الرقم ٧/٣٩). ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (الرقم ٦٢ قراءات وتجويد)، الأوراق ٧٦-٧٩.

١٥٨ ـ الوفائي (أبو الفتوح سيف الدين بن عطا الله ت ١٠٢٠هـ): الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد، الرقم (٢٤٠٢/٤).

١٥٩ ـ ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، ليبزج ١٨٦٧م.

١٦٠ ـ ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت ٦٤٣هـ) : شرح المفصل، ادارة الطباعة المنيرية بمصر.

١٦١ ـ يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها، ط١، مكتبة الفكر الاسلامي، الخرطوم ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م.

١٦٢ ـ يوسف بن محمد الحلالي (عاش قبل ٨٥٩هـ) : موجز في التجويد، مخطوط في مكتبة جستربتي (الرقم ١١/٣٦٥٣)، الأوراق ١٤٧ظ ـ ١٥٦و.

موضوعات الكتاب

recitation art in the fourth century of Hijra (the tenth Christain Century) trying to discover some aspects of this ambiguous science in that century.

Concerning the second appendix, I discussed the styles of reciting the Quran and I explained the attitude that the recitation scientists had toward reading in tune and I pointed out the tuning phenomenon.

In the third appendix, I dealt with the subject of speech defects with recitation scientists.

I have drawn a conclusion out of this research many facts:

1. The subject of recitation is a study for linguistic sounds and this science is versus what is called nowadays «phonetics».
2. Neglecting the recitation books by modern researchers who are interested in Arabic sounds studies has prohibited their studies from a valuable phonetic material which they strongly need it to enrich their studies and avoid many mistakes which they always did.
3. The most books of recitation are still manuscripts. Great efforts are needed to certitude and publish them to enable other to benefit from them.
4. Doing the phonetic Arabic contemporary studies needs phonetic studies of the recitation scientists as well as the results of the modern phonetic research.
5. The recitation science was of an important role to keep the pure Arabic pronounciation for many centuries. If we want to fix firmly the pure Arabic pronounciation among Arabic speakers nowadays, recitation science will do this role, if it's principles are well practised and explained.

In the second chapter, I dealt with the Arabic sounds study in the view of recitation scientists in isolation. It is made up of six researches. The first one is about description of organs of speech stated by the recitation scientists.

In the second research, I spoke about the production of the linguistic sounds.

In the third, I mentioned the two types of sounds, consonants and vowels, whereas the fourth one is about classification of consonants according to their points of articulations.

The fifth research deals with classification of consonants according to the manner of articulations. The last one covers the vowels. It explains the method adopted by recitation scientists to study this type of sounds and how they are classified, the limitation of vowels' points of articulations and explaining the relation among all their types.

The third chapter deals with (studying the Arabic sounds altogether by the recitation scientists). This has been done in three researches:

The first one is about the concept of influence and effect among sounds through the continuous speech.

I explained the recitation scientists' attitude towards this matter.

The second research is specialized to study the phonetic influential and special features of consonants. I explained the kinds of these features either they are special for one sound or for many groups of sounds and either the influence is complete or incomplete

In the third research, I talked about the influential phonetic features that are special in vowels and either these features are quantitative of qualitative or special with short vowels or long ones.

In appendixes, I talked, in the first, about the history of the

Abstract

Phonetic Studies With Recitation Scientists

(Ph. D Thesis)

Muslims took a great interest in exactitude of reading the glorious Quran. The art of recitation had been adopted to clarify the bases that should be considered in reading. Recitation Scientists explained the sound system of Arabic and they compiled many books from (A. H 300), (A. D 900) till the modern age. Those books included important phonetic research but the researchers for the Arabic phonology, nowadays didn' t make use of those books and the books are still absolutely unknown to them. If they used those books in their research, they would provide them with new and useful phonetic ideas and prevent them from making many mistakes in their studies for the Arabic sounds.

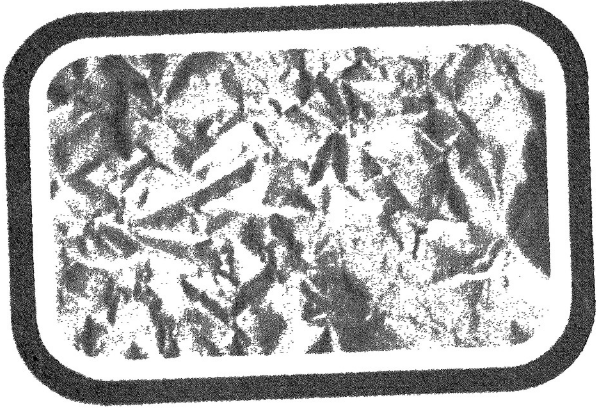
This research is a try to introduce the phonetic studies that the recitation scientists did. The research consists of: three chapters and three appendixes.

In chapter one I dealt with (the sources of phonetis studies in the view of the recitation scientists). It consists of five researches. In the first, I mentioned the origin of the recitation art and the beginning of its existence. In the second research, I presented a list containing the most famous books written about this science from its beginning till (A. H. 1300).

In the third research, I talked about the concepts which the study depended on.

The fourth research clarified the recitation scientists method in studying sounds. I had presented the most important aspects of that method. I concluded the chapter with the relation of the recitation with the Quran science.





رقم الايداع ٢٩٨
في المكتبة الوطنية
بغداد لسنة ١٩٨٧

